تم الطالب بالتعديلات التي اقترحتها لجنة المناقشة

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الاسلامية

قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

محمد سالم باعامر

محمد جبر أبو سعدة

محمد الحبيب الهيلة

عبد العزيز بن راشد العبيدي

((صلة الدولة التيمورية بالعالم الاسلامي في عهد تيمورلنك))

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي

اعداد

محمد سالم بكر باعامر

اشراف

الأستاذ الدكتور/ محمد جبر أبوسعده

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسـالة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعـد

فان عنوان الرسالة : صلة الدولة التيمورية بالعالم الاسلامي في عهد تيمورلنك • وقد احتوى البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة وملحقين وقائمة بالمصادر والمراجع ، وقائمة بمحتويات الرسالة •

وأبرزت في المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره وأهم المصادر المعاصرة التي رجعت اليها • وخصصت التمهيد عن ظهور تيمورلنك • مولده ، ونشأته ، وألقابه • وأبرزت في الباب الأول : قيام الدولة التيمورية وتوسعها في بلاد ماوراء النهر ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : العوامل التي ساعدت تيمورلنك على اقامة الدولة •
الفصل الثاني: المصاعب التي واجهت تيمورلنك •
الفصل الثالث: توسع الدولة التيمورية فيما وراء النهر •

وتطرقت في الباب الثاني الى علاقة تيمورلنك بالدول الاسلامية في المشرق وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : علاقة تيمورلنك بخراسان وفارس •
الفصل الثاني: علاقة تيمورلنك ببلاد أذربيجان والعراق •
الفصل الثالث: علاقة تيمورلنك بالدولة المملوكية في مصر والشام •
الفصل الرابع: علاقة تيمورلنك بالدولة العثمانية •

أما الباب الثالث والأخير فقد خصصته للحديث عن تيمورلنك ماله وماعليه وقسمته الى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عقيدة تيمورلنك ومذهبه واختلاف المؤرخين حولهما •
الفصل الثاني: موقف المؤرخين من أعمال تيمورلنك •
الفصل الثالث: حديث الشعر عن تيمورلنك •

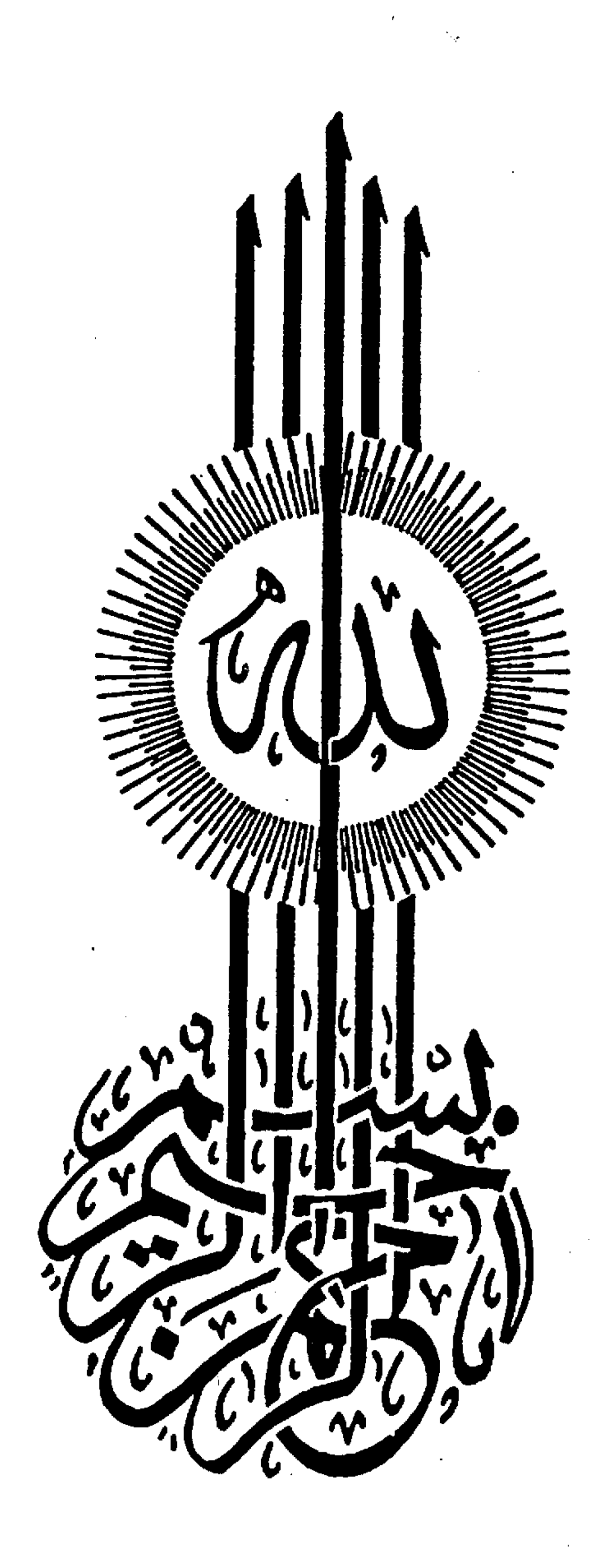
وأما الخاتمة فقد أوجزت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها بفضل الله في هذا البحث ومنها :

- ان تيمورلنك ينتمي الى الترك من جهة أبيه فهو من قبيلة برلاس التركية ، والى المغول من جهة أمه • وان مولده كان في سنة ٧٣٦هـ-١٣٣٦م وانه كان رجلا أميا لايقرأ ولايكتب الا أنه كان يحسن التكلم بالفارسية والتركية •
- ان الأوضاع التي سادت بلاد ماوراء النهر ، وما اتسمت به من اضطراب وفوضى هي التي أتاحت الفرصة لتيمورلنك للانقضاض عليها ، والتغلب على حكامها الضعفاء •
- كما أظهرت الدراسة ان حكام وأمراء خراسان وفارس والعراق كانوا في شغل شاغل عن رصد تحركات تيمورلنك العسكرية ، بسبب المنازعات والخصومات السائدة بينهم والتي أدت آخر الأمر الى اضعاف قدراتهم ، وانهاك قواهم ، ومن ثم وقعت بلادهم فريسة سهلة بيد تيمورلنك •
- وأثبتت الدراسة ان السلطان برقوق كان يمثل القوة الكبرى القادرة على مواجهة تيمورلنك وصده ، كما بينت الدراسة أن السلطان فرج خليفة برقوق وأمراءه قد وقعوا في خطأ كبير عندما رفضوا محالفة السلطان العثماني بايزيد حيث كان في امكان هذا التحالف الوقوف في وجه الخطر التيموري وقد سهل هذا الاختلاف لتيمورلنك مواجهة كل فريق على حده وانزال الهزيمة بجيوشهما •
- كما أن هزيمة العثمانيين في أنقره كانت كارثة حلت بهم ، حيث دمر جيشهم وأوقف توسعهم في الأناضول وأوربا الشرقية وقد تنفست الامبراطورية البيزنطية الصعداء فترة من الزمن •

وأخيرا أثبتت الدراسة أن تيمورلنك كان كافرا مدعيا للاسلام ، يميل للتشيع ، وان كان في أحسن حالاته رافضيا غلب على طبعه التوحش والهمجية •

أرجو الله أن أكون قد وفقت ، وأن يجعله عملا خالصا لوجهه

الطالب	المشرف	عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
محمد سالم بكر باعامر	د•محمد جبر أبوسعده	د• عابد بن محمد السفياني


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة البـــحـــث

مقدمة البحث

أ - أهمية الموضوع واختياره .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

يعتبر النصف الثاني من القرن الثامن وبداية القرن التاسع الهجريين من الفترات التاريخية الحافلة بالأحداث الخطيرة في تاريخنا الاسلامي ، حيث كان لها أثر واضح في النواحي الحربية والمدنية في ذلك الوقت خاصة في الجانب الشرقي من العالم الاسلامي ، حيث ظهر تيمورلنك على مسرح الأحداث في النصف الثاني من القرن الثامن الهجرى ، وظل منذ ظهوره في بلاد ماوراء النهر الى أن توفى عام ٨٠٧هـ - ١٤٠٥م ، من أبرز الشخصيات العسكرية والسياسية في المشرق الاسلامي ، بل لا مبالغة اذا قلنا أنه كان في العقد الأخير من حياته الحافلة أبرز الشخصيات في العالم الاسلامي دون استثناء .
ولم يمض سوى قرن واحد على حملات أسلافه المغول على العالم الاسلامي وغيره وما أرتكبوه من أفاعيل فظيعة مروعة ، فكانوا حديث التاريخ بما صنعوا من أحداث وأعمال تدميرية على الأراضي الاسلامية . وكان على رأس هؤلاء المدمرين جنكيزخان ٦٠٣ - ٦٢٤هـ - ١٢٠٦ - ١٢٢٧م ، وهولاكوخان ٦٥٤-٦٦٣هـ - ١٢٥٦-١٢٦٥م حتى اذا جاء تيمورلنك بعدهم ، وقف الى جانبهم ، ووضعه التاريخ في مكانه اللائق به بين صفوف سلسلة المدمرين العمالقة وطواغيت الشعوب المتوحشين .

لقد أجمع المؤرخون المسلمون - على اختلاف مناهجهم ونزعاتهم - وكذلك الباحثون المحدثون على تفرد تيمورلنك بميزات وصفات قلما تجمعت في شخصيات التاريخ التى عرفناها ودرسنا سيرها وأخبارها على مر القرون وتعاقب السنين ، وذلك لما كان يتمتع به من جلد وطاقة وقوة احتمال وحيوية دافقة لاتقف عند حد ، ومغالاة كبيرة في تقتله للناس الأبرياء ، واقامة اهرامات من رؤسهم لتكون عبرة لمن لايعتبر .

ان تيمورلنك قد شغل حيزا كبيرا من اهتمام المؤرخين بصفة عامة

ومؤرخي الحروب على وجه الخصوص ، وبحث هؤلاء وأولئك في سيرة هذا الغازي المغولي الذي دوخ الأمم ، وقضى على كثير من الممالك والدول في شرق العالم الاسلامي ، فبحثوا جميعا عن عناصر القوة وجوانب القدرة على تحقيق النصر الذي كان يتحقق له في معظم معاركه وحروبه التي خاضها ، فلم يعرفوا عنه أنه تخاذل أو هزم ، بل كان يدير معاركه بنفسه على مسرح الأحداث ، ويعتمد على نفسه في اتخاذ القرارات • والواقع ان شجاعته رفعته ليكون أعظم قائد ميدان وامبراطورا كبيرا خضعت له بلاد ماوراء النهر ومعظم ممالك الشرق الاسلامي ، واتصل به حكام أوربا يخطبون وده ويطمعون في صداقته •

كما أن تيمورلنك نجح في جميع مشاريعه وحقق رغبته العارمة في حب التملك والسيطرة والسيادة على العالم ، حيث كان يرى أن حكم العالم لايكفى لأكثر من حاكم واحد كما أن الله عز وجل واحد • على أن الذي لفت انتباهي وأنا أراجع تاريخ تيمورلنك وأدقق النظر فيه انما حملته الشرسة وهجماته المدمرة على خراسان وفارس والعراق والشام وآسيا الصغرى (1) ، واصراره الذي لايلين على القضاء على الدولة الاسلامية في تلك البلاد ، وهو عمل خطير من شأنه أنه آثار حوله الشكوك ودفع ذلك علماء المسلمين الى البحث والدراسة في صحة اسلامه وحقيقة عقيدته ؟ ودفعتهم أيضا الى التساؤل الذي كان لابد من اثارته حول تصميم هذا الغازي المغولي على غزو بلاد الاسلام وتدميرها والقضاء على مظاهر المدنية والرقي فيها ، بينما كان المجال أمامه مفتوحا للتوسع والفتح في أعماق آسيا الوسطى وأوربا لنشر الاسلام بين الأمم في تلك الأصقاع واعلاء راية دينه الذي مابرح يؤكد انتماءه اليه ، ويثبت أنه شديد التمسك به ! •

وهكذا رأيت نفسى مندفعا في قراءتي حول تاريخ تيمورلنك بشكل عام وحول هذه القضية التاريخية المثيرة بخاصة ، ومن ثم رغبت في بحثه ودراسته، وكنت يومئذ على موعد مع التسجيل لدرجة الدكتوراه فعرضت هذا الأمر على استاذي الدكتور محمد شتا زيتون الذي كان المشرف الأول على هذه الدراسة - فشجعني على المضى قدما في سبيل تسجيله ، حتى تم قبوله واقراره من مجلس

(1) لقد استثنيت من هذه الدراسة صلات وحملات تيمورلنك لبلاد الهند والقبجاق نظرا لأنني سوف أعد دراسة خاصة عن كل منهما قريبا انشاء الله•

الدراسات العليا والكلية الموقرين تحت هذا العنوان [[صلة الدولة التيمورية بالعالم الاسلامي في عهد تيمورلنك]] ٠

ب - جهود السابقين :

ولابد أن أشير في هذه المناسبة الى جهود الباحثين الذين سبقوا في تناول تاريخ تيمورلنك ، فهناك في المكتبات الأوربية عدة بحوث صغيرة تناولت علاقة بايزيد بتيمورلنك (١) ٠

كما أن هناك عدة مؤلفات ورسائل علمية (٢) كتب البعض منها باللغة العربية والآخر بالتركية ، وتناولت الحديث عن تيمورلنك وأعماله ومن هذه المؤلفات :

- كتاب هارولدلامب : تيمورلنك ، عربه عن الانجليزية عمر أبوالنصر ، بيروت ، ١٩٣٤م ٠

- Prof . D. Yasar yucel : Timur'un dis Politikasinda. Turkiye Ve Yakin-Dogu 1393 - 1402 . Ankara . 1980 .

---

(١)
- Glavijo, Ruy Gonzales de, Narrative of the spanish Embassy to the court of Timur at samarkand in the year 1403 - 1406 . Broadway Travellers series) ed. guy le strange, London, 1928.
- Ross, D, E., Tamerlane and Bayazid, Actes du xx Congress international des orientalistes Leiden, 1940 .
- Roloff, G., Die schlacht bei angra. Historische zeitschrift, Munich, 1940 Asiatische und europaische Krieg Fuhrung Der Islam, XXVi, 1942, PP. 101 - 115 .
- Vlademire Do estovesky : The Timuri Deminionon in western Asia Trans by, Proof, Tobertson, Smith L.O.N. 1935 .

(٢) أشار أحمد فائز الحمصي محقق كتاب عجائب المقدور في نوائب تيمور ، لابن عربشاه شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي المتوفى سنة ٨٥٤هـ الى وجود رسالة دكتوراه في جامعة القديس يوسف في بيروت تحمل عنوان تيمورلنك من اعداد الباحث مظهر شهاب غير انني لم أفلح للحصول عليها والافادة منها والرسالة كما أشار المحقق لم تطبع حتى الآن ٠

- محمد أحمد علي ربيع : علاقة الدولة التيمورية بسلطنة المماليـــــك ٧٨٤ - ٨٥٠ هـ رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٨٥م ٠
- أحمد عبدالكريم سليمان : تيمورلنك ودولة المماليك الجراكســة ، مع ترجمة مقال الكاتب اللاتيني دي ميجنانللى عن حياة تيمورلنـــك ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٤٠٥ - ١٩٨٥م٠
- وأخيرا كتاب تيمورلنك للعقيد محمد أسدالله صفا ، دار النفائـــس ، بيروت ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ٠

غير ان هذه المؤلفات والبحوث التى كتبت عن تيمورلنك تختلف اختلافــا واضحا عن هذا البحث الذي أقدمه الآن ، حيث أن هذه البحوث تتناول جزئيات من حياة تيمورلنك أو بعض أعماله الحربية وعلاقاته مع بعض الحكام المعاصريـن ، وقد أفدت من هذه المؤلفات في بعض جوانب البحث ٠

ج - صعوبات في طريق البحث :

ان أهم الصعوبات التي واجهتنى وأنا أعد هذا العمل قد تمثلت في تنوع المصادر والدراسات التي عالجت تاريخ تيمورلنك قديما وحديثا ، فبينما كانت كثرة منها باللغة العربية ، كان بعضها مكتوبا بالفارسية ، وبعض آخر صنـف باللغة التركية ، ثم كانت آخر مجموعة منها قد كتبت بالانجليزية ! ٠

ولقد كان علي أن أواجه هذه المشكلة دون أن أقصر في جانب من جوانـب الموضوع ، أو أتجاهل أيا من مسائله وقضاياه العديدة ولما كنت بفضل اللــه أجيد اللغة الانجليزية بدرجة تمكننى من قراءة المراجع التاريخية التـــي أعني بها ، فقد تحددت المشكلة في المصنفات الفارسية والتركية ، وهنـا كان لابد من الاستعانة بأحد المتخصصين في كل منهما ، وكان من المهم قبل أن ألجأ اليه لمعونتي في ذلك ، أن أتحرى عنه وأدقق في السؤال من أمانته ، ووفقـت ولله الحمد في الوصول الى بغيتى ، وكان أن ذللت تلك الصعوبة ، ومضيـــت لاأدخر جهدا في اتمام العمل ٠

وثمة أمر آخر في هذا الصدد كان له بعض الأثر في طول الفترة التـــى

استغرقها البحث ، ألا وهو الاختلاف الشديد بين المصادر التاريخية في تناولها أخبار تيمورلنك وأعماله ، اختلافا يكاد يصل الى درجة التناقض ، ففي الوقت الذي نرى فيه المؤرخين الفرس يمجدون تيمورلنك ويشيدون بغزواته ويبررون سلوكه في كل خطواته ، اذا بنا نجد على النقيض منهم مؤرخي العرب المسلمين ومثلهم كان المؤرخون العثمانيون ، ولم يخل الأمر من مثل ذلك التناقض بين الكتاب الأوربيين • أما عن الجهد المبذول في جمع المصادر والمراجع والرحلة في طلبها الى الأقطار المختلفة ، فهو وان كان جهدا كبيرا ، فليس الأمر هنا قاصرا على هذا البحث ، بل لابد في جميع البحوث من بذل الجهد الجهيد بغير حدود ، والسعى الدائب والمستمر من أجل الوصول الى الهدف المنشود على النحو الذي يتحقق معه الرضا ان شاء الله •

د - أهم المصادر والمراجع في هذا البحث :

لقد استعنت في اعداد هذا البحث - بعد الله - وجمعت مادته العلمية من حشد كبير من المصنفات التاريخية التراثية والحديثة ، ويجدر بالذكر أن طائفة لابأس بها من تلك المصادر كان أصحابها معاصرين لعهد تيمورلنك ، مشاهدين بأنفسهم - أو بواسطة - للأحداث والوقائع ، يسجلونها أولا فأول ، بل ان بعض هذه الكتب - ودون مبالغة في القول - كانت سجلا يوميا لأخبار تيمورلنك ! ولايخفى لدى الباحثين ماتمتاز به مصادر هذا شأنها ، وتلك خصوصيتها ، من أهمية علمية واضحة ، وقيمة تاريخية لاشك فيها •

وفيما يلى أقدم بعض هذه المؤلفات في ايجاز يقتضيه البحث :

- الدر المنتخب في تاريخ حلب ، لابن خطيب الناصرية (علي بن محمد بن سعد المتوفى عام ٨٤٣هـ ، وهو مخطوط في جزءين - ومصورته التي أطلعت عليها بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة تحت رقم ٢٠٣٦ تاريخ •

وهذا الكتاب ذيل على مصنف ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠هـ المشهور [[بغية الطلب في تاريخ حلب]] ، وتتمثل أهمية هذا الكتاب في أن صاحبه [ابن خطيب الناصرية] قد كان موجودا وشاهدا حين اقتحم تيمورلنك بلدة

(حلب) ، فلقيت منه ولقي أهلها على يديه الأهوال العظام فسجل ما رأت عينه ، وماسمعت أذنه ، ووعى قلبه من الحوادث ، وكانت ترجمته المطوله لتيمورلنك تعبيرا عن نظرته اليه ومشاعره نحوه ، كما كانت تراجمه الأخرى لكثير من الشخصيات الواردة في البحث مادة طيبة أفدت منها كثيرا •

- ان كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبدالرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ) من الكتب الهامة التي استفاد منها البحث ، حيث أمدني بالكثير من المعلومات القيمة ، وقد ختم ابن خلدون الجزء الأخير من تاريخه بالتعريف بنفسه وأضاف بخطه في بعض النسخ عبارة : [[ورحلته غربا وشرقا]] وقد قام محمد بن تاويت الطنجي بتحقيق هذا الجزء ، تحت عنوان التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، وقام أيضا [والتر فيشل] بتأليف كتاب يحمل عنوانه: [[لقاء ابن خلدون لتيمورلنك سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م]] وترجمه محمد توفيق من اللغة الانجليزية الى العربية •

ويعد هذا الكتاب من المصادر الهامة التي تؤرخ لفترة البحث وتقدم الكثير من تفاصيلها ، بل ان عبدالرحمن بن خلدون كان من بين أهم الشخصيات والسفراء الذين كانوا يترددون بين تيمورلنك وبين أهل دمشق فهو اذن شاهد عيان لما وقع يومئذ ، ولذلك عد كتابه هذا مصدرا هاما من مصادر البحث •

- ومن المصادر الأصلية في البحث كتاب : [[صبح الأعشى في صناعة الانشا]] للقلقشندي : أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ) وقد وضعه لخدمة كتاب ديوان الانشاء بتجميع المعارف والمعلومات التي يحتاجون اليها وتنظيمها ، وقد استفدت من هذا المصدر كثيرا خاصة الجزء السابع الذي حوى معلومات جيدة عن علاقة الدولة المملوكية بالدول الأخرى ، وتجلى ذلك فيما ذكره من رسائل متبادلة بين تيمورلنك والسلطانين برقوق وفرج •

- أما المقريزى : أبوالعباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) في كتابه السلوك لمعرفة دول الملوك ، فقد أمد البحث بمعلومات وتفاصيل عن أحوال مصر والشام السياسية والحربية والاقتصادية وقد استفاد البحث من الجزء الثالث بأقسامه الثلاث والمقريزى كان معاصرا لأحداث هذه الفترة •

ومن المصادر التي استفاد منها البحث تاريخ ابن قاضي شهبة : لتقـــي الدين أبي بكر بن أحمد المتوفى سنة ٨٥١هـ ، وقد اختصر كتابه من مؤلفـــه الكبير الذي جعله ذيلا على تاريخ الذهبي والبرزالي وابن كثير ٠

وقد نشر المعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق سنة ١٩٧٧م الجزء الذي يعالج الحوادث من سنة ٧٨١ الى ٨٠٠هـ بتحقيق عدنان درويش كما قام حسين عبدالرحيم سليمان بتحقيق مخطوط الأعلام بتاريخ أهل الاسلام لابن قاضي شهبـــة ، الجزء الثاني من سنة ٨٠٠ الى ٨٠٦هـ لنيل درجة الماجستير بقسم التاريخ كلية الآداب ، جامعة عين شمس ١٩٧١م وتتمثل أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفـــه كان موجودا ومشاهدا للهجوم التيموري على الشام فسجل لنا مارأت عينه ووعى قلبه من الحوادث فأمدنا بمادة علمية وفيرة عن أوضاع بلاد الشام السياسيـــة والاقتصادية والاجتماعية بأسلوب سلس كما تناول بصورة واسعة الهجـــوم التيموري على بلاد الشام وأظهر مدى ماسببه الغزو من تدمير وتخريب وعلى وجه الخصوص لمدينتي حلب ودمشق ٠

ويعتبر كتاب انباء الغمر بأنباء العمر لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) صورة صادقة لعصر السلطان فرج حيث تناول الأوضاع الاقتصادية والاجتماعيـــة في مصر والشام وغيرهما ، وهي معلومات قيمة خاصة أنه تولى بعض المناصب الكبرى في عصر هذا السلطان أتاحت له معرفة الكثير من الأخبار من مصدرها الرسمي ، وقد شمل كتابه أيضا الحديث من أعمال تيمورلنك وحملاته المدمرة على العالم الاسلامي فكان ما أورده في هذا الجانب من معلومات قيمة خير معين على معرفة أحداث وحقائق تلك الفترة ، كما أن تراجمه الأخرى لكثير من الشخصيـــات الواردة في البحث مادة طيبة أفدت منها كثيرا ٠

- ويعد كتاب «عجائب المقدور في نوائب تيمور» لابن عربشاه : أبوالعباس شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي المتوفى سنة ٨٥٤هـ ٠ من أنفس المصـــادر التي دونت عن سيرة تيمورلنك لأن المؤلف نقلها من أصولها التركية والفارسية الوثيقة ، فقد أجبر على الهجرة مع أبيه وهو صغير الى سمرقند مع من هاجروا من دمشق فأقام فيها ، وتعلم عدة لغات كالتركية والفارسية واطلع على عادات أهل تلك البلاد ومدى اعتقادهم في تيمورلنك ، وقد وصف في كتابه ذلك مفصـــلا

كما توسع ابن عربشاه في تصوير فتوحات وأعمال تيمورلنك وما فعله في العالم الاسلامي من تدمير وتخريب ، وكتب ذلك بأسلوب يحمل طابع السجع الممل ، كما أنه كان شديد النقد لتيمورلنك ، وقد أمد هذا المصدر البحث بمعلومات مفيدة في سائر فصوله ٠

- ومن المصادر ذات الأهمية لموضوع البحث كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى : المتوفى سنة ٨٧٤هـ ٠ فقد أمدنا بمعلومات تاريخية قيمة عن السلطانين برقوق وفرج ، وعن سياستهما الداخلية والخارجية كما كانت ترجمته عن تيمورلنك - صفاته وحروبه - مادة طيبة أفدت منها كثيرا ٠

- ويعد كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي : ت ٩٠٢هـ ٠ من الكتب الأصيلة في تراجم أعيان القرن التاسع الهجرى ، حيث ترجم لسائر الملوك والخلفاء والعلماء والأدباء والرواة وغيرهم ، وقد رتبه على حروف المعجم ، وقد أفدت منه في معرفة الكثير من التراجم التي تناولها البحث ٠

- أما المعاجم الجغرافية التي تناولت ميدان هذا البحث فقد كانت في غاية الأهمية وهي عديدة ، ولكنني أكتفى بذكر معجم البلدان لياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦هـ ٠ وقد رتب مادته حسب الحروف الهجائية فكانت معلوماته غاية في الأهمية عن المدن والمواضع المختلفة اضافة الى ما اشتمل عليه هذا المعجم من معلومات تاريخية أخرى عن تلك المدن ومدى أهميتها ٠

- ومن المصادر الرئيسية التي أعانتنى في موضوع بحثى تلك المصادر المغولية والفارسية والتركية والأوربية وكان من أهمها :

- تزوكات تيمور وهى تلك المبادئ والقوانين التيمورية ، وينسب هذا الكتاب الى تيمورلنك وان كان هناك من يشكك في صحة ذلك ولقد استمد البحث منها كثيرا من المعلومات القيمة عن الجوانب العسكرية والادارية في الدولة التيمورية ، وتلك التزوكات كتبت باللغة المغولية وقد ترجمت الى الفارسية ومنها الى الانجليزية ، ونشرت الترجمتان في كتاب واحد ٠

- ويعد كتاب نظام الدين الشامى (ت ٨٠٧هـ) ظفرنامه من أهم المصادر التاريخية التي ترجمت لتيمورلنك ، وتناولت أعماله بالتفصيل حيث كان

المؤلف أول من قدم فروض الطاعة والولاء لتيمورلنك عند ظهوره أمام بغداد سنة ٧٩٦هـ ، وكان اللقاء الثاني بينهما عام ٨٠٣هـ حيث كلفه تيمورلنك بكتابة تاريخ فتوحاته بأسلوب سهل مبسط لما كان معروفا عنه من المهارة في الكتابة باللغة الفارسية ، وكونه أصبح من حاشية تيمورلنك وحضوره بعض غزواته وحروبه ، فكتابه لذلك يعد سجلا مباشرا لأحداث تلك الفترة ، وقد استفاد البحث من هذا المصدر في معظم فصوله •

- أما كتاب ظفرنامه للمؤرخ الشاعر شرف الدين علي اليزدي (ت ٨٥٨هـ) فقد احتوى على معلومات تاريخية وافية عن نشأة تيمورلنك وتوسعاته في بلاد ماوراء النهر والممالك الأخرى ، وان كان قد اعتمد فيه على ما أخذه من نظام الدين الشامي الا أن كتابه فاز بالشهرة الواسعة ، وقد طبع هذا الكتاب في مجلدين في مدينة كلكتا وترجم من اللغة الفارسية الى اللغتين الانجليزية والفرنسية ، وقد استفاد منه المؤرخون الأوربيون كثيرا ، كما أمدني الكتاب بمعلومات وافرة أفاد منها البحث •

- كما استفاد البحث من كتاب بزم ورزم للاسترابادى المتوفى سنة ٨٠١هـ حيث كان المؤلف نديما للسلطان أحمد بن أويس في بغداد ثم رحل الى سيواس وأصبح من المقربين لحاكمها القاضي برهان الدين أحمد فأتيحت له الفرصة لتأليف كتابه هذا الذي يعد من الكتب التي لاغنى عنها لباحث تلك الفترة •

وكان حافظ أبرو شهاب الدين عبدالله (ت ٨٣٣هـ) من أوثق مؤرخي شاه رخ بن تيمورلنك وحفيده باسنقر وقد ألف عددا من الكتب استفاد البحث من كتاب [[بنج رساله تاريخي دربارة حوادث دوران أمير تيمور كوركان]] تحقيق فلكس تاور ، وقد لازم وشاهد حافظ أبرو أحداث تيمورلنك منذ عام ٧٨٨هـ وابنه الى أن توفى ، فاكتسب شهرة كبيرة من مؤلفاته التاريخية وقد أفاد البحث كثيرا خاصة فيما كتبه عن خراسان وفارس والعراق •

أما كتاب حبيب السير لغياث الدين بن همام المعروف بخواندامير (ت٩٤١هـ) فقد كان كتابه هذا زاخرا بمعلوماته القيمة خاصة عن تاريخ ايران وحملات تيمورلنك وتوسعاته التي أفادت البحث كثيرا .

ويعتبر المؤرخ الانجليزي دى ميجنانللى المولود سنة ٧٧٢هـ - ١٣٧٠م من المؤرخين المعاصرين لأحداث تيمورلنك حيث كان موجودا وشاهدا حين اقتحم تيمورلنك بلاد الشام وقد تصادف وجوده فيها عام ٨٠٣هـ فشاهد العديد من التدمير لمدينة دمشق وما حل بأهلها من الأهوال العظام ، فبعد عودته الى بلاده كتب مقالتين احداهما عن حياة تيمورلنك والأخرى عن تولية برقوق للحكم ، وقد استفدت من مقالته الأولى وذلك فيما يختص عن الأوضاع السياسية والاجتماعية في بلاد الشام ٠

وقد ترجم هذا المقال من الأصل اللاتيني الى اللغة الانجليزية بواسطة والتر ٠ ج ٠ فيشل ، وترجمه الى العربية الدكتور أحمد عبدالكريم سليمان ٠

- ومن المؤرخين المستشرقين نذكر منهم على سبيل المثال :

- أرمنيوس فامبرى الذي عاش في القرن التاسع عشر فقد كان متخصصا في الكتابة عن البلاد الشرقية عامة والتركية بصفة خاصة لتردده عليها وزيارته لبلاد التركستان ، ويعد كتابه تاريخ بخارى في فصلية العاشر والحادي عشر الذي أبرز فيهما صفات تيمورلنك وأعماله الحربية من أهم المراجع التي أفادت البحث ٠

وأخيرا يعتبر الدكتور اسماعيل حقى مؤلف كتاب التاريخ العثماني من الكتاب المتخصصين في الكتابة عن التاريخ العثماني ، وقد اعتمد في كتابته على المصادر والوثائق التاريخية المعاصرة للأحداث فجاءت كتابته دقيقة وموثقة وشاملة ، وقد أفاد البحث من هذا الكتاب كثيرا خاصة فيما يتعلق بعلاقة العثمانيين بامارات الأناضول الأخرى وعلاقة السلطان العثماني بايزيد بتيمورلنك فكانت كتابته في هذا الشأن خير معين لي ٠

٥ - خطة البحث :

وقد اشتمل البحث على مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة أبواب ، وخاتمه ، أما التمهيد فقد خصصته للحديث عن ظهور تيمورلنك فتناولت فيه مولده ونشأته وألقابه ٠

وأبرزت في الباب الأول قيام الدولة التيمورية وتوسعها في بلاد ماوراء النهر وفيه ثلاثة فصول :

جاء الفصل الأول شاملا تلك العوامل التى ساعدت تيمورلنك على اقامة الدولة وفيه مبحثان :

الأول عن شخصية تيمورلنك ٠

والثاني يتناول الاضطراب السياسي في بلاد ماوراء النهر والذي أدى الى نجاح تيمورلنك وبروزه على ساحة المنطقة آنذاك وأبرزت في الفصل الثاني المصاعب التي واجهت تيمورلنك وفيه ثلاثة مباحث :

أوضحت في أولها : حروب تيمورلنك مع الياس خواجه والانتصار عليه في سمرقند سنة ٧٦٦هـ - ١٣٦٥م ٠

وبينت في الثاني : توتر العلاقة بين تيمورلنك وحسين بن قزغن أخي زوجته (٧٦٧ - ٧٧١هـ / ١٣٦٥ - ١٣٦٩م) والتي كانت تميل أحيانا الى التحالف والتقارب وأحيانا الى التناوش والتباعد ، وكانت نهاية العلاقة بينهما مقتل أخي زوجته ٠

وتناول الثالث : حروب تيمورلنك ضد قبائل الجته بزعامة الأمير قمرالدين (٧٧٢ - ٧٧٨هـ / ١٣٧٠ - ١٣٧٦م) تمكن خلالها تيمورلنك من هزيمة الأمير ٠

وتحدثت في الفصل الثالث : عن توسع الدولة التيمورية فيما وراء النهر وفيه مبحثان :

جاء الحديث في المبحث الأول عن اتخاذ سمرقند عاصمة له ، وكيف كانت رغبته الشديدة في جعلها عاصمة العالم ٠

وتناول المبحث الثاني : الحديث عن حروب تيمورلنك ضد ممالك خوارزم (٧٧٣ - ٧٨٢هـ / ١٣٧١ - ١٣٨٠م) وتحقق خلالها النصر لتيمورلنك على الأخوين حسين صوفى وأخيه يوسف وبه أصبحت بلاد ماوراء النهر بكاملها تحت سيطرته ٠

وتطرقت في الباب الثاني : الى علاقة تيمورلنك بالدول الاسلامية في المشرق وفيه أربعة فصول ٠

الفصل الأول منها : تناول علاقة تيمورلنك بخراسان وفارس وفيه أربعة مباحث :

أبرز المبحث الأول : الوضع السياسي في خراسان قبيل الغزو التيموري ، هذا الوضع الذي اتسم بالفوضى والمنازعات والاضطرابات التي خيمت على البلاد بعد وفاة السلطان سعيد بن خرابندا (٧٣٦هـ - ١٣٣٥م) وقد تركز الحديث في هذا المبحث على حكم آل كرت والسربداريون وشاه ولى حاكم مازندران •

وبحثت في المبحث الثاني : الزحف التيموري على بلاد خراسان (٧٨٢ - ٧٨٦هـ / ١٣٨٠ - ١٣٨٤م) حيث قام تيمورلنك بأربع حملات متتالية على خراسان حقق خلالها انتصارات باهرة ووصل بحدوده الى ايران الغربية بكل سهولة •

وقد بينت في المبحث الثالث : الحالة السياسية في فارس وكرمان قبيل الغزو التيموري ، وركزت فيه على حكم شاه شجاع (٧٦٠-٧٨٦هـ / ١٣٥٨-١٣٨٤م) وابنه زين العابدين (٧٨٦-٧٨٩هـ / ١٣٨٤-١٣٨٧م) واتسم حكم المظفريين بالنزاع والحروب بين أفراد الأسرة الواحدة ، واستمر الوضع على هذا الحال حتى قدوم تيمورلنك اليهم سنة ٧٨٩هـ - ١٣٨٧م •

أما المبحث الرابع : فقد خصصته لدراسة الزحف التيموري لفارس (٧٨٩-٧٩٥هـ / ١٣٨٧-١٣٩٣م) وتمكن تيمورلنك من الانتصار والقضاء على آل مظفر حكام فارس ، وأصبحت فارس كلها جزءا من امبراطوريته وتحقق له بذلك هدفه الكبير في اعادة تشييد امبراطورية جنكيزخان وجعلها تحت سيطرته •

وتناول الفصل الثاني : علاقة تيمورلنك ببلاد العراق وآذربيجان فكان ذلك مرحلة جديدة من مراحل انقضاض تيمورلنك على العالم الاسلامي واشتمل الفصل على ثلاثة مباحث :

تحدثت في الأول منهما : من الوضع السياسي في العراق وآذربيجان قبيل مجيء تيمورلنك والذي كان أشد سوءا من مثيله في خراسان وفارس حيث التنازع والمطامع على السلطة بين أفراد الأسرة الجلايرية والتي أدت في النهاية الى حكم أحمد بن أويس الجلايرى الذي كان غير مكترث بالخطر القادم الى بلاده المتمثل في تيمورلنك •

وبحثت في المبحث الثاني : الزحف التيمورى على العراق وآذربيجان (٧٨٦-٧٩٥هـ / ١٣٨٤-١٣٩٣م) حيث تمكن تيمورلنك من الاستيلاء على آذربيجان

وعلى بغداد وولايات العراق والجزيرة وأصبح بيده السيطرة على الطرق التجارية ذات الأهمية الاقتصادية الكبيرة في المنطقة • كما تناولت في هذا المبحث كيفية خروج السلطان أحمد بن أويس من بغداد مستنجدا بسلطان الدولة المملوكية برقوق الذي مكنه من استعادة حكمه من نائب تيمورلنك (٧٩٦هـ - ١٣٩٣م) واستعرض المبحث الثالث الغزو التيموري لبغداد (٨٠١-٨٠٣هـ / ١٣٩٨-١٤٠١م) وتمثل هذا الغزو في ثلاثة حملات قاد الأولى منها ميرانشاه (٨٠١هـ - ١٣٩٨م) ، والثانية زاد رستم حفيد تيمورلنك (سنة ٨٠٢هـ - ١٣٩٩م) ، وعلى أثر هاتين الحملتين تأزم موقف أحمد بن أويس واضطر الى الخروج من بغداد هاربا كعادته ، وأعقب ذلك حملة ثالثة بقيادة تيمورلنك نفسه (سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م) استطاع خلالها دخول بغداد مستوليا عليها ومخربا ومدمرا لها • مما كان له الأثر الواضح والكبير على تدهور أوضاع العراق في مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية وهذا ماسوف يظهره البحث بالتفصيل •

وتناولت في الفصل الثالث : علاقة تيمورلنك بالدولة المملوكية في مصر والشام • وفيه أربعة مباحث :

خصت المبحث الأول لدراسة الوضع السياسي في الدولة المملوكية في عهد السلطان برقوق ، ثم بينت محاولة ورغبة الدول المجاورة كسب ود وصداقة برقوق وتكوين جبهة اسلامية موحدة لمواجهة الخطر التيموري ، فكان برقوق أهلا لتلك الثقة رغم ماكانت تعانية بلاده من فوضى سياسية وتدهور اقتصادى •

ولم يكن تيمورلنك صادقا في مفاوضاته الدبلوماسية مع برقوق فارساله للرسائل والرسل كان لغرض التجسس والاستكشاف ومعرفة قوة برقوق ومدى تقبله بما جاء في تلك الرسائل التي كانت تمثل تحديا صريحا لكل منهما تجاه الآخر•

وترتب على ذلك أن قام برقوق بحشد جيوشه والتوجه بها الى الشام لمواجهة تيمورلنك ، الا أن تلك المواجهة لم تتم لعودة تيمورلنك الى بلاده لأسباب سوف يتعرض اليها البحث •

وأفردت الحديث في المبحث الثاني عن الوضع السياسي في الدولة المملوكية في عهد السلطان فرج (٨٠١-٨٠٣هـ / ١٣٩٩-١٤٠٠م) حيث أدى صغر سن هذا السلطان الى محاولة الأمراء التدخل في الأمور السياسية في البلاد فاشتد

النزاع بينه وبين الأمراء في داخل مصر ، وتفاقم النزاع بين الأمراء بعضهم البعض من جهه أخرى ، كما كان هناك نزاع آخر بين أمراء الشام ومصر ، وانتهى الأمر في النهاية بسيطرة السلطان فرج وأعوانه على دفة زمام الأمور ٠

وتضمن المبحث الثالث الحديث عن الزحف التيموري على الشام سنة (٨٠٣هـ - ١٤٠٠-١٤٠١م) وتمكن هذا الزحف من اقتحام وتدمير بهسنا وحلب وقلعتها ، رغم مقابلته لعلمائها ومنحهم الأمان ، ثم تابع هجومه المدمر على حماة وحمص وبعلبك وغيرهم ٠

وخصصت المبحث الرابع للحديث عن الزحف التيموري على دمشق والذي استعد له السلطان فرج بقوات كافية الا أنه أثناء المواجهة بين الطرفين وقعت ثورة للاطاحة بحكمه فاضطر الى مغادرة دمشق والعودة سريعا الى مصر دون أن يكترث بما سوف يحل ببلاد الشام من تدمير وتخريب ، واعتمد أهل المدينة على القضاة والعلماء في اسداء المشورة لهم وادارة شئونهم وقد رأى هؤلاء عدم قدرتهم على الاستمرار في محاربة تيمورلنك ازاء وضعهم العسكري المتأزم وفضلوا الدخول في مفاوضات مع تيمورلنك الا أن تيمورلنك رغم وعوده لهم بترك دمشق دون تدمير حنث بوعده فاستولى عليها ودمر قلعتها ٠

واتبع ذلك مفاوضات دارت بين تيمورلنك والسلطة المملوكية (٨٠٣-٨٠٦هـ / ١٤٠١-١٤٠٣م) انتهت بخضوع السلطان فرج لتيمورلنك وهذا ماسوف يظهره البحث تفصيليا ٠

وأنهيت هذا المبحث بالحديث عما ترتب عنه ذلك التدمير لبلاد الشام من آثار واضحة في كافة النواحي ٠

وكرست الفصل الرابع لتناول علاقة تيمورلنك بالدولة العثمانية وفيه ثلاثة مباحث :

أبرزت في المبحث الأول : الوضع السياسي في الدولة العثمانية في أواخر القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ، وأظهرت فيه مدي قوة الدولة العثمانية وتوسعها في شرق أوروبا والأناضول ٠

وتناول المبحث الثاني : علاقة العثمانيين بالمماليك حيث مرت العلاقة بينهما بمرحلتين ، تميزت المرحلة الأولى بالتقارب والصفاء مابين برقوق

وبايزيد ، واتسمت الأخرى بالاختلاف والعداء الصريح وفقدان ثقة السلطان المملوكي فرج بالعثمانيين الذين اعتدوا على بعض المناطق التابعة لدولته وأدى ذلك الى فتور العلاقة بين الدولتين رغم كلمات الدهاء والسياسة التي فاضت بها المراسلات بين الدولتين •

أما المبحث الثالث : فأفردت الحديث فيه عن الزحف التيموري على الدولة العثمانية (٨٠٤-٨٠٥هـ / ١٤٠٢-١٤٠٣م) وأوضحت فيه أسباب العداء بين تيمورلنك والسلطان العثماني بايزيد واستعدادهما الحربي الذي آل في النهاية الى نشوب معركة ضارية عرفت بمعركة أنقرة تحقق فيها النصر لتيمورلنك وانهزم بايزيد هزيمة منكرة انتهت بأسره •

ثم بينت موقف تيمورلنك من أبناء بايزيد ومحاولة الايقاع بينهم واستطرد المبحث أيضا ماقام به تيمورلنك من توسع كبير داخل بلاد آسيا الصغرى في الجنوب والغرب مستوليا على بورسة وقونية وآيدين واقشهر وقره حصار وأزمير وغيرها من المدن الأخرى • وهذا ماسوف يظهره البحث تباعا•

وختمت هذه المبحث بذكر أهم النتائج التي ترتبت على هزيمة العثمانيين في معركة أنقرة •

أما الباب الثالث والأخير : فقد خصصته عن تيمورلنك ماله وماعليه • وقسمته الى ثلاثة فصول :

الفصل الأول منها : تناول عقيدة تيمورلنك ومذهبه واختلاف المؤرخين حولهما • وفيه مبحثان :

تحدثت في الأول منها : عن رأى المؤرخين الفرس والمغول في عقيدته واتبعته برأي المؤرخين العرب ، ووجهة نظر المستشرقين •

وانفرد المبحث الثاني : بدراسة آراء المؤرخين التي تقول انه كان يميل الى التشيع والقائلون أنه كان يميل الى أهل السنة •

وبحثت في الفصل الثاني موقف المؤرخين من أعمال تيمورلنك حيث أتسم هذا الموقف بالتناقض بين مؤيد ومادح لما قام به تيمورلنك من أعمال ، وبين معارض وقادح وهذا ماسوف تظهره الدراسة •

وتطرقت في الفصل الثالث الى حديث الشعر وآراء الشعراء المعاصرين له من العرب والفرس ، وماقالوا فيه من مديح أو ذم •

وأما الخاتمة ، فقد أوجزت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها بفضل الله في هذا البحث ·

وبعد ، فهذا العمل الذي قد بذلت فيه غاية جهدى ، وأفرغت في اعداده ما أوتيت من طاقة ، أرجو الله عز وجل أن أكون قد وفقت فيه ، وقدمت هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ المشرق الاسلامي على النحو الذي يمحو جهالتها ، يوضح أهميتها ، ويبين آثارها البالغة على مستقبل تلك البلاد التى تعرضت - لسوء طالعها - لغزو تيمورلنك وتدميره لها ، كما أرجو أن أكون موفقا ان شاء الله في عرض شخصية هذا الغازى المغولي ، بصورة واضحة المعالم بينة القسمات ترفع غموضها من الأذهان ، وتحدد الموقف الذي ينبغى أن ينتهى اليه رأى كل مسلم ·

وفي الختام لايسعنى الا أن أقدم شكري وتقديرى للأستاذ الدكتور/ محمد شتا زيتون المشرف السابق الذي وجهنى في اعداد خطة البحث وتابعنى في جمع المادة العلمية لفترة الدراسة الأولى فجزاه الله خير الجزاء ·

وأخص بالشكر الجزيل الأستاذ الدكتور/ محمد جبر أبوسعده المشرف الحالي على الرسالة على ما أولانى من عناية ورعاية واهتمام ، وأعطاني من وقته وعلمه الشيء الكثير من أجل اخراج هذا البحث في صورته الحالية فجزاه الله عنى خير الجزاء ·

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير الى الساده الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الموقرين لقبولهما الاسهام في مطالعة هذا البحث ومناقشته ، ويسعدنى ويشرح ويثلج صدرى أن استمع الى توجيهاتهما القيمة ، وأعد بأن تكون جميعها موضع الترحيب والتقدير والاعتبار باذن الله ·

وأقدم في النهاية خالص شكرى وعظيم امتنانى الى جامعة أم القرى جعلها الله منارة للعلم والمعرفة ، والى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية العريقة ، والى قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية الموقر ، وشكرى الجزيل لكل من أسدى الى يدا ، وأنا أعد هذا البحث ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ·

التمهيد

ظهور تيمورلنك

نسب تيمورلنك

مولده ونشأته

ألقاب تيمورلنك

نسب تيمور لنك

اختلفت آراء المؤرخين حول نسب تيمورلنك (١) وانفرد المؤرخون الفرس بذكر نسب مطول له فقالوا : " انه الأمير تيمور كوركان (٢) بن الأمير تراغاي بن الأمير بركل بن ايلنكير نويان بن الأمير انجل بن قراجار نويان بن الأمير سوغوجين بن ايرز مجي بن قاجولي بهادر تومنه خان بن باديسنقر خان بن قيدوخان بن دو تومن خان بن يوقاخان بن يوزنجرقاأن بن الأنقو (٣) قيات الذي يصل نسبه الى يافث بن نوح عليه السلام (٤) " .

أما المؤرخون العرب فقد ذكروا بأنه " تيمور بن أيتمش قتلغ بن زنكي ابن سينا بن طارم بن طغريل بن قليج بن سنقور بن كنجك بن طغر سبوقا بن

---

(١) ان أصل اسمه تمر "وتعنى بالتركيه [الحديد] " ثم اضيف اليه "لنك" بمعنى الأعرج أو الكسيح لاصابته في شبابه فصار يعرج .
Runciman, S : History of crusades in the Middle Ages, V. 3. Cambridige, 1954. P. 137. ,

(٢) جاء معنى هذه الكلمة في مختلف المصادر بمعنى الصهر " صهر الملوك " وهي في اللغة الفارسية تعنى الختن لكونه صاهر الملوك .

ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) انباء الغمر بأنباء العمر ، تحقيق الدكتور حسن حبشي ، القاهرة ، سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ، ٢٠/١ .

ابن عربشاه : أبومحمد أحمد بن محمد بن عبدالله الدمشقي (ت ٨٥٤هـ): عجائب المقدور في نوائب تيمور ، تحقيق الدكتور علي محمد عمر ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م ، ص ٧ .

(٣) يبدو أن المقصود بالأنقو سلسلة نسب تيمور لنك .

(٤) اليزدي : شرف الدين علي (ت ٨٥٨هـ) : ظفرنامه ، تصحيح وتحقيق مولوى محمد الهداد كلكتا سنة (ت ١٨٧٧م) ، ٧٣٠/١ .

خواند أمير غياث الدين بن همام (٩٤١هـ) ، حبيب السيرفي أخبار البشر ، سنة الطبع ١٢٨٣هـ ، ٢/٣/٣ .

رضا بازوكى : تاريخ ايران ازمغول تاافشارية ، أزروى برنامه وزارات معارف جاب أول - دي ماه ١٣١٦هـ ، ص ١٨٣ .

التاخان المغولي الأصل " (١) ٠

وقد جاء نسبه على شاهد قبره : تومانای ، قاجولای ، ابرزمجي ، برولا قارجار ، نويان ايلانكير ، بركل ، تراغاى ، تيمور (٢) ٠

ويحاول المؤرخون الفرس ربط نسب تيمور لنك بنسب زعيم المغول الأكبر جنكيز خان حيث أن نويان بن تومنه خان يعتبر الجد الرابع لجنكيز خان (٣) والجد التاسع لتيمور لنك (٤) ٠

---

(١) المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق د/ سعيد عاشور ، طبعة دار الكتب المصرية ، سنة ١٩٧٠م - ١٩٧١م ، ٢٦/١/٤ ٠

ابن تغري بردى : جمال الدين أبوالمحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، طبعة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، ٢٥٤/١٢ ٠

ابن العماد الحنبلي : أبوالفلاح عبدالحي (ت ١٠٨٩هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار المسيرة ، بيروت ، السنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ٦٢/٧٠

(٢) دائرة المعارف الاسلامة : الترجمة العربية ، طبعة الشعب ،" مادة تيمور " ، ٢٨٩/١٠ - ٢٩٩ ٠

(٣) جنكيز خان هو السلطان الأعظم عند المغول والتتار ، والد ملوكهم وهم ينتسبون اليه ، وهو الذي وضع " لهم الياساق " أو " الالياسة " التي كانوا يتحاكمون اليها ، ويحكمون بها ، وبعض ماجاء فيها مخالف للاسلام وهو الذي وحد القبائل المغولية ، وأقام لهم دوله كبيرة ، خرب كثيرا من البلدان ، وأباد كثيرا من الأمم ، مات على الكفر ، وكان من دهاة العالم ، وتوفي سنة ٦٢٤هـ ٠

ابن كثير : اسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، سنة ١٩٧٩م ، ١١٧/١٣ ٠

فاسيلى فلاديميروفتش بارتولد : تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ترجمة صلاح الدين هاشم ، الطبعة الأولى ، الكويت :١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ٥٤٤ ومابعدها ٠

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٧٣٠/١ ٠

خواندامير : حبيب السير ، ٢/٣/٣ ٠

ويشير بعض المؤرخين الى أن الجد الخامس لتيمورلنك " قراجار " كان يخدم ابن جنكيز خان جغتاي في منصب أمير الأمراء (١) •

وتذكر المصادر العربية أن لتيمورلنك نسبا يصل به الى جنكيز خان من الأم (٢) •

أما ابن خلدون فيذكر أنه ظهر في أعقاب بني جغطاي بسمرقند (٣) وما وراء النهر (٤) ملك اسمه تيمور ، ولا أدرى كيف كان يتصل نسبه فيهم ، ويقال انه من

---

(1) Nizamuddin Sami : Zafer Name, Tourk Tarih Kurrumu, basim Eui, Ankara, 1987. P. 16 .

(٢) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر بأبناء العمر ، ١٧/١ •

ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره ، ٢٥٥/١٢ •
القرماني : أبوالعباس بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت ١٠١٩هـ)أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، بيروت : عالم الكتب ، (بدون تاريخ) ص ٢٨٨ •

(٣) سمر قند : بلد معروف مشهور بما وراء النهر وهو قصبة الصغد ، على جنوب وادي الصغد ، وهي من أنزه الأماكن وأحسنها •

انظر : القزويني : زكريا بن محمد بن محمود : اثار البلاد وأخبار العباد (ت ٦٨٢هـ) دار بيروت للطباعة والنشر ، سنة الطبع (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) ص ٥٣٥ •
ابن عبدالحق البغدادي (ت ٧٣٩ هـ) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوى ، دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى (ت ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م) ٧٣٦/٢ •

(٤) ماوراء النهر يراد به ماوراء نهر جيحون Oxus وسيحون Jaxartes فكان نهر جيحون القديم يعد الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية ، أي ايران وتوران ، فما كان في شماله ، أى وراءه ، من أقاليم قد سماها العرب ماوراء النهر (وهو نهر جيجون) وكذلك سموها الهيطل • وقد يكون من الملائم تقسيم هذه البلاد بين خمسة أقاليم أجلها شأنا كان الصغد مع قصبته بخارى وسمرقند • وفي غرب الصفد : خوارزم وهو الأقليم المعروف بخيوه ، وفي الجنوب الشرقي : الصغانيان ومعه الختل وغيرهما واليه تعود بذخشان وان وقعت في ضفته اليسرى أي الجنوبية ، ثم اقليما نهر سيحون وهما فرغانة في أعلى النهر واقليم الشاش وهو اليوم طشقند •

وما وراء النهر من أخصب أقاليم الاسلام وانزهها وأكثرها خيرا ، وأهلها يرجعون الى رغبة في الخيرة واستجابة لمن دعاهم اليه وليس بها موضع خال عن العماره من مدينة أو قرى أو مزارع أو مراع ، وهواؤها أصح الأهوية ومياهها أعذب المياه وأخفها •
انظر : الاصطخرى : أبواسحاق ابراهيم بن محمد (ت ٣٤٦هـ) مسالك الممالك ، ليدن مطبعة بريل ١٩٦٧م • ص ٢٨٧ •
كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، نقله الى العربية وأضاف تعليقاته : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد : مطبعة الرابطة ١٣٧٣هـ ، ص ٤٧٦ - ٤٧٧ •

غير نسبهم ، وانما هو متغلب على صبي من أعقاب ملوكهم اسمه طغتمش (١) أو محمود درج اسمه بعد مقتل أبيه (٢) .

ويرى بعض المؤرخين أن تيمورلنك لم يكن مغوليا بل كان ينتمي الى عائلة برلاس التركية لا المغولية [[وأن ماقيل عن تيمورلنك بأنه مغولي سببه أن الفرس ظلوا طويلا يعدون خانية جغتاي عند الجانب البعيد من جيحون جزءا مكملا للدولة المغولية ، وهو استنتاج طبيعي بنى على رسوم المغول هناك فضلا عن استعمال القوم للأبجدية الأويغورية المغولية على الدوام ، في كتابة التركية]] (٣) .

ومن هنا نرى أن المؤرخين الفرس أرجعوا نسب تيمورلنك الى جنكيز خان اعتقادا بأن ربطه بهذا النسب سوف يرفع من قيمته ، ويزيد في عظمته ، ويرفع من قدره بين قومه ، وأنه عن طريق هذا النسب يحق له أن يكون خانا على بلاد ماوراء النهر .

وتؤكد الشواهد التاريخية أن تيمورلنك لم يدع هذا النسب ولم يحتفظ ضمن ألقابه بلقب خان (٤) . ولكي يوضح علاقته بالنسب المغولي فانه حاز على لقب " كوركان " .

---

(١) يبدو أن ابن خلدون أخطأ في ذكر اسمه والصحيح ان اسمه سيورغتمش كما جاء في المصادر التاريخيه الأخرى .
انظر : ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد المغربي (ت ٨٠٨هـ) كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، بيروت طبعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ٥٣٢/٥ .

ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر بأنباء العمر ، ١٩/١ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٦ .
Sami : Za Fer Name, P 69 .

(٢) ابن خلدون : ٥٣٢/٥ .
(٣) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخاري منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمة أحمد محمود الساداتي ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية بالقاهرة، ص ٢٠٦ تعليق رقم ١ .

Grousset, R. The empire of the steppes, Ahistory of Central Asia, Translated from the Fernch by Nomi Wal Ford, Rutgers University, Press, New Bruncwich, New Jersey . P. 409 .

(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٦
Sami : Za Fer Name, P.P 68 - 69

وكان الأمير قزغن يقول لتيمور لنك (١) : [[أنت من أصحاب النسب الشريف ولكنك لست من نسب جنكيز خان ، وقد صار الاتفاق بين أجدادك وأبناء جنكيز خان أن يكون أبناء جنكيز خان الملوك وأن تكونوا أنتم أمراء الجيش ، وقد اتبعت هذا الاتفاق وقمت بموجبه أحسن قيام ، وحاربت وقاتلت فلم أهرب ولم أتأخر ، فترى القوم يتبعونني - هذا طريقك وليس بطوقك أن تسلك طريقا غيره]] (٢) •

والذي تبين لي بعد الدراسة والتأمل فيما ورد في المصادر المختلفة عن نسب تيمورلنك انه كان تركيا من جهة أبيه [[من قبيلة البرلاس التركية]] وانه من جهة أمه كان مغوليا ينتمي الى جنكيزخان والله أعلم •

---

(١) يعتبر الأمير قزغن أو قزغان ، صانع الملوك في بلاد ماوراء النهر ، كان وزيرا للخان قازان بن ساور ولم يرض الأمير قزغن على ماكان عليه هذا الخان من الظلم والقسوة وسفك الدماء ، لذلك سعى قزغن الى الاطاحة بحكمه ، ونجح في قتله بعد معارك داميه بين الطرفين وعندما خلا له الحكم لم يعين نفسه سلطانا أو خانا على البلاد بل أجلس مكانه خانا من سلالة جنكيز خان يسمى بيانقلى وظل الأمير قزغن بعد ذلك يولي ويعزل من يشاء من خانات الجغتائيين حتى تمكن مهره تغلق تيمور من قتله •

اليزدي : ظفرنامه ، ٢٧/١ - ٣٠ • •

ارمينوس فامبري : تاريخ بخارى ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ •

Sami : 2a Fer Name, P. 16 .

(٢) هارولد لامب : تيمور لنك ، ترجمة عمر أبوالنصر ، بيروت : المطبعة الوطنية ، سنة ١٩٣٤م ، ص ٢٧ - ٢٨ •

مولده ونشـــأتــــه

وكما اختلف المؤرخون في نسب تيمور لنك اختلفوا أيضا في السنة التي ولد فيها • فقد ذكرت المصادر الفارسية ، وكذلك المراجع الأوربيـــــة ، أن تيمورلنك ولد في ليلة الثلاثاء الخامس والعشرين من شعبان سنة ٧٣٦هـ-١٣٣٦م (١) •

وكان مولده في نفس السنة التي توفى فيها السلطان أبوسعيد بهادرخان (٢) والذي انتهت بوفاته سيطرة سلاطين المغول على مملكة ايران (٣) •

أما المؤرخون العرب فذكروا أن مولده كان في عام ٧٢٨هـ (٤) • وكان مسقـــط

---

(١) لعل هذه السنة هي الأرجح لتاريخ ولادة تيمورلنك ، حيث اتفق معظـــــم المؤرخين الفرس على ولادته في هذه السنة •
انظر : اليزدي : ظفرنامه ١/١٠ •
خواندامير : حبيب السير ٢/٣/٣ •

(٢) هو أبوسعيد بن خرابند ابن أرغون بن أبغابن هولاكو بن تولى بن جنكيز خان كان من خيار ملوك التتار ، وأحسنهم طريقة ، وأثبتهم على السنة ، وأقومهم بها ، وقد عرف أهل السنة في أيامه بخلاف والده ، وكانـــت علاقته بالسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون طيبة • كان محبوبـــا بين رعيته ، عاقلا محبا للعلم ، وارتقى في عصره العلم والآداب ارتقاء كبيرا ، وبوفاته أنقرض بيت هولاكو •
ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٧٢/١٤ •
ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائه الثامنـــة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٧/٢ •

عباس اقبال أشتياني : تاريخ ايران بعد الاسلام ، نقله عن الفارسيـــة وعلق عليه ، د/ محمد علاء الدين منصـــور ، دار الثقافة والنشر ، القاهرة ، سنـــــة ١٩٨٩م ، ص ٤٩٥ - ٤٩٦ •

(٣) اليزدي : ظفر نامه ، ١/١٠ ، . Sami : 2a Fer Nome, P. 12 - 15

خواند أمير : حبيب السير ، ٢/٣/٣ •
Grousset : The empire of the Steppes . P. 409 .

(٤) ابن حجر : انباء الغمر بأنباء العمر ، ١٧/١ •
ابن تغرى يردى : النجوم الزاهره ، ٢٥٤/١٢ •
ابن العماد : شذرات الذهب ، ١٢/٧ •

وأخطأ الغياثي عندما ذكر أن مولد تيمورلنك كـان سنة ٨٠٧هـ والمعروف أن هذه السنه هي سنة وفاته •

انظر : الغياثي : عبدالله بن فتح الله البغدادي " من علماء القـــرن العاشر " : التاريخ الغياثي ، دراسة وتحقيق طارق نافع الحمدانــــي ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٧٥م ، ص ١٦٩ •

رأس تيمورلنك في قرية خواجه اليغار من أعمال كش[1] ، المدينة الخضراء التي تبعد عن سمر قند حوالي خمسين ميلا في اقليم ماوراء النهر[2] ٠

ويحاول بعض المؤرخين ربط ولادة تيمور لنك بتنبؤات وأساطير تدل على أنه منذ ولادته كان عظيما ، فقد جرت العادة مع الرجال الذين أصبحوا من المشاهير أن يبذل المادحون محاولاتهم ليظهروهم بالمظهر الرفيع ويحيطوا مولدهم من ناحية أخرى بكل الأعاجيب التي تشير الى ماسيكون من شأنهم في المستقبل ٠

فيذكر " Prawdin " أن والد تيمورلنك تراغاى كان رجلا تقيا ، وقد رأى في أثناء نومه كأن شابا أنيقا ذا ملامح عربية يمسك سيفا في احدى يديه وأخذ يلوح به في الهواء ، وفجأة أنارت ومضات السيف العالم كله ! وقد سأل تراغاى أحد الشيوخ عن تفسير هذا الحلم فأخبره الشيخ أن ابنا سوف يولد له، وبقوة سيفه سوف يهزم العالم كله ويدخل الناس جميعا في الاسلام ، وأنه سيطهر الأرض من ظلام الأخطاء والبدع ٠ وعندما وضعت امرأته طفلها أحضره ترغاى الى ذلك الشيخ الذي كان يقرأ القرآن الكريم وقطع عليه تراغاى قراءته عند كلمة " تمور "[3] ٠ فلذلك سمى طفله تيمور[4] ٠

ويذكر المؤرخون المسلمون أنه رؤى ليلة مولد تيمور لنك كأن شيئا يشبه الخوذه طائرا في السماء ، ثم وقع على الأرض فتطاير منه جمر وشرر حتى

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣ ٠
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٢/
اليزدى : ظفرنامه ، ١/١٠

(٢) اليزيدي : ظفر نامه ، ١/١٠
خواند أمير : حبيب السير ،٢/٣/٣ ، رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص١٨٣٠

Grousset : The empire of the steppes, P. 409 .
Kennedy, P. History of the Great Moghuls, delhi, 1974. P. 72 .

(٣) كانت الآية التي كان يتلوها الشيخ هي ((أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور)) . آيه ١٦ ، سورة الملك ٠

(٤) Prawdin, M. The Mongol Empire, Its rise and legacy. Traslated by Eden and Cedar Paul. London. P. 414 .

ملأ الأرض ، وذكروا أن تيمور لنك عندما خرج من بطن أمه كانت كفاه ملوثتين من الدم العبيط (١) ، لذلك قالوا أنه سوف يكون سفاكا للدماء (٢) •

ويضيف المؤرخون أنهم سألوا عن أحوال تيمور لنك الزواجر والقافه وتفحصوا عن ذلك الكهنة وأهل العيافة (٣) ، فقال بعضهم يكون شرطيا ، وقال بعضهم ينشأ لصا حراميا ، وقال قوم يكون قصابا سفاكا ، وقال آخرون بل يكون جلادا فتاكا (٤) •

أما ابن خلدون فقد اندفع هو الآخر في الحديث عن تلك التنبؤات عندما ذهب لمقابلة تيمور لنك مع وفد علماء دمشق سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م فرأى ابن خلدون أن يستغل الموقف ويقص عليه ماسمعه عن ولادته من تنبؤات فقد رأى أنه بذلك سوف يكسب وده ، وعطفه ، فقال له : [[وكنت قبل ذلك بالمغرب قد سمعت كثيرا من الحدثان (٥) في ظهوره ، وكان المنجمون المتكلمون في قرانات العُلْوِيَّيْن (٦) يترقبون القران العاشر في المثلثة الهوائية (٧) ، وكان يترقب عام

(١) الدم العبيط : يقال لحم عبيط طرى غير ناضج ، ودم عبيط طرى • ابراهيم أنيس ، وآخرون : المعجم الوسيط ، دار المعارف بمصر ، طبعة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م " باب العين " ، ٥٨١/٢ •

(٢) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٥٢٣ ،
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٢٥٤/١٢ •
ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٦٢/٧ •

(٣) العيافة : زجر الطير والتفاؤل باسمائها وأصواتها وممرها • والظن والحدس وهي نوع من الكهانة •
ابراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط " حرف العين " ٦٤٠/٢ •

(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٤ •
القرماني : أخبار الدول وآثار الأول ، ص ٢٨٨ •

(٥) الحدثان : الليل والنهار ، ويقال حدثان الدهر أي نوائبه وحوادثه ، وحدثان الأمر أوله وابتداؤه •

(٦) قرانات العُلْوِيَّيْن : المراد بهما الكوكبان العلويان زحل والمشترى أو المشترى والمريخ • والمراد بالقران عند الاطلاق اجتماع المشترى وزحل• عبدالرحمن بن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، تعليق محمد بن تاويت الطنجي ، ص ٣٧- حاشية ١ •
والتر • ج • فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمور لنك ، ترجمة محمد توفيق، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص ١٣٢ تعليق رقم ٨٣ •

(٧) المثلثة الهوائية : كل ثلاثة بروج تكون متفقة في طبيعة واحدة من الطبائع الأربع وهي الجوزاء ، والميزان ، وبرج الدلو •
انظر : ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ، ص ٣٧١ ، حاشيه ١ •
فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ١٣٢ ، تعليق ٨٣ •

ستة وستين من المائة السابعة • فلقيت ذات يوم من عام واحد وستين بجامع القرويين من فاس، الخطيب أبا علي بن باديس ، خطيب قسنطينة وكان ماهرا في ذلك الفن فسألته عن هذا القران المتوقع ، وماهي آثاره ؟ فقال لي : يدل على ثائر عظيم في الجانب الشمالي الشرقي ومن أمة بادية، أهل خيام ، تتغلب على الممالك وتغلب الدول ، وتستولى على أكثر المعمورة ، فقلت ومتى زمنه ؟ فقال : عام أربعة وثمانين تنتشر أخباره ....، وكان شيخي محمد بن ابراهيم الأبلي (١) رحمه الله امام المعقولات ، متى فاوضته في ذلك أو سايلته عنه يقول : "أمره قريب ولابد لك ان عشت أن تراه" (٢)]] •

ولقد وجد حديث ابن خلدون استحسانا لدى تيمور لنك الذي كان يعتقد في أقوال المنجمين (٣) ، وكان يسمح لهم بالحضور الى مجلسه لاعلان اكتشافاتهم وملاحظاتهم على الأجرام السماويه (٤) ، وكان تيمور لنك يعتمد على أقوالهم في

---

(١) هو محمد بن ابراهيم الابلى رحمه الله ولد سنة ٦٨٠هـ في تلمسان ، وكان ماهرا في العلوم العقلية والألية وفاق أقرانه في ذلك • أقام في تونس مدة يدرس ويفيد وكان له تأثير في تطور ابن خلدون ، ويسميه ابن خلدون أعظم عالم في المغرب مات سنة ٧٥٧هـ •
ابن حجر : الدرر الكامنة ، ٢٨٩/٣ •
والتر •ج• فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمور لنك ص ١٣٤ حاشية ٨٨ •

(٢) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ، ص ٣٧١ •
فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمور لنك ، ص ٧٥ •

(٣) كان من أسماء المنجمين الذين كان يعتمد تيمورلنك على أقوالهم :

أ - مولانا عبدالله بن مولانا لسان الدين محمد : كان من أفضل حكماء العصر ، وأعلم منجمي الزمان وكان مجيدا في علم النجوم ، وكان تيمور لنك يهتم به اهتماما بالغا ، ويصطحبه معه في أكثر الأوقات •

ب - مولانا أحمد الطيب النحاس [لم أعثر له على ترجمة في المصادر التي بين يدي] •
انظر ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٣٥ •

(٤) Price, David : Me Moirs of the principal events of Mohammedan history from the death of the arabian legislator to the Accession of the empire Akber From original Persian, London 1820, VIII Part I P.P. 376 - 377 .

تحركاته وحملاته فهو لايتحرك الا باختيار فلكي (١) ٠

ان أوائل ظهور تيمور لنك تبدو غير واضحة لذلك فقد ظهر التناقض في كتابات المؤرخين حول وظيفة والده ، فذكروا أن والده كان من الفدادين (٢) ، رعاة الأغنام والأبقار ، وطائفة أوباش لاعقل لهم ولادين ، وقيل كان من الحشم الرجالة والأوباش البطالة (٣) ، وأنه كان اسكافا فقيرا (٤) ، وانه كان من الفلاحين (٥) ٠

ثم ذكروا بعد ذلك أنه كان أمير مائة (٦) ، وتدرج حتى أصبح أحد أركان دولة السلطان حسين صاحب بلخ (٧) ٠ وأنه كان من ذرية جنكيز خان ، من جهة أمه (٨) ٠

---

(١) Price : OP. Cit . P. 376 - 377 •

(٢) فداد : شديد الصوت ٠
انظر : ابن عربشاه ، عجائب المقدور ، ص ٤ ٠

(٣) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٤ ٠

(٤) ابن تغرى بردي : المنهل الصافى والمستوفي بعد الوافى ، تحقيق الدكتور/ محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة ١٩٨٦م ، ١٠٤/٤ ٠

(٥) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٧/١ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٧ ٠
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٢٣ ٠

(٦) أمير مائة ومقدم الألف هو من له النفقة على الف فارس ممن دونه من الأمراء ، وهو يمثل أعلى مراتب الأمراء ، ومنهم يكون أكابر أرباب الوظائف والنواب ٠
انظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٦/١٣ حاشية رقم ٢ ٠

(٧) بَلْخ : مدينة مشهوره بخراسان من أجلها وأشهرها ذكرا وأكثرها خيرا بينها وبين ترمذ اثنا عشر فرسخا ، ويقال لجيحون نهر بلخ ، وقيل أن الذي بناها منو جهر بن ابرج بن فريدون ٠

ياقوت الحموى : شهاب الدين أبوعبدالله : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، طبعة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ص ٤٧٩ ٠

(٨) ابن حجر : انباء الغمر بأنباء العمر ، ١٧/١ ٠ ، ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٦-٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٢٥٥/١٢ ٠

عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ص ٥٩١ ٠
Grousset : The empire of the steppes, P. 409 .



ان هذا التناقض يجعلني أتساءل : هل حقا كان والد تيمور لنك من أسرة غير عريقة ؟

ان بعض المؤرخين يتفقون على أن والد تيمورلنك كان من أسرة عريقة من قبيلة البرلاس (١)، وان والده كان أميرا وشيخا لتلك القبيلة (٢) ٠

ويؤكد خواند أمير أن والد تيمورلنك كانت له مكانه كبيرة في قبيلته فعندما تقاعد الأمير بركل عن القيادة تولاها من بعده الأمير ترغاى والد تيمورلنك (٣) ٠

ويذكر آخرون أن تيمور لنك نشأ في أسرة دينيه حيث كان جده بركل يظهر اخلاصه لرجال العلم والدين ، وقد سار ابنه على نهج والده وقد عرف بالتقوى والصلاح والحرص على قراءة القرآن وأداء الواجبات الدينية ، وقد لعب والد تيمور لنك دورا جيدا في توجيه ابنه وحثه على الاهتمام بأمور الدين ، وغرس فيه حب العلماء والدراويش ، وأثرت تلك التربية في تيمور لنك فأصبح منذ صغره يحرص على قراءة القرآن (٤) ٠

تعلق تيمور لنك بالمشائخ ، وحرص على مجالستهم ، ويذكر أنه كان في بلده كش شيخ يسمى شمس الدين الفاخوري ، وهو معتقد البلاد ، ذهب اليه تيمورلنك

---

(١) ونحن نتفق مع هؤلاء حيث ان تيمورلنك وعمه حاجي برلاس كانا من أبرز الشخصيات في كش نظرا لما كان عليه تراغاي من مكانة كبيرة في المنطقة ٠

(٢) البغدادى : أحمد بن عبدالله (ت ١١٠٢هـ) عيون اخبار الأعيان ممن مضى من سالف العصور والأزمان ، مخطوط مصور في مجلدين بدار الكتب برقم ٣٨١٠ تاريخ جـ ٢ ، الورقة ٤٤٧ ٠

عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٩١ ٠
ارمينوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٠٧ ٠
D. Yasar Yucel : Timur'un Dispolitkas inda Turki ye ve yakin Dogu 1393-1402 Dil ve Tarin Cagra Fya Fakultesi Basmevi Ankara,1980.p.4.

(٣) خواندامير : حبيب السير ، ٣/٣/٣ ٠

(٤) تيمور : تزوكات تيمور ، ترجمة من المغولية الى الفارسية أبوطالب الحسيني ، الشركة الهندية الشرقية ، ١٧٨٠م ، ص ١٨ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٩١ ٠
هارولد لامب : تيمور لنك ، ص ٢٢ - ٢٣ ٠

وقام بتقبيل يديه ورجليه ، وطلب العون منه وقد رق الشيخ لحاله وقال لمن معه : [[ان هذا الشاب بذل عرضه وعروضه واستمدنا في طلب مالايساوى عند الله جناح بعوضة ، فنرى أن نمده ولانحرمه ولا نرده فأمدوه بالدعاء]] (١) ·

تأثر تيمور لنك بوفاة والدته حيث فقد عطفها وحنانها ، وتأثر والده أيضا بوفاة زوجته واعتزل الحياة السياسية حزنا عليها ، وأقام في صومعة يتعبد ويتقرب الى الله ، وانعكس هذا الوضع على تيمور لنك الذي أصبح يقضي معظم وقته وحيدا ، ولكنه مع ذلك كان يحرص على مراقبة القوافل الآتية والراحلة ، يستمع الى أحاديث رجالها ، ويتعرف على أخبار بلدانهم ويرى مايحملون معهم من بضائع وصناعات (٢) ·

كان تيمورلنك منذ الثانية عشرة من عمرة قد وصل الى درجة من الادراك جعلته يرفض اللعب مع الصبية ، ويتصرف بعقلية الكبار وتحلى بالرزانة والهدوء ، وعدم الميل الى المجون (٣) ·

وتميز تيمورلنك منذ نشأته الأولى بالشجاعة والجرأة ، وحب المغامرة (٤) والشواهد التاريخية تؤكد أن تيمور لنك كان لايجاريه أحد من أقرانه في عشق المغامرة والمخاطرة ، وكانت نشاطاته محصورة في تقليد المعارك الحربية من هجوم أو دفاع ·

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٥ ، ٦ ·
القرماني : أخبار الدول وآثار الأول ، ص ٢٨٨ ·
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٧١ ·

(٢) هارولد لامب : تيمور لنك ، ص ١٨ ·
سيد فرج : قاهر العالم تيمور لنك ، دار الفكر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ص ٢٢ ·

(٣) Prawdin : The mongol empire . P. 415 .

(٤) ارمنيوس فامبري : تاريخ بخارى ، ص ٢٠٧ ·
Prawdin : The mongol empire . P. 415 .

وكان تيمورلنك يقول لرفاقه في جد وتصميم " لابد أن أملك الأرض وأقتل ملوك الدنيا " فيسخر منه بعضهم ، ويميل اليه البعض الآخر لما يرون فيه من شدة وحزم (١) ٠

ولفت تيمورلنك أنظار من حوله وجعلهم يحسون بأنه سوف يكون له شأن في المستقبل ، وقد كان تيمورلنك منذ شبابه وأطماعه تلتهب ومشاعره وطموحاته تدفعه نحو عظمة المستقبل (٢) ٠

شب تيمور لنك على حب الخيل منذ أن دفع اليه أهله فرسا تقله في حله وترحاله ، [[وأظهر تفوقا في فنون الفروسية ، وكان شديد المعرفة بخصائص الخيل وسماتها يفرق بين هجانها وهجينها بمجرد النظر الى هيئاتها (٣)]] ٠

ويتفق المؤرخون على أن تيمورلنك كان بارعا في ركوب الخيل واستعمال القوس والسيف ، وأنه كان مطبوعا بطابع عصره يعشق الفروسية والصيد والمبارزة والرمي ، واعتنى بتعلم فنون الحرب والقتال وكان في ذلك لايجاريه أحد من أقرانه (٤) ٠

ويبدو أن تيمورلنك كان أميا لايعرف القراءة والكتابة ، ولايعرف

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٥ ٠
خواند أمير : حبيب السير ، ٣/٣/٣ ٠
ابن تغرى بردي : المنهل الصافي ، ١٠٤/٤

(٢) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٠٧

(٣) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٦ ٠
هارولد لامب : تيمور لنك ، ص ١٧ ٠

(٤) اليزدى : ظفر نامه ، ١٥/١ ، ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٦ ٠
خواند أمير : حبيب السير ، ٢/٣/٣ ، رضا بازوكي : تاريخ ايران ازمغول ، ص ١٨٣ ٠

العربية اطلاقا ، ولكنه يعرف من اللغات الفارسية والتركية ، والمغولية (١) وكان مجلسه لايخلو من قراءة كتب التاريخ ، وقصص الأنبياء عليهم السلام وكل ماكان له صلة بالماضي (٢) ، وعلى الرغم من ثقافة تيمورلنك الحربية وتعلقه بأمور الحرب والقتال الا أن ذلك لم يمنعه من مجالسة العلماء ومناقشتهم ومباحثتهم في مختلف القضايا التاريخية والدينية (٣) ، وكان تيمورلنك رغم بدويته الا أنه كان يأمر بأن تقرأ له الكتب باللغة الفارسية أثناء هجماته (٤).

وكان تيمورلنك يفضل اللغة الفارسية على سائر اللغات الأخرى فهو قد اختار عبارة فارسية كشعار له وهى " رستى - رستى " (٥) وعندما اجتمع تيمور لنك بوفد علماء دمشق كان الفقيه عبدالجبار بن النعمان (٦) يقوم بمهمة الترجمة بين

---

(١) ابن حجر : انباء الغمر بانباء العمر ١٧/١٢ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣١٦ .
هارولد لامب : تيمور لنك ، ص ١٢٧ .
بارتولد : فاسيلي فلاديميروفتش : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ٢٣٠ .

Ates, A : Felx tautr "Prag" Belleten Cillt XXiX. Sayi 113, Ankara 1965. P. 49 .

(٢) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣١٩ ، هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ١٢٧ . جان ربيكا وأخرون : تاريخ أدبيات ايران ، ترجمة عيسى الشهابي ، طهران ، سنة ١٣٥٤هـ ، ص ٤٤٣ .

(٣) ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ١٣٢/٤ .
فيشل : لقاء ابن خلدون لتميور لنك ، ص ١٨٨ تعليق رقم ٢٣٦ .

(٤) ربيكا جان وآخرون : تاريخ أدبيات ايران ، ص ٤٤٣ .

(٥) جاء في كتاب عجائب المقدور ص ٣١٥ ، ان معنى كلمة " راستى - رستى " صدقت ونجوت . ويضيف فامبرى في كتابه تاريخ بخارى ص ٢٥٠ أن شارة تيمورلنك كانت ثلاث حلقات ٥ ٥ مع شعار " راستى رستى " أي العدل قوة.

(٦) هو عبدالجبار بن عبدالله المعتزلى الحنفي الخوارزمى عالم الدشت ، صاحب تيمور لنك وامامه وعالمه ولد في حدود سنة سبعين وسبعمائه وكان اماما عالما بارعا متقنا للفقه ولما قدم تيمورلنك البلاد الحلبية والشامية كان عبدالجبار هذا معه وباحث وناظر علماء البلدين وكان فصيحا باللغات الثلاثة العربية والعجمية والتركية ، وكانت له ثروة ووجاهة وعظمة وحرمة زائدة الى الغاية وتوفى سنة خمس وثمانمائة .
انظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ٥٠/٧ .

علماء دمشق وتيمورلنك ، وهذا يؤكد أن تيمورلنك كان لايعرف العربية فلو كان يعرفها لتحدث مع العلماء مباشرة دون الحاجة الى مترجم (١) ٠

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٣٩ ٠

ألقاب تيمورلنك :

تلقب تيمورلنك بعدد كبير من الألقاب والصفات التي كان يصفه بها رجال دولته ، ولم يكن تيمورلنك يهتم بالألقاب الاسلامية المعتادة التي كانت تطلق على الحكام المسلمين مثل : المبارك ، ونور الدين ، ونور الايمان وغيرها ، ولكن كان العلماء وخطباء المساجد يلقبونه بألقاب وصفات منها العادل ، والراشد ، والأمير المجيد ·

وكان تيمورلنك في أثناء امتداد وتوسع دولته يغير من ألقابه ولكنه لم يتلقب بقلب خان (١) ·

ويبدو أن تيمورلنك لم يتخذ ذلك لنفسه خوفا من غضب خانات جغتاى ، ومراعاة فيما يبدو لحقوق أولاد جغتاى (٢) ·

ويذكر شرف الدين اليزدى ذلك قائلا : " أنه عندما تحقق لتيمورلنك انتزاع ماوراء النهر من قبضة قبائل الجته لم يقبل الأمراء الخضوع لقائد من بينهم وأخذ كل منهم يستظهر ويتفاخر بكثرة أتباعه مما أدى الى اختلال الأمور ، لذلك تشاور الأمير حسين (٣) ، والأمير تيمورلنك ورأيا أنه من المصلحة انتخاب خان من نسل جغتاى لذلك اجتمع الأمراء سنة ٧٦٥هـ - ١٣٦٤م وعقدوا مجلس القوريلتاى (٤) وقرروا تعيين كابلشاه أوغلن بن دروجى ، بن ايلجيدى دواخان خانا (٥) ·

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٦ ·
Sami : 2a Fername. P.P. 68-69
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٢٩٢٨ ·
Prawdin : The Mongol Empire. P438 .

(٢) عباس اقبال ، تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٦٠٠
(٣) هو حسين بن طلاخان بن قزغن ، وقد جرت المصادر والمراجع التاريخية في حديثها عن حسين هذا على نسبته الى جده قزغن صانع الملوك ، وتجاهلت ذكر أبيه طلاخان وقد سرت في بحثي على نهج هذه المصادر لشهرة حسين بالانتساب الى جده ·
(٤) القوريلتاي : أو الكوريلتاي : المقصود به المجلس العام لرؤساء القبائل وأمراء المناطق وكبار رجال الدين ، حيث كانوا يتشاورون فيه على مختلف الأمور الدينية والدنيوية ·
انظر : اليزدي : ظفرنامه ٢٠٩/١ ·
(٥) اليزدى : ظفرنامه ، ٩٦/١ ، خواند أمير : حبيب السير ، ٨/٣/٣ ·

وتطلق المصادر الفارسية وبعض المصادر العربية على تيمورلنك لقب " صاحب القران " (١) .

وعندما استولى تيمورلنك على ماوراء النهر وفاق الأقران تزوج ببنات الملوك (٢) ، فزادوا في ألقابه كوركان (٣) .

ويضيف ابن عربشاه وغيره من المؤرخين الى صفات تيمورلنك صفة صاحب قران الأقاليم السبعة . وقهرمان العين ، وصاحب الملوك والسلاطين (٤) .

ويمنح ابن خلدون مختلف الألقاب لتيمورلنك فيسميه بالأمير ، وسلطان العالم ، وملك الدنيا ، والأمير الأعظم ، وسلطان المغل والتتر ، بالاضافة الى لقب كوركان (٥) .

ومن الصفات التى أطلقت على تيمورلنك السلطان العظيم المقام ، الشريف ، العادلى ، المظفرى ، قطب الاسلام والمسلمين (٦) .

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٨٤/١ . Sami : 2a Fername. P. 14-16
حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي درباره حوادث دوران أمير تيموركوركان تحقيق فلكس تاور ، تشيكوسلوفاكيا ، براج ، ١٥٩٨م ، ص٥٨ .
ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافي ، تحقيق دكتور محمد محمد أمين ، ١٣٢/٤ .
الصرفى : رزق الله منقريوس : تاريخ دول الاسلام ، القاهرة ، طبعة الهلال سنة ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م ، ٢٩٥/٢ .

(٢) ذكر ابن حجر العسقلاني في كتابه انباء الغمر بأبناء العمر ٢٠/١ . أنه عندما استقر تيمورلنك في حكم مملكة سمرقند ، خطب بنت ملك المغل " المغول " قزغن خان فزوجها له ومن يومها زادوا في اسمه "كوركان" أما عباس اقبال فقد ذكر في كتابه تاريخ ايران بعد الاسلام ص ٥٩٢ أنه عندما استقر تيمورلنك على حكم كش ، مقر أجداده زوج الأمير حسين بن قزغن أخته بتيمورلنك ، فسمى تيمورلنك من ذلك الوقت "تيموركوركان" أي تيمور الصهر ، ويذهب البعض الى أن تيمورلنك قد أضيف الى اسمه كوركان بعد أن بنى بابنة تغلق تيمور .

(٣) أنظر ص ١ حاشية رقم ١ .
(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣١٦ .
ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ٦/٧ .
فيشل . والتر . ج : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ترجمة محمد توفيق ، ص ٨٩ .

(٥) عبدالرحمن بن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، تعليق محمد بن تاويت الطنجى ، ص ٣٦٦ ، ٣٧٢ .

(٦) أضفى السلطان المملوكي فرج بن برقوق مختلف الألقاب والصفات على تيمورلنك ناسيا مافعله تيمورلنك بديار المسلمين من تخريب وتدمير .
القلقشندى : أبوالعباس أحمد بن علي : صبح الأعشى في صناعة الانشا ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ٣٢٠/٧ - ٣٢٥ .
نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، القاهرة : مطابع كوستاماس ، ١٣٨٣هـ ، ١٩٦٣م .

سليل جنكيز خان ، أتابك(١) ملك التتار ، مدير مملكة التتار(٢) ، السلطان العظيم(٣) ، الأمير تيمورلنك(٤) ، الطاغية تيمورلنك(٥) ، اللنك(٦) ، العاجز(٧) الأمير السفاك الكوركاني(٨) •

والحقيقة أن تيمورلنك لم يهتم بالألقاب أو الصفات كغيره من السلاطين(٩)، وان كانت الألقاب والصفات في كثير من الأحيان أسماء لغير مسميات حقيقية ، فان الأوصاف التي وصف بها تيمورلنك كانت تعبيرا صحيحا عن حقائق مخيفة ، حيث تمكن في فترة وجيزة من السيطرة على دول كانت قوية لايتصور أن يتم اجتياحها وغزوها وتدميرها في هذه المدة القصيرة ، وبكل تلك السهولة ، لذلك فان تيمورلنك كان يستحق بعض تلك الألقاب والصفات مثل " لقب سلطان -

---

(١) أطلق عليه هذا اللقب يوم جلوسه على عرش بلخ سنة ٧٧٣هـ - ١٣٧١م
Grousset : The empire of the steppes. P. 409.

(٢) ابن الفرات : ناصر الدين محمد عبدالرحيم (ت ٨٠٧هـ) تاريخ ابن الفرات ، تحقيق قسطنطين زريق ، المطبعة الامريكية ، بيروت ، ١٩٣٦م ١٢/١/٩ ، ٣٤٤/٢/٩ •

(٣) Sami : 2a Fer name, P. 63.
دائرة المعارف الاسلامية - الترجمة العربية ، ٢٩٨/١٠ •

(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٦ •

(٥) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر بأنباء العمر ، ٢٩٩/٢ •
المقريزى : السلوك ، ١١١١/٣/٣ •

(٦) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر بأنباء العمر ، ١٩/١ •
ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ٦٣/٧ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٧٣ •

(٧) Sykes : History of the persia , P. 120 •

(٨) عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٦٠٠ •

(٩) لم أجد في المصادر التي بين يدى مايشير الى حرص تيمورلنك على التلقب بأي لقب وكذلك الرسائل التي كان يبعث بها الى الملوك والحكام لم يذكر فيها أى ألقاب أو صفات يفخم بها نفسه •

المقريزى : السلوك ، ٨٠٣/٣/٣ ، ١١١١ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٩٧ - ١٠٠ •
القلقشندى : صبح الأعشى ، ٣٠٨/٧ ، ٣٢٤ •
اليزدى : ظفرنامه ، ٣٠٤/٢ ، ٣٠٥ ، ٣٢٧
Sami : 2a Fer Name, P. 237 .

وصاحب قران " بغض النظر عن كل السلبيات التي سببها غزوه المدمـــــــر ، والحقيقة التي أمامنا تتمثل في أنه لم يصل أحد من السلاطين الذين كانـــوا يحكمون في عصره الى ماوصل اليه تيمورلنك من توسع ونفوذ وسلطة ٠

الباب الأول

((قيام الدولة التيمورية وتوسعها في بلاد ماوراء النهر))

وفيه : ثلاثة فصول

الفصل الأول

((العوامل التي ساعدت تيمورلنك على اقامة الدولة))

الفصل الثاني

((المصاعب التي واجهت تيمورلنك ابان قيام الدولة))

الفصل الثالث

((توسع الدولة التيمورية فيما وراء النهر))

الفصل الأول

((العوامل التي ساعدت تيمورلنك على اقامة الدولة))

وفيه مبحثان

المبحث الأول

((شخصية تيمورلنك وصفاته))

المبحث الثاني

((الاضطراب السياسي في بلاد ماوراء النهر))

المبحث الأول

((شخصية تيمورلنك وصفاته))

شخصية تيمور لنك وصفاته :

انقسمت نظرة المؤرخين حول شخصية تيمورلنك الى فريقين من المؤيدين (١) والمعارضين (٢) • فيرى الفريق الأول أن شخصية تيمورلنك شخصية خارقة موهوبة ، وأنه كان رجلا عصاميا صنع مجده وعظمته بنفسه ، ووصل الى ماوصل اليه من الشهرة التاريخية بفضل ماتمتع به من صفات قيادية خارقة ، وأن مواهبه المتعددة جعلت منه حاكما يشار اليه بالبنان •

أما الفريق الثاني فيرى أن تيمورلنك كان قصابا سفاكا مجرما لايعرف الرحمة ، وأنه في شخصيته ازدواجية واضحة فعلى الرغم من حبه للسفك والقتل وعشقه للتدمير والتخريب والسلب والنهب ارضاء لطموحاته ولمطالب أتباعه وجنده ، ولكنه مع ذلك كان محبا للتعمير والبناء فقد انعكست اصلاحاته على بلده سمرقند •

ويذكر المؤرخون أن تيمورلنك كان رجلا ذا قامة شاهقة كأنه من بقايا العمالقة ، عظيم الجبهة والرأس ، أبيض اللون ، عظيم الأطراف ، عريض الأكتاف ، مستكمل البنية مسترسل اللحية ، حسن الوجه ، جهير الصوت (٣) ، حتى قيل أن صوته هذا كان يطغى على ضجيج القتال في المعارك ويتجاوز أسماع من حوله الى كثيرين ممن وراءهم (٤) ، الا أنه كان يعاني من ضعف البصر خاصة بعدما تقدم به العمر (٥) • وقد أصيب تيمورلنك بالعرج في بداية حياته ، واختلف المؤرخون في أسباب عرجه • حيث ذكر المؤرخون العرب أن تيمورلنك أول ماعرف كان يتجرم فسرق في بعض الليالي غنمة وحملها ليهرب بها ، فانتبه له الراعي وضربه بسهم أصاب كتفه ثم ردفه بآخر فلم يصبه ، ثم ضربه بسهم ثالث فأصاب

---

(١) ومن المؤرخين المؤيدين لتيمورلنك ((مؤرخي الفرس)) ومنهم : اليزدي في كتابه ظفرنامه ، خواندامير في كتابه حبيب السير ، ميرخوندا في كتابه روضة الصفا •

(٢) ومن المعارضين لتيمورلنك ((المؤرخين المسلمين)): ابن عربشاه في كتابه عجائب المقدور في نوائب تيمورلنك ، ابن حجر العسقلاني في انباء الغمر بأنباء العمر ، وابن تغري بردي في النجوم الزاهره •

(٣) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ٣١٤ ، ٣١٥ • ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٦٥/٧ • القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٨٨ •

(٤) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٣٩ •

(٥) قيل أنه لما كان في السبعين من عمره لم يستطع التعرف على الرسل الأسبان في سمرقند حتى قربوهم من مجلسه •
انظر : ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٣٩ •

فخذه فجرحه حتى عرج منه طيلة حياته (١) ٠

أما تيمورلنك والمؤرخون الفرس والغربيون فقد ذكروا أن أسباب العرج تعود الى اصابته بسهم في رجله أثناء حروبه ضد حاكم سجستان (٢) ، وأنه قد جرح مرتين بالسهام مرة في قدمه والأخرى في كوعه الأيمن (٣) ٠

واذا كان لنا من رأى في سبب عرجه فاننا لانميل الى الرأى الأول حيث أن تيمورلنك نشأ في أسرة عريقة ومعروفة في بلاد ماوراء النهر ، حيث كان والده شيخ قبيلة ، الا أنه على مايبدو أن المؤرخين العرب قد اندفعوا في الصاق هذه التهمة عليه رغبة منهم في الحط والتقليل من قيمته ٠

ان حروب تيمورلنك مع حاكم سجستان مسجلة ومكتوبة بين صفحات تاريخ بلاد ماوراء النهر ، وان تيمورلنك كما يؤكد وتؤكد المصادر الفارسية والغربية قد أصيب في تلك المعركة ، وقد تأثر من ذلك وابتعد عن المشاركة في القتال مدة حتى اندملت جراحه وظلت آثار العرج ملازمة له ٠

ومهما يكن من أمر فان هذا العرج قد أثر تأثيرا كبيرا في شخصيته ، ويبدو أن تيمورلنك كان يشعر بالنقص والضعف والخجل من هذه العاهة ، وكان يعتقد أن من حوله ينظر اليه نظرة العطف والاشفاق ، لذلك أراد تيمورلنك أن يجعل من ذلك العيب أو العرج قوة جبارة تجعل الجميع

---

(١) ابن حجر : انباء الغمر بأنباء العمر ، ١٧/١ ٠
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٤ ٠
ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ١٠٤/٤ ٠
القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٨٨ ٠

(٢) سجستان : أحد أقاليم الدولة الاسلامية الشهيرة في آسيا وهو الى الشمال من اقليم مكران ، والى الشرق من كرمان وكانت قاعدته مدينة زرنج الواقعة بالقرب من بحيرة زره ، وهو اقليم سهلى رملي دائم هبوب الرياح طوال العام ، انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ١٩٠/٣
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٧٢ - ٣٩٢ ٠

(٣) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٤٦ ٠
خواند امير : حبيب السير ، ٧/٣/٣ ٠
أحمد عبدالكريم سليمان : تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة ، مع ترجمة مقال الكاتب اللاتيني دي ميجناللى عن حياة تيمورلنك ، دار النهضه العربية الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ - ١٩٨٥م ، ص ٣٩ ٠

يهابونه ويحسبون له ألف حساب ، وقد أثبت تيمورلنك أن هذا العرج لايعتبر ضعفا مادام صاحبه قوى البنية ، شديد العزيمة ، عظيم الطموح ، وهو بذلك يؤكد صحة المثل القائل " كل ذي عاهة جبار " لذلك كان تيمورلنك يظهر في أكثر الأحيان وكأنه يفوق كل البشر في طغيانه وتدميره ، وانعكس ذلك على شخصيته التي اتصفت بحب القتل والانتقام • وقد صدق الشاعر عندما قال :

قد أظهر قدرة بخافى حكمه ... من ملك شقى الدنا في قسمه
لاكف له والملك في خاتمه ... لارجل له والتخت موطن قدمه (١)

وقد استغل أعداؤه تلك العاهة فوصفوه بقبح المنظر واللصوصية •

ولاشك أن الظروف التي أحاطت بتيمورلنك كان لها أثر فعال في تحديد معالم شخصيته والصفات التي تحلى بها ، بل ان المصادر التاريخية توضح أن هناك شواهد كثيرة على ماكان يتمتع به من فطنة وذكاء (٢) ، حيث ظهرت عليه وهو مازال فتى مؤهلات الزعامة والسلطان حتى قيل انه طلب يوما من قزغن صانع الملوك ببلاد ماوراء النهر (٣) أن تكون له الزعامة على جماعات البرلاس وهم عشيرته الا أن قزغن طلب منه التمهل لأن مايبغيه عائد لامحالة اليه مستقبلا (٤) •

ونعزو هذه النزعة الزعامية لتيمورلنك لكونه كان يرى في جنكيزخان وتلك البلاد الواسعة التي فتحت على يديه مثاله المقتدى ، وكان تيمورلنك لايفتأ أن يردد " اذا كان هناك رب واحد لاشريك له ، فكذلك يجب أن لايكون هناك الا سلطان واحد " (٥) •

وكانت بداية تحقيق رغباته وطموحاته عندما قادته شجاعته وجده الى

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٤٢ •

(٢) ابن حجر : انباء الغمر بأنباء العمر ، ٣٠٣/٢ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣١٥ •
دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمه العربية ، ٢٩٩/١٠ •
فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمور لنك ، ص ١٨٨ تعليق رقم ٢٣٥ •

(٣) انظر : صفحة ٣ ، حاشية ٤ •
(٤) هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٢٩ •

(٥) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٨٨ •
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٢٠
أحمد محمود الساداتي : تاريخ الدول الاسلاميه بآسيا وحضارتها ، القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، سنة ١٩٧٩م ، ص ٢٠٠ •

الانضمام للأمير قزغن الذي أعجب به لما كان يظهره تيمورلنك من الشجاعة وحسن التعقل ، والتصرف وقد زوجه قزغن من احدى حفيداته (١) ٠

وعندما قدم الخان تغلق تيمور (٢) الى بلاد ماوراء النهر لتأديب الأمراء المتنازعين واعادة الهدوء الى المنطقة ، رأى تيمورلنك بفطنته وذكائه أن الدخول في معركة حاسمة مع الخان لايحقق نتائج ايجابيه له ، لذلك تقدم الى الخان ودخل فى طاعته ، ونتيجة لحسن تصرف تيمورلنك جعله الخان أميرا على بلادكش وجعله المسئول عن بلاد ماوراء النهر في غيابه (٣) ٠

ومن هذا المنطلق نرى أن تيمورلنك عندما اتخذ جنكيزخان قدوة له فان ذلك قد دفعه للتطلع الى سياسة توسعية ، هذا بجانب طموحاته التي كانت أيضا دافعا آخر الى تلك السياسة ودليلنا على هذا ماسبق أن ردده " أن العالم لابد أن يحكمه سلطان واحد " (٤) ٠

وكأن تيمورلنك قد فقد الثقة بالناس والمقربين اليه فنرى أن عمه ((حاجي برلاس)) (٥) قد دبر مكيدة لقتله بدون مبرر (٦) ٠

والأمير حسين بن قزغن أخو زوجته تخلى عنه في موقف عصيب وسبب له

---

(١) Prawdin : The Mongol empire. P. 416

(٢) هو تغلق تيمور بن أغول خواجه بن دواخان ، كان من نسل جغتاى وكان هو الحاكم على بلاد كاشغر ، وعندما وصلته أخبار الفوضى والاضطراب في بلاد ماوراء النهر قام بغزوها وهاجمها مرتين أحدهما في عام ٧٦١هـ - ١٣٦٠م والأخرى في عام ٧٦٣هـ - ١٣٦٢م ٠ وسيطر تغلق على بلاد ماوراء النهر واعاد الهدوء اليها ، وعين ابنه الياس خواجه حاكما عليها وظل يحكمها حتى عام ٧٦٥هـ - ١٣٦٤م حيث تمكن بعد ذلك تيمورلنك وحسين بن قزغن من طرده من البلاد ٠
انظر : اليزدى : ظفرنامه ، ٤٣/١ - ٦٣ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ترجمة محمد علاء الدين،ص ٥٩٠٠

(٣) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٢٢ ٠
اليزدى : ظفرنامه ٤٦/١٢،٤٧ ٠
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ١٨٥ ٠

(٤) ذكر تيمورلنك في تزوكاته صفحة ٨٨ ، قائلا : ((فتحت القرآن الكريم لآخذ البشرى منه فجاءتني هذه الآية [انى جاعل فى الأرض خليفه] فتفاءلت بتلك الآيه ، وسعيت لادخال الأمراء الذين كانوا يعتبرون أنفسهم شركاء في الحكم والسلطنه في طاعتى)) ٠

(٥) هو الأمير حاجى برلاس بن بورلغى ، كان عما لتيمورلنك ، أخا لابيه ، كان قد أدى فريضة الحج الي مكة المكرمة ، وكان كثير الوساوس والظنون متهور وقد سارت أمور قبيلة برلاس تحت زعامته الى أسوء مايمكن ٠ انظر : اليزدى : ظفرنامه ، ٣٩٠/١ ٠

(٦) اليزدى : ظفرنامه ، ٥٢/١،٥٤ ٠ Sami : Zafer Name. P. 20

الهزيمة بعد أن كان النصر محققا ، ولم يتورع من أخذ حلي أخته[1] عندما قدمها له تيمورلنك مع ضريبة المال التي فرضها عليه وعلى جنده[2] •

وتقتميش[3] ملك القبجاق والدشت الذى آواه تيمورلنك وأكرم وفادته ، وتنازل له طوعا عن بعض بلاده وأمده بمال غزير ، الا أنه خان عهده ورد الجميل بالاساءة فقام تيمورلنك بمحاربته[4] •

ان عظمة تيمورلنك وارتفاع شأنه ، ورهبة الآخرين له توضح مدى ماكان عليه تيمورلنك من قوة الشخصية ، ليس فقط مع أعوانه ورجاله ، وحكام الأطراف

---

(١) كانت أخت الأمير حسين قزغن وتسمى أولجاى تركان أغا زوجة الأمير تيمورلنك ، وكانت آية في الحسن والجمال .
انظر : رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٧ •

(٢) Sami : Zafer Name .P. 39 , 40 .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٧ •

(٣) تقتميش بن بردبك بن جانبك بن أزبك بن طغر لجاى بن منكوتمر بن طغان بن باطاخان بن جوجي خان بن جنكيز خان ملك بلاد القبجاق والدشت ، وقد استنجد تقتميش بتيمورلنك في حروبه ضد ماماى زوج أخته وكان ماماى من أمراء المغول الكبار وتمكن تقتميش بمساعدة تيمورلنك من قتل ماماى واستعادة حكمه • ولكن بعدما استقر تقتميش في الحكم ، قامت بينه وبين تيمورلنك عدة معارك تمكن خلالها تيمورلنك من هزيمة خصمه والانتصار عليه سنة ٧٩٣هـ ، انظر ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ٧٥/٤ - ٨٠ •

(٤) م•م• الرمزى الشيرى : تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ، المجلد الأول ، الطبعة الأولى ، طبع بالمطبعة الكريمية والحسينية ببلدة أورنبورغ ، ٥٧٠/١ ، ٥٨٧ •
اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٩٥ •

(٥) محمد محمد فياض : تيمورلنك ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٥٤م ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

التابعين له ، وانما أيضا مع حكام المناطق الأخرى المستقلين عنه ، ويبدو أن غارات تيمورلنك على المناطق المجاورة قد أدخلت الرعب والخوف في قلوب الحكام الآخرين فأصبحوا يهابونه ، وقد ظهر ذلك على ملوك الأطراف وسلاطين الأكناف (١) ، فبرغم استقلالهم بالخطبة ، واستبدادهم بالسكة وانفرادهم بالزعامة والرياسة ، فانه عند قدومهم اليه كانت تسبقهم هداياهم ، وكانوا يجلسون على أعتاب العبودية والخدمة نحوا من مد البصر من سرادقاته ، ملتزمين الأدب والحرمة ، حتى اذا نودي الشخص باسمه ينهض مسرعا ويعدو نحوه (٢) .

وهكذا تتجلى أمامنا قوة تيمورلنك ورهبة الآخرين منه . أما عن زعماء القبائل فقد كان تيمورلنك يمتلك مفتاحا سحريا يستطيع به اغراء هؤلاء الزعماء ليقدموا له الاخلاص المطلق (٣) .

وظهرت شدة وصرامة تيمورلنك واضحة خاصة في التعامل مع قادة جيشه والمقربين اليه ولاسيما في أثناء ادارتهم للمعارك الحربية خاصة أنه قد عودهم على التضحية والشجاعة ، وعدم التهاون أمام الأعداء (٤) ، بل كان يشترك مع جنوده في القتال ويضرب لهم مثلا أعلى في الاقدام ، وكان يتوجه لمبارزة

---

(١) كان ضمن هؤلاء الملوك والأمراء : الشيخ ابراهيم ملك ممالك شروان ، وخواجه علي بن المؤيد الطوسي سلطان ولايات خراسان ، واسفنديار الرومي ، وابن قرمان ، ويعقوب بن علي شاه حاكم كرمان ، وحاكم منتشا ، وطهرتن أمير أرز نجان ، وسلاطين فارس وأذربيجان ، وملوك الدشت والخطا وتركستان .

انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٢٨ .

(٢) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٢٨ .
القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٨٨ .

(٣) Prawdin : The mongol empire . P. 439 .

(٤) كان تيمورلنك يظهر أمامهم أن رجلا واحدا متمرسا شجاعا صاحب عزم وتدبير وحزم أفضل من ألف رجل بلا تدبير وحزم ، حيث أن رجلا واحدا بامكانه أن يحكم آلاف الرجال ، وأن الانتصار على المخالفين لايتأتى بكثرة الجند ، ولاتنجم الهزيمة عن قلة العسكر بل ان الانتصار ينتج عن التأييد والتدبير .

انظر : تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٦ .

خصمه تحت أسوار مدينته وعلى مرمى السهام التي يطلقها عليه حراسها (١) .
ولامتيازه بهذه الصفة كان يقدرها في غيره ، ويكافئ أصحابها بسخاء ، ويمقت الجبان ويزدريه ويسخر منه (٢) . لذلك كان تيمورلنك يريد من رجاله أن يتحلوا بالتضحية والشجاعة ، وعدم التهاون أو التخاذل أمام الأعداء .

وكان جنوده يحبونه ويطيعونه ، ويتنافسون في ارضائه وكسب محبته ، ولولا ذلك ما استطاع أن يخرج منتصرا في وقائعه الحربية ، ولما تيسر له أن ينشئ امبراطوريته العظيمه (٣) ، حيث كان دائما يردد أمامهم أنه سيملك الأرض ويقتل ملوك الدنيا (٤) ، وكان لايخشى الأهوال ، ولايحسب للمتاعب حسابا ، وكلما كثر الضيق عليه كثر جده وحزمه (٥) .

---

(١) تذكر المصادر التاريخيه أن حاكم خوارزم يوسف صوفي بعث برسالة الى تيمورلنك يطلب فيها أن يتقدم كل منهما لمحاربة الآخر على انفراد ، وذلك حقنا للدماء فسعد تيمورلنك بذلك وركب جواده ، وتوجه الى الحصن لمقابلة يوسف صوفي ولما وصل تيمورلنك الى طرف الحصن نادى بأعلى صوته اني أتيت وفقا لما طلبت ويجب أن تخرج وتفى بعهدك لنرى من منا سوف ينصره الله على الآخر ، ويذكر المؤرخون أن يوسف صوفي لم يخرج لمقابلة تيمورلنك بل خاف وندم على ماقاله ، واضطر للعودة الى معسكره خائبا .

انظر : اليزدى : ظفرنامه ، ٢٩٤/١ ، ٢٩٥
Sami : Zaefr Name . P. 96 .

(٢) يذكر ابن عربشاه أنه أثناء محاصرة جند تيمورلنك لقلعة الهند حصل تخاذل من جنده أمام مقاومة رجال القلعة ورغم حث تيمورلنك لقادة جنده بالمثابرة على القتال الا أن هؤلاء القادة تخاذلوا في أداء مهمتهم فدفع ذلك الى غضب تيمورلنك منهم وأخذ يؤنبهم بكلمات قاسية .
انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٣) ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ١٠٤/٤ .
ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ٦٣/٧ .

(٤) هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٩٤ .
محمد فياض : تيمورلنك ، ص ١٢٧ .

(٥) يروى عن حزمه وقسوته أنه كان معه في أواخر غزواته في بلاد الهند مائة ألف أسير من الهنود فلما قدم على دهلي يريد محاصرتها وامتلاكها رأى أن الأسرى يفلون أيدى العسكر وينهبونهم ، فأمر باعدامهم في الحال وأطاع رجاله الأمر فقتلوا مائة ألف أسير في ذلك اليوم .

ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ١٠٤/٤
ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ٦٣/٧ .

وكان تيمورلنك يحرص على اصدار قراراته بسرعة دون أي تردد ، وكانت ارادته قوية في تنفيذ ذلك وكان شديدا في تصرفاته ، متحملا للمسئولية لايعتمد على الغير ، وكان يتوخى الحذر والحيطه في كل أفعاله وتحركاته لذلك كانت أوامره وقراراته مدروسة ، وكان تيمورلنك مقداما لايكسر همته أي كاسر ولايخشى الموت اطلاقا •

وهناك صور كثيرة تؤكد اقدامه فالناظر الى حروبه ضد العثمانيين يجد أنها كانت مجازفة خارقة من تيمورلنك حيث خاض وجنده معارك كثيرة قبل توجههم الى العثمانيين ، وعلى الرغم من محاولة جنده احباط عزيمته في التوجه لمحاربة العثمانيين بسبب جهدهم وارهاقهم من الحروب السابقة ، وأنهم في حاجة الى الراحة والاسترخاء ، الا أن تيمورلنك بعزيمته القوية تمكن من اقناع الجميع بضرورة محاربة العثمانيين والتضييق عليهم[(١)] •

واذا تحدثنا عن جانب آخر من صفات وطبائع تيمورلنك نقول : انه كان جادا لايميل الى المزاح ، ولايحب الكذب ، ولايستميله اللهو واللعب[(٢)] ، وكان يعجبه الصدق ولو كان فيه مايسوؤه حتى انه نقش على خاتمه عبارة " راستى رستى " أي " صدقت نجوت "[(٣)] كما ان مجلسه كان يتحلى بالوقار والاحترام وعدم الخوض في الكلام الفاحش ، وكان تيمورلنك [[محجاجا داركا للمحة واللمزة ، مرتاضا مستيقظا للرمزة ، لايخفى عليه تدليس مدلس ، يفرق بن المحق والمبطل بفراسته تلك ، بل على مقدرة وعلم بالناصح والغاش]][(٤)] •

كما أن صفوف جيش تيمورلنك كانت لاتخلو من العيون والجواسيس والمدربين في الحصول على الأخبار والمعلومات ، وقد سهلت مخابراته ايصال المعلومات الدقيقة عن أعدائه ليأخذ حذره ، ويتعرف على أوضاعهم وامكاناتهم قبل الهجوم عليهم • وكان تيمورلنك اذا أراد النزول بساحة قوم قصد الاخفاء

---

(١) Sami : 2a Fer Name. P. 303 .
(٢) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر بأنباء العمر ، ص ٣٠٢ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣١٥
(٣) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣١٥ •
ارمنيوس فامبري : تاريخ بخارى ، ص ٢٥٠ حاشية رقم ١ •
(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣١٥ •

والتعمية وكانت صفة الكتمان من الصفات التى تحلى بها في تحركاته ، وكان يتناقش مع أركان دولته في أمر الجهة التى ينوى الاغارة عليها ، وعندما يتفق الجميع على الخطة لمهاجمة بلد معين نجده يغير خطته ويصوب وجهته الى شطر آخر (١) ·

وعلى صعيد آخر نرى كيف استغل تيمورلنك تلك الفراسة والذكاء حيث سخرها في مجال السياسة فكانت تنفذ في صدور الأعداء منذ فترة مبكرة من حياته (٢) والحقيقة أن المطلع على حياة تيمورلنك يحار في تحليل شخصيته حتى ان الذين عاصروه وخبروه اختلفوا في الحكم عليه فقد وصفه بعضهم أنه سفاك ماكر باغ لاترجى منه شفقة ولارحمة محب لسفك الدماء ·

ونحن نميل الى ذلك حيث كانت سياسته في الحرب هي احراز النصر بأية وسيلة مهما استلزمت من نفقات وتضحيات فقد يشعل النار في مدينة بأسرها ، ويذبح سكانها ليثير الرعب في مدينة أخرى ، فصفة التدمير أصبحت ملازمة له ، وكان لايرى أي ضرر فيما يقوم به من تدمير وتخريب وأن كل ماكان يهمه ويسعى اليه هو تحقيق أهدافه ومطامعه ·

ولكن على الرغم مما أشيع عنه من سفك للدماء ، فالمذابح التي قام بها لاتقارن أبدا بالمذابح التي قام بها جنكيز خان ، حيث كان تيمورلنك يميل الى العفو والقبول اذا تم استسلام خصمه ، ومع ذلك كان يرى أن الحياة الانسانية لم تكن تعني شيئا اذا كانت هادئه

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ ·

(٢) يذكر المؤرخون أن تيمورلنك كان يحسن التصرف مع أعدائه الأقوياء فعندما أغار جيش تغلق تيمور على بلاد ماوراء النهر ، خرج تيمورلنك لمقابلة قادة جيش تغلق تيمور ، وقام بتقديم الأموال والهدايا لهم كما أنه دعاهم الى مأدبه فخمة وأصبحوا مجرد ضيوف على مائدة تيمورلنك ، وبهذه الطريقة كسب ودهم وعطفهم ورضائهم ·
تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٥٢٠ ·
اليزدي : ظفرنامه ، ٤٧/١
Sami : 2a Fer Name. P. 18 .

ساكنة ، فالغزو والقتال بالنسبه له أفضل من اقامة حكومة جيدة ، وقد كان دائما يتحرق لأن يكون في حركة ونشاط دائمين (١) ·

ويذكر المؤرخون أن تيمورلنك كان شجاعا وأن شجاعته هي سر تفوقه ونجاحه الكبير على أعدائه كما أنهم يصفونه بالسخاء والحلم مع الذين يطيعونه ، شديد القسوة في البطش مع الذين يخالفونه (٢) ، عادلا سليم الطوية ، محبا للعلم والعلماء مشجعا على نشر العلوم والفنون (٣) ·

والواقع أن شخصية تيمورلنك قد حفت بها الرهبة ، وأحاطت بها الهيبة ومن سماته أنه كان يطيل المكث بين حرسه الخاص الذي كان يبلغ خمسة وستين ألفا من الرجال الشجعان ذوى البسالة والاخلاص ، فكان يجزل لهم العطاء (٤) ، وقد رأى فيه هؤلاء قوة سحرية خفية جذبتهم اليه ، ورفعت منزلته عندهم الى مرتبة عالية ·

ونحن نؤكد أن كل ما أتصف به تيمورلنك لم يأت من فراغ ودليلنا على ذلك ماروا عن نفسه في الكتاب الذي ألفه عن تاريخ حياته (٥) ·

---

(١) Kennedy : History of the great Moghuls . P. 73 .

(٢) قيل ان تيمورلنك عندما علم ان ابنه ميرانشاه أساء الحكم في خوارزم عزله في الحال ولم ينقذه من الاعدام سوى تدخل الامراء والحاحهم في طلب العفو عنه ·

محمد فياض : تيمورلنك ، ص ١٢٧ ·

(٣) Sami : Zafer Name . P. 281 , 342 .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣١٨

(٤) سيد فرج : قاهر العالم ، ص ٥٩ ·

(٥) يذكر تيمورلنك أنه لما كان فارا من الأعداء يوما وقد اختبأ في بعض الكهوف رأى نمله صغيرة ، تحاول جهدها رفع ثقل أكبر منها فجعل يتأملها والحمل يتدحرج وتعود النملة اليه ، ولاتكل ولاتمل حتى سقطت تسعا وستين مرة وهي لاتنثني عن عزمها ، وفازت أخيرا بايصال الحمل المطلوب في المرة السبعين ، فتعلم تيمورلنك من هذه النملة درسا جعله نبراس أعماله وخطة يتبعها وهو أشهر من اتصف بهذه الصفة ·

الصرفي : رزق الله منغريوس ، تاريخ دول الاسلام ، ٢/٢٩٢ ·
شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، مطبعة المقتطف بمصر ، سنة ١٨٩٨م ، ص ١٤٠ ·

وبجانب ذلك كان تيمورلنك يعرف مالنفسه من حقوق وكان يحرص على لعب الشطرنج مع كبار رجال دولته ، وكانوا يلقبونه بلاعب الشطرنج الماهر ، وكان له فيه يد طولى ، وزاد في هذه اللعبة جملا وبغلا وجعل رقعته عشرة في أحد عشر ، وكان لايلاعبه الا أفراد (١) .

ومن هنا نرى أن كل ماحققه تيمورلنك من انتصار وتفوق يعود في الدرجة الأولى الى ماكان يتمتع به من التعقل والدراية والكفاءة العسكرية التي لاتنكر الى جانب مواهبه الشخصية المتعددة . وقد اتخذ سبيله الى المجد الشخصي على جثث ضحاياه ، وأنقاض المدن الزاهرة التي داسها بحوافر خيله وخربها واعتدى على حرماتها وهو بلاشك شخصية متناقضة وتاريخه حافل بالأمجاد والسواد .

---

(١) ابن حجر : انباء الغمر بأنباء العمر ، ٣٠٣/٢ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٢٦ .
خواندامير : حبيب السير ، ٥/٣/٣ .
ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٦٦/٧ .

المبحث الثاني

((الاضطراب السياسي في بلاد ماوراء النهر))

أ - تولية قازان حكم بلاد ماوراء النهر سنة ٧٣٣هـ - ١٣٣٢م ٠

ب - سيطرة الأمير قزغن سنة ٧٤٧هـ - ١٣٤٦م على بلاد ماوراء النهر ٠

ج - اعجاب الأمير قزغن بتيمورلنك ٠

د - حروب الأمير قزغن مع حاكم هراة ٠

هـ - مقتل الأمير قزغن وتولية ابنه عبدالله ٠

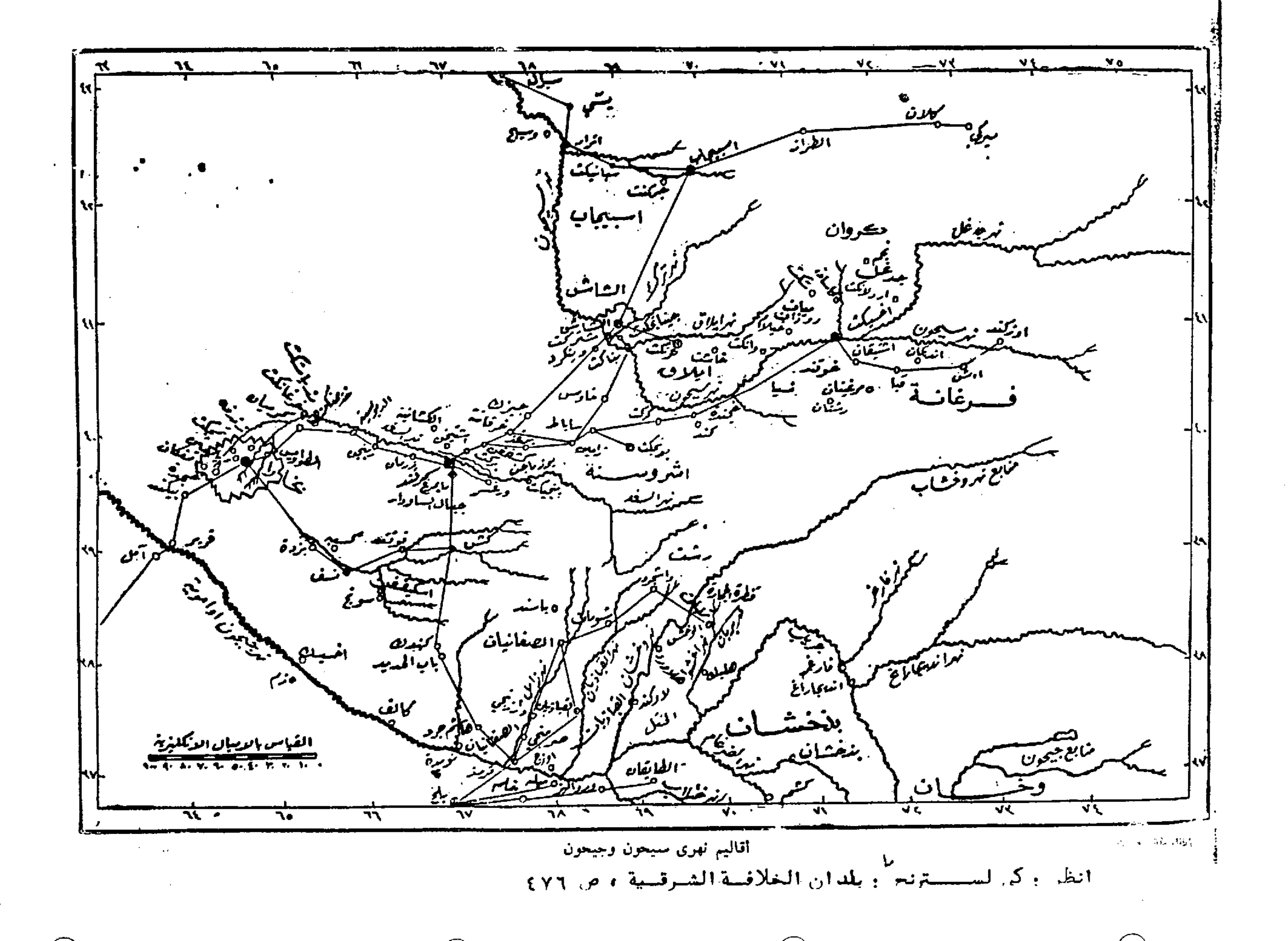
و - قدوم الخان تغلق تيمور بلاد ماوراء النهر وموقف أمراء البلاد منه ٠
سنة ٧٦١هـ - ١٣٦٠م ٠

ز - عودة الاضطرابات الى بلاد ماوراء النهر مرة أخرى ٠

ح - قدوم تغلق تيمور مرة ثانية الى بلاد ماوراء النهر سنة ٧٦٣هـ - ١٣٦٢م٠

ط - توجه تغلق تيمور للقضاء على الأمير حسين بن قزغن ٠

ي - عودة تغلق تيمور الى عاصمته للمرة الثانية ٠



اقاليم نهري سيحون وجيحون

انظر : كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٧٦

الاضطراب السياسي في بلاد ماوراء النهر :

قسم جنكيزخان مملكته قبل وفاته بين أبنائه [١] ، فكان من نصيب الأمير جغتاى جميع البلاد التى تمتد من أرض الأويغور في الشرق الى بخارى وسمرقند في الغرب • ويعتبر جغتاى من أفضل العارفين بقواعد الالياسة " اليساق " وكانت منزلته كبيرة بين قومه فهو الوحيد من أبناء جنكيزخان الذي ظل اسمه مرتبطا بأسرته وبالدولة التي أنشأها [٢] ولايزال اسم جغتاى يطلق الى اليوم على لغة الأدب التركية الشرقية التي تمت بادى الأمر في عهد بني تيمورلنك [٣] • وحكم أحفاده الذين تسمى أسرتهم بالخانات الجغتائيين [٤] أو حكام البلاد

---

(١) حاز أربعة من أبناء جنكيزخان الاحترام والتقدير وهم أبناء زوجته " يسونجين بيكى " وهؤلاء الأبناء هم : جوجى ، وجغتاى ، وأوكتاى ، وتولو ، وقد قسم مملكته بين أبنائه الأربعة على النحو الآتي :
أ) كان من نصيب جوجي الابن الأكبر : الوادى الأعلى لسيحون وجيحون وخوارزم ، وصحراء القبجاق وروسية الجنوبية ، وسفوح جبال الأورال وسيبريا الغربية •
ب) وحصل جغتاى وهو الابن الثاني على منطقة البرارى التى كانت تحتلها امبراطورية الخطا امتدت من بلاد الأويغور شرقا حتى بخارى وسمرقند غربا فشملت بذلك منطقة ايللى وايسق كول وأعالى نهر جووطلس •
ج) أما أوكتاى : الابن الثالث فحصل على مايقع الى الشمال ، والشمال الشرقي من بحيرة بالكاش من أقاليم ايميل وتارباحاى وارتش وارنوجو •
د) وتولى أصغر أبنائه تولوى البلاد الأصلية التى أختص بها والده ، أى الشطر الشرقي من منغوليا •

عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٣٩٣ •
بارتولد : تركتسان من الفتح العربي الى الغزو المغولى ، ص ٦٤٩ ومابعدها •
محمد صالح القزار : الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية مطبعة القضاء بالنجف ، سنة ١٣٩٠هـ ، ص ٤٥ - ٤٦ •

(٢) عباس اقبال : تاريخ ايران : ترجمة محمد علاء الدين ، ص ٥٨٩ ، دائرة المعارف الاسلامية : الترجمة العربية ، ٧١/١٢ ، ٧٢ •
بارتولد : تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ص ٦٤٩ •
دائرة المعارف الاسلامية : الترجمة العربية ، ٧٢/١٢ •

(٤) دائرة المعارف الاسلامية : الترجمة العربية ، ٧٢/١٢ ، ٧٤ •
(٥) انقسمت دولة المغول الجغتائيين أنذاك الى اقليمين : اقليم مغولستان في الشرق ، ويمتد من نهر سيحون Sardary الى حوض تاريم ونهر أرتش • واقليم ماوراء النهر في الغرب وقد حكم كل من الاقليمين بفرع مختلف من الأسرة الجغتائية • د• أحمد عبدالكريم : تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة ، ص١٢ •
بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ٢١١ ، ٢١٢ •
Grousset : The empire of the steppes, P. 409 .

" أولوس الجغتائيه " مدة ستة وثلاثين ومائة عام من سنة ٦٢٤هـ الى سنة ٧٦٠هـ (١٢٢٦ - ١٣٥٨م) وكانت عدتهم نحو الثلاثين وكان من بينهم خانات من أولاد أوكتاى تصادف حكمهم للبلاد الجغتائيه وليس لهم ذكر خاص في تاريخ ايران (١)، وقد استمر حكم هذه الأسرة في المنطقة قويا الا أنه في النصف الأول للقرن الثامن أصاب خانات الجغتائيين الوهن والضعف بعد وفاء قازان ، وسقطت أزمة أمورهم سنة ٧٤٦هـ - ١٣٤٥م في يد أحد رؤساء قبيلة البرلاس الأمير قزغن (٢) •

---

(١) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ترجمة محمد علاء الدين ، ص ٥٨٩ •

(٢) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ترجمة محمد علاء الدين ، ص ٥٩٠ •
Sykes, P. : History of persia . London . 1969 P. 118

أ - تولية قازان حكم بلاد ماوراء النهر سنة ٧٣٣هـ - ١٣٣٢م .

جلس قازان سلطان خان بن يسور أغلن على عرش بلاد ماوراء النهر سنة ٧٣٣هـ -١٣٣٢م • وهو أحد أحفاد جغتاى ، ويعتبر آخر خان هام من نسل جغتاى حكم هذه المنطقة وقد عرف قازان بقوة شخصيته وظلمه للرعية ، ونجح في فرض سيطرته على البلاد بالقوة (١) • وقد أدى سوء سلوكه وتصرفه مع الأمراء الى كراهيتهم له حيث كان هؤلاء الأمراء يشكلون طبقة أرستقراطية عسكرية ، ويفضلون الاستقلال عن السلطة المركزية لتحقيق أغراضهم وطموحاتهم ، كما أن هؤلاء الأمراء كانوا يرون في أنفسهم المقدرة على مشاركة الخان وتقييد نفوذه وسلطته وقد كان قازان ظالما يميل لسفك الدماء ، واشاعة الخوف والفزع في البلاد دون أن يجرؤ أحد على الوقوف في وجهه (٢) •

ويذكر المؤرخون أن هذا الخان اتخذ وزيرا له فيما بعد يسمى " قزغن " وكان أحد رؤساء قبيلة برلاس ، وعرف هذا الأمير بقوة شخصيته وشجاعته وعدم السكوت على الظلم ، كما أنه عرف بحسن السياسة حتى أن المؤرخين كانوا يلقبونه بصانع الملوك (٣) • ولم يرض قزغن بتصرفات الخان قازان غير اللائقة تجاه رعيته ، ورأى ضرورة التكاتف مع الأمراء والقيام بثورة ضده ، والاطاحة بحكمه ، ونجح قزغن في تشكيل قوة موحدة من معظم الجند لعزل هذا الخان (٤) •

رفع قزغن راية العصيان وأخذ يعد العدة لمحاربة قازان ودارت رحى الحرب بين الجانبين في صحراء قرية " دَره زِنكى " (٥) عام ٧٤٦هـ - ١٣٤٥م وتمكن

---

(١) اليزدى : ظفرنامه ، ٢٧/١ •
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٠١ •
(٢) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٠١ •
(٣) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٠١ •
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٢٨ •
(٤) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٠١ •
Sykes : History of persia . P. 118 .

(٥) على نحو ستين ميلا جنوب طبس العناب في اقليم قوهستان ، وبها قلعة قديمة تقوم على جبل قريب منها ، والظاهر أن البلدانيين العرب لم يذكروا دره وأول من نوه بها المستوفى حيث ذكر أنها من الأمكنة المنيعة فيها عين ماء ويكثر فيها شجر العناب •
كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٠٣

الخان من هزيمة جيش الثوار بزعامة قزغن[(١)] ، ثم عاد قازان منتصرا الى مدينة قرْشي[(٢)] .

وكان للظروف المناخية دور كبير في ضعف قوة جيش الخان قازان فعند عودته كان البرد شديدا وأدت قسوة الطقس الى قتل عدد كبير من أفراد جيشه وخيوله ومواشيه ، فأدى ذلك الى ضعفه[(٣)] . وعلى الجانب الآخر سارع الأمير قزغن الى تدعيم موقفه وترتيب صفوفه ، وجمع جنده من جديد وأعاد الكرة مرة ثانية لمحاربة الخان ، ودارت معركة بين الطرفين عند قرشي عام ٧٤٧هـ - ١٣٤٦م ، انتصر خلالها الأمير قزغن ، وتمكن من قتل الخان[(٤)] بعد حكم استمر أربعة عشر عاما لبلاد ماوراء النهر[(٥)] .

ب - سيطرة الأمير قزغن سنة ٧٤٧هـ - ١٣٤٦م على بلاد ماوراء النهر:

وبهذا النصر الكبير الذى حققه الأمير قزغن أصبحت بلاد ماوراء النهر تحت سيطرته[(٦)] ولم يكن يدور في خلده أن ينفرد بالحكم[(٧)] لذلك رأى أنه من الأفضل

---

(١) اليزدى : ظفرنامه ، ٢٨/١
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٠١

(٢) كان يسميها عرب القرون الوسطى نسف والفرس يسمونها نخشب ، وهى من مدن ماوراء النهر بين جيحون وسيحون وسمرقند ، وبينها وبين سمرقند ثلاثة مراحل ، وكانت تمتاز بمزارعها الخصبة وبساتينها الكثيرة ، وأسواقها الحسنة .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢٧٦/٥ .
كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥١٣ .

(٣) اليزدى : ظفرنامه ، ٢٨/١
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٠١

(٤) اليزدى : المصدر السابق ، ٢٨/١ .
Sykes : History of persia . P. 118 .

(٥) اليزدى : ظفرنامه ، ٢٧/١
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٠٢

(٦) اليزدى : ظفرنامه ، ٢٨/١ .

(٧) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٠٢ .
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٢٨

أن يختار خانا آخر ليتولى الحكم ، واكتفى قزغن بأن يكون الأمير المسئول عن تصريف شئون الحكم في المنطقة ، لذلك أجلس الأمير " دانشمنجه أوغلن " وهو من نسل أوكتاي ليكون خانا (١) • الا أنه مالبث أن قتل بعد عامين من توليته (٢) ، وحل محله خان آخر هو " بيان قلي أوغلن بن سورغدو بن دواخان " وظل على العرش عشر سنوات متتالية (٣) ، قام خلالها الأمير قزغن بتدبير أمور الدولة ومراعاة متطلبات الرعية وقد اتسعت حدود بلاد ماوراء النهر وامتدت من خراسان الى أقصى حدود تركستان (٤) • كما أن قزغن نجح نجاحا كبيرا في فرض سيطرته واحترامه على الأمراء وسعى لتوثيق العلاقة بينه وبين جيرانه ، وكانت القبائل تطيع أوامره وكان من بين تلك القبائل قبيلة برلاس (٥) •

ج - اعجاب قزغن بتيمورلنك:

حرص الأمير قزغن على أن يكون رجاله على معرفة تامة بأمور الحرب والقتال وعندما وصلت اليه أخبار تيمورلنك وبراعته في استخدام السلاح وركوب الخيل طلب منه أن يحضر اليه ، وكان تيمورلنك يحظى بمحبة الفرسان وتقديرهم له ، وكان هؤلاء الفرسان يحكون للأمير قزغن عن كل مايرونه منه من شجاعة وفروسية (٦) ، فيزداد اعجابه به ، ولهذا زوجه باحدى حفيداته تقديرا له •

رأى قزغن في تيمورلنك شابا قد يفيده في حروبه ضد أعدائه ، وكان في بلاطه بعض الأمراء والقواد الأقوياء الذين استقامت أحوالهم ، وعظم شأنهم بعد ثورة قزغن ، وكان بعضهم يمشي حوله عشرة آلاف من الجند وكان هؤلاء الأمراء يقدمون طاعتهم الاسمية للخان ، الذي عينه قزغن ، وكان قزغن بذكائه وحسن سياسته قد حمل أولئك الأمراء على القبول بسلطته ، وعدم الثورة عليه وتمكن

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٨/١ •
(٢) اليزدي : المصدر السابق ، . Prawdin : The Mongol empire. P. 414
(٣) اليزدي : المصدر السابق ، . Sami : 2a Fer Name, P. 17
(٤) Sami . OP. Cit. P. 17 .
(٥) Prawdin : The Mongol empire, P. 414 .
(٦) Prawdin : The Mongol empire . P. 416 .
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٣١
(٧) Sami . OP. Cit. P. 415 .

بمساعدة تيمورلنك من النجاح في عدة حملات شمالا وغربا ، فلذلك أهداه الأمير قزغن قوسه الخاصة وقربه منه وأولاه اهتمامه (١) ·

د - حروب قزغن مع حاكم هَـرَاة (٢) :

كان يحكم هراة الملك معزالدين حسين بن الملك غياث الدين وقد جعل لنفسه مكانة كبيرة في بلدة خرج عليه الأمير وجيه الدين مسعود سربدار من سيزوار مع جيش منظم وتوجه الى هراة لمحاربة الملك معز الدين حسين ، وتلاقى الجيشان عند زاوة (٣) في ١٦ صفر سنة ٧٤٣هـ - ١٣٤٢م ، ودار قتال عنيف بين القوتين هزم في بدايته الملك معزالدين وقتل عدد كبير من جيشه ، لكنه قام بتنظيم قواته وعاود الهجوم مرة أخرى فتمكن من الانتصار ، واضطر الأمير وجيه الدين مسعود الى الهروب وبذلك عاد معزالدين الى هراة منتصرا ومعه غنائم كثيرة فاستقل ببلاده بعد أن كانت تحت حماية أحفاد جنكيزخان (٤) وازدادت مطامعه بعد ذلك فقام بالاغارة على حدود أَنْدَخُود (٥) وشبرقان (٦) ، وأدى ذلك الى غضب رؤساء

---

(١) رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٤ ·
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٢٩ ·

(٢) مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان ، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة ، وقراها متصلة مقدار مرحلة على طريق سجستان ، واستمرت هراة على ازدهارها وعمرانها حتى اجتياح المغول لها ، فقاموا بتخريبها الا أنها انتعشت بعدما أصابها من كوارث على يد المغول ·
ياقوت الحموى : معجم البلدن ، ٣٩٦/٥ ·
ابن عبدالحق البغدادى : مراصد الاطلاع ، ١٤٥٥/٣ ·
كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٥٠ ، ٤٥١ ·

(٣) كان رستاق زاوة أو بعضه يعرف باسم رخ ، وقصبتها بيشك أو مدينة زاوة وهى مدينة حسنة بها كثير من الخيرات ، ولها قلعة حصينه من اللبن وهي من مدن اقليم قوهستان ·
ياقوت الحموى : المصدر السابق ، ١٢٨/٣ ·
كى لسترنج : المصدر السابق ص ٣٩٦ ·

(٤) اليزدى : ظفرنامه ، ٣١/١ ·

(٥) بلده بين بلخ ومرو وقد كتب البلدانيون الأولون اسمها بصور مختلفة : اندخذ ، اندخوى ، ادخود ، أنخد ، وهي مدينة صغيرة في مفازة لها سبع قرى وبيوت للأكراد من أرباب الأغنام ، وكثير ماورد اسمها في أخبار حروب تيمورلنك ·
ابن عبدالحق البغدادى : مراصد الاطلاع ، ١٢٢/١ ·
كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٦٨ ·

(٦) جاء اسمها بصورة أشبورقان أو أشبرقان ، وشبورقان ، اشبرقان · وهي بلد عامر آهل قرب بلخ ، بها بساتين ومزارع في غاية الخصب وكان يقصدها التجار ويبيعون فيها أمتعتهم ·
ابن عبدالحق البغدادى : مراصد الاطلاع ، ص ٧٨٠/٢ ·
كى لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٦٨ ·

القبائل من تصرفاته ، واستنكروا أفعاله وتعديه عليهم فتقدموا الى الأمير قزغن يشكون اليه تصرفات معزالدين حسين [1] فقرر الأمير قزغن محاربته والقضاء عليه •

توجه الأمير قزغن الى هراة وخرج معه مجموعة من الأمراء ، ولما علم معزالدين حسين حاكم هراة بقدومهم استقر به الرأى على مواجهتهم خارج المدينة ونشبت الحرب بين الطرفين [2] فتمكن الأمير قزغن من هزيمة معزالدين حسين الذي اضطر الى الاختفاء داخل هراة ، ثم تقدم بطلب الصلح الى الأمير قزغن فوافق رحمة بالرعية وكان ذلك في عام ٧٥٢هـ - ١٣٥١م [3] •

وفي العام التالي ذهب معزالدين حسين الى بلاد ماوراء النهر وقدم كامل فروض الطاعة والولاء للأمير قزغن [4] •

هـ - مقتل الأمير قزغن وتولية ابنه عبدالله :

يذكر المؤرخون أن الأمير قزغن كان مغرما بالصيد ورمى السهام ، وبينما كان يصطاد ذات يوم في عام ٧٥٩هـ - ١٣٥٨م هجم عليه " قتلق تيمور " [5] وقتله ولكن الأمراء الذين كانوا في صحبة الأمير قزغن تمكنوا من القبض عليه وقتله [6] •

وعندما علم الأمير زاده عبدالله بن قزغن بمقتل والده قدم من سمرقند

---

(١) اليزدى : ظفرنامه ، ٣٢/١ ، ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٠٢ •

(٢) اليزدى : المصدر السابق ، ٣٢/١ •

(٣) اليزدى : ظفرنامه ، ٣٥/١ • رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٤ •

(٤) اليزدى : المصدر السابق ، ٣٧/١ • رضا بازوكى : المصدر السابق ، ص ١٨٤ •

(٥) كان قتلق زوج ابنة الأمير قزغن يحقد على صهره ويرغب في أن يصبح خانا•

(٦) اليزدى : المصدر السابق ، ٣٩/١ • Sami : 2a Fer Name . P. 17 .

وحل محل والده وكان الخان بيان قلى على عرش السلطنة (١) ، ويبدو أن الأمير عبدالله لم تكن له المقدرة والقوة التى كان يتمتع بها والده ، حيث كانت تصرفاته في كثير من الأحيان لاترضى الأمراء ورغب عبدالله في أن يتخذ من سمرقند مقرا له واصطحب الخان " بيان قلى " معه رغم معارضة الأمراء الموالين لوالده لهذا العمل (٢) • وبعد فترة وجيزة قتل الأمير عبدالله الخان " بيان قلى " وأحل محله خانا آخر هو تمور شاه أوغلن بن بيسون تمورخان (٣) •

ويذكر رضا باروكى أن الأمير عبدالله قام بمجزرة قتل فيها بعض رؤساء القبائل بدون أي سبب ، وقد أدى ذلك الى تخوف أمراء ورؤساء القبائل من سطوته (٤) •

ويضيف اليزدى (٥) أنه نتيجة لمقتل الخان جمع الأمير بيان سلدور جيشا وخرج من حصار شادمان (٦) متوجها الى سمرقند ، وقد انضم اليه الأمير حاجى برلاس وتمكنا من هزيمة الأمير عبدالله واجباره على الهرب الى أَنْدَراب (٧) مفضلا النجاة على السلطنة والحكم ، وقد ظل في أندراب حتى وافته المنية (٨) •

---

(١) اليزدى : ظفرنامه ، ٤٠/١ . Sami : 2a Fer Name , P. 17
(٢) اليزدى : ظفرنامه ، ٤٠/١ •
(٣) اليزدى : المصدر السابق ، ٤٠/١ • Sami : OP. cit . P. 17
(٤) رضا باروكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٤ •
(٥) لم يذكر اليزدى اسمه كاملا بل اكتفى القول بأنه كان أحد امراء ألوس الكبار ، انظر ظفرنامه ، ٣٠/١ •
رضا باروكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٤ •

(٦) المقصود بها قلعة شومان " أو الشومان " العظيمة ، وتقع وراء نهر جيجون ،وكان يكثر حولها الزعفران ، ومنها يحمل الى سائر الآفاق ، في أهلها قوة وامتناع وأشار اليها اليزدى في وصفه لحروب تيمورلنك باسم " حصار شادمان " وغالبا ما أختصره بلفظة حصار أو حصارك فقط •

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٣٧٣/٣ ، ٣٧٤ •
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٨٣ •

(٧) أَنْدَراب : بفتح أوله وسكون ثانية بلد بين غزنين وبلخ ، بها تعمل الفضه المستخرجه من معدن بنجهير ومنها تدخل القوافل الى كابل ، وتعتبر ثالث مدن طخارستان وذلك بعد الطالقان وروالير •
ابن عبدالحق البغدادى : مراصد الاطلاع ، ١٢٢/١ •
بارتولد : تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولى ، ص١٤٩ •

(٨) Sami : 2a Fer Name, P. 17 •
Sykes : History of Persia . P. 119 .

وترتب على ذلك تفرق أتباع الأمير عبدالله ، وانتهز الفرصة الأمير بيان سلدوز وحاجي برلاس وسيطرا على المملكة ، فعمت الفوضى والاضطرابات بلاد ماوراء النهر ، وخلت البلاد من حاكم قوي يستطيع أن يعيد الهدوء والاستقرار اليها ، وبدأت المؤامرات تحاك من الجميع ، ولم يكن هناك أحد لايريد الاستفاده من تلك الفوضى ، واندفع الأمراء وراء مطامعهم فالكل يرغب أن يسيطر على جزء من البلاد ليصبح هو السيد المطاع (١) ٠

وحكم بعض الأمراء مدينة كش وملحقاتها بجانب الأميرين تيمورلنك وحاجى برلاس وكانت هذه المدينة تابعة لأجداده وأباء تيمورلنك والأمير حاجى منذ زمن بعيد (٢) ٠ كما كان الأمير بايزيد جلاير (٣) استولى على خجنده (٤) وسيطر عليها وكان يقطن ناحية الشمال بجانب سيرداريا (٥) ٠

وسيطر الأمير حسين بن مسلا بن قزغن على بلخ وبعض الولايات الأخرى وادعى أولجاى بوغاسلدوز (٦) أحقيته في بعض الولايات واستولى محمد حاجى ابردى (٧) على شبرقان وأعلن حكام بذخشان استقلالهم (٨) ٠

---

(١) Sami : 2a Fer Name, P. 17 .
Prawdin : The Mongol empire . P. 417 .

(٢) اليزدى : ظفرنامه ، ٤٢/١
Sami : Op : Cit . P. 17 .

(٣) لم أجد له ترجمه في المصادر التي بين يدي ، ولكن يبدو من الأحداث انه كان أحد الأمراء الكبار الذين كان لهم دور بارز في أحداث المنطقه حينذاك ٠

(٤) خُجَنْدَه بالضم ، ثم الفتح ونون ثم دال مهملة : بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون ، بينها وبين سمرقند عشرة أيام نزهه في وسطها نهر جار والجبل متصل بها ، وكلها دور وبساتين ٠
انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٣٤٧/٢ ٠

(٥) اليزدى : ظفرنامه ، ٤٢/١ ٠
Sami : Op . Cit . P. 17

(٦) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي ٠

(٧) لم أعثر على ترجمة له في المصادر التي بين يدي ٠

(٨) اليزدى : ظفرنامه ، ٤٢/١ ٠
Sami : Op . Cit . P. 17 ٠

وهكذا أصبح كل أمير من الأمراء ينفرد بحكم جهة من الجهات واتجه كل منهم الى ولايته يحشد جيشه ويعد عدته لصد أي عدوان عليه .

وكان تيمورلنك منذ وفاة والده يحكم مدينة كش ومن الطبيعي أن يكون له موقف تجاه تلك الفوضى السائدة في المنطقة فأخذ يوسع الخلافات بين قادة ورؤساء القبائل ونجح تيمورلنك في كسب تأييد بعض القوى الصغيرة وضمها اليه وتحالف سرا مع رؤساء بعض القبائل (١) ، وأدى ذلك الى حدوث المصادمات والمنازعات بين الأمراء ودفع الى تفاقم الفوضى والاضطرابات داخل المنطقة بصورة كانت تتطلب ظهور شخصية قوية تعيد الأمن والاستقرار الى بلاد ماوراء النهر .

و - قدوم الخان تغلق تيمور بلاد ماوراء النهر وموقف أمراء البلاد منه سنة ٧٦١ ﻫ - ١٣٥٩ م :

في ظل هذه الظروف رأى الخان تغلق تيمور ابن أوغل خواجه بن دراخان (٧٣٠ﻫ - ١٣٢٩م) وكان من نسل جغتاى خان ويحكم القسم الشرقي من خانية جغتاى (٢) رأى أن الفرصة سانحة له لكى يمد نفوذه ويبسط سلطانه على بلاد ماوراء النهر فكان لابد أولا من :

القضاء على الأمراء المتنازعين وتأديبهم واعادة الهدوء الى المنطقة (٣) حتى يتسنى له توحيد شطرى البلاد تحت زعامته فهو يرى أنه الأحق بحكم المنطقتين لانتمائه لأسرة جغتاى (٤) فكون جيشا في ربيع الآخرة سنة ٧٦١ﻫ - ١٣٦٠م وتوجه به الى بلاد ماوراء النهر ، وعند موضع جاناق بولاق الذي كان على

---

(١) Prawdin : Op . Cit . P . 417 .
Grousset : The empire of the steppes . P. 409 .

(٢) اليزدى : ظفرنامه ، ١/٤٣ .
Sami : 2a Fer Name . P. 18 .
خواندامير : حبيب السير ، ٣/٣/٥ .

(٣) عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٩٠ .

(٤) Sami : Op . Cit . P .18 .
Sykes : History of Persia . P. 119 .

مسافة منزلتين من سمرقند توقف بجيشه وبعد مشاورات مع الأمراء ورجال (١) الدولة عين الأمير " بيكيجيك " (٢)، مع فوج من الجند للاستطلاع ، واجبار الأمير بايزيد جلاير أن يكون تابعا لهم (٣) .

وعندما وصلوا الى حدود خجنده أسرع الأمير بايزيد بتقديم الهدايا لجند الخان والاعتراف بسلطانه (٤) .

وبذلك يكون أول (٥) من قام بالخضوع للخان تغلق تيمور ، وتحرك الجيش ومعهم الأمير بايزيد نحو مدينة كش (٦) .

أما الأمير حاجى برلاس فقد أظهر تحمسا كبيرا وشجاعة جيدة في أول الأمر لمواجهة تغلق تيمور ، وقام ببث الحماس في قبائل قرشى وكش ، وحثهم على قتال تغلق تيمور ، ولكن سرعان ماتغير موقفه وذاب تحمسه وفضل الهرب على المواجهة وذهب الى خراسان وبعث برسالة الى تيمورلنك يعلمه فيها عدم قدرته على مواجهة الخان تغلق تيمور .

---

(١) خواندامير : حبيب السير ، ٥/٣/٣ .
Sami : Op . Cit . P . 18 .

(٢) بيكيجك كان أحد الأمراء الكبار والقادة المتمرسين الذين كان يثق بهم الخان تغلق تيمور .
Sami : 2a Fer Name . P. 22 .
خواندامير : حبيب السير ، ٦/٣/٣ .

(٣) اليزدى : ظفرنامه ، ٤٣/١ .
Sami : Op . Cit . P . 18 .

(٤) خواندامير : حبيب السير ، ٥/٣/٣ .
Sami : Op. Cit . P. 18 .

(٥) Sami : 2a Fer Name, P. 18 .
Prawdin . Op . Cit . P . 418 .

(٦) اليزدى : ظفرنامه ، ٤٤/١ .
خواندامير : حبيب السير ، ٥/٣/٣ .
Grousset : the empire of the steppes . P . 418 .

ويذكر تيمورلنك : [[أنه عندما عبر تغلق تيمور نهر خجندة من أجل ضم بلاد ماوراء النهر أصدر أمرا في طلبي أنا والأمير حاجي برلاس والأمير بايزيد فاستشاروني قائلين : هل نذهب الى أهلنا وقبيلتنا في خراسان أن نذهب الى تغلق تيمور ؟ فقلت لهم أن في الذهاب الى تغلق تيمور فائدتين وضررا واحدا وفي الذهاب الى خراسان ضررين ومنفعة واحدة • فلم يقبلوا مشورتي وذهبوا الى خراسان ، وأما أنا فترددت في الذهاب اليها أو الى تغلق تيمور ، واستشرت شيخي في ذلك فكتب لي في رده أن اذهب الى الخان • ولكن مع ذلك كنت أعود الى القرآن الكريم لأخذ الفأل منه (١) ، وقد تفاءلت بما جاء في القرآن من سورة يوسف (٢)]] •

فكر تيمورلنك بتعقل في هذا الأمر فرأى ان الدخول في معركة مع الخان سوف لايكون في صالحه نظرا لتواضع قوته أمام قوة الخان الكبيرة ، ورأى أن السياسة الحكيمة تستطيع أن تحقق له نتائج طيبة •

ويذكر المؤرخون أن تيمورلنك توجه الى كش لاستمالة قبيلة أولوس والدخول في طاعة الخان حتى لايصيب الخراب والتدمير الولاية ، وعندما وصل تيمورلنك الى كش كان أمراء قبائل الجتة " أمراء تغلق تيمور " قد سبقوه اليها (٣) •

رأى تيمورلنك أنه ليس من الحكمة الدخول في حرب مع جيش تغلق تيمور القوى وأن خير طريقة لمنع الجته من غزو بلاده اتباع سياسة المهادنة والكرم معهم حتي يأمنوا له ، فقام بمقابلة قادة الجته ودعاهم لمأدبة فخمة ، وأنعم عليهم بالهدايا والأموال فكسب بذلك جانبهم وغيروا نظرتهم

---

(١) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ١٤ - ١٦ •

(٢) أعتقد والله أعلم أن تيمورلنك عندما فتح القرآن وجد هذه الآيات : [وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي ، فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين • قال اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم • وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولانضيع أجر المحسنين] •
سورة يوسف ، الآيات ، ٥٤ ، ٥٥ •

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٦/١ •
Sami : 2a Fer Name , P. 18 .

اليه ، وعاملوه باعزاز واحترام (١) • كما أن تيمورلنك طلب من القـــــادة أن يعطوه خطاب توصية ليقدمه للخان تغلق عند مقابلته (٢) ، وبذلك جمع تيمورلنك كل مايعزز موقفه عند الخان ، وعندما وصل تيمورلنك الى الخان قدم له أثمـــن الهدايا • وقد سر الخان بلباقة وكياسة تيمورلنك (٣) ، وأبدى دهشته من أن يقدم اليه زعيم صغير مثل هذه الأموال والهدايا الضخمة ، وطلب منه أن يبقـــى في حاشيته الى أن يعود الى عاصمته • وخلال ذلك علم تغلق تيمور أن أمراء الجيش وقادته استولوا على أموال كثيرة من تيمورلنك وأهالي ماوراء النهر فأمرهم الخان برد ذلك وأرسل رسله ليبلغوهم رد الأموال والهدايا التي أخذوهـــا من تيمورلنك وأهالي المنطقة (٤) • ولم يرض الأمراء والقادة قبول هذه الأوامر ورموا بها عرض الحائط وتوجهوا بجيشهم نحو ماوراء النهر ينهبون كل مايقابلهـــم وعندما وصلوا أراضيهم في السهول بدأوا العصيان ضد الخان (٥) •

ومن هنا أصبح بقاء الخان في بلاد ماوراء النهر صعبا لأن الوضـــع في بلاده يفرض عليه أن يعود سريعا للقضاء على أولئك الثوار المتمردين • وقـــد رأى الخان أن يرسل جزءا من قواته لمواجهة الثوار ولكن تيمورلنـــك حذره من ذلك ونصحه أن يذهب بنفسه لأنه من المحتمل أن تفشل قواته في السيطرة علـــى الثوار بدون وجوده معهم (٦) ، كما أنه من الحكمة أن تذهب لمحاربتهم في أرضهم

---

(١) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ١٨ - ٢٠ •
Sami . Op . Cit . O . 18 .

(٢) Prawdin : The Mongol empire . P . 419 .

(٣) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٢٠ •
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٥ •

(٤) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٢٠
Prawdin . Po . Cit . P . 419 .

(٥) Prawdin . Op . Cit . P . 419 .

(٦) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٢٢ •
Prawdin . Op . Cit . P . 419 .

لأنك هنا بين عدوين ، أما هناك فأمام عدو واحد فقط ، وأعجب الخان برأى تيمورلنك وعمل به (١) ٠

ويذكر تيمورلنك وبعض المؤرخين أن الخان تغلق تيمور عند عودته الى بلاده ترك لتيمورلنك حكم بلاد ماوراء النهر وأصدر فرمانا بذلك فأصبح تيمورلنك حاكما لولاية ماوراء النهر حتى شاطئ نهر جيحون (٢) ٠

ويضيف " Prawdin " وغيره أن تغلق تيمور وثق في تيمورلنك وسلم له ختما رسميا ووثيقة ملكية برتبته وسلطته وعينه قائدا برتبة تومان باش ، أي قائد لعشرة آلاف (٣) ٠

ز - عودة الاضطرابات الى بلاد ماوراء النهر مرة أخرى :

ما أن غادر الخان تغلق تيمور بلاد ماوراء النهر حتى عادت الاضطرابات والمنازعات بين الأمراء ولكن في هذه المرة كانت على شكل أوسع ٠ ففي سنة ٧٦٢هـ - ١٣٦٠م طلب الأمير حسين بن قزغن العون والمساعدة من الأمراء بايزيد جلاير ، وخضر يسورى ، وتيمورلنك بهدف الانتقام لعمه الأمير عبدالله من الأمير بيان سلدوز ووافق الأمراء الثلاثة على مساعدته ، وتوجهوا اليه فلما علم بيان سلدوز في شادمان بقدومهم لم يجرؤ على مقاومتهم وفضل الهرب الى بَذَخْشان(٤)،فتعقبوه وعندما وصلوا الى تلك المدينة ، فر واليها شاه بهاء الدين (٥) وبذلك أصبحت الولاية تحت تصرف الأمير حسين ، ثم عاد تيمورلنك الى

---

(١) هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٣٩ ٠

(٢) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٢٢ ٠
Sami : 2a Fer Name . P . 18 .
رضا باروكى: تاريخ ايران ، ص ١٨٥ ٠

(٣) هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٣٩ ٠
Prawdin : Op . Cit . P . 420 .

(٤) بَذَخْشان يسميها العامة بلخشان باللام وهو الموضع الذي فيه معدن البلخش المقاوم للياقوت ، وهى بلد في أعلى طخارستان ، بينها وبين بلخ ثلاث عشرة مرحلة ٠ انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ١٣٠/١ كىلسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٧٧ - ٤٧٩ ٠

(٥) لم أجد ترجمة له في المصادر التى بين يدى ٠

كش[١] ، ولم تهدأ الأوضاع بعد ذلك اذ أن الأمير " تغلق تيمور سلدوز" أعلن ثورته وتمرده على الأمير حسين ، فأرسل الى حلفائه الثلاثة[٢] يطلب العون والمساعدة منهم واستجاب الأمراء لطلبه ، وحينما وصلوا الى حصار شادمان لدى الأمير حسين كان تغلق تيمور قد هرب لعدم مقدرته على التصدى لهم[٣] • وأثناء عودة تيمورلنك الى ولايته علم أن الأمير حاجى برلاس الذي كان قد هرب الى خراسان خوفا من بطش الخان تغلق تيمور عاد واتفق مع بايزيد على محاربة خضر يسورى وذهب حاجي برلاس الى كش من أجل جمع الجيش ، وعندئذ توجه تيمورلنك الى خضر واتفقا على مواجهة حاجى برلاس ، وبايزيد جلاير وعندما علم حاج برلاس باتفاقهما خرج لمحاربتهما ولكن جيشه مني بهزيمة ثقيلة اضطر بسببها الى ترك القتال والتوجه نحو سمرقند والتحق بالأمير بايزيد[٤] ، فقرر تيمورلنك التوجه نحو سمرقند بمصاحبة الجيش المتمركز في مدينة كش وجيش الأمير خضر ، وفي الطريق انفصل الجيش الذي كان معه لأسباب غير معروفة والتحقوا بحاجي برلاس ، ونظرا لما حدث فان خضرا أساء الظن في تيمورلنك واعتقد أن ذلك حدث باتفاق تيمورلنك مع حاجي برلاس للايقاع بجيشه وعندما رأى تيمورلنك سوء نية خضر وتخطيطه للغدر به انفصل عنه والتحق بالأمير حاجى برلاس[٥] لذلك رأى تيمورلنك ضرورة محاربة الأمير خضر وتأديبه وقد كان معه في هذه المرة جيش بايزيد جلاير ، وجيش حاجي برلاس ، وقد تم اللقاء بينهم وبين خضر عند مكان يسمى " سروش "[٦] ، الا أن خضرا لم يستطع الاستمرار في القتال ففضل الهرب

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٩/١ •
Sami : OP. Cit. P. 19 .

(٢) اليزدى : المصدر السابق ، ٤٩/١ •
Sami . Op . Cit . P . 19 .

(٣) اليزدي : المصدر السابق ، ٥٢/١ •
Sami . Za Fer Mame . P . 20 .

(٤) اليزدى : المصدر السابق ، ٥٤/١ •
Sami . Op . Cit . O . 20 .

(٥) Sami : OP. Cit . P . 20 .
اليزدى : ظفرنامه ، ٥٤/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ٦/٣/٣ •

(٦) لم أجد لهذا المكان تعريفا بين المصادر التي بين يدي •

واعتبر ذلك أكبر غنيمة له (١) ، وعلى الرغم من النجاح الذي حققه الأمراء الا أن بايزيد كان يبيت النية للغدر بتيمورلنك ، وقد أدرك تيمورلنك ذلك وتمكن من الهرب ، وعندما علم حاجى برلاس بهربه (٢) بعث خلفه رسولا يخبره أن الأمير عبدالله تابغو وزندة خشم (٣) بن خواجه ابردى رفعا لواء التمرد والعصيان ، وان حاجى سوف يرسل اليه جيشا ليتوجه به لمحاربتهما ، وقد سر تيمورلنك من ذلك وتوجه الى ترمذ (٤) .

ح - قدوم تغلق تيمور الى بلاد ماوراء النهر مرة ثانية عام ٧٦٣هـ-١٣٦٢م.

عندما علم تغلق تيمور بعودة الاضطرابات والمنازعات بين الأمراء في بلاد ماوراء النهر ، فتوجه اليها مرة ثانية ليسيطر عليها (٥) .

ويتضح أن أمراء المنطقة المتنازعين لم تكن لديهم القدرة على مواجهة تغلق تيمور لتنازعهم وعدم اتحادهم .

ويذكر المؤرخون أنه عندما تقدم تغلق تيمور الى شاطئ نهر خجنده تقدم اليه بايزيد جلاير وقدم طاعته له ، كما خرج لاستقباله بيان سلدوز وأظهر خضوعه له (٦) . أما حاجى برلاس فقد تشاور مع الأمراء وقال لهم : ان معارضة الخان نذير شؤم ، وقرر الذهاب لمقابلته (٧) .

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٥٥/١ .
Sami : 2a Fer Name , P . 20 .
(٢) اليزدي : المصدر السابق ، ٥٦/١ .
Sami : Op . Cit . P . 21 .
(٣) لم نجد لهما ترجمة في المصادر التي رجعنا اليها .
(٤) مدينة مشهورة في شمال مضيق نهر جيحون وهو آت من بلخ ، متصلة العمل بالصغانيان ولها قلعة وربض ويحيط بها سور وأسواقها مفروشه بالآجر وكانت ترمذ فرضة التجارات المحمولة من الشمال الى خراسان .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢٦/٢ .
ابن عبدالحق البغدادى : مراصد الاطلاع ٢٨/١ .
كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٨٤ .
(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٥٧/١ .
Sami : 2a Fer Name , P . 21 .
خواندامير : حبيب السير ، ٦/٣/٣ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٥ .
(٦) Sami : Op . Cit . P 21 .
خواندامير : المصدر السابق ، ٦/٣/٣ .
(٧) Sami : Op . Cit . P 21 .

ويجدر بنا أن نتساءل عن موقف الخان تغلق تيمور من تأييد الأمراء له؟ الواضح أن تغلق تيمور كان قد قرر عند قدومه منطقة ماوراء النهر وضع حل جذري لكافة الاضطرابات والمنازعات التي كانت سائدة في المنطقة وتقليم أظافر من كان يقوم باثارتها ، لذلك لم يلتفت الى الأمراء الذين قدموا خضوعهم له فقبض على بايزيد وقتله (١) ، وأمر بقتل بيان سلدوز ، وعندما علم حاجي برلاس بمقتل الأميرين السابقين خشي على نفسه وتوجه الى كش ومنها الى خراسان ومعه أسرته وأهالي بلدته ، ولما وصل حاجي برلاس بالقرب من سبزوار هجم عليه جمع من الأشرار وقتلوه (٢) •

وقام تغلق تيمور بقتل جميع الجماعات المفسدة والمخربة (٣) ، وطلب من تيمورلنك أن يحضر اليه (٤) ، وعند مقابلته له انعم عليه بولاية كش للمرة الثانية (٥) •

ط - توجه تغلق تيمور للقضاء على الأمير حسين بن قزغن •

قرر الخان تغلق تيمور القضاء على الأمير حسين قزغن حاكم حصار شادمان آنذاك وتلاقى الجيشان عند شاطئ آن وَكْش (٦) • وفي اليوم الأول للحرب

---

(١) Sami . Op . Cit . P . 21 .
خواندامير : حبيب السير ، ٦/٣/٣ •

(٢) Sami . Op . Cit . 21 .
Grousset . the empire of the steppes . P . 410 .

(٣) Sami . Op . Cit . P . 22 .

(٤) يذكر رضا بازوكي في كتابه تاريخ ايران ، ص ٨٥ ، أن تيمورلنك تمكن من كسب عطف وعفو الخان تغلق تيمور بواسطة شفاعة أحد أصدقاء والده •

(٥) Sami : Op . Cit . P . 22 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٥٩/١ •

(٦) هو من روافد نهر جيحون وكان يعتبر في الأزمنة القديمة عمودا له ، أما الجغرافيون المسلمون فاعتبروا عمود جيحون هو نهر جرياب المعروف حاليا باسم نهر بنج •

كي لسترنج : بدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٧٨ •
ف• بارتولد : تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ص ١٤٦ •

انفصل الأمير كيخسرو ختلاني بأتباعه عن حسين ، وانضموا الى جيش تغلق تيمور، وأدى ذلك الى حدوث الفوضى والارتباك في جيش الأمير حسين فلم ير فائـــده من استمرار الحرب وفضل الهرب ناجيا بنفسه (١) وهجم جند تغلق تيمور على حـــدود " قندز (٢) وبغلان (٣) " .

ى - عودة تغلق تيمور الى عاصمته للمرة الثانية :

بعد استيلاء تغلق تيمور على بلاد ماوراءالنهر أصبحت بكاملها تحت حكمه من جديد (٤) ، وقام تغلق تيمور بتعيين ابنه الياس خواجه حاكما عليها نيابـــة عنه (٥) ، وترك معه جيشا كبيرا من قبائل الجته (٦) بقيادة بيكيجيك (٧) ، واحـــاط تيمورلنك بعنايته واكرامه (٨) وجعله ملازما لابنه الياس خواجه بصفة مستمـــرة .

---

(١) Sami . Op . Cit . P . 22 .
اليزدى : ظفرنامه ، ٥٨/١ .

(٢) لم يذكرها ياقوت الحموى ولاغيره من البلدانيين الأوليين ، وقد يكـــون اسمها مختصر من قهندز اللفظة الفارسية الدارجة للقلعة وقد تكــــون قندز هي القلعة القديمة لمدينة رواليز التي تقع على مرحلتين من شرق مدينة خلم الواقعة شرق بلخ .
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٧٠ .
بارتولد : تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ص ١٤٨.

(٣) بَغْلاَن أو بَغَّلاَن كما يذكرها اليزدي قرية من قرى طخارستان لاتزال موجودة الى اليوم وتحمل نفس هذا الاسم ، وكانت تتاخم طريق أندراب .
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٦٩ .
بارتولد : تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ص ١٤٩.

(٤) اليزدى : ظفر نامه ، ٥٩/١ .
Sami . Op . Cit . P . 22 .

(٥) اليزدى : المصدر السابق ، ٥٩/١ .
Sami . Op . Cit . P . 22 .
خواندامير : حبيب السير ، ٦١/٣/٣ .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ترجمة د/محمد علاء الدين ، ص ٥٩٢ .

(٦) عرف ارمنيوس فامبرى هذه الكلمة بأنها علم كان يعـــرف به كل عرق كان يقطن حدود منغوليا ، ولم يبق منهم اليوم الا البروت . ولايـــزال هؤلاء المغول يعرفون حتى اليوم في آسيا الوسطى باسم جته مغول أو مغـــول الحدود ، نسبة الى كلمة جت التركية بمعنى الحد . أما بارتولد فيذكر أن هذه الكلمة كانت تعنى الصعاليك وقطاع الطرق كما أنها تطلق علـــى جماعات البدو التي تخرج على النظام السياسي السائد .
تاريخ بخاري : ص ٢٠٨ .
تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ١٢٩ .

(٧) خواندامير : حبيب السير ، ٦/٣/٣ .
Sami . Op . Cit . P . 22 .

(٨) اليزدى : المصدر السابق ، ٦٠/١ .
Sami . Op . Cit . P . 22 .

ويقول تيمورلنك : [[أنه عندما أغار تغلق تيمور مرة أخرى على ماوراء النهر نقض العهد واسترد مني حكومة ماوراء النهر ، وأعطاها لابنه الياس ، وجعلني قائد جيشه ومستشاره ، فوافقت على منصب قيادة الجيش بعد أن أطلعني على المعاهدة التي تمت بين قاجولي " قجولاى " بهادر الجد الأعلى لتيمورلنك وأبناء جنكيز خان]] (١) • واضطر تيمورلنك الى قبول هذه الاجراءات التي قام بها تغلق تيمور ، ولكنه كان يستنكر ذلك حيث كان يرغب في أن يكون سيد المنطقة لا أن يكون بمثابة المؤدب والمستشار لالياس خواجه ، كما أنه لم يرض أن يكون مجرد حاكم عسكرى بدون أية قوة فعلية لأن الخان تغلق تيمور قد ترك قوة كبيرة من قبائل الجته لحماية ابنه الياس خواجه وهؤلاء لايكنون أى ود لتيمورلنك ، كما أنهم كانوا يرتكبون من الأفعال السيئة ضد الأهالى مادفع تيمورلنك لمناهضتهم ومحاربتهم فيما بعد •

وهكذا يمكن القول أن المنازعات بين الأمراء في منطقة ماوراء النهر في تلك الفترة كانت من بين العوامل التي مهدت الطريق لظهور ونجاح تيمورلنك المبكر •

---

(١) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٢٤ • وانظر :
بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان • القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ٢ •
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٢٧ - ٢٨ •

الفصل الثاني

المصاعب التي واجهت تيمورلنك وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول

حروب تيمورلنك مع الياس خواجه والتغلب عليه

المبحث الثاني

توتر العلاقة بين تيمورلنك وحسين بن قزغن أخى زوجته سنة ٧٦٧ - ٧٧١هـ / ١٣٦٥ - ١٣٦٩م .

المبحث الثالث

حروب تيمورلنك ضد قبائل الجته بزعامة الأمير قمر الدين والانتصار عليهم سنة ٧٧٢ - ٧٧٨هـ/١٣٧٠ - ١٣٧٦م

المبحث الأول

حروب تيمورلنك مع الياس خواجه والتغلب عليه

أولا : أسباب النزاع بين تيمورلنك والياس خواجه .

ثانيا : المصاعب التى واجهت تيمورلنك قبل محاربته الياس خواجه .

محاربة تيمورلنك للأمير تكل بهادر .

مهاجمة التركمان لتيمورلنك .

غدر الأمير على بك بتيمورلنك .

موقف تيمورلنك من حاكم سجستان .

ثالثا : بداية الصدام مع جيش الياس خواجه .

رابعا : معركة جسر سِنْكِين " بيول سنكين " .

خامسا : معركة قبى متن .

سادسا : عودة الياس خواجه لمحاربة تيمورلنك .

والانتصار عليه سنة ٧٦٦ ﻫ - ١٣٦٥ م .

توجه جيش الياس خواجه الى سمرقند وهزيمته

سنة ٧٦٦ﻫ - ١٣٦٥/١٣٦٦م .

حروب تيمورلنك مع الياس خواجه والتغلب عليه :

أولا : أسباب النزاع بين تيمورلنك والياس خواجه .

عندما تمكن الخان تغلق تيمور من السيطرة على بلاد ماوراء النهر سنة ٧٦٣ هـ - ١٣٦١م عين ابنه الياس خواجه حاكما على ولايات هذه المنطقة (١) ، وأمده بجيش يقوده قائد يسمى بيكيجيك (٢) وجعل تيمورلنك مستشارا وقائدا لابنه الياس (٣) .

وكان تيمورلنك يعتقد أن الخان سوف يترك له حكم بلاد ماوراء النهر كما فعل معه في حملته الأولى على تلك البلاد ، وعندما لم يفعل ذلك غضب تيمورلنك منه لأنه لم يرغب أن تقتصر مكانته في المنطقة على وظيفة مستشار ومؤدب لالياس خواجه ، بل كان يطمع في أن يكون المسئول من المنطقة ، كذلك رأى تيمورلنك نفسه مقيدا بهذا المنصب وأنه أصبح تابعا لالياس وقائد جيشه الذي كان يسيطر على كافة الأمور .

ومهما يكن الأمر فان تيمورلنك لم تكن لديه المقدره على مواجهة جيش الياس القوى ، لذلك رضى بالأمر الواقع وهو له كاره .

ولم يطل انتظار تيمورلنك طويلا لاعلان تضجره ، فقد حدثت بعض الأعمال السيئة من قبل قائد وجند الياس كان لها أكبر الأثر في مضايقته ، مما جعله يعلن عصيانه وعدم رضاه عن الأعمال التعسفيه التي كان يقوم بها الياس في المنطقة وكان من أهم تلك الأفعال والتصرفات التعسفية :

تمادى ظلم قائد وجند الياس خواجه لأهالى سمرقند وتعذيبهم (٤) .

---

(١) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٢٤
Sami : Op . Cit . P . 22 .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٥ .

(٢) Sami : Op . Cit . P . 22 .
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٤٠

(٣) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٢٢ .
خواندامير : حبيب السير ، ٨/٣/٣ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٥ .

(٤) رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٥ .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٩٣ .
الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ص ٢٠٠

تعدى الجند على ممتلكات وأموال المسلمين بصورة بشعة للغاية واشاعة التخريب والتدمير في كل أرجاء المدينة (١) .

الاعتداء على علماء الدين واراقة دماء الأهالى بدون سبب .

اختطاف المواطنين البارزين ومطالبتهم بتقديم فدية لاطلاقهم واجبارهم على الاعتراف بأماكن الأموال المخبأة لديهم (٢) .

اختطاف النساء وبيعهن كالجوارى كما أنهم قاموا بارسال بعضهن الى أمراء المغول مدعين أنهن سبايا حرب (٣) .

وأدت تلك الأفعال السيئة الى تضجر الأهالي وقلقهم ، كما أن علماء الدين فزعوا من تلك الأعمال الوحشية وأصدروا فتوى تحرض على دفع وطرد طائفة الجتة من البلاد ، وقد أيد الأمراء والأهالى هذه الفتوى التي كانت تنص على ان " أهل الاسلام من مشائخ وعلماء وجنود ورعية قرروا تنصيب قطب الاسلام الأمير تيمورلنك أيده الله على البلاد كي يجاهد بالأموال في دفع وقرع طائفة الجته الذين تطاولوا على أهالي البلد بظلمهم وتعديهم على أموال وممتلكات المسلمين ، ونحن صادقون في عهدنا وبيعتنا واذا تصرفنا على خلاف العهد والميثاق نكون قد خرجنا من حول وقوة الله الى حول الشيطان وقوته " (٤) .

والواقع أن تيمورلنك كان في حاجة الى تأييد من العلماء والأمراء والأهالى ، وسر تيمورلنك من موقفهم تجاهه ، لذلك أبلغ الأمير الياس خواجه عن تضجره من الأعمال التي يقوم بها قائده وجنده ، وطلب منه ردعهم ومنعهم من التعدي على الرعية ورد الفتيات الاسيرات الى بيوتهن ، غير أنه لم يجد من الياس خواجه أية اجابة لمطالبه ، وذلك لعجزه عن اتخاذ أى قرار ضد قائد جيشه (٥) ، حينئذ توجه تيمورلنك ومعه مجموعة من أتباعه في اثر القافلة التى

---

(١) تيمور : تزوكات ، ص ٣٠ .

(٢) تيمور : تزوكات ، ص ٢٦ .
Grousset : Op . Cit . 418 .

(٣) هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٤٠
(٤) تيمور : تزوكات ، ص ٢٨ - ٣٠ .
(٥) تيمور : تزوكات ، ص ٤٠ .

تحمل الفتيات وتمكن من قتل حراسها واطلاق سراح الأسيرات (١) ، كما أن تيمورلنك نجح في مهاجمة الجغتائيين [الجته] وتخليص سبعين رجلا من السجناء البارزين ، فخلص بذلك المظلومين من أيدى الظالمين (٢) •

ولاشك أن هذا الموقف من تيمورلنك تجاه الياس خواجه وجنده قد أثار غضبهم ، فقاموا بارسال الرسائل الى تغلق تيمور يخبرونه أن تيمورلنك شق عصا الطاعة وأنه على وشك الخروج على السلطان ، وقد نجحت هذه الوشاية في اثارة الخان تغلق الذي أصدر أمره باعدام تيمورلنك وقتله (٣) •

ويقول تيمورلنك في تزوكاته [[وفكرت مليا في أمر قتلي ودبرت لعلاج ذلك أن أجمع شباب بهادر ألوس برلاس حولي وأجعلهم على وفاق معي وكان أول من بايعنى ايكوتيمور (٤) والثاني أمير جاكوبرلاس (٥) ، واختار سائر الأبطال الولاء لي قلبا وقالبا (٦)]] •

ومن هنا رأى تيمورلنك أنه من الأفضل له أن يترك البلاد ويتوجه الى الصحراء ، وكان معه يومئذ زوجته ونحو عشرين من رجاله ، وحملوا معهم كل ماخف حمله ، ولاذوا بالفرار من وجه الجته (٧) • وبخروج تيمورلنك من بلاد ماوراء

---

(١) هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٤٠ •

(٢) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٢٦ - ٣٠ •
Prawdin : Op Cit . P . 421 .

(٣) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٢٨ •

(٤) كان واحدا من أشهر القاده في جيش تيمورلنك ومن اعوانه المخلصين ، وقد شارك في معظم حروب تيمورلنك وكان مضربا للشجاعه •

تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٢٨ •

(٥) كان من أهم أعوان تيمورلنك ، وكان تيمورلنك يأخذ برأية واستشارته في كثير من الأمور الحربية ، كما أنه كان له موقف بارز في بداية ظهور تيمورلنك وذلك عندما بدأ تحرش حسين بن قزغن بتيمورلنك فكان جاكو أول المتقدمين الى تيمورلنك وبيمناه القران وبيسراه سيف : قائلا لقد اقسمنا على المضى معك وهذا هو المصحف الذي أقسمنا عليه وهذا سيف فاذا نحن لم نطعك ، فاضرب به أعناقنا •

(٦) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٢٨ •
Prawdin : Op . Cit . P . 422 .

(٧) اليزدي : ظفرنامه ، ٦١/١ •

النهر ترك الحبل على غاربه لالياس خواجه وجنده ٠

والواقع أن خروج تيمورلنك لم يكن خروجا نهائيا انما كان خروجا مؤقتا حيث كان يرغب قبل مقابلة خصمه في جمع أكبر عدد من الأعوان ومحاولة اقتناص الفرصة المناسبة لمجابهة الياس واستعادة البلاد من جديد ٠

ثانيا : المصاعب التي واجهت تيمورلنك قبل محاربة الياس خواجه ٠

لقد تمكن تيمورلنك من التغلب على المصاعب التي واجهته قبل محاربته لالياس ٠ وكان من أهمها :

أ - محاربة تيمورلنك للأمير تكل بهادر :

خرج تيمورلنك من سمرقند الى بذخشان يطلب العون من حكامها ، فنصحه الشيخ كلال (١) أن يتوجه الى خوارزم ، وكان مع تيمورلنك حينذاك من الرجال ستون رجلا ، وكان في مقدمتهم الأمير حسين بن قزغن (٢) وقد اتفق الأميران على الثبات ضد الياس خواجه ٠

ويذكر المؤرخون أنه عندما علم الأمير الياس خواجه بتوجه تيمورلنك الى خُوارزم (٣) بعث الى تكل بهادر حاكم خيوق (٤) يطالبه بالهجوم على تيمورلنك والقبض عليه (٥) ٠ وحاول تكل بهادر تنفيذ ماطلبه الياس خواجه ، ونشبت معركة

---

(١) كان تيمورلنك يحرص على استشارة الشيخ كلال والأخذ برأية وهو أحد علماء بلاد ماوراء النهر ، وقد نصح الشيخ تيمورلنك بالتوجه الى خوارزم وطلب المساعدة من حكامها ، وقد وعده تيمورلنك أن يعطيه مبلغا كبيرا من المال ان انتصر على خصمه ٠
انظر : تيمور : تزوكات ، ص ٣٢ ٠

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٢/١ ٠

(٣) خُوارزم : اسم لناحية كبيرة عظيمة ، قصبتها الجرجانية وأهلها يسمونها كركانج وهي ولاية متصلة العمارة ، متقاربة القرى وأكثر ضياعها مدن ذات أسواق وهي على جيحون ٠
الاصطخرى : أبواسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦هـ) ٠
مسالك الممالك ، نسخه مصورة عن طبعة ليدن ، بريل ، ١٩٦٧م ، ص ٢٩٩٠
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٣٩٥/٢ - ٣٩٨ ٠

(٤) خيوق أو خيوه : بلد من نواحي خوارزم وحصن ، بينهما نحو خمسة عشر فرسخا ، وأهلها شافعية ، دون جميع بلاد خوارزم فانها كلها حنفية معتزلة ، انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٤١٥/٢ ٠

(٥) تيمور : تزوكات ، ص ٣٤ ٠

بين الطرفين انتهت بانتصار تيمورلنك ، وتمكن الأمير حسين بن قزغن من الاجهاز على تكل بهادر (١) وابيدت قواته التي كان يبلغ عددها ألف مقاتل ، ولم يبق منها سوى أقل من خمسين مقاتلا (٢) .

ب - مهاجمة التركمان لتيمورلنك :

بعد قضاء تيمورلنك على تكل بهادر لم يبق معه سوى سبعة من الرجال وأربعة من الجياد ، فساءت أحواله بشدة ولكنه بعزيمته القوية تغلب على تلك الظروف الصعبة .

تعرض تيمورلنك لهجوم جمع من التركمان الذين اعتقدوا أنه ومن معه لصوص جاءوا ليسرقوهم فيجب القبض عليهم ولم ينقذه وجماعته من أيديهم سوى زعيم التركمان " حاجي محمد " الذي عرفه وكان قد سبق أن زار سمرقند ، وتعرف على تيمورلنك فأمر أتباعه بعدم التعرض له ، وطلب منه السماح والعفو ، وبذلك نجا تيمورلنك ومن معه من قتل محقق ، كما أن التركمانيين أحسنوا ضيافتهم وزودوهم بالطعام والرجال (٣) ، ويقال أن تيمورلنك قدم اليهم جوهرتين وياقوته عرفانا بفضلهم (٤) .

ج - غدر الأمير علي بك بتيمورلنك :

عندما علم الأمير علي بك بن أرغون جون غرباني " قرباني " حاكم مرو (٥)

---

(١) رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٥ .
(٢) تيمور : تزوكات ، ص ٣٤ .
Sami : Op . Cit . P . 22 .

(٣) تيمور : تزوكات ، ص ٣٨ .
Sami : Op . Cit . P . 23 .
Prawdin : Op . Cit . P . 423 .

(٤) Sami : Op . Cit . P . 23 .
(٥) مَرْو : أشهر مدن خراسان وقصبتها وهى العظمى بينها وبين نيسابور سبعون فرسخا والى سرخس ثلاثون فرسخا وبها نهر الرزيق والشاهجان وهما نهران كبيران يخترقان شوارعها ، ومنها يسقى أكثر ضياعها وهى أرض مستوية بعيده عن الجبال ولايرى منها جبل ، وأرضها سبخة كثيرة الرمال.
الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص٢٥٨ .
ياقوت الحموى: معجم البلدان ٥/١١٢ - ١١٦ .

أن تيمورلنك ينزل في موضع يسمى محمودى (١) ، فأرسل ستين رجلا للقبض عليه وأخذ كل مايمتلكه من المال والمجوهرات (٢) ، فتمكنوا من القبض عليه وأسره وحمله الى ماجان (٣) ، وحبسه في اسطبل للماشية ووضعوا حراسا حوله لمنعه من الهرب (٤) ٠

وعندما علم محمد بيك الأخ الأكبر لعلي بيك بهذه الواقعة أرسل من طوس (٥) الهدايا الثمينة الى تيمورلنك ، وارسل الى أخيه يلومه على فعلته السيئة وطلب منه الافراج عن تيمورلنك ونصحه بعدم التدخل بين مغول الخان وتيمورلنك (٦) فاطلق علي بيك سراح تيمورلنك بعد ما استحوذ على هداياه (٧) ومنحه جوادا ضعيفا هزيلا (٨) ٠

---

(١) لم أقف على تعريف لهذا الموضع بين المعاجم الجغرافية التي بين يدي٠

(٢) اليزدى : ظفرنامه ، ٦٧/١ ٠

(٣) يسمى اليزدي هذا الموضع ماخان ولعله تصحيف النساخ لاسم خان وكان يطلق على الربض الغربي العظيم في مرو ٠

كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٤٥ ٠

(٤) تيمور : المصدر السابق ، ص ٣٦ ٠
اليزدي : ظفرنامه ، ٦٧/١ ٠
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ ٠

(٥) طُوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ تشتمل على بلدتين يقال لأحدهما الطابران وللأخرى نوقان ، ولهما أكثر من ألف قرية وبها قبر هارون الرشيد ٠

ابن عبدالحق : مراصد الاطلاع ، ٨٩٧/٢ ٠
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص٤٣٠ ، ٤٣١ ٠

(٦) اليزدى : ظفرنامه ، ٦٨/١٢ ٠
خواند امير : حبيب السير ، ٦/٣/٣ ٠

(٧) يذكر تيمورلنك في تزوكاته صفحة ٣٦ " وشاورت نفسي وآزرني التأييد الالهى واستللت سيفا من أحد الحراس وهجمت على الحراس ثم ذهبت الى علي بيك ووقفت أمامه وندم على عمله غير اللائق معي واعتذر لي " ٠

(٨) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٣٦ ٠
اليزدي : ظفرنامه ٦٨/١ ٠
خواند امير : المصدر السابق ، ص ١٨٥

د - موقف تيمورلنك من حاكم سجستان :

رأى تيمورلنك أن حياة التشرد والتنقل في الصحراء لاتحقق أهدافه ومطامحه كما رأى أنه لايستطيع مواجهة مغول الجته وهو في هذا الوضع من قلة الرجال والزاد ، ففضل التوجه صوب خراسان ، وفي الطريق انضم اليه حاكم ماجان الأمير مبارك شاه سنجرى وكان معه مائة فارس ، كما التحق به جماعة من السادات والأهالي فأصبح في صحبته مايقارب المئتين من الفرسان والمشاة (١) .

وعندما رأى تيمورلنك تحسن وضعه توجه الى سمرقند ليستميل أهلها وقبائلها الذين لايزالون على ولائهم له ، وطلب تيمورلنك من جنده أن يختبئوا عند حدود بخارى ، ونجح في ضم مايقارب الألفين من أهالي سمرقند الى صفه وطلب منهم أن يلتحقوا به اذا بدأت محاربته لالياس خواجه (٢) ، واستمر تيمورلنك في تدبير أموره بسمرقند دون علم الياس ورجاله ثمانية وأربعين يوما ، حتى اطلع بعض أعوان الجته على سره ، حينئذ فضل تيمورلنك الخروج من سمرقند وتوجه صوب خوارزم (٣) . وأخذ الانصار يتوافدون عليه حتى بلغ عددهم ألف فارس ، وكانوا من قبائل مختلفة ولكن أغلبهم كانوا من قبيلة برلاس (٤) .

سار تيمورلنك وأعوانه جنوبا عبر جيحون متجها الى جبال أفغانستان حيث كان ينتظره الأمير حسين بن قزغن في كابل (٥) . وجاءتهما الفرصة عندما استنجد والي سجستان جلال الدين محمود الكياني (٦) بهما حيث قال لتيمورلنك : " أن عددا من أعدائي قد ظلموني وسيطروا على مملكتي بقلاعها فلو طردت

---

(١) تيمور : تزوكات ، ص ٤٠ .
(٢) تيمور : المصدر السابق ، ص ٤٢

(٣) تيمور : المصدر السابق ، ص ٤٢
Prawdin : Op . Cit . P . 426

(٤) هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٤٣ .
Prawdin : Op . Cit . P . 426 .

(٥) كابل : وهي من ثغور طخارستان (هي عاصمة افغانستان). ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١١٤١/٣ .

(٦) لم أعثر على ترجمة له في المصادر التي بين يدي .

أعدائي من مملكتي سوف أرسل لجيشك رواتب ستة أشهر "[١] فوافق الأميران على مساعدته ، وقد رأيا في هذا الطلب سبيلا للعودة الى الحرب والقتال وطريقا قد يوصلهما الى السيطرة على البلاد ، فخرجا صوب سجستان ومعهما ألف جندي[٢] ، واستقبلهما والى سجستان ووعدهما أن يعطيهما مبلغا من المال والجواهر ان تمكنوا من القضاء على أعدائه[٣] .

وتمكن تيمورلنك ورفيقه من تحقيق نصر على الثوار ، ولكن هذا النجاح لم يرض والى سجستان حيث تملكه الخوف واتحد مع أعدائه الثوار واستشارهم قائلا : [[لو أقام تيمورلنك في تلك البلاد سوف يضيع منا ملك سجستان ، فجمعوا كافة جندهم وتقدموا صوبي ، ولما رأيت أن والي سجستان لم يف بوعده اضطررت الى مقاتلتهم فأصاب ساعدي سهم وقدمي سهم آخر ، ولكن انتصرت عليهم في النهاية]][٤] .

ثالثا : بداية الصدام مع جيش الياس خواجه :

بعد شفاء تيمورلنك من اصابته رأى أن يضع نهاية لتواجد جيش الياس خواجه في بلاد ماوراء النهر ، وذلك يحتاج منه الى جهد وكفاح مريرين . فأرسل الى الأمير حسين بن قزغن يعلمه بشفائه ويطلب منه أن يتفقا معا على خطة لمواجهة عدوهما المشترك الياس خواجه وأن يقابله عند مكان يسمى أرصوق[٥] .

---

(١) تزوكات تيمور ، ص ٤٦ .

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٧٢/١ .
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٤٤ .

(٣) انظر اليزدي : ظفرنامه ، ٧٢/١ .
رضا بازوكي : تاريخ ايران ، ص ١٨٥ .

(٤) تزوكات تيمور ، ص ٤٦ .
رضا بازوكي : تاريخ ايران ، ص ١٨٥ .
Prawdin : Op . Cit . P . 427 .

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٧٥/١ .

توجه الحليفان لتأديب الأمير منكلى بوغا سلدرز الذي كان يعاديهما ويعمل ضدهما مع الياس خواجه (١) •

ويذكر تيمورلنك أن هذا الأمير تخاذل عن مقابلتهما وفضل الهرب (٢) • ثم وقعت بعض المناوشات مع طلائع جيش الياس خواجه من الجته الذي يقوده بعض أمرائه وكان عدده قرابة ستة آلاف مقاتل (٣) •

أما تيمورلنك فقد وضع خطة لمواجهة الجته والتفوق عليهم حيث قسم جيشه الى سبعة أفواج وعندما اشتعلت ثائرة القتال واشتد وطيسه أمر أفواج المقدمة بالانزواء كي يمطروا الأعداء بالسهام وكان القتال بين الطرفين شديدا انتهى بانتصار تيمورلنك (٤) • ثم توجه بعدئذ للاستيلاء على قلعة قهلغة (٥) ولما علم الأمير الياس خواجه بانتصار تيمورلنك وحسين أرسل لمحاربتهما جيشا آخر بقيادة ألجون بهادر شقيق بيكيجيك (٦) •

وفي مواجهة الجته وقف تيمورلنك بجيشه دون قتال قرابة شهر ، فضل بعدها جيش الجته التراجع عن القتال ، وقام تيمورلنك بارسال فوج من رجاله

---

(١) يذكر تيمورلنك في تزوكاته صفحة ٥٤ – ٥٦ قائلا : وقررت أن استولى على قلعة أولاجو وكان عليها منكلى بوغا سلدوز من قبل الياس خواجه فتوجهت نحوها وكان شير بهرام على معرفة به منذ فترة بعيدة ، والتمس منى أن يذهب الى منكلى لاستمالته وعندما ذهب الى شيرام بالقرب من القلعة أرسل لي مكتوبا يقول فيه " ان منكلى قال طالما أن الياس خواجه سلمه هذه القلعة فانه ليس من الرجولة والمروءة أن يسلمها لغيره ورفض تسليم القلعة "

(٢) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٥٦ •
اليزدي : ظفرنامه ، ١/٧٦ •

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ١/٧٨ •

(٤) تيمور ، تزوكات ، ص ٥٦٢ •
اليزدي : ظفرنامه ، ١/٨٠ •

(٥) اشتهرت باسمها الفارسي درنبد أهينن ، وذكرها اليزدي قهلغة ، على أنه لم يأتنا بوصف لهذا الموضع ، وقد قطع هذا المضيق كلافيجو السفير الأسباني الى بلاط تيمورلنك سنة ١٤٠٥م قال : ان هذا المضيق كأنه قدته يد الانسان ، وتسمق الجبال على جانبيه الى علو شاهق ، والدرب فيه ممهد ، وفي وسط الدرب قرية يرتفع الجبل وراءها الى علو عظيم ، ويقال لهذا الدرب ابواب الحديد •

(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ١/٨١ •

لتعقبهم ، وفي هذا الخضم من الاستعداد والانتصار لمواجهة جيش الجته الرئيسي حضر جيش الأمير حسين لمؤازرة تيمورلنك وقد استقر رأيهما على أن يتوجها الى بذخشان فاستعد ملوك بذخشان لقتاله ، فسارع تيمورلنك في تحركه متجها الى طالقان لمواجهتهم قبل أن يتمكنوا من جمع قواتهم وجيوشهم (١) ، وعندما علم ملوك بذخشان بوصول جيش تيمورلنك فضلوا الصلح معه والدخول في طاعته (٢) .

رابعا : معركة جسر سنكين " يول سنكين " (٣) .

استعد تيمورلنك لمواجهة جيش الياس خواجه وبعث الجواسيس لمعرفة قدراته واستعداده ، فعلم أن هناك جيشا كبيرا قادما لمحاربته وانه بقيادة " توغلق سلدوز وكيخسرو ختلانى " وعدد من أمراء قبائل الجته ، كما علم تيمورلنك باجتماع أمراء هزارة ومعهم مايقارب العشرين ألف فارس (٤) (٥) . وقد سيطروا على الطريق من سرجال حتي يول سنكين (٦) ، وكان هذا الجيش ابان تحركاته

---

(١) طالقان : بعد الألف لام مفتوحه ، بلدتان احداهما بخراسان ، بين مرو الروذ وبلخ ، أكبر مدينة بخراسان طالقان ، والأخرى كورة وبلدة بين قزوين وأبهر .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٦/٤ .
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٨٧٦/٢ .
القلقشندى : صبح الأعشى ، ٣٩٥/٤ .

(٢) تيمور : تزوكات ، ص ٦٨ .
اليزدي : ظفرنامه ، ٨٢/١ ، ٨٣

(٣) المقصود بهذا الموضع قنطرة الحجارة المشهورة التي على نهر وخشاب أكبر روافد جيحون وأشار علي اليزدي الى القنطرة وسماها باسمها الفارسي " يول سنكين " وباسمها التركي " تاش كويرك "وقد وصف الرحالون قنطرة الحجارة أن طولها لايزيد على عشر خطوات وهي معلقة على صخرتين ويجرى نهر سرخاب تحتها وقد انحصر بين جبلين عاليين قائمي الانحدار لاتتجاوز الفجوة التى يمر النهر بينهما ، ثلاثين خطوة.
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٨٢ .

(٤) اليزدى : ظفرنامه ، ٨٣/١ .

(٥) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٧٠ .
خواندامير : حبيب السير ، ٧/٣/٣ .
Prawdin : Op . Cit . P . 428 .

(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ٨٣/١ .

بنشر الرعب بين الأهالي ويسلب أموالهم ، وقد حزن تيمورلنك عندما سمع ذلك وأشفق على ماكان يعانيه أهالي سمرقند منهم ، وصمم على مواجهة جيش الياس [الجته] (١) على الرغم من قلة رجاله وعدم تكافؤ قوته مع قوة الياس التي تفوقه عددا وعدة ومؤنة ·

ويذكر المؤرخون أن عدد جيش تيمورلنك لم يتجاوز ستة آلاف (٢) · وقد شجعهم ذلك على مضاعفة الجهد لمواجهة أعدائهم ، وتمكنوا من اجبارهم على التراجع منهزمين حتى رأس جسر سنكين الذي كان ينزل فيه الأمير الياس خواجه (٣) ·

ثم تقدم تيمورلنك بعد ذلك لمواجهة جيش الجته والتقى الطرفان عند شاطئ سنكين ودار قتال عنيف بين الجيشين أدرك خلاله تيمورلنك أنه ليس من الحكمة الاستمرار على هذا الحال لمواجهة الأعداء وهزيمتهم (٤) لذلك قام بوضع خطة أخرى يخدع بها جيش الياس ، وكانت تعتمد على ترك خمسمائة جندي مع بعض الأمراء (٥) على يول سنكين في مواجهة قوات الياس (٦) ، ويتوجه هو بنفسه مع ألف وخمسمائة من رجاله الى ميدان أسن ثم يعبرون النهر ليلا · حيث تمكنوا من الوصول الى الجبل المشرف على جيش الياس ، فأصبح جيش الجته خلفهم وقد أصابهم الخوف والقلق عندما علموا بعبور تيمورلنك (٧) ·

لذلك أرغم تيمورلنك عدوه على التراجع فانضمت أعداد كبيرة من الأهالي الى صفه وهم يهتفون بنصره (٨) · ومع ذلك لم يتعقب تيمورلنك جيش الياس ، بل

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٨٣/١ ·
محمد قياض : تيمورلنك ، ص ٣٦ ·
(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٨٣/١ ·
خواندامير : حبيب السير ، ٧/٣/٣ ·
(٣) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٧٦ ·
(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٨٤/١ ·

(٥) كان هؤلاء الأمراء الذين تركهم تيمورلنك على جسر يول سنكين : موسى ، ومؤيد آرلات ، وأوج قرابهادر وكانوا من أعوانه المخلصين ·
انظر : خواندامير : حبيب السير ، ٧/٣/٣ ·

(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ٨٥/١ ·
خواندامير : حبيب السير ، ٧/٣/٣ ·

(٧) تيمور : تزوكات تيمورلنك ، ص ٧٨ ·
(٨) هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٤٩ ·

طلب من جنده الانتظار حتى يتعرف على وجهة انسحابهم وقد تراجعوا مسافة أربعة فراسخ ، وكان هدفهم من ذلك ارغام تيمورلنك على ترك موقعه والاشتباك معهم في القتال وجها لوجه •

خامسا : معركة قبي - متن (١) •

وعلى الرغم من هرب جيش الجته وتراجعهم الا أن تيمورلنك كان يدرك أنه سوف يعود لمحاربته خاصة اذا علموا بقلة عدد رجاله واكتشافهم لخدعته ، لذلك خرج بصحبة ألفي جندي الى قهلغة ، وأخذ أهالي كش ينضمون اليه ، ثم انتخب تيمورلنك من جنوده المرافقين له ستمائة فارس واصطحبهم معه وأمر مئتين منهم بالتوجه الى كش بصحبة بعض امرائه وطلب منهم أن يقسموا جيشهم الى أربعة أقسام وأن يربط كل فارس على جانبي جواده غصنين من أغصان الأشجار المورقه فيظن والى المدينة ان جيش تيمورلنك عدده كبير ، ونجحت هذه الخطة واضطر والى المدينة الى الهرب داخلها (٢) •

ثم رتب تيمورلنك والأمير حسين صفوفهما لمواجهة الياس فوقف حسين على الميمنه وتيمورلنك على الميسره وتأهبا لمواجهة الياس وجيشه ، الذي كان يعسكر في تاش اريقى ، على بعد أربعة فراسخ من كش • وتلاقى الجيشان عند مكان يسمى قبى – متن ، وتحقق النصر لتيمورلنك على الرغم من قلة عدد رجاله اذا قورنوا بمن كان مع الياس من أعداد كبيرة وأسلحة متنوعة •

ويذكر البعض أن الياس خواجه والأمير بيكيجيك وعددا من الأمراء وقعوا في أسر تيمورلنك ، الا أن الرجال الذين أسروهم أطلقوا سراح الياس حين علموا به وأبقوا على الأسرى الأخرين (٣) ، ويقال ان تيمورلنك أطلق سراح بيكيجيك •

---

(١) قبي متن : تقع على بعد ٢٤ كيلو متر من كش بين كش وسمرقند •

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٨٧/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ٨/٣/٣ •

(٣) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٨٢ •
اليزدي : ظفرنامه ، ٩٠/١ •

وقد عمل ذلك ثقه منه أن مثل هذه السياسة قد تفيده وتجلب له عددا كبيرا من الأنصار والأعوان ٠

وكان لهذا الانتصار آثار ايجابية جعلته يستعيد بلاد ماوراء النهر من حكم الياس خواجه وان يجدد الثقة في نفسه ليكون سيد المنطقة ٠

ونستطيع أن نعزو أسباب انتصار تيمورلنك على الياس خواجه الى مايلى:

التخطيط السليم من قبل تيمورلنك ورجاله ، حيث كانوا يختارون الزمن والمكان المناسبين للهجوم على خصمهم ، وكان تيمورلنك يتوخى قبل خوضه للمعارك الحكمة والتأنى في تخطيطه لذلك كانت تحركاته مدروسة ، كما أن تيمورلنك اتخذ سياسة التعمية على خصمه ، فكان لها مردود جيد على تحركاته ٠

محاولة تيمورلنك خلق الانسجام التام بين قواته ورفع معنوياتهم واغراءهم بالأموال والهدايا والوعود الطيبة ٠ وقد نجح في جعل هؤلاء الجند ينفذون أوامره بكل دقة وعناية ، كما أن رجال تيمورلنك عرفوا باخلاصهم لسيدهم ورغبتهم في تخليص البلاد من براثن أعدائهم الجته ٠

ان جند تيمورلنك كانوا يقاتلون لهدف محددبسعون لتحقيقه وعلى العكس من ذلك كان جيش الياس الذي افتقد حسن التخطيط والاستفاده من الكثرة العددية لهم ، كما ان قادة جيش الجته قد غلب عليهم حب جمع المال وكسبه بأية وسيلة كانت ، وينقصهم التحلى بالصبر والتروى حسب مقتضيات المعركة وعدم التعجل كما حدث في حروبهم السابقة ٠

وفاة الخان تغلق تيمور وعودة ابنه الياس خواجه الى بلاده ليتولى منصب الخانية خلفا لأبيه تغلق تيمور ، وخوفا من أن يستولى على العرش أحد الطامعين ، وقد أراحت عودة الأمير الياس تيمورلنك كثيرا وأعطته فرصة أكبر لتنظيم جيشه ٠ (١)

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٨٧/١ ٠
خواندأمير : حبيب السير ٨/٣/٣ ٠
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٦ ٠

سادسا : عودة الياس خواجه لمحاربة تيمورلنك والانتصار عليه سنة ٧٦٦هـ - ١٣٦٤م .

عندما عاد الياس خواجه الى بلاده تولى الحكم خلفا لأبيه تغلق تيمور، وفكر جديا في استعادة بلاد ماوراء النهر وارجاعها الى حكمه مرة أخرى وكان تيمورلنك في الجانب الآخر يرى أنه الأحق بحكم المنطقة ، وانه يجب أن يحافظ عليها وأن يحميها من أي عدو خارجي . كما أنه كان يدرك أن الياس خواجه سوف يعود ثانية لمحاربته لذلك بعث تيمورلنك رسولا الى الأمير حسين يخبره بأن معلومات وصلته تفيد أن هناك استعدادات وترتيبات مكثفة من قبل الياس لغزو المنطقة ، وأن الأمر يتطلب منهما مواجهة العدو المشترك بكل بسالة وشجاعة حتى لايفاجئهم فأصدر الأمير حسين أوامره بأن يخرج الأمراء مع جيش كبير لينضموا الى تيمورلنك ومساعدته (١) .

وعندما وصل جيش الأمير حسين انتظمت الجموع استعدادا لمواجهة جيش الياس خواجه ، وتحركوا الى خجنده ، ومنها عبروا نهر جيحون ، والتحق الأمير حسين بالأمير تيمورلنك ، وعندما وصلوا الى شاطئ النهر كانت مقدمة جيش الياس قد اقتربت وتقدم تيمورلنك عند شاطئ بين جيناس (٢) وطشقند (٣) . ونزل جيش الياس عى الضفة الأخرى من النهر فكانت اعداده كبيرة (٤) .

ويذكر المؤرخون أن تيمورلنك قسم جيشه الى ميسرة وميمنة وقلب وكانت كل فرقة مؤلفة من قسمين قسم للقتال ، وقسم آخر يبقى احتياطيا ، لايتحرك من مكانه الا عند الحاجه اليه (٥) . وقاد الأمير حسين الميمنة وتيمورلنك الميسرة .

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ١٠٠/١
(٢) قامت مدينة جنياس في نفس المكان الذي كانت فيه مدينة اشتوركت أو شتركث أي مدينة (الجمل) وكان عليها حصن ، وينبغى أن يكون المغول قد خربوا هذه البلدة وتعتبر ثالث مدن الشاش من حيث الرقعة ، وتقع على الجانب الأخر من نهر الترك .
كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ .
بارتولد : تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ص ٢٨٥
(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ١٠١/١ .
(٤) Grousset : The Empire of the steppes . P . 412 .
(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ١٠٢/١ .
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٥١

وفي أثناء ذلك هطلت الأمطار فامتلأت أرض المعركة بالطين والمستنقعات وفاضت مياه النهر على ماحولها من الأراضي فعاقت الخيول عن التحرك السريع كما أنها حدت من تحركات الجند ومواصلة السير (١) • وعلى الرغم من ذلك فان الأميرين تيمورلنك وحسين تحملا مشقة السير وتقدما لمواجهة الياس الذي ظل في مكانه لايتحرك وحاول الياس المحافظة على اسلحته وخيوله وملابس جنده من البلل ثم قامت معركة كبيرة بين الفريقين تمكن تيمورلنك من الانتصار على ميمنة الياس فدفع ذلك الى تخوف الياس ففضل الهرب والانسحاب ومع ذلك تمكنت ميسرته من هزيمة ميمنة الأمير حسين فتغير موقف الطرفين (٢) • ففي الوقت الذي كان فيه تيمورلنك قد حقق انتصارا كبيرا على خصمه فشل في تحقيق ذلك حسين وذلك لبطء حركة جيشه واضطرابه . ولما رأى تيمورلنك ذلك هجم على خصمه من الخلف وأجبرهم على الانهزام (٣) •

رأى تيمورلنك أن انسحاب الياس من المعركة لايكفي بل يجب أن يكون انتصاره عليه حاسما ، وأنه ينبغي لجيشه ملاحقتهم واستئصال شأفتهم ، لذلك بعث تيمورلنك الى الأمير حسين وطلب منه ضم الميسرة والميمنة في صف واحد لمواجهة أعدائهم الا أن حسين لم يقبل ذلك وأساء القول لمبعوث تيمور قائلا : (أيجسر تيمورلنك أن يصدر الي أمرا أمام رجالي) (٤) •

ومع هذا عاد تيمورلنك وأرسل اليه رسولين من رجاله يطلبان منه الالتحاق سريعا بجيشه فأظهر حسين مرة أخرى غروره وقام باهانة المبعوثين وتهديدهما بالقتل • ومن هنا بدأ يظهر التنافس بين الأميرين فعندما طلب

---

(١) انظر : اليزدي : ظفرنامه ، ١٠٣/١
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٥٢
Grousset : The empire of the steppes . P . 412 .

(٢) اليزدي : ظفرنامه ١٠٤/١ •
محمد فياض : تيمورلنك ص ٣٩

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ١٠٤/١ •
ارمنيوس فامبري : تاريخ بخارى ، ص ٢١١ •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ١٠٥/١
محمد فياض : تيمورلنك ، ص ٣٩ •

حسين من تيمورلنك أن يقدم اليه رفض تيمورلنك • وتوجه لمحاربة جيش الياس وحده ونجح في تحقيق الانتصار عليهم وأجبرهم على الفرار • (١)

وتعقب جند الياس ولكن الوضع تغير بعد ذلك حيث تمكن الأمير شمس الدين الهارب من جيش تيمورلنك أن يعود وجنده الى ميدان القتال (٢) واضطر تيمورلنك الى التراجع الى الخلف وتمكن جيش الياس (الجته) من لم شملهم وترتيب صفوفهم وهجم على تيمورلنك وألحقوا الهزيمة به فاضطر الى الهرب وكان ذلك سنة ٧٦٦هـ - ١٣٦٤ م - ١٣٦٥م وبعد هزيمة تيمورلنك عاد الأمراء الى كش ورأى كل واحد منهم أن يصطحب عشيرته ويعبر نهر جيجون خشية أن يلحق بهم جيش الياس (الجته) •

ويذكر اليزدي أن الأمير حسين طلب من تيمورلنك أن يعبر نهر جيحون فأجابه أن نفسه لاتسمح له أن يترك ولايته ، وأنه سوف يجمع الحشود لمحاربة الياس مرة أخرى • (٣)

أما الأمير حسين فقد عبر ورجاله النهر متوجهين الى مضيق سالي سراي على الجانب المقابل من جيحون • (٤)

ان أهم الأسباب التى أدت الى هزيمة تيمورلنك وحليفه تتلخص فيما يلى:

تتبع جيش تيمورلنك الياس خواجه زاد من تعبهم وارهاقهم وكان من الأفضل أن ينتظر قليلا انتظارا لما سوف يستجد من أمور •

غرور الأمير حسين وتخاذله ضيع على الأمير تيمورلنك نصرا كبيرا على أعدائه • فلوا انه استجاب لمشورة تيمورلنك وانضم اليه لمواجهة جيش الياس (الجته) لتحقق لهم النصر علما بأن جيش الياس كان في حالة من التعب والارهاق لايحسد عليها •

وقد أدى هذا التنازع والاختلاف الى تمكن العدو من تنظيم صفوفه واعادة الكرة فتمكنوا بذلك من تحقيق الانتصار على تيمورلنك •

---

(١) Sami : Za Fer Name . P . 38 .
اليزدي : ظفرنامه ١٠٦/١
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٦ •

(٢) كاد الأمير شمس الدين أن يلحق الهزيمة بجيش الأمير حسين الا أن تيمورلنك بشجاعته هجم عليه من الخلف وأرغمه على الهرب •
انظر : اليزدي : ظفرنامه ١٠٤/١ •

(٣) اليزدي : ظفرنامه ١٠٧/١ •

(٤) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ٢١١ •

ب - توجه جيش الياس خواجه الى سمرقند سنة ٧٦٦هـ - ١٣٦٥-١٣٦٦م .

أما جيش الياس خواجه فقد وجد الطريق أمامه مفتوحا للتوجه الى الجنوب والاستيلاء على سمرقند وقد تمكن العلماء من تحريك أهالي المدينة وتشجيعهم على مقاومة العدو المغير عليهم بكل الوسائل الممكنة ، وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن ينقذ أهالي سمرقند من جيش الياس الجته) بأن سلط الله على دوابهم مرض الطاعون فقضى على معظم مواشيهم ولم يبق الا القليل منها ، واضطر جيشه الى العودة سيرا على الأقدام خوفا من أن يصابوا بعدوى المرض .(١) ونتيجة لذلك انقلب ميزان المعركة وانهزم الياس وجيشه وعادوا الى بلادهم خاسرين .

ويذكر Nizam uddin Sami [[أن جنود الياس أصبحوا لاحيلة لهم واضطرب أمرهم وأنه لم يبق الا جواد واحد لكل أربعة أفراد وعاد أكثرهم الى منازلهم مترجلين]](٢) وبذلك انتصرت روح المقاومة على جيش الياس وكان لهذا النصر صدى كبير في بلاد ماوراء النهر .(٣)

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ١٠٩/١ .
خواندأمير : حبيب السير ٩٣/٣/٣ .

(٢) Zafer Name , P . 38 .

(٣) خواندأمير : حبيب السير ٩٣/٣/٣ .

المبحث الثاني

توتر العلاقة بين تيمورلنك وحسين بن قزغن أخي زوجته

٧٦٧ - ٧٧١هـ - ١٣٦٥ - ١٣٦٩م

أ - أسباب النزاع بين الأميرين وبدايته .

ب - استيلاء تيمورلنك على قَرشي .

ج - عودة الصراع بين الأميرين تيمورلنك وحسين بن قزغن .

د - طلب تيمورلنك مساعدة بهرام جلاير وكيخسرو ختلانى .

ه - الصلح بين تيمورلنك وحسين بن قزغن سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧-١٣٦٨م .

و - محاربة تيمورلنك مغول الجته سنة ٧٦٩هـ - ١٣٦٧م

ز - توجه تيمورلنك وحسين بن قزغن الى بذخشان سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧-١٣٦٨م.

ح - ثورة كيسخرو ختلانى ومحمد بيان سلدوز .

ط - استيلاء تيمورلنك على بَلخ ومقتل حسين بن قزغن سنة ٧٧١هـ - ١٣٦٩م.

١) أسباب عودة النزاع بين تيمورلنك وحسين بن قزغن .

٢) استيلاء تيمورلنك على بلخ ومقتل حسين بن قزغن .

أ - أسـباب النزاع بين الأميرين وبدايـته :

مرت العلاقة بين الأميرين تيمورلنك وحسين بن قزغن بمرحلتين مختلفتين فقد دفعت الأوضاع السائده في بداية ظهورهما الى أن تكون العلاقة بينهما جيده ويتحدا في جبهة واحدة لمواجهة عدوهما المشترك الياس خواجه ، ونجحا في تحقيق انتصارات متعددة ضد أعدائهما من الفتره ٧٦٣هـ الى ٧٦٦هـ - ١٣٦١ - ١٣٦٤م ولكنهما منيا بهزيمة كبيرة من الياس خواجه سنة ٧٦٥هـ - ١٣٦٤م بسبب تباطؤ الأمير حسين وعدم سرعته في الانضمام الى جيش تيمورلنك وكان لهذه الهزيمة أكبر الأثر في نفس تيمورلنك ولكنه مع ذلك لم يظهر غضبه مما حدث .

ويذكر المؤرخون أن سير الحوادث كان لمصلحتهما عندما تمكن أهالي سمرقند سنة ٧٦٦هـ - ١٣٦٥م من مقاومة جيش الجته بقيادة الياس خواجه واجبارهم على رفع الحصار عنهم وعودتهم الى بلادهم وهم في أسوأ حال[1] .

سر تيمورلنك وحليفه بهذا النصر الذي ساقته اليهما الأقدار ، وتمكنا من دخول سمرقند دخول الظافرين ، واستبد الأمير حسين بشئون الحكم ولايتفق ذلك مع طموحات تيمورلنك ، فبدأت العلاقات بينهما تسوء ، وسيطرت الكراهية وسوء النية المتبادل على تصرفاتهما ، ويجدر بنا أن نذكر أهم الأسباب التي أدت الى تفاقم الصراع بينهما فمن ذلك :

- طمع الأمير حسين وحرصه على جمع الأموال ، ولتحقيق ذلك قام بمضايقة الأمراء خاصة أتباع تيمورلنك ، وطلب منهم أن يدفعوا له مبلغا كبيرا من المال ، ولم يكن في استطاعة الأمراء دفع ذلك المبلغ لما لحق بهم في معركة لاى من خسائر كبيرة ، لذلك طلبوا من تيمورلنك مساعدتهم ولم يبخل تيمورلنك عليهم ، فقدم لهم الكثير من الذهب والفضه الخاصه به ، وبزوجته أو لجاى تركان شقيقة الأمير حسين ، وعل الرغم من معرفة الأمير حسين لمجوهرات أخته الا انه أخذها دون خجل ، كما أنه لم

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 38 .
خواندأمير: حبيب السير ٩٣/٣/٣

يتنازل من بقية المبلغ المطلوب دفعه من الأمراء وهو ثلاثة آلاف دينار، (١) وأراد تيمورلنك أن يقدم له بدلا من المبلغ المطلوب خيلا ، الا أنه رفض ذلك ، وطلب أن يرسل اليه المبلغ نقدا ومع ذلك استجاب تيمورلنك لمطلبه وبعث اليه المبلغ المتبقي (٢) •

وأدى طمع الأمير حسين الى نفور الأمراء والسكان منه ، ولكنهم لم يستطيعوا الخروج عليه لمعرفتهم أنه لايزال على وفاق مع تيمورلنك (٣) •

- سعى بعض الأمراء (٤) لاثارة الفتنة بينهما ، حيث بعثوا الى الأمير حسين رسالة (٥) يتهمون فيها تيمورلنك بخيانته ورغبته في الانفصال عنه ، فلما وصلته عرضها على الخان كابلشاه أوغلن الذى أمر باستدعاء تيمورلنك والأمراء المفسدين ، وعقد المحاكمة بينهم لمعرفة الحقيقة • وعلى الرغم من معرفة تيمورلنك بكراهية حسين له ، فانه ذهب لمقابلة الخان وحسين ، عندئذ هرب الأمراء الى خجنده خشية افتضاح أمرهم (٦) •

وهكذا أخذ الشك يزداد بين الأميرين ، وأخذ تيمورلنك يحذر منه •

وكذلك ارتفاع مكانة تيمورلنك بين أعوانه لكرمه معهم دفع الى حسد الأمير حسين له (٧) فسعى الى الحاق الأذى به ، وقام بتعيين الأمير موسى (٨) على مدينة قرشي

---

(١) Sami : Zafer Name . P. 39 .
اليزدى : ظفرنامه ، ١١٣/١ •

(٢) sami : Zafer Name , P . 39 .
اليزدي : ظفرنامه ، ١١٣/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ١٠/٣/٣ •

(٣) Sami : Zafer Name . P. 40 .

(٤) كان هؤلاء الأمراء الذين بعثوا الرسالة الى الأمير حسين هم : الأمير علي درويش والأمير أردو خاتون ، والأمير فرهاد وهم من أمراء ماوراء النهر ، ولم أجد ترجمة لهم بين المصادر التي بين يدي •
انظر : اليزدي : ظفرنامه ، ١١٤/١ - ١١٥ •

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ١١٥/١ •
Sami : Op . Cit . P . 40 .

(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ١١٥/١ •
Sami : Op . Cit . P . 40 .

(٧) Grousset : Op . Cit . P . 40 .

(٨) كان يعتمد عليه الأمير حسين بن قزغن في قيادة جيوشه ، فهو أحد القواد المتمرسين في ميدان القتال ، وقد كان له دور بارز في حروب حسين ضد تيمورلنك •

التى كان تيمورلنك يعدها ضمن ولاياته (١) •

كما أدرك تيمورلنك أن الأمير حسين يبطن له العـــداء ورأى ضرورة الابتعاد عنه ، وتحدث في ذلك مع أمرائه المقربين ، فنصحوه بأخذ الحـــذر ومحاربته (٢) •

وأيضا فان اطلاق تيمورلنك سراح قائد جيش الجته بيكيجيك عندما قبـــض عليه في معركة [قبى - متن] قد أدى الى غضب حسين منه (٣) •

وأخيرا كانت أولجاى تركان تتصف بالذكاء والتعقل ، وتحرص علـــى التوفيق بين زوجها وأخيها الأمير حسين ، وعند وفاتها انتهت الرابطة بينهما وأعلن تيمورلنك مناهضته للأمير حسين صراحة (٤) •

أدت تلك الأسباب الى تأزم الوضع بين الأميرين تيمورلنك وحسيـــن ، واصطبغت نظرة حسين تجاهه بسوء النيه وعدم المبالاة (٥) • لذلك طلب بعض الأمـراء المنضمين لتيمورلنك محاربته وعدم السكوت على أفعاله ، فقام بارسال الأميـر بهرام (٦) الى ختلان (٧) مكان اقامة عشيرته ليطلب منهم المساعده ، ونجـــح في ضم

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 40 .

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ١١٦/١ •

(٣) هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٤٩ •
محمد فياض : تيمورلنك ، ص ٣٨ •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ١١٦/١ •
عباس أقبال : تاريخ ايران ، ترجمة محمد علاء الدين ، ص ٥٩٣ •
Prawdin : The Mongol empire . P . 430 .

(٥) Sami : Op . Cit . P . 42 .
اليزدى : ظفرنامه ، ١١٦/١ •

(٦) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي •

(٧) ختلان بالفتح ثم السكون ، وآخره نون : بلاد مجتمعه وراء النهـر ، قرب سمرقند وبعضهم يقوله بضم أوله وتشديد ثانية • والصواب هو الأول •
ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣٤٦/٢ •
ابن عبدالحق البغدادى : مراصد الاطلاع ، ٤٥٢/١ •

أعداد كبيرة منهم اليه ، وأعلن عصيانه ومخالفته للأمير حسين ، لكن هذا نجح (١) في استمالته وضمه الى جانبه فأعلن شيرا بهرام عصيانه لتيمورلنك • (٢)

أرسل تيمورلنك بعض أمرائه وجنده الى خجنده ليقبضوا على الأمراء الذين تسببوا في اثارة الفتنة بينه وبين الأمير حسين الا انهم تمكنوا من الهرب • (٣) ثم توجه تيمورلنك الى سمرقند لجمع الجيش والتحق به مجموعة من الأمراء (٤) واعداد كبيرة من اليسوريين (٥) واستعد لمحاربة الأمير حسين • وقام تيمورلنك بتعيين الأمير قرا ، وهندوكه (٦) برلاس على سمرقند الا أن الأمير هندوكه فضل بعد ذلك الانضمام الى الأمير حسين بن قزغن ، وادعى الأمير قرا الجنون لعدم مقدرته على ادارة أمور البلاد • (٧)

استعد تيمورلنك لمحاربة الأمير حسين ، فرأى هذا أن يستخدم الدبلوماسية والحيلة معه ، وألا يتورط في حرب لايعلم نتائجها خاصة وهو يعرف مدى مايتمتع به تيمورلنك من قدرة حربية ، فجنح الى الصلح وأرسل رسالة اليه (٨)

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ١/١١٧ •

(٢) أرسل تيمورلنك رسالة الى الأمير شير بهرام يحذره فيها من غدر الأمير حسين لكنه لم يستمع الى نصيحته فكانت نهايته على يد الأمير حسين •
انظر : اليزدي : المصدر السابق ، ١/١١٧ - ١٢٤ •

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ١/١١٧ •
Sami : Op . Cit . P . 43 .

(٤) كان من بين هؤلاء الأمراء ، سليمان برلاس ، جاروجي ، وكانا من أوائل الأمراء الذين حرضوا تيمورلنك على مخالفة الأمير حسين ، وكانا من أعوان تيمورلنك المخلصين •

(٥) عندما توفى الأمير خضر بن يسوري انضم بخدمة تيمورلنك الأمير علي شقيق خضر يسوري مع عدد كبير من اليسوريين •
انظر اليزدى : ظفرنامه ، ١/١١٨ •

(٦) لم نجد لهما على ترجمة بين المصادر التى رجعنا اليها •

(٧) Sami : Op . Cit . P . 43 .

(٨) سلم الأميران ملك بهادر ، وعبدالله بن حسين بن قزغن هذه الرسالة الى تيمورلنك وكان هدفهم الصلح في الظاهر والتمرد والغدر في الباطن •
انظر : اليزدي : ظفرنامه ١/١٢٠ •
Sami : Op . Cit . P . 43 .

أشاد فيها بمكانته ، الا أن تيمورلنك لم ينخدع بما جاء في الرسالة لأنه يعرف ماكان يتمع به حسين من مكر وخداع فأهمل الرد عليه (١) ثم خرج بجيشه من قهلغة ومعسكر عند ايسون (٢) فلما علم اليسوريون بهذا الصلح خافوا على أنفسهم من بطش الأمير حسين وطلبوا الانفصال عن تيمورلنك ، ورأى بعض الأمراء قتل قادة اليسوريين الا أن تيمورلنك منعهم من القيام بهذا العمل (٣) ، ثم توجه تيمورلنك الى قَرشى لقتال الأمير حسين الذي عاد الى طلب الصلح فأرسل مبعوثا ومعه مصحف ليسلمه لتيمورلنك تأكيدا للصلح ، فلم تكن بينهما حرب يومئذ (٤) ·

ويذكر تيمورلنك أن الأمير حسين أقسم على المصحف بعدم خيانته ، وان الظروف والأوضاع تحتمان عليهما ضرورة التعاون ، وأن استمرار النزاع بينهما سوف يؤدي الى خراب البلاد واضطراب أمورها (٥) ، وانه سوف يأمر جيشه بالوقوف عند جغانا على أن يقف جيش تيمورلنك عند خَزَار (٦) وأن يتقدم كل منهما مع مئة رجل من أنصاره الى مضيق جكجك (٧) لاتمام الصلح (٨) ·

لم يستطع تيمورلنك رفض هذا الصلح لالحاح الأمراء عليه بقبوله ، ولكنه مع ذلك كان يشك في صدق نوايا حسين ·

ومهما يكن الأمر فان تيمورلنك ترك جيشه في خَزَار ، واختار ثلاثمائة من

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 43 .
خواند أمير : حبيب السير ، ١٠/٣/٣ ·

(٢) لم أجد تعريفا لهذا الموضع بين المصادر التي رجعت اليها ·

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ١٢٢/١ ، ١٢٣ ·

(٤) اليزدي : المصدر السابق ، ١٢٣/١ ·
خواند امير : حبيب السير ، ١٠/٣/٣ ·

(٥) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٨٤ ·
اليزدي : ظفرنامه ، ١٢٣/١ ·

(٦) قيل أنها موضع بقرب نسف او نَخْشَب فيما وراء النهر ، وتعد خزار من أهم رساتيق كش · انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥١٣ ·

(٧) لم أعثر على تعريف لهذا المضيق بين المصادر التي بين يدي ·

(٨) اليزدي : ظفرنامه ، ١٢٣/١
خواند امير : حبيب السير ، ١٠/٣/٣

الفرسان لمقابلته حيث ترك مائتين منهم عند (ده نو)(١) واصطحب المئة الاخرين الى مضيق جكجك • وكما توقع تيمورلنك(٢) ، لم يكن الأمير حسين صادق النية في طلب الصلح حيث خرج ومعه ثلاثه آلاف فارس ليقبض على تيمورلنك ، وكان بين رجال حسين رجل من أتباع تيمورلنك ، فأسرع الى معسكره وأخبر خادمه بالأمر لكن الخادم لم يعلم سيده ظنا منه أن الكتمان في مصلحة سيده ، وكان الأجدر بالخادم أن يطلع سيده على هذا الأمر الخطير فور علمه به ليأخذ حذره منه •

خرج تيمورلنك حسب الاتفاق المبرم بينهما ، وعندما علم بقدوم جيش الأمير حسين ارتاب في الأمر وعرف أنه نقض العهد ، وعلى الفور توجه لمحاربته رغم قلة عدد جنده ، لكنه اضطر الى الانسحاب من المعركة(٣) لكثافة جيش خصمه(٤) ، وتمكن تيمورلنك من الوصول الى خزار ، وانتقل بعد ذلك الى قرشى وأشار عليه الأمراء بأن ينتقلوا الى ماخان(٥) •

ويذكر المؤرخون أنه في اليوم الذي خرجوا فيه من قرشى كان جيش الأمير حسين بقيادة الأمير موسى قد وصل اليها واستولى على قلعتها بدون عناء(٦) •

ب - استيلاء تيمورلنك على قرشى (نخشب) :

خرج تيمورلنك من مدينة قرشي مكرها وكان يرغب أن تكون هذه المدينة وقلعتها ضمن أملاكه فهو الذي قام ببناء قلعتها التي كانت موضع اعتزازه واعجابه لما كانت تمتاز به من الحصانة والمتانة(٧) •

---

(١) لم أجد تعريفا لهذا المكان بين المصادر التي بين يدي •
(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ١٢٤/١ •

(٣) خواند امير : حبيب السير ، ١١/٣/٣ •
رضا بازوكي : تاريخ ايران ، ص ١٨٨ •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ١٢٥/١ •
(٥) اليزدي : المصدر السابق ، ١٢٥/١ •

(٦) اليزدي : المصدر السابق ، ١٢٥/١ •
خواند امير : حبيب السير ، ١١/٣/٣ •

(٧) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٢ •
Prawdin : The Mongol empire . P . 431 .

توجه تيمورلنك نحو ماخان عبر نهر أموية (١) ومن هناك أرسل مبعوثا الى الملك معزالدين كرت ملك هراة ومحمد بيك قرباني يخبرهما بموقفه ، ويطلب مساعدتهما ، وعاد المبعوث ليخبره أن الملك معزالدين يرغب في مقابلته كما أنه بعث اليه بعض الهدايا (٢) ٠

ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا أن هذه المقابلة تمت بينهما ، ويبدو أن تيمورلنك اقتنع برد الملك معزالدين واطمأن اليه ، وراح ينفذ ماكان يدور في خاطره لغزو مدينة قرشي ٠

كان تيمورلنك يحرص على احتجاز القوافل المتجهه من خراسان الى بلاد ماوراء النهر ، واحتجز قافلة كبيرة قادمة من هراة الى سمرقند عن طريق قرشي ، وسأل قائد القافلة عن مدى قوة وحصانة مدينة هراة ، وكان تيمورلنك يهدف الى تضليل رجال القافلة بأنه سوف يتوجه الى هراة وأنهم بذلك سوف يذيعون هذا الخبر عند وصولهم لقرشي ، وأمر تيمورلنك أحد رجاله بأن يتوجه مع القافلة الى قرشي للتجسس والاطلاع ومعرفة مدى استعداد الأمير موسى ، وعندما وصلت القافلة اليها سألهم الأمير موسى وسائر أعيان جيشه عن أخبار تيمورلنك فأجابوهم بأنه توجه الى هراة (٣) ، فسعدوا بهذا الخبر وانطلقوا الى خارج القلعة ليقضوا ليلهم ونهارهم في فرح وسرور (٤) ٠

---

(١) جاء في كتاب معجم البلدان ٥٨/١ ، ٢٥٥ أن آمل كانت تسمى آمو وأموية وهي مدينة مشهورة في غربي جيحون على طريق القاصد الى بخارى من مرو٠ ويقول كي لسترنج في كتابه بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٧٧ ، ٤٧٨ أن مدينة آمل ربما سميت أموية أو أمو نسبة الى اسم محلي فارسي للنهر العظيم شاع استعماله وحل محل اسم جيحون العربي ومن ثم فان اكسس أي أمودريا هو نهر أمو ، وكان يعرف بنهر بلخ ٠

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ١٢٧/١ ٠
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٥٩ ٠

(٣) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٩٤ - ٩٦ ٠
Prawdin : The Mongol empire , P . 431 .

(٤) تيمور ، المصدر السابق ، ص ٩٦ ٠
اليزدي : ظفرنامه ، ١٢٧/١ ٠
Sykes : OP. Cit. P . 122 .

ويذكر " Prawdin " أنه عندما أخبر رئيس القافلة الأمير موسى بتوجه تيمورلنك الى هراة رأى أن الفرصة حانت لتطويق خصمه وأسره فذهب مع مجموعة كبيرة من جنده الى جنوب هراة وقام بمحاصرتها (١) ٠

ومهما يكن الأمر فان الأمير موسى لم يكن موجودا في قرشي ابان هجوم تيمورلنك عليها ويذكر ابن عربشاه أن تيمورلنك قال يوما لاصحابه : " انه بالقرب منا مدينة نخشب وهي مدينة مصونة مسورة مكنونة لئن ظفرنا بها لتكون لنا ظهرا وملاذا وملجأ ومعاذا ، وأن حاكمها موسى لو حصلناه وأخذنا ماله وقتلناه لتقوينا بماله من خيول وعده ، ولحصل لنا فرج بعد الشدة ، وأنا أعلم أن لها من ممر الماء دربا هين الدخول ، واسعا رحبا فشمروا ليلهم ، وتركوا في مكان خيلهم واستعملوا في نيل مرادهم ليلهم " (٢) ، ويذكر آخرون أن تيمورلنك ناقش الأمراء في أمر غزوها والاستيلاء عليها فكان ردهم : أنه لاطاقة لنا بغزوها وهي على تلك الصورة من المتانة والحصانة وكثافة جندها ، وأظهروا عدم استعدادهم للقيام بهذه المهمة في الوقت الحاضر ، وطلبوا منه أن يتمهل وينتظر حتى تتزايد أعدادهم فغضب تيمورلنك من ردهم وأشار الى الخيام قائلا : " اذهبوا الى حريمكم والزموا جانبهم أما أنا فسوف أذهب الى هذه المدينة لوحدي " (٣) وعندما رأى الأمراء تصميمه سارعوا بتقديم اعتذارهم ، وتقدم اليه الأمير جاكو برلاس حاملا مصحفا وسيفا وقال له: [[لقد أقسمنا على القرآن أن نطيعك ونأتمر بأمرك ، وهذا سيف نقدمه لك لتقطع به عنق من يخالفك فاطمأن تيمورلنك وزال غضبه]] (٤) ٠

ويذكر تيمورلنك أنه عندما عاد اليه الرجل الذي بعثه برفقه القافلة وأخبره بخروج الأمير موسى وجيشه من المدينة انتخب ٢٤٣ رجلا أكثرهم من الأمراء الشجعان وتوجه بهم على بعد فرسخ من قرشي ، وكان في قرشي حينذاك

---

(١) the Mongol empire . P . 431 .
(٢) عجائب المقدور ، ص ١١ ، ١٢ ٠
(٣) هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٥٧ ٠
محمد فياض : تيمورلنك ، ص ٤٣ ، ٤٤ ٠
(٤) هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٥٧ ٠

قرابة ألف جندي وعدد من الأمراء[١] • وكان الأمير جاكو برلاس يرى ضرورة سرعة الهجوم على الأمير موسى والقاء القبض عليه ، لكن تيمورلنك لم يستحسن هذا الرأى فقد كان في ذهنه خطة لتطويق المدينة وقلعتها ، وكانت خطته كما يصفها قائلا : " ونزلت على بعد فرسخ من قلعة قرشي وأمرت الرجال أن يربطوا عدة سلالم خشبية بالحبال جنبا الى جنب ثم جاء الأمير جاكو وأخبرني أن جماعة من رجالي تخلفوا ، ومن الضرورى انتظارهم ، ففكرت في أن أذهب بمفردى لتفقد القلعة حتى يصل أولئك الرجال ، واصطحبت أربعين فارسا من الأبطال وتوجهت بهم صوب قلعة قرشي ، ولما ظهر سواد القلعة أمرت الرجال بالتوقف ، واصطحبت معى مبشرا وعبدالله[٢] وعندما وصلت الى حافة الخندق وجدته مغمورا بالمياه، ونظرت الى سائر الجهات ورأيت الأنابيب التى تدخل من خلالها المياه الى القلعة وكانوا قد وضعوها على سطح الخندق فتركت جوادي لمبشر وعبرت الخندق على أنبوبة ، وعندما وصلت الى خارج القلعة ذهبت الى البوابة ودفعتها بهدوء فوجدت الحراس غافلين وقد وضعوا خلف البوابة الأتربة والطين ، وتفحصت جدار القلعة والمكان الذي يمكن أن توضع فيه السلالم وعدت الى جندى ، وخلال ذلك وصل الفوج الذي كان قد تأخر ومعه السلالم ، وتوجهنا صوب القلعة وعبرنا الخندق على الأنابيب ووضعنا السلالم في المكان المعد ، وتمكن أربعون من رجالي من دخول القلعة وصعدت أنا على السلم ودخلت القلعة "[٣] •

وتمكن جند تيمورلنك من قتل حراس القلعة ومن تصدى لهم من الجند والأهالى وسيطروا على بوابات قرشي ، وفي الصباح طلب تيمورلنك من جنده دق الطبول ، ونفخ الأبواق ، وعندما استيقظ الأهالى تساءلوا عن السبب فعلموا أن تيمورلنك استولى على المدينة وهم نيام ، ولم يستطع أمراء قرشي وجندهم مقاومته ، فرضوا بالهزيمة وتقدموا اليه مظهرين خضوعهم واستسلامهم[٤] •

---

(١) انظر تزوكات تيمور ، ص ٩٦ •
اليزدي : ظفرنامه ، ١٢٩/١ ، ١٣٠ •

(٢) لم نجد لهما ترجمة بين المصادر التي بين يدى •
(٣) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٩٤ - ٩٨ •
اليزدي : المصدر السابق ، ١٣١/١ - ١٣٢ •
(٤) Sykes : History of persia . P . 122 .

ويذكر اليزدي وغيره من المؤرخين أن ابن الأمير موسى محمد بيك أبدى شجاعة كبيرة ، وصمم على مواجهة تيمورلنك حيث أمر باحراق البيت الذي يسكنه فاضطر الى التسليم هو وأسرته ثم أمر تيمورلنك باطلاق سراحه ليذهب الى أبيه ويقص عليه ماحدث[١] ، وكان تيمورلنك يهدف من وراء ذلك تخويف الأمير موسى فقد تؤدي هذه الفاجعة الى انفصال جيشه عنه ، ومهما يكن الأمر فان الأمير موسى لم يكن يعتقد أن يتم تحرك تيمورلنك بهذه السرعة ويتحقق له الاستيلاء على قرشي ، لذلك أرسل مبعوثا الى الأمير ملك بهادر ليخبره بالواقعة ، واتفقا على التوجه لمحاربته واستعادة قرشي[٢] ، وقاما بتقسيم قواتهما ، فنزل موسى في مقابل بوابة المدينة ، ونزل ملك بهادر في مقابل البوابة الأخرى المواجهة لخزار[٣] .

وعلى الجانب الآخر كان تيمورلنك قد أحكم قبضته على قرشي ، وتصدى بنفسه لحماية بوابة المدينة ومعه مجموعة من الأمراء ، وأمر مجموعة أخرى من الأمراء بحماية بوابة خزار[٤] ومجموعة ثالثة لحماية أسوار القلعة .

وأبدى تيمورلنك ورجاله شجاعة كبيرة في مواجهة أعدائهم وأنزلوا بهم خسائر جسيمة[٥] ، وحينئذ رأى الأمير موسى الانسحاب والتوجه الى الأمير حسين .

وكان مع ملك بهادر مايقرب من خمسة آلاف جندي ولكنه فشل في تحقيق نصر على تيمورلنك ، فأجبر على الانسحاب وأمر تيمورلنك بعض أمرائه بمطاردته وتمكنوا من أسر عدد كبير من جنده[٦] .

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ١٣١/١ .
خواند امير : حبيب السير ، ١١/٣/٣ .
Prawdin : the Mongol empire . P . 432 .

(٢) خواند امير : المرجع السابق ، ١١/٣/٣ .
شاهين كاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٤١ .
Prawdin : The Mongol empire . P . 432 .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ١٣٣/١ .
(٤) اليزدي : المصدر السابق ، ص ١٣٣

(٥) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٩١ .
اليزدي : ظفرنامه ، ١٣٧/١ ، ١٣٨ .

(٦) اليزيدي : المصدر السابق ، ١٣٨/١ .

قضى تيمورلنك الشتاء في قرشي وقام بتعمير المدينة وأرسل الأمير محمود شاه (١) ليتولى حكم بخارى وتعميرها ، وهكذا تحقق لتيمورلنك الانتصار على اعدائه ، واتخذ قلعة قرشي معقلا وحصنا له ٠

ونستطيع أن نعزو أسباب نجاح تيمورلنك وضمه لقرشي الى رغبته الجادة في استرداد هذه المدينة وقلعتها مهما كلفه الأمر ، كما أنه أجاد استخدام قواته القليلة العدد ، ولم يخاطر بجيشه في الهجوم على أعدائه لأنه يعلم أنهم أقوى منه عددا وعدة لذلك استخدم أساليب التمويه والخداع لاخفاء موقعه وتحركاته ، ونجح في الهجوم عل مدينة قرشي ليلا ، ويعتبر استيلاؤه عليها نصرا كبيرا له ٠

ويرجع تيمورلنك سبب انتصاره على الأمير موسى ، وملك بهادر هو التدبير الجيد الذي نهجه وأن تأييد الله له هو سر نجاحه وتفوقه ٠ (٢)

(١) لم أجد ترجمة عن هذا الأمير في المصادر التي رجعت لها ٠
(٢) تزوكات تيمور ، ص ٦ ٠

ج - عودة الصراع بين الأميرين تيمورلنك وحسين بن قزغن :

بعدما تمكن تيمورلنك من الاستيلاء على قرشي هرب الأمير موسى الى الأمير حسين ، وقص عليه كيفية استيلاء تيمورلنك عليها ، فوجه معه عشرة آلاف جندي وأمره بقتال تيمورلنك مرة أخرى (١) ، وعسكر جيشهم بالقرب من مضيق جكجك (٢) ، فلما علم تيمورلنك بقدومهم توجه نحوهم وأرسل بعض رجال الاستطلاع لمعرفة حقيقة وضعهم ، فتمكنوا من أسر عشرين رجلا من جند الأمير موسى • وأخبر هؤلاء الأسرى تيمورلنك بأن جند الأمير موسى ينزلون عند جكجك (٣) • والواقع أن جيش تيمورلنك لم يتجاوز عدده المئتين ، الا أنهم كانوا يتميزون بالشجاعة والثبات وسرعة الحركة عند مواجهتهم لأعدائهم ، ولكن على الرغم من ذلك فضل تيمورلنك الانسحاب والعودة الى قرشي عندما رأى عدم تكافؤ قوته مع قوة خصمه (٤) •

ثم توجه تيمورلنك الى بخارى (٥) وحاول بعض الأمراء منعه من التوجه اليها الا أنه لم يستمع لمشورتهم (٦) • وأكمل سيره نحوها وقد استقبله الأميران علي بيسوري ومحمود شاه استقبالا يليق بمكانته (٧) •

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ١٤١/١ •
خواند امير : حبيب السير ، ١٢/٣/٣ •

(٢) لم أجد وصف لهذا المضيق بين المصادر التي رجعت اليها •

(٣) Sami : Zafer Name . P . 49 .
اليزدي : المصدر السابق ، ١٤١/١ •
خواند امير : المصدر السابق ، ١٢/٣/٣ •

(٤) اليزدي : المرجع السابق ، ١٤٣/١ •

(٥) بخارى : من أعظم مدن ماوراء النهر وأجلها ، يعبر اليها من آمل الشط وبينها وبين جيحون يومان ، وهي مدينة قديمة نزهة البساتين ، وبينها وبين سمرقند سبعة أيام •
انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣٥٣/١ •
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٦٩/١

(٦) أشار الأمير جاكو وغيره من الأمراء على تيمورلنك بعدم التوجه الى بخارى لعدم ثقتهم بالأمير محمود شاه ، وطلبوا منه التوجه الى خراسان الا أن تيمورلنك فضل التوجه الى بخارى وتوجه جاكو ومن معه من الأمراء الى ماخان بخراسان دون استئذان تيمورلنك ، وقد أثبتت الحوادث صواب رأى هؤلاء الأمراء •

(٧) Sami : Zafer Name . P. 50 .
اليزدي : ظفرنامه ، ١٤٣/١ •

ويذكر اليزدي أنه في هذه الأثناء اقترب جيش الأمير موسى من بُخارى ، فاقترح تيمورلنك على الأميرين خروج الجيش من المدينة والتوجه للاغارة عليهم ليلا ، الا أنهما فضلا لقاءهم داخل المدينة لحمايتها ، وعندما رأى تيمورلنك على وجوههم آثار الخوف والقلق توجه الى خراسان (١) ، وتمكن جيش الأمير حسين بقيادة موسى من الانتصار على أهالى بخارى والاستيلاء عليها ولم يستطع الأميران مقاومته فتركا ساحة القتال هاربين الى ماجان ، وقدما اعتذارهما لتيمورلنك على تقصيرهما نحوه وعدم الأخذ بمشورته فقبل اعتذارهما (٢) .

لم تتوقف مناوشات تيمورلنك مع خصومه فعندما علم أن جيش قراوناس (٣) وهم من أتباع الأمير حسين قد عسكروا مع خمسة آلاف مقاتل بالقرب من بيرمس (٤) تحرك تيمورلنك للاغارة عليهم فشعر جيشهم بالخوف وتفرقت أعداد كبيرة منهم . وهكذا تحقق لتيمورلنك انتصار سهل على جيش قراوناس (٥) .

وبعد ذلك أرسل تيمورلنك الى حاكم هراة الملك معزالدين حسين يطلب منه توطيد أواصر العلاقة بينهما ، وأبدى الملك استعداده لمعاونته ومناصرته ضد أعدائه وبالغ في اظهار الحفاوة برسول تيمورلنك الأمير جاكو (٦) .

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ١/١٤٣ - ١٤٤ .
Sami : 2afer Name . P . 50 .

(٢) اليزدي : المصدر السابق ، ١/١٤٦ .
خواند امير : حبيب السير ، ١٢/٣/٣ .

(٣) لم أجد لهذه المدينة تعريفا في المصادر التي بين يدي .

(٤) بيرمس : قرية من قرى بخارى .
ابن عبدالحق البغدادى : مراصد الاطلاع ، ١/٢٤٠ .

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ١/١٤٧ .
خواند امير : حبيب السير ١٣/٣/٣ .

(٦) Sami : Op . Cit . P . 51 .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨ .

ويذكر المؤرخون أن الملك معزالدين طلب من جاكو أن يخبر تيمورلنك برغبته في التوجه الى سرخس[(١)] ، وعلى تيمورلنك أن يقابله هناك ليثبت كل منهما للآخر مقدار الثقة المتبادلة[(٢)] • غير أن تيمورلنك لم يطمئن تماما الى رد حاكم هراة ، ورأى أن عليه أن يتأكد من نيته نحوه ، ورأى أن ذلك التعاون ماهو الا خدعة ، ففضل عدم التوجه اليه واكتفى بأن يرسل اليه ابنه الأمير جهانجير مع الأمير شاه مبارك قائلا له [[اننى أرسل اليك ابنى لأننى عزمت على العودة الى ديارى الأصلية[(٣)]]] •

قرر تيمورلنك عدم التوقف أو التخاذل في مواجهة أعدائه ، لذلك عبر مع ستمائة من رجاله نهر جيحون ، وكان جيش قراوناس قد عسكر مرة ثانية عند مكان يسمى قوزى[(٤)] ، وانضم اليهم عدد من أمراء الأمير حسين ، ولما علم تيمورلنك بذلك أمر جنده بمواجهتهم فتم له النصر[(٥)] • ثم أشار الأمراء عليه بالتوجه الى سمرقند ، فاتجه اليها وعندما اقترب منها خرج لمواجهته الأمير " أوج قرابهادر[(٦)] " مع جيش الأمير موسى وتمكن تيمورلنك من تفريقهم وعاد أوج قربهادر الى سمرقند خائبا[(٧)] • وفي هذه الأثناء علم تيمورلنك أن جيش قراوناس قادم لمحاربته فتوجه تيمورلنك نحو شاطئ يام لمواجهتهم ، وهناك

---

(١) سَرْخَس ويقال سرخس بالتحريك : مدينة قديمة من نواحي خراسان بين نيسابور ومرو ، وهي قليلة المياه ، الا أنها جيدة التربه والهواء ولأهلها مهارة في عمل العصائب •
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢٠٨/٣ •
كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٣٨ •

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ١٥١/١ •
Sami : Op . Cit . P . 52 .

(٣) اليزدي : المصدر السابق ، ١٥١/١ •
Sami : Op . Cit . P . 52 .

(٤) لم أجد تعريفا لهذا المكان في المصادر التي بين يدي •

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ١٥٣/١ ، ١٥٤ •

(٦) كان من المؤيدين للأمير حسين بن قزغن وقد شارك معه في حروبه ضد تيمورلنك ثم التحق بعد ذلك بالجيش التيمورى وتم أسره من قبل الأمير قمرالدين سنة ٧٧٧هـ •

(٧) اليزدي : ظفرنامه ، ١٥٦/١ ، ١٥٧ •

علم أن الأمير حسين قد وصل الى قرشي وأنه طلب من الأمير موسى أن يقطع الطريق على تيمورلنك ، فتحرك الأمير موسى بجيشه استعدادا لمواجهة تيمورلنك الا أن الأمير موسى فضل في النهاية العودة الى سمرقند (١) ٠

د - طلب تيمورلنك مساعدة بهرام جلاير ، وكيخسرو ختلاني

عندما عبر تيمورلنك نهر خجنده بلغه أن الأميرين بهرام جلاير ، وكيخسرو ختلانى اللذين كانا من رجال تيمورلنك والأمير حسين ابان تحالفهما قد انفصلا عن قوات الأمير حسين لسوء سلوكه وتصرفاته معهما ، وفضلا التوجه الى خان الجته وطلبا مساعدته ، فأمدهما الخان بقوه يصل عددها الى سبعة آلاف خيال من الجته وعسكرا عند طشقند (٢) وأصبح الأمير بهرام صاحب الكلمة العليا في هذه المدينة بناء على أوامر الخان (٣) ٠

كان تيمورلنك يظن أن بهرام سوف يساعده ويمده بالعون والرجال لمواجهة الأمير حسين الا أن بهرام تنكر لتيمورلنك ولم يحسن استقباله ومعاملته (٤) ٠

أما الأمير كيسخروختلانى فقد سر بلقاء تيمورلنك واصطحبه معه الى منزله وقدم له الهدايا وتزوج ابن تيمورلنك جهانجير بابنة الأمير كيخسرو

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ١٥٩/١ ٠

(٢) طشقند أو تاشكند ، وهي الشاش القديمه على ضفة نهر سيحون الشمالية الشرقية ، وقد لحق بها الدمار نتيجة الغزو المغولى ، والظاهر أن المدينة سرعان ماصلح حالها مما ألم بها من بلايا ، فأصبحت موضعا ذا شأن في المئة الثامنة (الرابعة عشر) حين وقق عندها تيمورلنك بجنده وعلى اليزدي ذكرها غير مرة في وصفه حروب تيمورلنك وتطرق الى ذكرها باسماء مختلفه مثل الشاش ، وتاشكنت ويظهر أن الاسم الأخير قد حرفه السكان الناطقون بالتركية من الشاش الى تاش ، وتاشكنت معناه مدينة الحجر ، وباسمها هذا قد أصبحت اليوم عاصمة تركستان الروسيه ٠ انظر : كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥١٩ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥ ٠

(٣) اليزدي : المصدر السابق ، ١٥٩/١ ٠

(٤) اليزدي : المصدر السابق ، ١٥٩/١ ، ١٦٠ ٠
خواند امير : حبيب السير ، ١٣/٣/٣ ٠

" رقية خان "[(١)] واتفقا على محاربة الأمير حسين ، وكانت أخبار تحركات الأمير حسين تصل الى تيمورلنك ، فعلم بأنه نجح في عبور مدينة سبز " كش " مع جيش كبير يزيد عدده على العشرين ألفا لمواجهة تيمورلنك وعسكر عند سلار بلاق[(٢)] وبعث الأمير في طليعة جيشة الأمراء الكبار للتصدى لتيمورلنك ، وقد أعد الأمراء ثلاث مجموعات من الجند وجهزوهم أحسن تجهيز[(٣)] ٠

ومع ذلك لم يتخوف تيمورلنك من استعداد وكثافة هذه المجموعات وقررمع جيش حليفه كيخسرو مهاجمتهم ، غير أنه لم تقع معركة حاسمة ، وانما كانت مناوشات بين الفريقين[(٤)] ٠ وخلال تلك الفترة وصل رسول من رجال كيخسرو الى تيمورلنك وأخبره أن ماشتين من المغول قاموا بالاغارة على المسلمين ونهبهم، فغضب لذلك وبعد مشاورة مع كيخسرو أرسل فرقة من رجاله الأقوياء تمكنوا من اجبارهم على الهرب ورد كل ماسلبوه[(٥)] ٠

عبر تيمورلنك بعد ذلك نهر سيحون عند موضع خمرك[(٦)] وكان الأمير حسين يتابع أخبار جيشه بقيادة الأمير موسى وأنه غير قادر على تحقيق التفوق والانتصار على تيمورلنك فقام الأمير حسين بتعبئة عشرة آلاف جندي آخرين

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ١/١٦٠ ٠
Sami : Op . Cit . P . 56 .
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢١٢ ٠

(٢) لم أجد لهذا الموضع تعريفا ما بين المصادر والمعاجم التي رجعت اليها ٠

(٣) اليزدي :المصدر السابق ، ١/١٦١ ٠
Sami : 2a Fer Name . P . 56 .

(٤) اليزدي : المرجع السابق ، ١/١٦٢ ٠
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢١٢ ٠

(٥) اليزدى : المصدر السابق ، ١/١٦١ ٠
Sami : Op . Cit . P . 56 .

(٦) خُمْرك : بلدة بأرض الشاش بما وراء النهر ٠
ابن عبدالحق البغدادى : مراصد الاطلاع ، ١/٤٨١ ٠

وبعثهم لمواجهة تيمورلنك لعلهم يحققون له مايبغية من نصر على تيمورلنك (١) •

أما تيمورلنك وكيخسرو فقد خرجا مع خمسمائة جندى فوصلوا ممر بارسين وتمكنوا من السيطرة على جميع الممرات المائية (٢) •

ويذكر المؤرخون الفرس أن القدرة الالهية ألقت في جيش الأمير حسين الرعب والخوف من تيمورلنك الذي نجح كعادته في هزيمتهم (٣) ثم رأى بعد ذلك ضرورة الاستعانه بجيش الجته فأرسل اليهم يطلب عونهم ومساعدتهم (٤) •

ويذكر المؤرخون أنه بحلول فصل الشتاء أوقفت الحرب بين تيمورلنك وأعدائه فاتجه كيخسرو الى أترار (٥) واتجه تيمورلنك الى طشقند ومعه ستمائة من رجاله ، وعاد الأمير حسين بجيشة الى سمرقند (٦) •

ه - الصلح بين الأميرين تيمورلنك ، وحسين بن قزغن سنة ٧٦٩هـ - ١٣٦٧ - ١٣٦٨م •

عندما انتهى فصل الشتاء عاد مبعوثا تيمورلنك (٧) وأخبراه أن جيش الجته

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ١٦١/١ •
Sami : Op . Cit . P . 56 .

(٢) اليزدي : المصدر السابق ، ١٦٥/١ •

(٣) اليزدي : المصدر السابق ، ١٦٥/١ •
Sami : Op . Cit . P . 57 .

(٤) اليزدي : المصدر السابق ، ١٦٦/١ •
Sami . Op . Cit . P : 58 .
خواند امير : حبيب السير ، ١٣/٣/٣ •

(٥) مدينة عند معبر سيحون وكان يسمى هذا الموضع قديما فاراب أوباراب ، وفيها لقى تيمورلنك حتفه في سنة ٨٠٧هـ - ١٤٠٥م وهو على أهبة السير لفتح الصين وكان الاسم فاراب أو باراب يطلق على الناحية والمدينة وهي ناحية سبخة ذات غياض •
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٥٢٨ •

(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ١٦٦/١ •
Sami : Op . Cit . P . 58 .

(٧) كان المبعوثان هما : ساربوغا واقبوغا بهادر ولم نجد لهما ترجمة بين المصادر التي رجعت اليها •
انظر اليزدى : المرجع السابق ، ١٦٦/١ •

على وشك الوصول ، ولما علم حسين بذلك انزعج ورأى ان تحالفهم مع تيمورلنك سوف يزيد من قوته ومركزه (١) ٠

تشاور الأمير حسين مع علماء الدين في طشقند وخجنده وطلب منهم أن يتوسطوا بينه وبين تيمورلنك ورجاهم قائلا : « اذهبوا الى الأمير تيمورلنك وابذلوا المساعي لانهاء التوتر وعقد الصلح بيننا (٢) »٠

توجه وفد علماء الدين الى تيمورلنك حاملين معهم المصحف الذي أقسم عليه الأمير حسين وتقدم العلماء الى تيمورلنك وقالوا له : [[ان وضع الجيش في حالة استعداد للحرب يعد سببا لخراب المملكة وتشتيت الرعية ، وأن الصلح خير لكما للحفاظ على استقرار وأمن البلاد ٠ وان استمرار الجفوة بينكما سيؤدى الى تفوق وانتصار الكفار على المسلمين فاستصوب تيمورلنك رأيهم واستجاب لطلبهم (٣)]] ٠

ويوضح تيمورلنك السبب الذي دفعه للصلح قائلا « أرسل لي الأمير حسين المصحف الذي كان قد أقسم عليه بأنه لايكن لي في قلبه سوى المحبة ومراعاة القرابة ، فصدقته لاعتقادى أنه مسلم واعتمدت على وعده ، كما أنه أرسل لي مبعوثا أبلغني رغبته في مقابلتى لتجديد الصلح (٤) »

والواضح أن تيمورلنك كان في حاجة الى تجديد هذا الصلح ، حيث كان لايفضل التعاون مع أعدائه السابقين الجته ، وأنه اضطر للتعاون معهم للقضاء على الأمير حسين ، ولا أميل أيضا الى رأى مؤرخى الفرس في قولهم ان تيمورلنك

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ١٦٧/١ ٠
Sami : 2a Fer Name , P . 58 .

(٢) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ١٠٠ ٠
اليزدي : المصدر السابق ، ١٦٩/١ ٠
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٨ ٠

(٣) اليزدي : المصدر السابق ، ١٦٩/١ ٠
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٨ ٠
Grousset : The empire of the stepps . P . 413 .

(٤) تيمور : تزوكات ، ص ١٠٠

كان لايرغب في محاربة اخوانه المؤمنين في جيش الأمير حسين لذلك سارع بقبول الصلح ، فالمعروف عن تيمورلنك أنه كان لايفرق في حروبه بين مسلم وغير مسلم ، في سبيل تحقيق أهدافه ومطامعه ٠

ومهما يكن الأمر فان تيمورلنك أرسل مبعوثه الى الأمير حسين ليخبره بأنه سوف يقدم اليه ليثبت حسن نيته (١) ، ثم توجه تيمورلنك لمقابلته ، وعندما قرب من سمرقند أخبره رجل أن الأمير حسين توفى ، وكان هذا الخبر غير صحيح ، فلم يتعجل تيمورلنك دخول المدينة ، وتوجه الى شادمان فتصدى له جمع من جند الأمير حسين فتمكن تيمورلنك من هزيمتهم وتفريقهم (٢) ٠ وعلى الرغم من علم الأمير موسى بأن تيمورلنك قدم من أجل الصلح الا أنه خرج بقوة كبيرة لمحاربته فتمكن تيمورلنك من هزيمته (٣) ٠

وعند كُوهَك (٤) تقدم الأمير حسين ومعه مائة من رجاله ، للقاء تيمورلنك الذي تقدم هو أيضا بصحبة مائه من أنصاره ، حيث التقى الأميران وعقد الصلح الذي كان كل منهما في حاجة اليه ومن ثم عاد تيمورلنك الى كش ٠

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 59 .
خواند امير : حبيب السير ، ١٣/٣/٣ ٠

(٢) Sami : Op . Cit . P . 58 .
خواند امير : حبيب السير ، ١٣/٣/٣ ٠

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ١٧١/١ ٠
Sami : Op . Cit . P . 59 .

(٤) كان خارج شهرستان سمرقند يقوم تل يسمى كوهك ، ويبلغ طوله نصف ميل ويمتد الى أسوار المدينة ، ومنه كانت تؤخذ الحجارة لأبنية المدينة والطين المستعمل في الأواني والزجاج والنورة وغير ذلك ٠

انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤٩٥/٤ - ٤٩٦ ٠
بارتولد : تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ص ١٧٣ ٠

(٥) Sami : aZ Fer Name . PP . 59 .
اليزدي : ظفرنامه ، ١٧٢/١ ٠
خواند امير : المصدر السابق ، ١٣/٣/٣ ٠

وبهذا الصلح تبدل العداء بين الطرفين الى تحالف وبدأ أول تعاون بين الأميرين بالهجوم على مدينة كابل ، وأظهر تيمورلنك شجاعة كبيرة في هذا الهجوم فتحقق لهما النصر (١) • ثم أبدى الأمير حسين لتيمورلنك رغبته في اتخاذ بلخ مركزا له وتعمير قلعة هندوان (٢) ، فاجابه تيمورلنك بقوله : [[ليس من حسن التدبير والسياسة أن تتخذ مركزا لك في موطن غير موطنك الأصلي ، ولكن الأمير حسين أصر على التوجه الى بلخ واصطحب معه تيمورلنك وأمر بتعمير القلعة وكان ذلك في عام ٧٦٩هـ - ١٣٦٧م]] (٣) •

و - محاربة تيمورلنك مغول الجته سنة ٧٦٩هـ - ١٣٦٧م •

قدم مغول الجته من الشمال استجابة لطلب تيمورلنك من أجل مساعدته لمحاربة الأمير حسين ولكن هذا الصلح غير موقفه تجاههم ، فعندما علم بقدومهم توجه مع الأمير الى ماوراء النهر وعبرا نهر جيحون لمواجهتهم عند طشقند (٤) •

الا أن الخلاف دب بين أمراء الجته فانقسموا على أنفسهم واقتتلوا فيما بينهم واضطروا الى الانسحاب والعودة الى ديارهم ، فأراد تيمورلنك أن يتعقبهم الا أن الأمير حسين طلب منه عدم تعقبهم ورأى أن يتوجها الى بذخشان (٥) •

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ١/١٧٧ •
Sami : 2a Fer Name . P . 62 .

(٢) هُندوان : قلعة حصينة في ظاهر أسوار بلخ ، تعرف بقلعة الهندوس ، وكان تيمورلنك قد جدد هذه القلعة واتخذت مقاما لعامله عليها • كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٦٤ •

(٣) اليزدي : المصدر السابق ، ١/١٧٧ •
Sami : Op . Cit . P . 62 .

(٤) Sami : Op . Cit . P . 62 .
رضا باروكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٩ •

(٥) اليزدي : المصدر السابق ، ١/١٧٨ •
خواند امير : حبيب السير ، ١٤/٣/٣ •

ز - توجه تيمورلنك والأمير حسين الى بذخشان سنة ٧٦٩هـ - ١٣٦٧م.

أعد تيمورلنك والأمير حسين الجيش للتوجه الى بذخشان ومعاقبة أمرائها الذين أغاروا على قندر، وعبرا نهر جيحون وعسكرا عند كشم قصبة بذخشان وكان أمراء بذخشان وجندهم معسكرين في كوتل كركس (٢).

أرسل الأمير حسين تيمورلنك وابنه جهان لمواجهة جيش بذخشان وعندما اقترب تيمورلنك منهم فضلوا الهرب، ويبدو أن سمعة تيمورلنك الحربية جعلتهم يخشون محاربته، فتوجهوا الى كوتل جرم (٣)، فلم يستقروا هناك وفروا مرة أخرى بعدما خربوا جسر جرم والممرات الماشية. وبالرغم من ذلك نجح تيمورلنك في العبور اليهم من موضع آخر فولوا هاربين صوب بذخشان (٤)، وظفر تيمورلنك بغنائم كثيرة منهم، وقبض على شاه شيخ على البذخشاني (٥). ثم بعث الأمير جهان (٦) الى ناحية كوران وتمكن من الانتصار على بعض أمراء بذخشان واستولى على غنائم وفيرة منهم، ولكن عند عودته قطع عليه جند بذخشان

---

(١) كان أمراء بذخشان قد سبق لهم أن تمردوا وعصوا الأمير حسين بن قزغن فتوجه اليهم لمحاربتهم وعندما علم حاكم هراة بذلك أرسل جيشا الى بلخ للاغارة عليها، فخرج تيمورلنك لمواجهتهم واجبرهم على العودة الى بلادهم، ولما علم حسين بن قزغن اضطر الى مصالحة أمراء بذخشان والتوجه لمقابلة تيمورلنك.
انظر : Sami : Op . Cit . P . 61 .

(٢) Sami : Op . Cit . P . 61 .
ولم نعثر على تعريف لهذا الموضع بين المصادر التي رجعنا اليها.

(٣) جرم : مدينة بنواحي بذخشان، واطلق اليزدي هذا الاسم على نهر بذخشان.
ياقوت الحموي : معجم البلدان، ١٢٩/٢.
كي لسترنج : بلدان الخلافة، ص ٤٨٠.

(٤) اليزدي : ظفرنامه، ١٧٩/١.
Sami : Op . Cit . P . 62 .

(٥) اليزدي : ظفرنامه، ١٨٠/١.
Sami : Op . Cit . P . 63 .

(٦) كوران : من أهم مدن كورة اسفزار جنوب هراة.
كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٥٤.

الطريق وقتلوا عددا كبيرا من جنده • واستعادوا الغنائم التي حصل عليها ، وكانت هزيمته ثقيلة فاضطر الى الهرب •(١)

وعندما سمع تيمورلنك بهزيمته صعد الى جبل دابان مع مجموعة من رجاله وسيطروا على الطريق الضيق الذي سيمر منه جند بذخشان ، فنشبت بين الطرفين معارك ضارية نجح تيمورلنك في استرداد ماسلبوه من الأمير جهان •(٢)

ويذكر Nizam uddin Sami أن تيمورلنك قال: [[لقد قمت بأداء عدد كبير من الحروب ولكن أعظم تلك الحروب هي تلك المعركة]] •(٣)

وعلى أثر ذلك ، وبناء على وعد بالعفو عنهم ، أعاد أمراء بذخشان كل ماسلبوه وأقسموا على ولائهم لتيمورلنك •(٤) فعفا عنهم ورد عليهم اسراهم ، وأعدت الولائم بهذه المناسبة ثم دخل تيمورلنك مدينة بذخشان دخول المنتصرين •(٥)

ج -ثورة كيخسرو ختلانى ، ومحمد بيان سلدوز سنة ٧٦٩هـ - ١٣٦٧-١٣٦٨م :

امتدت اقامة تيمورلنك في بذخشان فارتاب الأمير حسين في نواياه وخشى أن ينقلب عليه ، لذلك أرسل اليه رسولا يخبره أن محمد بيان سلدوز ، وكيخسرو

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ١٨٠/١ •
Sami : Op . Cit . P . 63 .

(٢) اليزدي : المصدر السابق ، ١٨٠/١ •
Sami : Op . Cit . P . 63 .

(٣) Sami : Op . Cit . P . 63 .

(٤) اليزدي : المصدر السابق ، ١٨٣/١ •
Sami : Op . Cit . P . 63 .

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ١٨٣/١ •
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٩ •
Grousset : The empire of the steppes . P . 414 .

شرعا في اثارة الفتنة والثورة في جنوب جيحون وطلب لقاءه في سالى سراى ليتشاورا في كيفية مواجهتهما ٠

ويذكر اليزدي أن سلدوز وكيخسرو بعثا برسالة الى تيمورلنك يطلبان منه العون والانضمام اليهما للثورة على الأمير حسين لكنه علم بها قبل وصولها الى تيمورلنك (١) ٠

وصل تيمورلنك الى أرهنك (٢) لمقابلة الأمير حسين الذي أبدى اعجابه وتقديره بحليفه ظاهريا ، لكنه كان ينوى الفتك به سرا ، وأجبر مؤقتا على مهادنة تيمورلنك وتأخير التخلص منه ، فهو في حاجه اليه لمواجهة المتمردين عليه (٣) ، لذلك طلب من تيمورلنك التوجه لمحاربة سلدوز وكيخسرو ، ونجح تيمورلنك في تحقيق النصر عليهم واجبارهما على الفرار ، فتوجه كيخسرو الى جبال ألتاى (٤) ، وهرب سلدوز شمالا الى خجنده ومنها الى أترار ، وعاد تيمورلنك منتصرا الى كش (٥) ٠

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ١٨٤/١ ٠
خواند امير : حبيب السير ، ١٤/٣/٣ ٠

(٢) آرهنك أو آرهن على الشط الجنوبي لجيحون ٠
ف٠ بارتولد : تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ٠ ص ١٥٢٠

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ١٨٧/١ ٠
خواند امير : حبيب السير ، ١٤/٣/٣ ٠

(٤) ألتاى : سلسلة جبال طويلة في شرقي آسية الوسطى ، تمتد من بحر سيسان في الجنوب الغربي حتى نهر سلنكا الأعلى ونهر أرخون الأعلى وتشمل منابع نهر أوب ونهرارش ونهر ينيسى ٠ وفي هذا المكان وفي الصقع المتاخم له الى الشمال الشرقي حتى مايعرف اليوم بمنغوليا كان يقوم أقدم وطن للترك والمغول وأسلافهم ٠
دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ١٧٤/٤ ٠

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ١٨٧/١ ٠
خواند امير : حبيب السير ، ١٤/٣/٣ ٠

ط - استيلاء تيمورلنك على بلخ ومقتل الأمير حسين بن قزغن سنة ٧٧١هـ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ م

أ - أسباب عودة النزاع بين تيمورلنك وحسين بن قزغن :

كانت العلاقة بين تيمورلنك وحسين بن قزغن بين مد وجزر فتارة يسودها العداء الشديد فتنشب بينهما الحروب ، ومرة أخرى يظللها الوفاق ويصبحان رفاق سلاح ويخوضان معا الحروب ضد أعدائهما ، فبعد صلحهما الأخير تم بينهما تعاون حربي حققا فيه نتائج ايجابية ، ولكن ذلك لم يستمر طويلا فعادت الحروب بينهما من جديد ، حيث تمكن تيمورلنك من تحقيق نصر حاسم عليه ، ولاشك أن توتر العلاقة بينهما يعود الى أسباب عدة ، فعلى الرغم من حرص تيمورلنك على تنفيذ رغبات الأمير حسين الا أنه كان يرى فيه منافسا خطيرا وأن انتصاراته على اعدائه أكسبته محبة الأمراء والجند والتفافهم حوله (١) .

تأكد تيمورلنك من أحد أصدقائه وكان ضمن أعضاء مجلس الأمير حسين أنه يبيت له الشر ويسعى للغدر به ان قدم الى بلخ ، فغضب تيمورلنك من ذلك وأعلن للأمراء نيته في محاربة الأمير حسين وأيده الأمراء لنفورهم منه (٢) .

ويذكر تيمورلنك في تزوكاته : " أنه على الرغم من مراعاتي لصلة الرحم مع الأمير حسين الا أنه لم يقدر احساني ومروءتي ، وعزم على قتلي عندما رأى آثار فتوحاتي وانتصاراتي ، وحاربني عدة مرات محاولا القضاء علي " (٣) .

---

(١) Kennedy : History of the great Moghuls . P.P. 74 - 75 .

(٢) المصدر السابق ، ١٤/٣/٣ .
فامبري : تاريخ بخارى ، ص ٢١٣ .

(٣) تزوكات تيمور ، ص ١٠٦ .

غضب تيمورلنك من عدم وفاء الأمير حسين له على الرغم من أنه كان يقسم على المصحف الشريف أنه سوف يحافظ على صداقته ، فلما تأكد تيمورلنك من سوء نيته أعلن الحرب عليه .

كما أن قتل الأمير حسين هموجى شقيق الأمير كيخسرو ختلانى جعل تيمورلنك يأخذ حذره ، لأن ذلك العمل دليل على غدر الأمير حسين بالأمراء ومعاونيه (١) .

ب - استيلاء تيمورلنك على بلخ .

حين تأكد تيمورلنك من سوء نية الأمير حسين تجاهه ، عرض الأمر على أنصاره وبين لهم مايدور في خاطره من تخوف شديد من الأمير حسين ، فاجتمعت الكلمة على محاربته ، فجهز تيمورلنك جيشه وجعل على رأسه الأمير موسى ، الا أن موسى ترك قيادة الجيش وهرب الى سمرقند خوفا من عقاب الأمير حسين لو تحقق له النصر (٣) .

ومهما يكن الأمر فان هروب الأمير موسى لم يقلق تيمورلنك ، فقام بقيادة الجيش بنفسه الى ترمذ ، فلما رآهم فريق من جيش الأمير حسين ولوا هاربين الى بلخ (٤) .

وقوى موقف تيمورلنك يومئذ بتأييد الأمراء الذين توافدوا عليه من جميع الأطراف وأبدوا استعدادهم لنصرته (٥) ، كما أن عددا من أتباع الأمير حسين ضاقوا ذرعا بسلوكه وتصرفاته ، وأغراهم علو شأن تيمورلنك بين أمرائه وجنده ، فانضموا اليه (٦) ، وعندما وصل تيمورلنك الى موضع يسمى بيا بالقرب من

---

(١) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ١٠٦ .
(٢) خواند امير : حبيب السير ، ١٤/٣/٣ .
(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ١٩٣/١ .

(٤) اليزدي : المصدر السابق ، ١٩٣/١ .
Sami : Op . Cit . P . 67 .

(٥) اليزدي : المصدر الساق ، ١٩٣/١ .
Smai : Op . Cit . P . 67 .

(٦) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢١٣

ترمذ بشره بالنصر السيد بركة وهو من أشراف مكة ، وينتمى لآل البيت وأعطاه الطبل والعلم وقال له : " توجه حيث شئت فانك منصور "، فسعد تيمورلنك لقوله وقام باكرامه واعتبر ذلك فألا حسنا (١) ٠

وحين وصل تيمورلنك الى جِغان رود (٢) أمر الأمير جاكو بجمع الجنود من الأماكن القريبة ، فنجح في جمع أعداد كبيرة من قبيلة سلدوز ، ثم تقدم تيمورلنك الى موضع خلم (٣) ، وهناك انضمت اليه قبيلة هزار والتحق به شيخ محمد والي بذخشان والأمير أولجايتو ، وكان تيمورلنك قد طلب منهما الانضمام اليه مع جيشهما فانضما اليه (٤) ٠ كما انضم اليه الأمير كيخسرو الذي كان قد سبق أن حاربه استجابة لطلب الأمير حسين ، وكذلك انضم اليه أمراء أولوس جغتاى (٥) ٠

تمكن تيمورلنك من اجبار جيش الأمير حسين على التراجع والتفرق ثم اتجه تيمورلنك نحو بلخ وحاصر جنده قلعتها المشهورة ، ودار قتال عنيف بين الطرفين لم يصدق فيه الأمير أن مع تيمورلنك مثل هذا العدد الكثيف ، وعلى الرغم من ذلك استمر الأمير حسين في مقاومته ، ولم يستسلم الا بعد ما سقطت بلخ (٦) ٠

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ١٩٤/١ ٠
خواند امير : حبيب السير ، ١٥/٣/٣ ٠

(٢) أحد روافد نهر جيحون ويعرف الآن باسم سرخن ٠
دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ٦٩/١٢ ٠

(٣) بلدة بنواحى بلخ على مسيرة يومين من شرقها ، وهي بلدة صغيرة ذات مزارع ورساتيق كثيرة ، وهواءها صحيح ٠

الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص ٢٧٥ ٠

(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٥ ٠

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ١٩٧/١ ، ١٩٨ ٠
Sami : Op . Cit . P . 67 . 68 .

(٦) اليزدي : المصدر السابق ، ٢٠٢/١ ٠
Sami : Op . Cit . P . 70 .
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢١٣
Grousset : The Empire of the steppes, P. 414 .

ويذكر المؤرخون أن تيمورلنك أرسل الى الأمير حسين قائلا له : [[اذا كنت ترغب في انقاذ روحك فأوف بعهدك " فاجابه الأمير حسين : " انني سأترك لك الملك والدولة والمال فأفسح لي الطريق ، لأذهب الى الكعبة الشريفة]] ٠

وجاء رد تيمورلنك له : [[لقد أصبحت دولتك مضطربة وانتهت أيامك السعيدة ، ولايوجد لديك وسيلة سوى الخروج والتسليم]] (١) ٠

فرأى الأمير حسين أنه لافائدة ، فأرسل ابنه الأكبر الى خارج القلعة ليبلغ تيمورلنك أن والده أعلن الطاعة والخضوع ويطلب لنفسه الأمان وألايهدر دمه (٢) فوافق تيمورلنك على طلبه ٠

وتؤكد الشواهد التاريخية أنه أعلن عدم التعرض له بأى مكروه وافساح الطريق أمامه ليتوجه الى حيث يريد (٣) ٠ ولم يكن الأمير حسين صادق النية في مطلبه بأن يسمح له بالتوجه الى الكعبة فقد توجه الى وسط مدينة بلخ وصعد الى أعلى منارة أحد المساجد واختبأ هناك ، فرآه أحدهم فأخبر تيمورلنك بمكانه ، ولما سمع الأمراء ذلك أسرعوا الى المسجد وقبضوا عليه وأحضروه مكبلا بالحديد الى تيمورلنك (٤) ٠

ويذكر مؤرخوه انه عندما رأى الأمير حسين في مثل هذا الموقف حزن عليه ، وأمر بعدم التعرض له ، الا أن الأمراء أولجاتو ، وكيخسرو ومؤيد أرلات قاموا بقتله (٥) ٠

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٠٢/١ ٠
Sami : Op . Cit . P . 70 .

(٢) اليزدي : المصدر السابق ، ٢٠٢/١ ٠
ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ١٠٧/١ ٠
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٩ ٠

(٣) اليزدي : المصدر السابق، ٢٠٣/١ ٠
Sami : Op . Cit . P . 70 .

(٤) اليزدي : المصدر السابق ، ٢٠٣/١ ، ٢٠٤ ٠
خواند امير : حبيب السير ، ١٥/٣/٣ ٠

(٥) Sami : Op . Cit . P . 70 .
خواندامير : حبيب السير ، ١٥/٣/٣ ٠

ولا أميل الى رأى المؤرخين الفرس الذين ذكروا أن تيمورلنك لم يكن له علم سابق بمقتل الأمير حسين ، ولم يأذن به ، فقد حاول هؤلاء المؤرخون أن يظهروه بمظهر القائد الوفي الذي حافظ على صداقة حليفه طوال تلك الفترة ، على الرغم مما سببه له هذا الحليف من المضايقات والمتاعب ، ومع ذلك قابل هذا كله بالعفو عنه •

ونعتقد أن تيمورلنك قد سعى الى قتله ليتخلص من منافس قوى وصلت طموحاته الى الرغبة في الانفراد بالحكم •

وعلى النقيض من مؤرخيه نجد ابن عربشاه يلصق تهمة قتل الأمير حسين به حيث يقول : [[وتوجه تيمورلنك الى سمرقند ومعه السلطان حسين ، وذلك في شعبان سنة احدى وسبعين بعدما خلا من الهجرة سبعمائة من السنين ، وصل الى سمرقند واتخذها دار ملكه ، وشرع في تمهيد قواعد الملك ، ونظمها في نظام سياسته وسلكه ، ثم انه قتل السلطان]] (١) •

ويذكر الغياثي أنه لما وقع بين تيمورلنك والأمير حسين الحرب انكسر عسكر الأمير حسين وانهزم فقبضوه وجاءوا به الى تيمورلنك فأمر تيمورلنك رجلا كان له عليه دم أن يقتله فقتله (٢) •

أما ارمنيوس فامبرى فيقول : [[انه أبى على تيمورلنك كرمه الا أن يعفو عن أخى زوجه المحبوبة ، غير أن من حوله لم يقروه على ذلك لفرط ماكان قد لحقهم من الاهانات على يديه ، حتى صمموا على قتله ، ولم يجد الحاح تيمورلنك الكثير عليهم شيئا ، فاضطر آخر الأمر الى أن يسلم اليهم من كان رفيقا له في شبابه وصديقا ، ثم غريما فاشلا من بعد ذلك ، فأنزل من برج كان قد لجأ اليه آخر لحظة وسيق الى الموت عام ٧٧١هـ - ١٣٦٩ م]] (٣) •

والمتتبع لتلك الروايات يجد أن تيمورلنك كان على علم بقتل الأمير

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٥ ، ١٦
(٢) الغياثي : التاريخ الغياثى ، ص ١٧٦ •
(٣) تاريخ بخارى ، ص ٢١٣ •

حسين ، وأنه مع ذلك لم يعاقب القتلة الذين قاموا بقتله كما أنه لم يظهر الاستياء من قاتليه ٠

وعلى الرغم من ذلك كله فان تيمورلنك لم يعامل أمراء وجند الأمير حسين معاملة سيئة ، فهو يذكر في تزوكاته : " وبعدما أسرت الأمير حسين اعتقد جنوده أنني سوف أقتلهم ، ورغم أنني عزمت على قتلهم ، الا أنني رأيت استمالتهم وتعيينهم في الأعمال العسكرية لأنهم من الجنود المتمرسين في القتال[(١)] ٠

وتبع ذلك أن قام الأمراء بالاستيلاء على قلعة هندوان وقاموا بقتل أبناء الأمير حسين[(٢)] وصادروا كنوزه ، وقام تيمورلنك بتوزيعها على أتباعه وأنصاره[(٣)] ٠

وبعد هذا النصر الكبير لتيمورلنك على خصمه انعقد مجلس القوريلتاي [[الكوريلتاى]] المجلس العام لرؤساء القبائل وأمراء المناطق وكبار رجال الدين وأختاروا تيمورلنك حاكما على بلاد ماوراء النهر سنة ٧٧١هـ-١٣٦٩م[(٤)]٠

---

(١) تزوكات تيمور ، ص ١٠٨ ٠

(٢) تمكن الأمراء من قتل ابني الأمير حسين وهما خواند سعيد ، ونوروز سلطان أما جهان ملك وخليل سلطان فتمكنا من الهرب الى الهند ٠

اليزدي : ظفرنامه ، ٢٠٦/١ ٠
خواند امير : حبيب السير ، ١٥/٣/٣ ٠

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٠٦/١ ٠

(٤) انظر : اليزدى : ظفرنامه ، ٢٠٩/١ - ٢١١
Arberry : The History of persia . Oxferd , 1924) P . 67 .

المبحث الثالث

حروب تيمورلنك ضد قبائل الجته

بزعامة الأمير قمرالدين دوغلات والانتصار عليهم

(٧٧٢هـ - ٧٨٤هـ - ١٣٧٠ - ١٣٨٢م

حروب تيمورلنك ضد قبائل الجته بزعامة الأمير قمرالدين دوغلات والانتصار عليهم ٧٧٢ - ٧٨٤هـ - ١٣٧٠ - ١٣٨٢م ٠

بعد مقتل الأمير حسين بن قزغن سنة ٧٧١هـ - ١٣٦٩م[(١)] تخلص تيمورلنك من أكبر منافس له في بلاد ماوراء النهر ، وقد تم له بحد السيف ابعاد معظم أعدائه الخارجين عليه عند حدوده الشرقية[(٢)] ، وأخذت الأمور تستقر له الى حدما في بلاد ماوراء النهر ، وتم تعيينه باجماع مجلس القوريلتاى حاكما وأميرا عليها[(٣)] ٠

رأى تيمورلنك سنة ٧٧٢هـ - ١٣٧٠م أن قبائل الجته دائما مايغيرون على حدود بلاده فينشرون الخوف والاضطراب فيها ، لذا عزم على محاربتهم ، والقضاء عليهم ٠ وقد امتدت حملاته على قبائل الجته طوال الفتره من ٧٧٢ - ٧٨٤هـ - ١٣٧٠ - ١٣٨٢م ٠ وكانت أسرة الدوغلات المغولية ذات سلطة ومركز كبيرين في خانية جغتاى الشرقية ، وكانت بالاضافة الى ذلك تملك الكثير من المقاطعات داخل أرض جغتاى بمنطقة تركستان ، وكان أمير الدوغلات " يولاجى "[(٤)] قد تمكن

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٠٥/١ ، ٢٠٦ ٠
خواند امير : حبيب السير ، ١٦/٣/٣ ٠
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩١ ٠

(٢) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢١٣ ٠

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٠٩/١ - ٢١٤ ٠
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩١ ٠

(٤) لم نقف على ترجمه له بين المصادر التي رجعنا اليها ٠

عام ٧٤٨هـ - ١٣٤٧م من تتويج الخان الجغتائي " تغلق تيمور " على عرش تركستان وبعد وفاة " يولاجي " تم تعيين ابن يولاجي الصغير " خودابداد " في منصب والده أميرا للبلاط وقد أدى هذا التعيين الى غضب قمرالدين أخي يولاجي الذي كان يرى أنه الأحق بتولي هذا المنصب ، لذلك رفض هذا التعيين وشكا من ذلك التصرف الى الخان تغلق تيمور فلم يستمع الى شكواه .(١)(٢)

وبعد وفاة الخان تغلق سنة ٧٦٤هـ - ١٣٦٣م اغتنم الأمير قمرالدين هذه الفرصة وأخذ في تسخير الأمور لصالحه وقام بالانتقام من وريث ابن الخان تغلق تيمور " الياس خواجه " الذي كان عائدا لتوه من بلاد ماوراء النهر بعد الخسائر الفادحة التي حلت بجنده وخيله .(٣)

ولم يكتف قمرالدين بقتل الياس خواجه سنة ٧٦٦هـ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥م . بل قام بقتل المخالفين واستأثر بالحكم لنفسه ، وأطلق على نفسه لقب الخان وحاكم المغولستان .(٤)

وتمكن خضر خواجه الأخ الأصغر لالياس خواجه من الهرب من كاشغر الى بامير واختفى هناك أملا في ظهوره مرة أخرى عندما تتحسن أحواله .(٥)

والذي يهمنا في هذه الدراسه هو حروب تيمورلنك مع الأمير قمرالدين حيث قام تيمورلنك بشن العديد من الحملات ضده ، ولم تكن تلك الحملات تقل شراسة عن الحملات التي سبق له القيام بها ضد المناطق الأخرى ، بل ان حملاته

---

(١) و. بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ٢١٢ .
Grousset : The empire of the steppes . P . 422 .

(٢) Grousset : Op . Cit . P . 422 .

(٣) عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٩٥ .
Grousset : Op . Cit . P . 422 .

(٤) ذكر Grousset في كتابه The empire of the steppes صفحة ٤٢٢ أن المغولستان تشتمل على منطقة أقاليم التالاس ، اسك كول ، ايلي ، ويولدوز ومناس .

(٥) Grousset : Op . Cit . P . 422 .

ضد قمرالدين كان الهدف منها حماية بلاد ماوراء النهر من غزوات الجته .

ففي سنة ٧٧٢هـ - ١٣٧٠م عزم تيمورلنك على الخروج لمحاربة قبائل الجته وعبر بجيشه نهر سيحون وتمكن من ادخال كمزه (١) تحت طاعته وعين تيمورلنك كبك تيمور (٢) حاكما على تلك القبائل ثم عاد الى سمرقند (٣) .

وتشير المصادر التي بين أيدينا الى أن كبك تيمور لم يحسن سياسة تلك القبائل حيث طغى وظلم وشق عصا الطاعة على تيمورلنك ، مما دفعه الى أن يرسل اليه جيشا بقيادة مجموعة من الأمراء الكبار للقضاء عليه ، ولكن الأمراء لم يتمكنوا من تحقيق ذلك وقاموا بعقد صلح مع المخالفين من الجته لم يرض به تيمورلنك (٤) .

ولم يذكر اليزدي السبب الذي دفع الأمراء لعقده ، والواضح أنهم فعلوا ذلك دون علم تيمورلنك ، أو استشارته فيه . ودليلنا على ذلك أن تيمورلنك أمر بجمع الجيش من جميع الأطراف وخرج بنفسه لمواجهة قبائل الجته وقمع هذه الفتنة ، وعندما علم المخالفون بقدومه لاذوا بالفرار (٥) .

وتقدم تيمورلنك بعد ذلك الى موضع يسمى سنكر بغاج (٦) ، وتمكن من أسر أعدادا كبيرة من الجته ، وغنم الكثير من الأموال والأمتعة (٧) .

ويضيف ارمنيوس فامبرى قائلا [[ان تيمورلنك اجتاح منازلهم واعمل السلب والحريق فيها يمينا وشمالا ، ثم عاد آخر الأمر الى موطنه محملا بالغنائم وفي ركابه عدد كبير من الأسرى]] (٨) ، وعين على حكومة شيرقان الأمير

---

(١) كمرة أو كمرى من قرى بخارى .
ف. بارتولد : تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ص ٣٥ .
(٢) لم أجد ترجمة له بين المصادر التي في يدى .
(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٢٧/١ .
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢١٧ .

(٤) كان من ضمن هؤلاء الأمراء : بهرام جلاير ، وعباس بهادر ، وختاى بهادر ، وشيخ على بهادر .
انظر : اليزدي : ظفرنامه ، ٢٢٧/١ - ٢٢٨ .

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٣٠/١ - ٢٣١
(٦) لم أجد تعريفا لهذا المكان بين المصادر التي رجعت اليها .

(٧) اليزدي : المصدر السابق ، ٢٣٠/١
(٨) تاريخ بخارى ص ٢١٧ .

بيان تيمور بن أقبوغا بدلا من حاكمها السابق زنده حشم (١) •

وفي عام ٧٧٦ - ٧٧٧هـ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦م قام تيمورلنك بحملتة على الجته، الا أن هذه الحملة لم تحقق مآربه في القضاء عليهم وعلى زعيمهم قمرالدين ، حيث أدى اشتداد البرد وسقوط الثلج الى اعاقة تحركه وقتل عدد كبير من رجاله ودوابه ، فعاد سريعا الى سمرقند (٢) •

ولم تطل فترة انتظار تيمورلنك لمعاقبة الجته أكثر من شهرين حيث توجه اليهم ومعه مجموعة كبيرة من الأمراء ، وعند سيرام (٣) تمكنوا من أسر أحد أفراد الجته ، وأرسلوه الى تيمورلنك ، وفي التحقيق معه أخبرهم الرجل أن قمرالدين قد جمع جيشه عند موضع يسمى كول تيه • ولم يكن قمرالدين يعلم بقدوم جيش تيمورلنك • وعلى الجانب الآخر أمر تيمورلنك جنده بزيادة سرعتهم للتوجه الى موقع قمرالدين قبل أن يأخذ حذره ويهرب (٤) •

وتذكر المصادر الفارسية أنه عندما علم الأمير قمرالدين بتوجه جيش تيمورلنك اليه ، لجأ وجنده الى مكان حصين يسمى " بركه غوريان " (٥) فتعقبهم الأمراء بقيادة جهانجير فتمكن قمرالدين من الهرب أثناء الليل ، لكنهم لم يسلموا من متابعة الأمير جهانجير ورجاله الذين تمكنوا من قتل أعداد كبيرة

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٣٢/١ •
ولم أعثر على ترجمة له بين المصادر التي بين يدي •

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٥٢/١ •
Sami : Zafer Name , P . 82 .
خواندامير : حبيب السير ، ١٩/٣/٣ •

(٣) سيرام : تقع على نحو ثمانية أميال شرق جمكنت على نهر أويس وهو رافد من روافد سيحون ، وتشتمل على مدينة وقلعة وربض ، وفي خارجها مياه وبساتين ، وكان لها أربعة أبواب على كل باب رباط ، وكان اسمها قبل الغزو المغولي اسبيجاب وقد ذكرها اليزدي باسم سيرام •
انظر : كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٢٧ •

(٤) Sami : Zafer Name , P . 82 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٥٣/١ •

(٥) لم أقف على وصف لهذا المكان بين المصادر التي بين يدي •

منهم ، ولما رأى قمرالدين شدة ملاحقتهم له اضطر الى الانفصال عن أهلـــه ، فظفر جند تيمورلنك بالكثير من أمواله وممتلكاته ،واسروا زوجته "نوبان أغا" وابنتها دلشاد أغا وأرسلوهما الى تيمورلنك (١) •

ويذكر خواندامير وغيره أن تيمورلنك تزوج دلشاد أغا وأقام الاحتفـالات لعدة أيام بهذه المناسبة ثم عاد الى سمرقند (٢) •

وتوجه تيمورلنك مرة أخرى لمحاربة الجته سنة ٧٧٧هـ - ١٣٧٥م وكان سبب ذلك أن أعوان قمرالدين قد أقنعوه بالتوجه الى انديكان (٣) والاستيلاء عليهـــا وتمكن قمرالدين من دخولها وكان واليا عليها يومئذ الأمير عمر شيخ الذي فشل في مقاومة قمرالدين بعد انفصال قبيلة هزارة عنه ، وانضمامها الى قمرالدين وأدى هذا الأمر الى ضعف قوته فبعث الأمير عمر شيخ رجلا من طرفه ليخبـــــر تيمورلنك بما آل اليه الأمر (٤) ، ويظهر أن سمعة تيمورلنك الحربية ، وقوة بطشة

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٥٤/١ - ٢٥٥ •
خواندامير : حبيب السير ، ١٩/٣/٣ •

(٢) تؤكد المصادر الاسلامية هذا الزواج قائلة ، إن تيمورلنك تزوج بنـــت قمرالدين ملك المغول وأنه بهذا الزواج صار أمنا من تبعتهم وهـــم جيرانه من جهة الشرق ، ولكننا نرى من خلال الأحداث الجاريـــة أن هذا الزواج لم يحسن العلاقة بين الطرفين •

ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٠ •
القرماني : أخبار الدول وآثار الأول ، ص ٢٨٩

(٣) انديكان : وهي انديجان الحالية فقد اتخذها كيدوخان حفيد اكتــاى بن جنكيزخان قصبة لفرغانة في النصف الأخير من المئة السابعة (الثالثة عشره) •

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢٦١/١
كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٢١ •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٦٤/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ٢٠/٣/٣

بأعدائه كانت تخفيق الأمير قمرالدين الذي سارع بالتراجع والانسحاب واختبأ في كمين مع أربعة آلاف من رجاله الأقوياء (١) ٠

وتفيد المصادر أن تيمورلنك عندما تقدم من ذلك الموضع لم يعلم بكمين قمرالدين ، وكان قد سبق لتيمورلنك أن أعطى أوامره لجنده بالقيام بتعقب الجته ولم يبق معه سوى مائتين من رجاله ، فلما علم قمرالدين بذلك تجرأ على محاربته وحرص على عدم ضياع هذه الفرصة من يده (٢) ٠

وتؤكد الشواهد التاريخية أنه على الرغم من قلة عدد رجال تيمورلنك الا أنهم تمكنوا ببراعتهم وشجاعتهم من الحاق الهزيمة بقوة قمرالدين وأفلت قمرالدين هاربا ، وتقابل مع الأميرين ساربوغا ، وعادلشاه جلاير واتحد الجميع على محاربة تيمورلنك ، ولم يترك تيمورلنك لهم الفرصه لتحقيق هدفهم حيث وصل اليهم قبل تنظيم صفوفهم وتمكن من تفريقهم جميعا (٣) ٠

وتوجه الأمير أوج قرابهادر (٤) لملاحقة الأمير قمرالدين الا أنه تم أسره ، كما أن الأميرين عمر شيخ وختاى بهادر تمكنا من الاستيلاء على كاشغر من أمراء أولوس جغتاى وضموها الى الولايات التيمورية (٥) ٠

وعندما عاد تيمورلنك الى سمرقند وجد ابنه الأمير جهانجير قد توفى

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٦٤/١ - ٢٦٥ ٠
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٣ ٠

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٦٤/١ - ٢٦٦ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٢٠/٣/٣ ٠

(٣) خواندامير : المصدر السابق ، ٢٠/٣/٣ ٠
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٣ ٠

(٤) لم أجد له ترجمه بين المصادر التي رجعت اليها ٠

(٥) خواندامير : حبيب السير ، ٢٠/٣/٣ ٠
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٣ ٠

فحزن عليه أشد الحزن ، وأمر أن يحمل جثمانه الى مدينة سبز ليدفن فيها وكان ذلك في سنة ٧٧٧هـ - ١٣٧٥م • ولم تتوقف حملات تيمورلنك على الجته ، فعندما علم أن عادلشاه جلاير وعددا من خاصته يتجمعون بالقرب من المنطقة الجبلية قراجق ،(١) أرسل مجموعة من الأمراء لالقاء القبض عليه ، فتمكنوا منه وقتلوه •(٢) كما أنه أمر مجموعة أخرى بالتوجه الى قمرالدين فأدركوه عند صحراء قوراتو(٣) وهزموه شر هزيمة ، وتمكن الأمير قمرالدين من الهرب •(٤)

ولكن على الرغم من كل تلك الانتصارات علىالجته الا ان تيمورلنك كان يحرص على الاغارة عليهم كلما أمن جانب خوارزم ، لذلك قام بارسال حملة خامسة على الجته سنة ٧٧٧ - ٧٧٨هـ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧م • تمكنت من اللحاق بقمرالدين عند " بوغام أس كول "(٥) الا أن الأمير كعادته فضل الهرب عندما رأى عدم مقدرته على مواجهتهم ، وتمكنت الحملة من تحقيق نصر كبير على قبيلة قمرالدين وأسر الكثير من أتباعه •(٦)

ويضيف ارمنيوس فامبرى أن هزيمة قمرالدين هذه المرة كانت حاسمة اضطر على أثرها الى الفرار من بلاده الى غير رجعة وكان ذلك آخر عام ٧٧٨هـ-١٣٧٦م•(٧)

ويذكر اليزدي في أحداث سنة ٧٨٤هـ - ١٣٨٢م أن تيمورلنك أرسل الأمير زاده علي(٨) مع فرقة من الجيش لقلع وقمع أشرار الجته الذين كان أكثرهم على غير الاسلام والقضاء على قمرالدين لاثارته الفتنة فيما بينهم ، وبينما كان الأمير زاده علي وجيشه في الطريق فاجأتهم طائفة من الجته وهزموهم فاضطر

---

(١) لم أجد لهذا المكان وصفا بين المصادر التي رجعت لها •
(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٧٣/١ •
(٣) لم أجد وصفا لهذه الصحراء بين المصادر التي بين يدي •
(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٧٣/١ •
(٥) لم أجد لهذا المكان تعريفا في المصادر التي بين يدي •
(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٧٤/١ •
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٩٥ •
(٧) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢١٧ •
(٨) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي •

الأمير زاده ومن معه الى العودة الى سمرقند (١) ٠

تأثر تيمورلنك من هزيمة الأمير زاده علي ، فقام بارسال حملة أخرى بقيادة الأمير شيخ علي بهادر ، وسيف الملوك بن الأمير حاجى سيف الدين برلاس للانتقام من هؤلاء الجته ، وأمدهم بعشرة آلاف جندى بقيادة جهانشاه جاكو (٢) فتمكنوا من هزيمة الجته وقتل أعداد كبيرة منهم ، وأفلت قمرالدين من الوقوع في الأسر ، وعاد الجميع الى سمرقند (٣) ٠

ومن كل تلك الحملات التى قام بها تيمورلنك بنفسه أو بواسطة امراء جيشه للقضاء على قبائل الجته وزعيمهم قمرالدين يتضح لنا : تمكن الأمير قمرالدين من اثارة الفتنة والاضطراب الى حد كبير في بلاد ماوراء النهر خلال فترة تأسيس وتوطيد تيمورلنك لحكمه في المنطقة ، ويتضح من سير الأحداث أن الأمير قمرالدين كان على درجة كبيرة من الذكاء والحذر الأمر الذي جعل مهمة القبض عليه صعبة ٠

تفوق تيمورلنك ورجاله في حروبهم ضد الجته ، وتمكنهم من هزيمتهم في معظم الحملات التي قاموا بها ، وقد نجح الجيش التيمورى في قتل وأسر أعداد كبيرة من أولئك الجته ، كما أنهم حصلوا على الكثير من الأموال والغنائم خلال حروبهم معهم ٠

لم تحقق رغبة تيمورلنك أى نوع من الوفاق بينه وبين قمرالدين وذلك عن طريق مصاهرته ، حيث تزوج تيمورلنك من ابنة قمرالدين " دلشادأغا " وبذلك لم يصل الى ماكان يرمى اليه وهو ضم القسم الشرقي من دولة جغتاى السابقه اليه (٥) ٠

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٥٧/١ ٠

(٢) عرف بالشجاعه والتضحية والاخلاص ، ويعتبر من أوائل الموالين لتيمورلنك وممن بايعه بالحكم دون تردد ٠

(٣) لم أقف على ترجمة له بين المصادر التي بين يدي ٠

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٥٨/١ ٠

(٥) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢١٧ ٠

ولم تتوقف حملات تيمورلنك على الجته ، حيث قام بالاغارة عليهم فيما بعد الا أنها لم تكن اغارات ذات أهمية لذلك أغفل المؤرخون ذكر معظمها ٠

وأخيرا أعطت حروب تيمورلنك ضد الجته والقضاء عليهم دفعة قوية له للتوجه الى بلاد ايران خاصة بعدما تأكد من ضعف قوة الجته وعدم امكانية حدوث خطر جديد من قبلهم بعد هروب زعيمهم قمرالدين ٠

الفصل الثالث

توسع الدولة التيمورية فيما وراء النهر

وفيه مبحثان

المبحث الأول

اتخاذ سمرقند حاضره لتيمورلنك

المبحث الثاني

حروب تيمورلنك ضد ممالك خوارزم

(٧٧٣ - ٧٨٢هـ / ١٣٧٢ - ١٣٧٩م)

المبحث الأول

اتخاذ سمرقند حاضرة لتيمورلنك

اتخاذ سمرقند حاضره لتيمورلنك .

يمدنا المؤرخون الجغرافيون بوصف شاف لمدينة سمرقند ، فذكروا أنها بلد معروف مشهور ، وهي قصبة الصغد مبنية على جنوبي وادى الصغد (١) وعلى المدينة سور طوله اثنا عشر فرسخا حوله خندق عميق ، ولها قلعة مرتفعة على الأرض وفي أسفلها قرب النهر أرباض كبيرة تحف بها البساتين والاشجار ، وقل ان تخلوا دارا من دورها من بساتين أو ماء جار فيها،وللمدينة (٢) أربعة أبواب هي باب الصين في جهة المشرق وباب بخارى في جهة الشمال ، وباب النويبهار في جهبة المغرب ، وباب كش في الجنوب (٣) وكان بها سوق تعرف برأس الطاق ، ودورها مبنية بالخشب والطين ، وقد ظلت سمرقند من حيث الرقعة (٤) وعدد السكان أولى مدن ماوراء النهر قاطبة ، وأحسنها (٥) وأتمها جمالا (٦) ، ويتبع ولاياتها اثنا عشر رستاقا ستة جنوب زرفشان (٧) ، وستة الى الشمال منه (٨) .

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢٤٦/٣ .
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٧٣٦/٢ .

(٢) الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص ٢٩٥ .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢٤٨/٣ .

(٣) كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٠٧.

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٤٣٢/٤ .
كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٠٧ .

(٥) كي لسترنج : المصدر السابق ، ص ٥٠٨

(٦) ابن بطوطة : محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ) : رحلة ابن بطوطة المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار ، شرحه وكتب هوامشه محمد حرب ، بيروت : دار الكتب العلمية (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ص ٣٩١ .

(٧) زرفشان أو نهر الصغد أو ناشر الذهب على مايسمى اليوم فان منابعه في جبال يقال لها البتم ، وهو يفصل بين أنهار اقليم الصغد من جهة وأنهار الصغانيان ووخشاب من جهة أخرى وهما من روافد يمين نهر جيحون .
وفيها معادن الذهب والفضة وكذلك يستخرج منها الحديد والزئبق والنحاس والنفط .
انظر : كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٠٣ .

(٨) كي لسترنج : بلدت الخلافة ، ص ٥٠٨ .

واستمرت سمرقند على ذلك الحسن والجمال حتى حل بها المغول فأوقعوا مختلف الخسائر بها وبغيرها من انحاء ماوراء النهر سنة ٦١٦-٦١٧هـ-١٢١٩-١٢٢٠م (١)

ويذكر ابن بطوطة الذى زارها في أوائل القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي أنه "كان على شاطئ سمرقند قصور عظيمة وعمارة تنبئ عن علو همم أهلها ، فدثر وخرب أكثرها ، وأصبح لاسور لها ولا أبواب عليها" (٢).

ومهما يكن الأمر فان سمرقند استعادت مجدها السابق في ختام القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى ، وذلك حين اتخذها تيمورلنك عاصمة له (٣) ، مفضلا اياها على مسقط رأسه المدينة الخضراء كش رغم ماكان لها في نفسه من مكانة وذكريات حيث رأى أنها أصغر من أن تظهر فيها روعة المملكة وهيبة الامبراطورية ، نظر تيمورلنك الى سمرقند فوجدها أكثر ملاءمة لتكون حاضرته فهي تتمتع بموقع جغرافي فريد عند ملتقى الطرق التجارية الكبرى القادمة من الصين ومن الهند مارة ببلخ ومن ايران مارة بمرو (٤) وبأراضى الترك (٥) ، كما أنها تميزت عن غيرها بمركزها الحيوى وبتجارتها الوثيقة الاتصال بالقوافل المارة بها ، كما أن ما امتازت به المنطقة المحيطة بها من خصب وفير أتاح لعدد كبير من الناس أن يسكنها (٦) . ولذلك كله تم اختيارها عاصمة له فما أن

---

(١) عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ترجمة د/ محمد علاءالدين منصور ، ص ٣٥٥ .
كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٠٨

(٢) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٣٩١ .

(٣) كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٠٨ .

(٤) مرو : وهي أشهر مدن خراسان ، وقصبتها وهي العظمى بينها وبين نيسابور سبعون فرسخا ، والى سرخس ثلاثون فرسخا ، وبها نهر الرزيق بتقديم الراء على الزاي ، والشاهجان ، وهما نهران كبيران يخترقان شوارعها ، ومنها يسقى أكثر ضياعها .
انظر : الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص ٢٥٨ ومابعدها .
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٢٦٢/٣ .

(٥) المقصود باراضى الترك أو بلاد الترك تركستان .
انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ٢٧٢/٩ - ٢٧٣ .

(٦) بارتولد : تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ص ١٧٠ .
السيد فرج : تيمورلنك ، ص ٤١ .

وصل اليها سنة ٧٧١هـ - ١٣٦٩م حتى خرج اليه أهلها مرحبين ومهللين بقدومه ، واستقر بها وحول مملكة جغتاى الى امبراطورية جعل عاصمتها سمرقند ، وكانت الصفة البدوية أغلب على هذه المدينة في عهد أسلافه فرفعها الى مستوى الحاضرة المستقرة (١) ٠

كرس تيمورلنك جانبا كبيرا من جهده واهتمامه لاعادة بنائها وتجميلها وذلك بالاستفادة من جهود المهندسين والخبراء والبنائين المهرة الذين تجمعوا عنده من كل مكان في الشرق والغرب (٢) ٠ وأمر بجلب مختلف أدوات البناء والعمارة من المدن المجاورة والأماكن البعيدة ٠ فجلب اليها الرخام الأبيض من تبريز (٣) ، والأحجار الملونة من هرات (٤) ، وأصبحت سمرقند التي كانت منازلها تبنى من الخشب والطين في مدة وجيزة درة البلاد الآسيوية وأجمل مدن الشرق ، وسكنها جنسيات مختلفة من أبناء الشعوب القريبة والبعيدة ، بجانب العلماء والكتاب حتى قيل ان مجموع سكانها تجاوز مائة وخمسين ألفا (٥) ٠ وأخذت العاصمة في الاتساع حيث أنشأ في ضواحيها قصبات جديدة سميت بأسماء كبار المدن مثل مصر ، ودمشق ، وبغداد ، وشيراز ، وسلطانية (٦) ، قاصدا بذلك ضمان تفوق عاصمته

---

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، نقله الى العربية ، نبيه فارس أمين ومنير البعلبكي ، الطبعة الخامسة ٠ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٨م ، ص ٤٢٠ ٠

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٨٠١/١ ٠
Sykes : History of Persia . P . 133 .

(٣) تبريز : أشهر مدن أذربيجان ، مدينة عامرة حسناء ذات أسوار وأهلها أيسر أهل البلاد وأكثرهم مالا وهي الآن أجل مدينة في القسم الشمالي الغربي من بلاد فارس ٠
انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ١٣/٢ ٠
ابن عبدالحق البغداي : مراصد الاطلاع ، ٢٥٢/١ ٠

(٤) هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٧٠ ، ١٠٥ ٠

(٥) ارمنيوس فامبري : تاريخ بخاري ، ص ٢٥٣ ٠
Sykes : Op . Cit . P . 133 .

(٦) سلطانية : مدينة أثرية تقع في نصف الطريق بين أبهر وزنجان ، وقد أنشأها أرغون خان واتمها السلطان ألجايتو فى سنة ٧٠٤هـ - ١٣٠٥م وجعلها قاعدة الدولة الايلخانية ٠
انظر : كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٥٧ ٠

على المدن الأخرى (١) • وأنشئت تلك المباني على الطراز الايراني ، وقيل انه كان لتيمورلنك حاسة فنية وآراء صائبة يتجلى فيها ذوقه الرفيع (٢) •

وكان أبرز مابناه المهندسون من فن معماري مرموق يتمثل في جامع سمرقند ، وهدف تيمورلنك من بنائه التقرب الى الله عز وجل (٣) ، فأحضر لانجازه المهندسين والصناع المهرة ، وبدأ العمل في انشائه يوم الأحد الرابع من رمضان سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٩م ، واشترك في بنائه أمهر العمال الذين يعد كل واحد منهم نابغة عصره ، وكلف خمسمائة رجل بالقيام بقطع الأحجار وحملها الى المدينة ، وأشرك ٩٥ فيلا أحضرها من الهند لحمل مواد البناء اللازمة ، وعندما انتهى الصناع من تشييد وبناء شرفات المسجد العالية ، وصحنه الجذاب ، أقاموا عددا كبيرا من الأعمدة المصنوعة من الصخر المنحوت ، وتم بناء سقفه الرفيع وبلاطه البديع ، وأقيمت في كل ركن من أركانه الأربعة منارة وتم تزيين جدرانه من الداخل والخارج بالأحجار الكريمة المزينة بالآيات القرآنية (٤) •

وكان ثاني ما أبدعه هؤلاء المهندسون قصر تيمورلنك الذي يقع خلف قلعة المدينة حيث كان هناك جماعة من التتار تحمي القلعة الواقعة داخل العاصمة والتي كان يسكنها نواب تيمورلنك وأسرهم ، وكان هذا القصر يحظى بالعديد من الذخائر والجواهر والسلاح كما يوجد به دائرة خاصة للمهندسين الذين يعملون بمشورته وينفذون أوامره (٥) •

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٣١ •
السخاوي : شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع • بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة ، (بدون تاريخ) ص ٢/٣/٥٠ •
الشوكاني : محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع • بيروت : دار الطباعة والنشر (بدون تاريخ) ١/١٨٠ •
بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، الطبعة الخامسة • القاهرة : دار المعارف ، ص ١٣٩ •

(٢) عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٦٢٥ حاشيه ١ •
بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٣٩ - ١٤٠ •

(٣) Sami : Zafer Name . P . 253 .

(٤) Sami : Zafer Name . P . 253 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢/١٩٦ - ١٩٨ •
Browne : Op . Cit . P . 194 .

(٥) هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ١٠٧ •

ويصف كلافيجو السفير الأسباني الذي زار تيمورلنك سنة ٨٠٥هـ - ١٤٠٣م • مجلس تيمورلنك أمام قصره فيقول: [[انه كان يجلس على الأرض بجوار بوابة أمام مدخل قصر جميل ، وأمامه نافورة تطلق مياها عالية كانت فيها بعض التفاحات الحمراء ، وكانت الأرض مفروشه بسجاد مزخرف بالحرير ، وعليه وسائد مستديرة، وكان تيمورلنك مرتديا ثوبا من الحرير ، وعلى رأسه عمامه بيضاء عالية في أعلاها قطعة من الياقوت الأحمر وحولها لآلى وأحجار كريمة]] (١) •

ويذكر مؤرخو الفرس أن أجمل المنشآت التي يتجلى فيها ذوق تيمورلنك قصر " باغ شمال " روضه الشمال ، واشتهر القصر بعمارته الجميلة ومغانيه اللطيفة ، وتولى انشاء القصر مجموعة كبيرة من المهندسين والمعماريين المهره الذين استقدمهم الى سمرقند من كافة ممالك فارس (٢) والعراق وأذربيجان (٣) ومن فرط اهتمامه به باشر بناءه بنفسه لمدة شهر ونصف ، حتى تم بناء سقفه العالي وقد وضع في كل ركن من أركانه الأربعة حجر من المرمر أحضروه من تبريز وزينت بالرخام والذهب ، وصنعوا بلاط صحنه من حجر المرمر ، وبعد الانتهاء منه أقام به شهرا وأهدى هذا القصر لحفيدته بيكيسى سلطان ابنة الأمير ميرانشاه (٤) •

---

(١) نقلا عن : Brown : Op . Cit . P . 199 .

(٢) فارس : ولاية واسعة ، واقليم فسيح ، أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السيرجان ، ومن جهة - ساحل بحر الهند سيراف ، ومن جهة السند مكران ، وقصبتها الآن شيراز وكورها خمسة ، فأوسعها اصطخر ثم اردشيرخرة ثم دار بجرد فسابور ومناخرة •
انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢٢٦/٤ - ٢٢٧ •
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٠١٢/٣ - ١٠١٣ •

(٣) آذربيجان : صقع حد من برزعة مشرقا الى أرزنجان مغربا ، ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم ، والجبل والطرم • وهو اقليم واسع من أشهر مدنه تبريز وهى اليوم قصبته وكانت قديما المراغة ومن مدنه حوى وسلماس وأرمية واردبيل ومرند وغير ذلك وفيه قلاع كثيرة وخيرات •
انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ١٢٨/١ •
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٤٧/١ •

(٤) Sami : Zafer Name . P . 2.3. •
اليزدي : ظفرنامه ، ٨٠١/١ - ٨٠٢ •
خواندأمير : حبيب السير ، ٤٣/٣/٣ •

كذلك كان يقع في هذا القسم من المدينة قصر باغ جناران " روضة الحور " ، وقد عرف بهذا الاسم اذ كانت تحوطه طرق جميله يقوم شجر الحور على جوانبها ، وهذا القصر أقيم على ربوة صناعية تتوسط البستان • وكانت أبنيته متقاطعة متعامدة ، وقد اضطلع فنانو الشام بنقشه ، كما زينت جدرانه الداخلية بالتصاوير ، وملئت غرفه بأثاث ضخم من الفضة وفرش وموائد وغير ذلك (١) •

ويذكر ابن عربشاه وغيره من المؤرخين المسلمين أنه ما أن وصل تيمورلنك الى سمرقند حتى مد لها يد الاصلاح ، فشقت الشوارع الفسيحة ، [[وأنشأ في سمرقند بساتين عديدة ، وقصور شوامخ مشيدة ، كل له ترتيب غريب، ووضع أنيق عجيب أحكم أساسها وطعم بأفخر الفواكه غراسها]] •

ومايقال عن ازدهار العمارة في سمرقند ، يصدق على الصناعة فالواضح أنه بجانب جلبه المهندسين والفنانين البارزين في المجال المعماري أحضر كذلك أمهر الصناع من النساجين في دمشق وغزالى القطن في حلب ، وصانعي الأقمشة في أنقرة ، والصياغ في تركيا (٣) • وقد تميزت سمرقند بأجود أنواع الكاغد ، وأفضل أنواع الثياب الحريرية ذات اللون الأحمر (٤) •

وهذا النشاط الصناعي انعكس على النشاط التجارى ، فغدت سمرقند أعظم الأسواق لتجارة آسيا (٥) ، ومركزا من أهم مراكز الاتصال بين الصين وآسيا الوسطى وايران • فازدهرت حركة التجارة بها وجعل منها سوقا يؤمها التجار من جميع الأجناس ، وحلت في حياته محل تبريز وبغداد على أقل تقدير (٦) •

---

(١) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٥٢ •
(٢) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٣١ وانظر :
السخاوى : الضوء اللامع ، ٥٠/٣
الشوكانى : البدر الطالع ، ١٨٠/١ •

(٣) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٥٣ •
Brown : Op . Cit . P . 191 .

(٤) محمد فياض : تيمورلنك ، ص ٦٠ •
(٥) أحمد الساداتى : تاريخ الدول الاسلامية ، ص ٧٢ •
(٦) دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ٣٠٢/١

وحملت قوافل الهند الى سمرقند التوابل والمنسوجات ، وصدرت اليها الصين (١) الحرير والخزف والمسك والعقيق والأحجار الكريمة ، وكان يرد اليها من القسم الشمالي في دولته المترامية الأطراف مقادير كبيرة من الفراء الثمين، كما أنه كان يحمل اليها من خراسان المعادن المتنوعة ، والياقوت من الهند، والماس منها ومن السند (٢) ، واللؤلؤ من هرمز (٣) والقطيف والحسا ، واليشم (٤) والمسك وغيره من الخطا ، وكان يحمل اليها البلخش (٥) من بلخشان • وكان يعاد تعبئتها في أسواق سمرقند ثم تصدر من جديد الى الدول الأخرى سالكة طريقين مختلفين ، فمنفذ التجارة الأول كان بطريق خوارزم واستراباذ (٦) ، والمنفذ الثاني كان بطريق قزوين (٧) وتبريز وطرابزون (٨) • وكان يقصد بها سمرقند التجار من أقصى بلاد

---

(١) الصين : بلاد في بحر المشرق مائلة الى الجنوب ، وشماليها الترك ، وهي مشهورة ، ولها أخبار طويلة •
البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٨٦١/٢ •

(٢) السند : بالكسرة ثم السكون وآخره دال مهملة : بلاد بين الهند وكرمان وسجستان قصبتها المنصورة •

(٣) هُرمُز : مدينة على خور من البحر الفارسي ، وهي من برفارس ، وهي فرضة كرمان ، اليها ترفأ المراكب وينقل اليها أمتعة الهند الى كرمان وسجستان وخراسان ، ومن ناحية أخرى من يسميها هرموز •
انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٤٠٢/٥ •

(٤) اليشم : مصطلح عام يشمل مجموعة من المعادن الصلده التى تتدرج ألوانها من الأبيض تقريبا الى الأخضر الأدكن ، وتتكون من سليكان الكلسيوم والمغنسيوم •

(٥) البلخش : معدن مقاوم للياقوت •
انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٨٠

(٦) استراباذ : بلدة مشهورة بين سارية وجرجان •
انظر : ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٧٠/١ •

(٧) مدينة مشهورة بينها وبين الرى سبعة وعشرين فرسخا ، طيبة التربة ، وسيعة الرقعة كثيرة البساتين • كانت منذ أقدم الأزمنة موضعا جليلا تحرس الدروب المخترقة اقليم طبرستان وتؤدى الى شطئان بحر قزوين ولها واديان يقال لأحدهما الوادى الكبير ، وللآخر وادى سيرم •
القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٤٣٤ - ٤٤٠ •
كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ •

(٨) طرابزون وكتب اسمها طرابزنده ، من بلاد الروم ، كانت ميناء جليلا تجلب اليها السلع من القسطنطينية في صدر الدولة العباسية وتحمل منها الى بلاد الاسلام ، فكان التجار العرب ينقلون السلع منها عبر الجبال الى ملطية وغيرها من مدن الفرات الأعلى ومما يدل على شهرتها ان البحر الأسود كان يعرف باسم بحر طرابزنده •
انظر : كى لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٦٨ •

الأرض وتمر بها القوافل الى جميع أنحاء العالم وهي في أمان تام ، واهتم تيمورلنك باصلاح طرق القوافل فبنى فيها بيوتا للنوم والراحة وأمدها بالماء من أنابيب ممتدة بينها وبين البلاد القريبة ، وأقام على الطريق حراسا من الجند وجعلهم مسئولين عن صيانة الأمن فيها ، وسلامة المواصلات وكان تجار القوافل لايدفعون سوى ضريبة واحدة مع أن بعضهم كان يقطع في بلاده مسيرة خمسة أشهر (١) ·

أما المعاملات التجارية في تلك المدينة فيذكر ابن عربشاه وغيره أن سمرقند ليس فيها كيل يصان ولاصاع يصان ، ولايجرى على جنس المكيلات فيها بالكيل حسبان ، وانما معرفة حساب ذلك عندهم بالميزان ، ورطل سمرقند أربعون أوقية بالمثاقيل مائة ، فيكون رطلهم أربعة آلاف مثقال ، كل مثقال درهم ونصف من غير زيادة ولا اخلال فعلى هذا رطلهم بالدمشقى عشرة أرطال (٢) ·

ولم يهمل تيمورلنك الجانب الزراعي ، فقد انتشرت البساتين الجميلة في كل أرجاء العاصمة وحفلت بأفضل أنواع الفواكه من العنب والتين والرمان والسفرجل والخوخ (٣) ، واطلق على تلك البساتين العديد من الأسماء ، سمى أحدها بستان ارم ، والآخر زينة الدنيا ، والثالث جنة الفردوس ، والرابع بستان الجمال ، والخامس الجنة العليا (٤) ، وكانت تمتد مسافة خمسة أو ستة أميال (٥) ·

واهتم تيمورلنك بالحركة الفكرية في عاصمته فقد عرف عنه حبه للعلم والعلماء وتشجيعه لهم (٦) ، فقام بحشد مجموعة كبيرة من العلماء والكتاب

---

(١) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ٣٤٦ ·
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٥٤ ·

(٢) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٤٠ ·
ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ، ١٣١/٤ ·

(٣) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٣١ ·
القلقشندي : صبح الأعشى ، ٤٣٢/٤ ·

(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٣١ ·

(٥) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٥١ ·

(٦) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ، ١٣٢/٤ ·
فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ١٨٨ ، تعليق رقم ٢٣٦ ·

والفلاسفة في حاضرته ، وهيأ لهم أماكن مريحة لممارسة أنشطتهم (١) . وكان تيمورلنك يهتم كثيرا بعلوم الدين والتصوف وكان يراعى تعظيم السادات والعلماء ويكرم الأئمة والصالحين (٢) .

كما اهتم تيمورلنك بكتابة التاريخ فطلب من نظام الدين الشامى سنة ٨٠٤هـ - ١٤٠٢م أن يكتب له تاريخ حياته وفتوحاته باسلوب سهل مبسط يمكن فهمه من الجميع ، وقد قال تيمورلنك أن سبب ذلك هو أنه حتى ذلك التاريخ لم يقم أحد برواية حروبه وأحداثه بشكل مطمئن ، ووضع تيمورلنك تحت تصرف نظام الدين كل مايحتاجه من وثائق ، ونفذ الشامي أوامره وكتب عمله بشكل يمكن فهمة من الجميع وهذا الكتاب هو ماعرف باسم ظفرنامه " كتاب الظفر " (٣) .

وأنشأ تيمورلنك في حاضرته مراكز للاستعلامات ، ومراصد فلكية لرصد النجوم ومراقبة الكواكب ، واهتم بانشاء المدارس وجلب اليها أفضل الأساتذة من خوارزم ، وبخارى وفَرغانة (٤) وأجرى الارزاق عليها (٥) ، كما أنه أمر بنقل مكتبة بأكملها على متون البغال من بورسة الى سمرقند (٦) .

---

(١) هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ١٠٤ .

(٢) عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ترجمة محمد علاء الدين ، ص٦٢١ حاشية رقم (١) .

(٣) بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ٢١٤ .
A. Ates : Felx Tautr prag Belleten, Cilltxxix, Sayi. 113. P.51

(٤) فَرغْانة : مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر ، متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من ناحية هيطل ، على يمين القاصد لبلاد الترك ، كثيرة الخير ، واسعة الرستاق ، ويقال كان بها أربعون منبرا ، وبينها وبين سمرقند خمسون فرسخا من ولاياتها خجنده .

انظر : ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٠٢٩/٣ .
كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٣١ .

(٥) عباس اقبال : المصدر السابق ، ص ٦٢٥ ، حاشية رقم (١) .

(٦) أحمد الساداتى : تاريخ الدول الاسلامية ، ص ٥٠٣

المبحث الثاني

حروب تيمورلنك ضد ممالك خوارزم

(٧٧٣ - ٧٨١هـ - ١٣٧٢ - ١٣٧٩ م)

أ - أسباب توجه تيمورلنك الى خوارزم

ب - الحملة الأولى : هجوم تيمورلنك على حسين صوفى سنة ٧٧٣هـ - ١٣٧٢ م

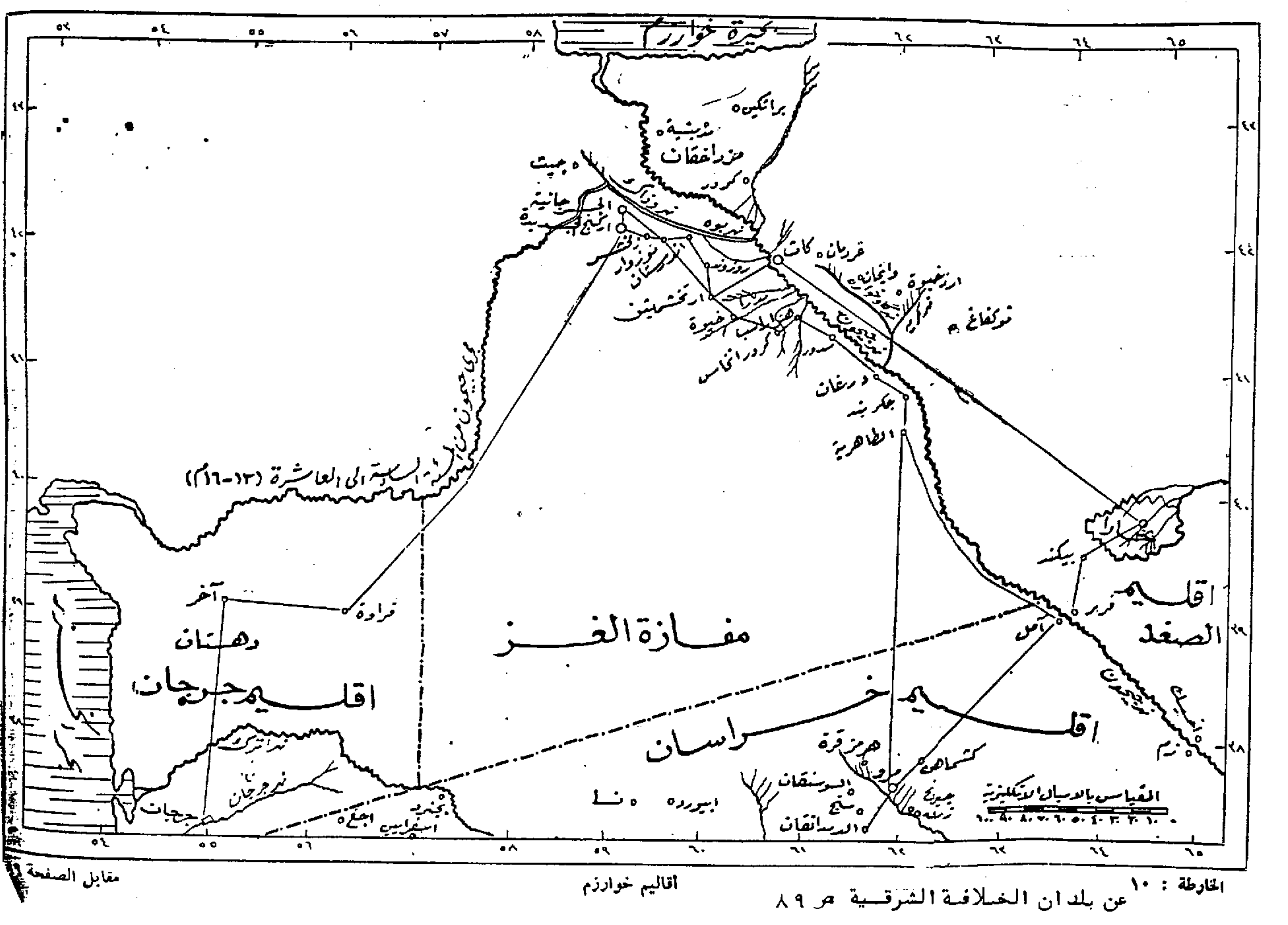
ج - توليه : يوسف صوفى الحكم سنة ٧٧٤هـ / ١٣٧٢ - ١٣٧٣م ٠

د - القبض على الأمير كيخسرو

هـ - الحملة الثانية على خوارزم سنة ٧٧٤ - ٧٧٥هـ / ١٣٧٣ - ١٣٧٤م ٠

و - الحملة الثالثة على خوارزم سنة ٧٧٧هـ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ م ٠

ز - الحملة الرابعة على خوارزم سنة ٧٨٠ - ٧٨١هـ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩م ٠



الخارطة : ١٠ عن بلدان الخلافة الشرقية ص ٨٩

اقاليم خوارزم

مقابل الصفحة

أ - أسباب توجه تيمورلنك الى خوارزم .

كان تيمورلنك يرى أن السيطرة على خوارزم من الأمور الهامة التي يجب أن تتم لتكملة سيطرته على بلاد ماوراء النهر .

وكانت هناك عوامل دفعت تيمورلنك للقيام بضم هذا الجزء الهام اليه :

كانت خوارزم تتمتع بموقع استراتيجي جيد فهي تقع على جانبي نهر جيحون ، ويحيط بها من الشمال والغرب بحر قزوين ، ومن الجنوب خراسان ، ومن الشرق بلاد ماوراء النهر (١) .

ويذكر القزويني أنها ناحية مشهورة ذات مدن وقرى كثيرة ، وسيعة الرقعة جامعة لأشتات الخيرات وأنواع المسرات (٢) .

كانت المناطق المتأثرة بالمدنية الايرانية هي الهدف الأول لغزوات تيمورلنك ، وكانت خوارزم لأسباب جغرافية أول هذه المناطق استهدافا للغزو ، ولم تكن خوارزم وسكانها في ذلك الوقت من الأتراك تقل حضارة عن أية منطقة من مناطق ايران (٣) .

كانت خوارزم في تقسيم البلاد الجنكيزية من نصيب جوجى (٤) الابن الأكبر لجنكيزخان ، وخلف جوجى في ممتلكاته ابنه باتوخان الذي نقل مقر سلطته الى الروافد السفلى لنهر الفولجا حتى يتسنى له السيطرة على أتباعه الأمراء في

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، ٤٥٣/٤ .

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٢٥ .

(٣) و. بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ٢٢٩ .

(٤) كان من نصيب جوجى البلاد التي تمتد من كاشغر حتى مدينة بلغار ، أي الوادى الأعلى لسيحون وجيحون وخوارزم ، وصحراء القبجاق وروسيا الجنوبية ، وسفوح الأورال وسيبريا الغربية .
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ترجمة محمد علاءالدين منصور ، ص ٣٩٣ .

روسيا ، وأنشأ بتلك البلاد الخانية التي أطلق عليها المؤلفون المسلمون اسم دولة دشت القبجاق والتي اشتهرت عند المغول والروس باسم القبيلة الذهبية " Colden Horde " (١) .

وكانت بلاد خوارزم على اتصال وثيق مع خانات القبجاق ، حتى تمكن من السيطرة عليها " ألغو " (٢) وهو حفيد الابن الثاني لجنكيزخان جغتاى مابين سنة ١٢٦٠ - ١٢٦٤م . وكان ذلك في فترة حكم بركة خان حوجى الابن الأكبر لجنكيزخان (٣).

ومهما يكن الأمر فان هذا الغزو كان لفترة قصيرة حيث تم تقسيم خوارزم بين خاناتالقبجاق ، وخانات جغتاى ، فحكم خانات القبجاك منطقة دلتا نهر سيحون والارجيش ، وحكم الجزء الجنوبي ويشمل كاث (٤) وخيوق (٥) الجغتائيون وفيما

---

(١) عبدالسلام عبدالعزيز فهمى : تاريخ الدولة المغولية في ايران ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١م ، ص ١٠٧ .

(٢) بعد وفاة منكو بن تولوى خان سنة ٦٥٧هـ - ١٢٥٩م . نشبت الحرب بين أخويه قوبيلاى و " آريق بوغا " من أجل العرش فنصب الأول نفسه خانا في الصين ، ونصب الثاني نفسه في منغوليا كانت أولى نتائج هذا الوضع هي عجز منغوليا عن استيراد القمح من الصين فأوفد " آريق بوغا " الأمير " آلغو " أحد أبناء جغتاى الى تركستان ليدبر أمر استيراد المواد الغذائية والأسلحة ، واستطاع " آلغو " أن يستولى في وقت قصير على كل الولايات التى كانت تابعة لجغتاى بل استولى أيضا على خوارزم وكانت في قبضة شعب جوجى .

انظر : بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ١٨٨ .

(٣) بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٧٤ .
Grousset : Op . Cit . P . 420 .

(٤) كاث : تقع في شرقي جيحون وتعتبر من أجل مدن خوارزم .

ابن عبدالحق البغدادى : مراصد الاطلاع ، ١١٤١/٣ .
القلقشندى : صبح الأعشى ، ٤٥٤/٤ .

(٥) خَيْوَق : بلد من نواحي خوارزم ، وحصن بينهما خمسة عشر فرسخا . وأهل خوارزم يقولون خيوه ، وأهلها شافعية دون جميع بلاد خوارزم فانهم حنفية .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٤١٥/٢ .
كى لسترنج : الخلافة الشرقية ، ص ٤٩١ .

بعد سنة ٦٥٩هـ - ١٢٦٠م بقليل استطاع أحد زعماء قبيلة قنقرات التركية الأصل وكان اسمه حسين صوفى تأسيس مملكة مستقلة مستغلا حالة الفوضى المتفشية في خانية القبجاق ، ومستفيدا كذلك من الحروب الدائرة في بلاد ماوراء النهر ، ونجح في ضم مدينتي كاث وخيوق الى أملاكه (١) •

وقد أدى استيلاء الأمير حسين صوفى على تلك المدينتين الى غضب تيمورلنك ، الذي كان يعتبرهما ضمن أملاك دولته الموروثة فهما يتبعان بلاد ماوراء النهر منذ حكم الجغتائيين (٢) •

وتؤكد الشواهد التاريخية أنه عندما فرغ تيمورلنك من تنظيم أمور بلاد ماوراء النهر ، عزم على الاستيلاء على خوارزم (٣) ، فأرسل تباجي علقمة (٤) الى الأمير حسين صوفى ومعه رسالة يخبره فيها أن كاث وخيوق تعدان من أملاك [ألوس جغتاى] ويطلب منه التخلى عنهما ، ان أراد صداقته وكسب محبته وعدم الاصطدام به (٥) ، الا أن الأمير حسين رفض ذلك قائلا : [[لقد استوليت على تلك الولاية بالسيف ولايمكن أن تؤخذ منى الا بالسيف]] (٦) •

---

(١) Grousset . Op . Cit . P . 421 .
و • بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ٢٢٩ •

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٣٤/١ •
Grousset . Op . Cit . P . 421 .
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ترجمة د/ محمد علاء الدين منصور ، ص ٥٩٤ •

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٣٢/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ١٨/٣/٣ •
رضا باروكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٢ •

(٤) كان من أوائل الأمراء الذين قدموا تأييدهم لتيمورلنك •

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٣٣/١ ، ٢٣٤ •
Sami " Zafer Name , P . 77 .
خواندامير : حبيب السير ، ١٨/٣/٣ •
رضا باروكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٢ •

(٦) Sami : Op . Cit . P . 78 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٣٤/١ •
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢١٧ •

زادت هذه الاجابة من غضب تيمورلنك ، وجعلته يقرر ضرورة التوجه الى خوارزم لتأديبه والاستيلاء عليها .

كما أن رغبة تيمورلنك في الغزو وتحقيق طموحاته جعلته يحرص على ضم كافة بلاد ماوراء النهر وخوارزم التي كانت تحت سيطرة جوجى وجغتاى أبناء جنكيزخان اليه (١) .

ب - الحملة الأولى :

هجوم تيمورلنك على حسين صوفى سنة ٧٧٣هـ - ١٣٧٢م .

يتفق المؤرخون على أن تيمورلنك غزا اقليم خوارزم أربع مرات من ٧٧٣ الى ٧٨١هـ (١٣٧٢ - ١٣٧٩م) وتمكن في الحملة الرابعة من الاستيلاء على خوارزم ، وقتل أميرها يوسف صوفى سنة ٧٨١هـ - ١٣٧٩م (٢) . وكانت الحملة الأولى في عام ٧٧٣هـ - ١٣٧٢م بعد أن فشل الشيخ جلال الدين الكشي وسيط تيمورلنك الى حسين صوفى في مهمته السلمية ، حيث رفض حسين التنازل عن المدينتين كات وخيوق ، بل انه فوق ذلك قام باعتقال الشيخ ، فزاد بذلك الموقف توترا واشتعالا ، وكان هذا يعنى اعلان الحرب على تيمورلنك (٣) .

فجهز تيمورلنك جيشه وتوجه الى خوارزم ، وعندما اجتاز بخارى مقتربا من نهر جيحون كانت فرقة من جيش الأمير حسين قد اقتربت من جيش تيمورلنك فهاجمها تيمورلنك وانتصروا عليها . ثم زحف تيمورلنك الى قلعة كلات وهي قلعة حصينة ولكن مع ذلك تمكن من دخولها وقتل حاميتها (٤) .

---

(١) رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩١ .
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .
أحمد الساداتى : تاريخ الدول الاسلامية ، ص ٢٠٠ .

(٢) اليزدى : ظفرنامه ، ٢٣٤/١ .
Sami : Op . Cit . P . 77 .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ترجمة د/ محمد علاء الدين منصور ، ص ٥٩٤.

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٣٤/١ ، ٢٣٥ .
Sami : Op . Cit . P . 78 .
خواندامير : حبيب السير ، ١٨/٣/٣ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٢ .
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢١٨ .

(٤) Sami : Op . Cit . P . 79 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٣٧/١ .
خواندامير : حبيب السير ، ١٨/٣/٣ .

ثم أرسل تيمورلنك طلائعه الى خوارزم ، وتمكن جنده بعد ذلك من الاغارة عليها من كل الجوانب (١) • حينئذ أدرك الأمير حسين عدم قدرته على مواجهة تيمورلنك وفضل الانسحاب الى داخل القلعة وبعث رسوله الى تيمورلنك ليعرض عليه رغبته في الصلح ووقف الحرب • الا أن هذا الصلح لم يتم حيث بعث الأمير كيخسرو أحد رجاله دون علم تيمورلنك الى الأمير حسين يحذره من الصلح وحثه على مواصلة قتاله بقوله : [[احذر تيمورلنك ولاتثق به ، ولاتعقد صداقة معه ، وأجمع الجنود وافتح باب القلعة وسوف أصل لمساعدتك لنحارب العدو معا]] (٢) •

كما أن أمراء حسين رفضوا الصلح والتسليم لتيمورلنك ، فوثق الأمير فيهم ، وخرج مع جيشه من القلعة واستعد لمواجهة تيمورلنك (٣) • وكان تيمورلنك قد أرسل معظم قواته للاغارة على ولايات خوارزم فلما علم بتوجه الأمير حسين اليه لم يتخاذل ولم ينتظر عودة بقية جنده بل قام باعداد وتنظيم صفوفه ، ووقف على الجهة الأخرى من " ساحل جوى قاوون " ونجح عدد من أمرائه في عبور النهر وتمكنوا من هزيمة جند الأمير حسين واجبارهم على العودة الى قلعتهم (٤) •

حاصر رجال تيمورلنك القلعة وظل الأمير حسين في داخلها نادما على سوء تصرفه وسماعه مشورة الأمير كيخسرو وأمرائه (٥) •

وبعد عدة أيام خرج رجل من القلعة وأخبر تيمورلنك أن الأمير حسين توفى ، وأن المدينة سوف تستسلم وان شقيق حسين يوسف خلف أخاه في الحكم •

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 79 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٣٩/١ •

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٤٠/١

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٤٠/١ •
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٢ •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٤٠/١ •

(٥) يذكر ارمنيوس فامبرى في كتابه تاريخ بخارى ، ص ٢١٨ أن الأمير كيخسرو أمير ختلان دافع دفاعا شديدا ضد قوات تيمورلنك ، ولكن بالرغم من ذلك سقط الحصن •

ج - تولية يوسف صوفى الحكم سنة ٧٧٤هـ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣م .

حين تولى الأمير يوسف صوفى حكم خوارزم في ذلك الوقت الحرج ، اضطر أن يستخدم أسلوب السلم والمهادنة مع تيمورلنك ، وأظهر رغبته في اقامة علاقة ودية معه ، ليسلم من شر هجماته التى لاتعرف الرحمة . فأرسل رسله من أجل هذا الغرض . وطلب تيمورلنك من الرسل أن يعلموا سيدهم برغبته في تزويج ابنه جهانجير من ابنة الأمير حسين الأميرة [سوين بيك] وتلقب بخانزاده ، فما كان من الأمير يوسف الا أن رحب موافقا على قبول هذا الزواج وارسال الأميرة في أقرب وقت ممكن (١) . كذلك طلب منه تيمورلنك أن يكون واليا له في اقليم خوارزم شريطة أن يتنازل له عن مدينتى كاث وخيوق ، فوافق الأمير يوسف على ذلك كله ، فعاد تيمورلنك الى سمرقند سنة ٧٧٤هـ - ١٣٧٢م (٢) مكتفيا بما حققه من نتائج ومكاسب (٣) .

د - القبض على الأمير كيخسرو .

لم يغفل تيمورلنك أمر كيخسرو لما بدر منه في أثناء القتال ، فأمر بالقبض عليه واحضاره للمحاكمة ليكون عبرة لغيره ، وبعد أن ثبتت ادانته أصدر تيمورلنك أوامره بمعاقبته (٤) ، وسلمه لأتباع حسين بن قزغن ليقتصوا منه لأميرهم المقتول (٥) ، فقد يؤدى ذلك الى تهدئة قلوب أولئك الأمراء وكسب تأييدهم له فيما بعد .

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٤٣/١ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٣ .
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢١٨ .

(٢) Sami : Op . Cit . P . 81 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٤٣/١ .
خواندامير : حبيب السير ، ١٨/٣/٣ .

(٣) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢١٨ .

(٤) خواندامير : حبيب السير ، ١٨/٣/٣ .

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٤٣/١ .

هـ - الحملة الثانية على خوارزم سنة (٧٧٤ - ٧٧٥هـ - ١٣٧٣ - ١٣٧٤م) .

لم يستمر ذلك الهدوء النسبي ، والعلاقه المصطنعة بين الأميرين تيمورلنك ويوسف صوفى طويلا ، حيث تحولت هذه العلاقه الى عداء لعدم التزام الأمير يوسف بمعاهدته السابقة لتيمورلنك وأدى ذلك الى غضبه وقرر التوجه ثانية الى خوارزم .

ويعزو المؤرخون سبب ذلك الى أن بعض الأمراء ذهبوا من سمرقند الى خوارزم وقاموا بتحريض يوسف صوفى على تيمورلنك فاستجاب لهم (١) ، وقام بالهجوم على مدينة كاث وتمكن من تخريبها وتشتيت أهلها (٢) .

وصلت هذه الأنباء السيئة الى تيمورلنك فجمع جنده سنة ٧٤٤هـ - ٧٧٥هـ ١٣٧٣ - ١٣٧٤م وتوجه الى خوارزم ، فلما علم يوسف صوفي بقدوم جيش تيمورلنك أصابه الخوف وندم على مافعله ، وأرسل الى تيمورلنك يطلب منه العفو على أفعاله وتعهد له بأن يبعث خانزاده الى سمرقند في أسرع وقت (٢) (٣) ، ونتيجة لذلك عفا تيمورلنك عنه ، وعاد الى سمرقند دون أن يصيب خوارزم بأى ضرر .

بدأ تيمورلنك يستعد لاقامة مراسم زواج ابنه جهانجير ، وأرسلت خانزاده الى سمرقند وتم زواجها بابن تيمورلنك (٤) بموجب الشرع الاسلامي وكان ذلك في عام ٧٧٥هـ - ١٣٧٤م (٥) .

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٤٤/١ .
خواندامير : حبيب لسير ، ١٨/٣/٣ .

(٢) Sami : Op . Cit . P . 81 .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٢ .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٤٤/١ .
Sami : Op . Cit . P . 81 .
خواندامير : حبيب السير ، ١٩/٣/٣ .
Grousset : Op . Cit . P . 421 .

(٤) أحسن تيمورلنك استقبال الأميره وبعث وفدا مكونا من خيرة العلماء والأمراء والأعيان لمرافقة الأميرة عند قدومها الى سمرقند وعقد لهما احتفالا فخما يتناسب مع مكانتهما .
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢١٩ .
Sami : Op . Cit . P . 81 .

(٥) Sami : Op . Cit . P . 82 .

و - الحملة الثالثة على خوارزم سنة ٧٧٧هـ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦م .

لم يذكر المؤرخون الأسباب التى دعت تيمورلنك للقيام بهذه الحملة على اقليم خوارزم حيث أن الدلائل كانت تشير الى تحسن العلاقة بين الطرفين بعد رابطة المصاهرة التي تمت بينهما ، غير أن تيمورلنك توجه في ربيع سنة ٧٧٧هـ - ١٣٧٥م لمهاجمة خوارزم ، وترك أحد أمرائه نائبا عنه على سمرقند (١) ، كما أنه أرسل بعض الأمراء لمحاربة الأمير قمرالدين والقبض عليه (٢) .

ثم حدثت أمور مفاجئة في سمرقند أجبرت تيمورلنك على العودة وعدم مواصلة الحرب مع الأمير يوسف صوفى ، وذلك عندما ثار بعض الأمراء الذين سبق لتيمورلنك أن أرسلهم لمحاربة [الجته] (٣) وكان من بينهم الأمير ساربوغا ، وعادلشاه اللذان أعلنا تمردهما على تيمورلنك واغتنما فرصة عدم وجوده للاطاحة بحكمه وانضم اليهما والى انديكان التابع لتيمورلنك ، كما انضم اليهما قبائل جلاير وقبجاق ، وتوجه الجميع لمحاصرة سمرقند والاستيلاء عليها. الا أن أهالى سمرقند دافعوا عن مدينتهم دفاعا بطوليا ضد الثوار (٤) .

ولما علم تيمورلنك بتمرد الأمراء وثورتهم عليه قرر العودة سريعا وأرسل ابنه جهانجير ليسبقه اليها (٥) ، فتمكن ابنه من القضاء على الثورة وهزيمة الثوار المخالفين الذين هربوا بعد هزيمتهم الى صحراء القبجاق مستنجدين بخانها [أرص خان] ثم مالبثوا أن توجهوا الى قمرالدين وحرضوه على محاربة تيمورلنك (٦) .

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٦١/١ .

(٢) اليزدي : المصدر السابق ، ٢٦١/١ .
خواندامير : حبيب السير ، ١٩/٣/٣ .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٦٢/١ .

(٤) اليزدي : المصدر السابق ، ٢٦٣/١ .
Sami . Op . Cit . P . 85 .

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٦٣/١ .

(٦) اليزدي : المصدر السابق ، ٢٦٤/١ .
خواندامير : حبيب السير ، ١٩/٣/٣ .

وهكذا عاد تيمورلنك الى سمرقند دون تكملة مهمته في تأديب الأمير يوسف صوفى •

ز - الحملة الرابعة على خوارزم سنة ٧٨٠ - ٧٨١هـ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩م •

لم تستمر فترة الهدوء بين تيمورلنك والأمير يوسف صوفى طويلا حيث تضافرت عدة عوامل دفعت تيمورلنك الى القيام بهذه الحملة ومنها :

رغبة تيمورلنك بعد حملاته السابقة القيام بحملة على خوارزم يقضي خلالها على يوسف صوفى نهائيا ، وضم هذا الجزء الهام الى أملاكه •

أدت وفاة الأمير محمد جهانجير سنة ٧٧٧هـ - ١٣٧٦م زوج الأميرة خانزاده الى اعتقاد يوسف صوفى أنه بذلك قد انقطعت صلة المصاهرة التى كانت تربطه بتيمورلنك ، لذلك حرص على أن يعلن تمرده وعصيانه كلما سنحت له الفرصة ، وكانت الدلائل تشير الى قرب وقوع صدام مسلح بين الطرفين نتيجة سوء تصرفات يوسف الحمقاء ، حيث كانت أفعاله تخالف ما سبق أن تعهد به لتيمورلنك[(١)] ، فقام بالاغارة على أطراف سمرقند ونهبها[(٢)] لذلك رأى تيمورلنك ضرورة وضع حد لتصرفات يوسف صوفى فتوجه سنة ٧٨٠هـ - ١٣٧٨م الى خوارزم وحاصر جيشه المدينة كما قام عدد من جنوده بمحاصرة المناطق القريبة من خوارزم ، واستولى على غنائم وفيرة من خيل وأغنام وجمال[(٣)] •

وفي خضم هذه الأحداث طلب الأمير يوسف صوفى وقف القتال ومبارزته وذلك لحقن دماء المسلمين ، وقد وصل رسول يوسف صوفى الى تيمورلنك وأخبره قائلا : [[لماذا نلقى برجالنا الى التهلكة ، ولنحسم النزاع بيننا بمبارزة ثنائية لايشترك فيها أحد سوانا ولتكن الغلبة لمن ينتصر • وعلى هذا النحو يتخلص

---

(١) رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٣ •

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٤/١ •
Grousset : Op . Cit , P . 421 .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٤/٢ •

المسلمون من ذلك البلاء]] .(١)

سر تيمورلنك من رأى يوسف وقال عنه : [[ان مايقوله حق ، وليست هناك كلمة منصفة أكثر من ذلك ، وكنت أرغب في ذلك دائما ، ولكن اذا كنت قد طلبت مثل هذا أخشى أن لايقبل طلبى ، وهذه الكلمة صادقة ويجب أن نتصرف بناء على ذلك]] .(٢)

ويجدر بنا هنا أن نشير الى أن الأمراء حاولوا منعه من الخروج ، وعرض عليه بعضهم القيام بهذه المهمة ، الا أن تيمورلنك لم يصغ لكلامهم ، وقال لهم ان يوسف صوفى قد تحداه شخصيا ولابد من قبول تحديه .(٣)

ومهما يكن الأمر فقد خرج تيمورلنك بمفرده الى حافة الخندق ونادى بأعلى صوته [[أخبروا أميركم أنني موافق على مبارزته لنرى من فينا سوف يساعده الله على النصر]] .(٤)

وطال انتظار تيمورلنك دون أن يحضر يوسف صوفى ! ويرجع المؤرخون سبب عدم خروجه لمواجهة تيمورلنك الى الخوف الشديد الذى أصابه عند مقدم خصمه اليه .(٥) ويبدو أن يوسف صوفى لم يضع في حساباته أن تيمورلنك سوف يوافق على

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٤/١ .
Sami : Op . Cit . P , 96 .
خواندامير : حبيب السير ، ٢٢/٣/٣ .

(٢) Sami : Op . Cit . P . 96 .
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٣١ .

(٣) Sami : Op . Cit . P . 96 .
Grousset : Op . Cit . P . 421 .
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٦٥ .

(٤) Sami : Op . Cit . P . 96 .

(٥) Sami : Op . Cit . P . 96 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٥/١ .
Grousset : Op . Cit . P . 421 .

اقتراحه ، لذلك فضل يوسف الابقاء على حياته وعدم الخروج لمواجهة تيمورلنك وندم على اقتراحه لمبارزته • فرجع تيمورلنك الى جنده غاضبا لعدم مبارزة يوسف صوفى (١) •

ويذكر المؤرخون أنه بعد ذلك نشبت المعركة بين الفريقين قتل خلالها عدد كبير من الجانبين ، ولحقت الهزيمة بجند خوارزم الذين هربوا الى الحصن ، فأمر تيمورلنك جنده بقصف قصر يوسف صوفى بالمنجنيق الا أن يوسف صوفي تمكن من الانتقال الى مكان آخر (٢) • واستمر الحصار ثلاثة شهور وستة عشر يوما (٣) •

ويبدو أن الأمير يوسف كان يعتقد أن هذه الحملة مثل غيرها من الحملات السابقة ، ولم يدرك الا في النهاية أن تيمورلنك صمم هذه المرة على القضاء عليه لذلك حل به الحزن والضيق ، وضعفت صحته ، وتوفى اثر ذلك مقهورا سنة ٧٨١هـ - ١٣٧٩م (٤) •

والواقع أن الأمير يوسف لو أحسن التعامل مع تيمورلنك ورضى بحكم خوارزم ، وقلل من تكبره وغطرسته ، لسلم هو وخوارزم من غارات تيمورلنك المدمرة ، الا انه تجاهل كل ذلك بسبب مطامعه ، ومهما يكن الأمر فان جند تيمورلنك هجموا بعد ذلك على خوارزم ، واستولوا عليها • وقد عاقب تيمورلنك خوارزم بصرامة وقتل جنده أعدادا كبيرة من أهلها ، وأسروا الكثير من النساء والأطفال ، وأباح تيمورلنك المدينة للسلب (٥) ، وكان ذلك رأيه في

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٦/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ٢٢/٣/٣ •
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٦٥
(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٦/١ •
Sami : Op . Cit . P . 96 .
خواندامير : حبيب السير ، ٢٢/٣/٣ •
(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٦/١ •
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٩٤ •
رضا باروكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٣ •
(٤) Sami : Op . Cit . P . 97 .
(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٩/١ •
Sami : Op . Cit . P . 97 .

غيرها من البلاد (١) .

ويضيف ابن عربشاه أن تيمورلنك صب جام غضبه على خوارزم ، أخذها وقتل سلطانها ، وهدم أركانها وخرب بنيانها وولى على مابقى منها نائبا من عنده، ونقل جميع ما أمكن نقله منها الى ممالك سمرقند ، وتاريخ خراب خوارزم عذاب كما أن تاريخ خراب دمشق خراب (٢) .

عاد تيمورلنك بعد ذلك الى عاصمته سمرقند ظافرا منتصرا بعد ماتـــرك خوارزم خرائب يتصاعد منها الدخان وروائح الجثث وكان ذلك عام ٧٨١هـ - ١٣٧٩م (٣).

أما ابن خلدون فقد ذكر أنه بعد استيلاء تيمورلنك على خوارزم وبعـــد مافعل فيها جنده مافعلوا ، أمرهم بعمارتها ، وبناء ماخرب منها وانتظم له الملك (٤) .

ولانجد لذلك تفسيرا الا أن الأمير تيمورلنك أراد أن يثبت لأهل خوارزم ، ومن جاورهم من مناطق أن لديه القدرة على تحقيق الانتصار وتخريب البـــلاد ، وانه الى جانب ذلك لديه القدرة على اعادة بناء ماخربه مرة أخرى .

ويذكر المؤرخون أنه كعادة تيمورلنك عند كل نصر يحققة أن يأمـــــر بترحيل من له شأن من العلماء والحفاظ والصناع والفنانين الـــــــــى بلاده للاستفادة من قدراتهم ومواهبهم (٥) .

وبتلك الصورة تم استيلاء تيمورلنك على خوارزم وباتت آسيا الوسطـــى كلها تخضع له ، وانتظم له بذلك ملك بلاد ماوراء النهر (٦) .

---

(١) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر بأنباء العمر ، ٢١/١ .
(٢) ابن عربشاه : عجائب المقدور في نوائب تيمور ، ص ٣٣ ، ٣٤ .
(٣) Sami : Op . Cit . P . 97 .
Grousset : Op . Cit . P . 421 .
(٤) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٣٢/٥ .
الشوكاني : البدر الطالع ، ١٧/١ .
(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٩/١ .
Sami : Op . Cit . P . 97 .
خواندامير : حبيب السير ، ٢٢/٣/٣ .
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢١٩ .
(٦) ابن حجر العسقلانى : انباء الغمر بأنباء العمر ، ٣٠٢/٢ .

الباب الثاني

علاقة تيمورلنك بالدول الاسلامية في المشرق
وفيه أربعة فصول

الفصل الأول
علاقة تيمورلنك بخراسان وفارس
٧٨٢ - ٧٩٥هـ / ١٣٨٠ - ١٣٩٣م

الفصل الثاني
علاقة تيمورلنك ببلاد العراق وآذربيجان
٧٨٦ - ٨٠٣هـ / ١٣٨٤ - ١٤٠١م

الفصل الثالث
علاقة تيمورلنك بالدولة المملوكية في مصر والشام

الفصل الرابع
علاقة تيمورلنك بالدولة العثمانية

الفصل الأول

علاقة تيمورلنك بخراسان وفارس وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول

الوضع السياسي في خراسان قبيل الغزو التيموري

المبحث الثاني

الزحف التيموري على بلاد خراسان ٧٨٢-٧٨٦هـ / ١٣٨٠-١٣٨٤م.

المبحث الثالث

الحالة السياسية في فارس وكرمان قبيل الغزو التيموري
٧٦٠-٧٨٩هـ / ١٣٥٨-١٣٨٧م

المبحث الرابع

الزحف التيموري لفارس ٧٨٩-٧٩٥هـ / ١٣٨٧-١٣٩٢م

المبحث الأول

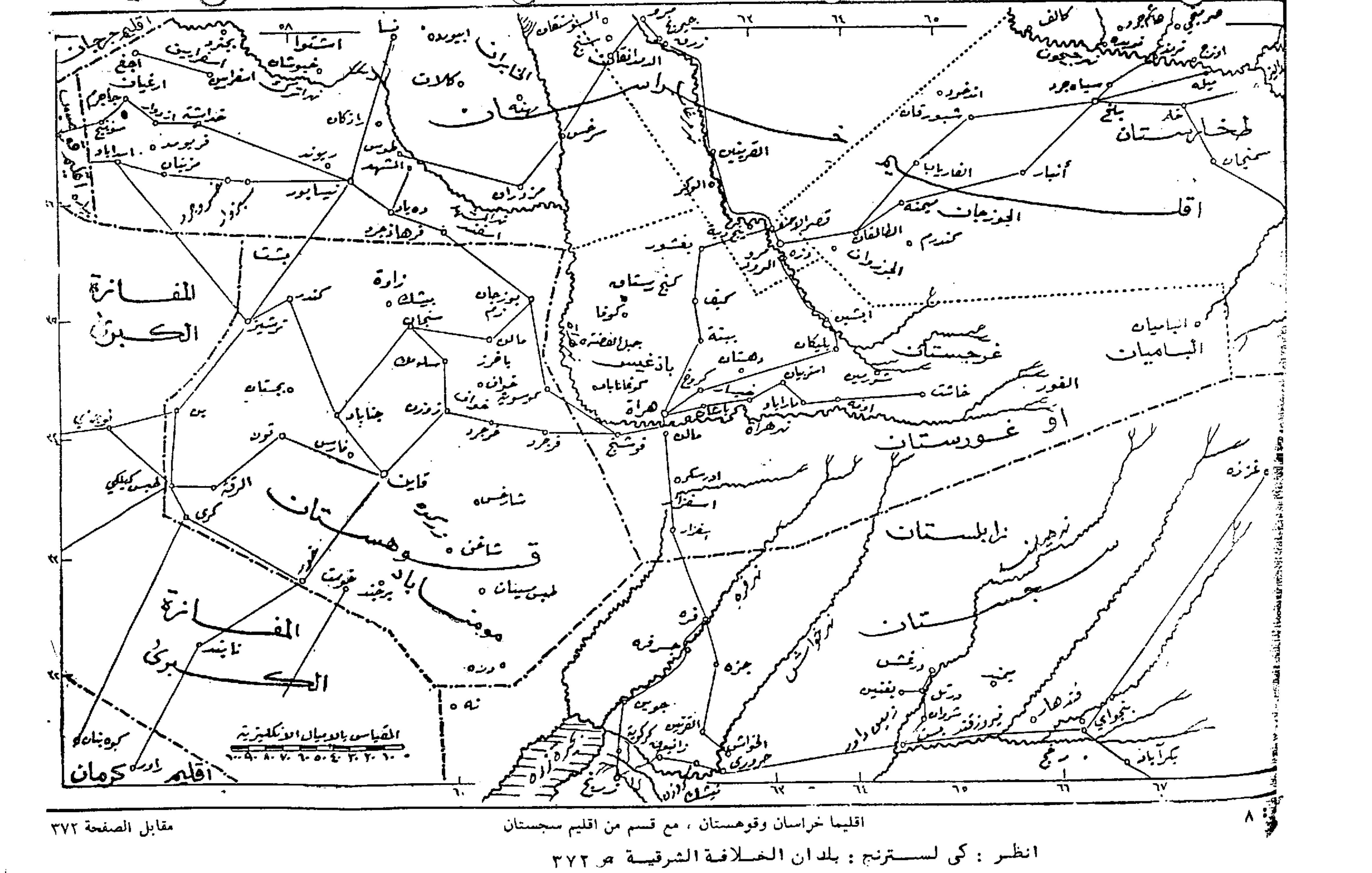
الوضع السياسي في خُراسان قبيل الغزو التيموري

أولا : أ) آل كـــرت ٠

ب) تولية الملك غياث الدين بير علي ٧٧١-٧٨٣هـ / ١٣٧٠-١٣٨٧م

ثانيا : السربدرايون ٠

ثالثا : شاه ولى حاكم مازندران ٠



8

اقليما خراسان وقوهستان ، مع قسم من اقليم سجستان

انظر : كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٧٢

مقابل الصفحة ٣٧٢

الوضع السياسي في خراسان قبيل الغزو التيموري :

نشبت الاضطرابات والمنازعات في البلاد الايلخانية بعد وفاة السلطان أبي سعيد خدبندا سنة ٧٣٦هـ - ١٣٣٥م ، وتجزأت البلاد الى أقسام عدة بيد الأمراء الكبار فأدى ذلك الى نشوب الحروب والمنازعات بين تلك القوى باستمرار .

وكان يحكم بلاد خراسان وفارس والعراق وآذربيجان ابان الغزو التيموري أربع أسر كان لكل من حكامها نصيب في مواجهته وهذه الأسر هي :(١)

١ - آل كرت : وهؤلاء حكموا هراة من سنة ٦٤٣ الى ٧٨٣هـ (١٢٤٥-١٣٨١م) وعاصر تيمورلنك منهم الملك معزالدين بن غياث الدين حسين ٧٣٢ الى ٧٧١هـ - ١٣٣١ - ١٣٧٠م .

والملك غياث الدين بير علي من سنة ٧٧١ الى ٧٨٣هـ - ١٣٧٠ الى ١٣٨١م .(٢)

٢ - السربداريون : سيطروا على سبزوار والمناطق المجاورة لها من سنة ٧٣٧ الى ٧٨٣هـ - ١٣٣٧ الى ١٣٨١ م .

٣ - آل مظفر : وهم حكام فارس وكرمان(٣) الذين حكموا من سنة ٧١٣ الى ٧٩٥هـ ١٣١٣ - ١٣٩٣ م وكان من بين حكامها المعاصرين لتيمورلنك جلال الدين شاه شجاع ٧٥٩ - ٧٨٦هـ - ١٣٥٧ - ١٣٨٤م وجاء من بعده أولاده وأحفاده مجاهد الدين زين العابدين ٧٨٦ - ٧٨٩هـ - ١٣٨٤ - ١٣٨٧م .

---

(١) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٠٧ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٥ .
Grousset : Op . Cit . P . 426 .

(٢) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٠٧ .
لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٣) كرمان : ولاية مشهورة وناحية معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة ، بين فارس ومكران وسجستان وخراسان ، وهي بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشي .

انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٤/٤٥٤ .
ابن عبدالحق البغدادى : مراصد الاطلاع ، ٣/١١٦٠ .

وشـــاه يحـــي ٧٨٩ - ٧٩٥هـ - ١٣٨٧ _ ١٣٩٣م ، وشـــاه منصـــور ٧٩٠ _ ٧٩٥هـ ١٣٨٨ _ ١٣٩٣م (١) ٠

٤ - آل جلاير : وهؤلاء حكموا العراق وآذربيجان من سنة ٧٣٦ الـــى ٨١٤هـ ١٣٣٦ الى ١٤١١م ٠وقد عاصر تيمورلنك منهم السلطان أحمد بن أويس الذي حكم من سنة ٧٨٤ الى ٨١٣هـ ـ١٣٨٢ الى ١٤١١م (٢) ٠

وفي الصفحات التالية ، نقدم صورة موجزه عن أوضاع هذه المنطقـــة الشاسعة من المشرق الاسلامى - في المرحلة التاريخية التي انتهت باستيـــلاء تيمورلنك عليها - وما فشا فيها ، وسيطر عليها من النزاع والصراع المسلـــح بين حكامها ، الذين استبدت بكثير منهم الأطماع فيما تحت أيدى غيرهـــم ، فكانت الحروب المتلاحقة بينهم نتاج هذه العلاقات العدائية المتبادلة ، مما أدى آخر الأمر الى اضعاف قدراتهم جميعا ، وانهاك قواهم ، ومن ثم وقعـــوا ووقعت بلادهم جميعا صيدا سهلا في يد تيمورلنك ٠

---

(١) استانلي لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ، الطبعة الأولى ، بيـــروت : الدار العالمية للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٢٣ - ٥٤٤ ٠

(٢) انظر : استانلي لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ، ص ٢٢٧ - ٢٢٩ ٠
زامباور : معجم الانساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، الجزء الثاني ، أخرجه الدكتور/ زكى محمد حسن بك وحسن أحمـــد محمود ، القاهرة : مطبعة جامعة فؤاد ، ١٩٥٢م ، ص ٣٧٧ ٠

أ - : آل كـــــرت .

هم طبقة من ملوك ايران الشرقية ذات أصول أفغانية حكموا في النصـــف الأول من القرن السابع الهجري حتى أواخر القرن الثامن ، وكانت عاصمتهـــم هراة وكان حكامها على المذهب الحنفي (١) ، ومع أنه لم يبق في التاريخ السياسي لهؤلاء الحكام ذكر كبير حيث اشتهرت جماعة منهم بالخيانة وعدم الوفـــــاء ، لكنهم مع ذلك أبقوا ذكرا طيبا في تاريخ أدب ايران (٢) .

وبلغت أسرة آل كرت مكانة طيبة في عهد الخان منكوقاآن من ٦٤٦ - ٦٥٥هـ حيـــث منـــح لمؤسس هـــذه الأســـرة المـــلك شمـــس الديـــن محمد بن أبي بكـر الذي اشتهر باسم كرت حكم هراة وجام (٣) وباخرز (٤) وبوشنج (٥) ومرغاب (٦) وغيرها (٧) .

وبعد وفاة السلطان أبي سعيد خدبندا كان يحكم هراة الملك معزالديـــن

---

(١) خواندامير : حبيب السير ، ٧٩/٢/٣ .
Grousset : Op . Cit . P . 426 .

(٢) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٠٩ .

(٣) جام : احدى كور نيسابور المشهورة ، قصبتها البوزجان ومن أعمالهـــا مائة وثمانون قرية .

انظر : ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٦٥٥/٢ .

(٤) باخرز : تقع بين نيسابور وهراة ، وقصبتها مدينة مالن .
انظر : ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٤٨/١ .
كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٣٩٧ .

(٥) بوشنج أو فوشنج والعجم يقولون بوشنك بالكاف وهي بليدة بينها وبيـــن هراة عشرة فراسخ ، في وادي كثير الشجر والفواكه ، وأكثر خيـــــرات مدينة هراة مجلوبة منها .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٥٠٨/١ .
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٥٣ .

(٦) مَرْغاب : من قرى هراة .

ابن عبدالحق البغدادى : مراصد الاطلاع ، ١٢٥٩/٣ .

(٧) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخى ، ص ٣٢ .
خواندامير : حبيب السير ، ٧٥/٢/٣ .

حسين ، وقد عاصر الفترة المضطربة بعد وفاة السلطان أبي سعيد ، ولم يتأثر الحكم في هراة بتعيين الخان طغاتيمور بن سوادى كاون حفيد أخ من اخوة جنكيزخان من سنة ٧٣٧ الى ٧٥٤هـ - ١٣٣٦ الى ١٣٥٣م حاكما على خراسان حيث استمر معزالدين يحكم ولايته مستقلا ولم يدع الفرصة لأحد في التدخل في شئون حكمه (١) .

وفي عهد الملك معز الدين ازدادت الاضطرابات والمنازعات في خراسان حيث نشبت بينه وبين السربداريين حروب طاحنة انتهت بهزيمتهم عند زواة سنة ٧٤٣هـ - ١٣٤١م (٢) .

وفي سنة ٧٥٢هـ - ١٣٥١م توجه لمحاربته الأمير قزغن المسيطر على بلاد ماوراء النهر حينذاك بسبب اغارة الملك معزالدين على حدود اندخود وشبرقان، ونشبت الحرب بين الطرفين حيث تمكن الأمير قزغن من هزيمته ، فاضطر الملك معزالدين حسين الى طلب الصلح وتحقق له ذلك (٣) ، وفي العام التالى توجه معزالدين حسين الى بلاد ماوراء النهر ، وقدم كامل فروض الطاعة والولاء للأمير قزغن (٤) .

ب - تولية الملك غياث الدين بير علي ٧٧١ - ٧٨٣هـ - ١٣٧٠ - ١٣٨١م .

عندما مرض الملك معزالدين حسين سنة ٧٧١هـ - ١٣٧٠م جعل ولاية عهده لابنه الأكبر غياث الدين بيرعلي وطلب من الأمراء والأعيان الطاعة له وترك لابنه الملك

---

(١) حافظ ابرو : بنج رسالة تاريخى ، ص ٣٢ .
خواندامير : حبيب السير ، ٧٥/٢/٣ .

(٢) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخى ، ص ٣٣ ، ٣٤ .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٦٥ .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٥/١ - ٣٧ .
خواندامير : حبيب السير ، ٧٥/٢/٣ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٤ .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٧/١ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٨٤ .

محمد قلعة سرخس وأوصاه باتباع النظم الاسلامية في حكمه (١) . فما أن تولى غياث الدين الحكم حتى سلم لأخيه ولاية سرخس وسارت الأمور بين الأخوين على خير مايرام ، لكن المغرضين والحاسدين لم يرضوا بذلك فقاموا بتحريض محمد على أخيه ، فاستجاب لهم واسقط اسمه من الخطبة ، فاغتاظ غياث الدين منه وتوجه لمحاربته واستمر حصاره لسرخس فترة طويلة ، ولكن دون فائدة ، وقد تضرر الكثير من رجالهما من شدة البرد وطول الحصار ، وانتهى الأمر بينهما بالصلح (٢) . وكانت علاقة الملك غياث الدين بجيرانه السربداريين سيئة ، حيث يذكر حافظ أبرو أن الملك معزالدين حسين قد تمكن من الاستيلاء على قلعة فرهادجرد ، وأمر بتعميرها وعين حاكما من قبله عليها ، فأغار عليها السربداريون الا أنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها ، ولما علم غياث الدين بذلك الاعتداء اتخذه باعثا لمحاربتهم وأيده علماء الدين في هراة في ذلك ، وأصدروا فتوى بمحاربتهم لمعاملتهم السيئة لأهل السنة وتشددهم في التشيع (٣) .

ففي سنة ٧٧٣هـ - ١٣٧١م توجه غياث الدين نحو نيسابور ونشبت معركة طاحنة بينه وبين السربداريين نجح خلالها جيش نيسابور في حماية مدينتهم وأجبروا غياث الدين على رفع الحصار عنها (٤) .

وتكررت محاولات غياث الدين للاستيلاء على نيسابور أكثر من مرة لكنه لم يظفر بها الا في أواخر سنة ٧٧٦هـ - ١٣٧٥م ، وعين حاكما عليها الأمير اسكندر

---

(١) حافظ ابرو : بنج رسالة تاريخى ، ص ٤٩ .
خواندامير : حبيب السير ، ٧٩/٢/٣ .

(٢) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخى ، ص ٥٢ .
خواندامير : حبيب السير ٧٩/٢/٣ .

(٣) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخى ، ص ٥٢ .

(٤) حافظ أبرو : المصدر السابق ، ص ٥٢ ، ٥٣ .
خواندامير : حبيب السير ، ٧٩/٢/٣ .

شيخي بن آفراسياب التشلاوي (١) ·

واستمر النزاع في المنطقة بين مد وجزر حتى زحف تيمورلنك على خراسان وسيطر على هراة سنة ٧٨٣هـ - ١٣٨١م وأسر غياث الدين وقتله مع ابنه وأخيه وبهذا سقطت أسرة آل كرت (٢) ·

ثانيا : السربداريون (٣) ·

يعتبر السربداريون من الأسر التى وصلت الى مرتبة كبيرة من المكانة والنفوذ بعد وفاة السلطان أبي سعيد بن خدبندا ، وعلى الرغم من أن السربداريين لايقارنون بغيرهم من الأمراء من حيث اتساع الملك ودوامه ، الا أنه كان لهم اعتبار خاص في تاريخ ايران ، من حيث مناهضتهم لأهل السنة واعلانهم للتشيع وسعيهم لنشر آدابه وأحكامه ، فكانت بداية أمرهم في ظل دعوة مذهبية (٤) · واتخذوا مدينة سبزوار التي اشتهرت بتشيع أهلها مركزا

---

(١) كان والد اسكندر شيخي آفراسياب التشلاوى قد تمكن من قتل آخر ملوك باوند حكام مازندران ، وقد قتل في الحرب التى قامت بينه وبين قوام الدين في سنة ٧٦٠هـ وأصبح قوام الدين حاكما على مازندران وأسس أسرة تسمى بالسادات العلوية ·
وفي الحملة الثانية لتيمورلنك على خراسان زين اسكندر بن آفراسياب لتيمورلنك فتح مازندران انتقاما لمقتل أبيه ·

حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٥٤ ، ٥٥ ·
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٩٧ ·

(٢) عباس اقبال : المصدر السابق ، ص ٥١٢ ·
رضا باروكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٥ ·

(٣) سربدار : كلمة فارسية مركبة من كلمة [سر]أى [رأس] [وبدار] أى المشنقة والكلمة سربدار تعنى المشنوق ولذلك جاءت تسمية تلك الفرقة بالسربداريين لأنهم أقسموا على وضع رؤوسهم على المشنقة اذا فشلوا في محاربة الظلم ·

انظر : حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ١٧ ·
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٦٢ ·
بول لين : طبقات سلاطين الاسلام ، ص ٢٣٢ ·

(٤) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٦١ ·

لحكمهم (١) ولم تسلم خراسان من الفتن والثورات بين الأمراء ولكن هذه المرة نبعت ثورة من الشعب نفسه حيث قتلوا خواجه علي محمد وزير خراسان زمن حكم طغاتيمور ، واختارت جماعة السربداريين الخواجه أمين الدين عبدالرزاق (٢) الباشتيني ٧٣٦ - ٧٣٨هـ - ١٣٣٥ - ١٣٣٧م رئيسا لها وأعلنوا استقلالهم عام ٧٣٧هـ - ١٣٣٧م (٣) ثم انتقلت رئاستهم بعد ذلك الى أخيه وجيه الدين مسعود سنة ٧٣٨ - ٧٤٣هـ - ١٣٣٨ - ١٣٤١م وقد اجتهد هذا الحاكم في مكافحة الظلم والجور وجمع حوله الأئمة والمشايخ والسادات (٤) •

وتمكن وجيه الدين مسعود من هزيمة جيوش طغاتيمور عند نهر اترك . وقتل أخاه علي كاون ونجح السربداريون في توطيد سلطانهم وتأسيس دويلة لهم في خراسان ، فارتفعت مكانتهم وذاع صيتهم فيها (٥) •

كما أن العداء الذي نشأ بين طغاتيمور والسربداريين مالبث أن زال بعد تمكنهم من السلطة واقرار طغاتيمور بوجودهم ، وتمت المصالحة بين الطرفين • ونستشف ذلك من قيام أمراء السربداريين بزيارات سنوية الى طغاتيمور لتقديم ولائهم ، واستمر طغاتيمور في الحكم حتى سنة ٧٥٤هـ - ١٣٥٣م حيث قتله الأمير السربداري خواجه يحي الكرابي الذي حكم من سنة ٧٥٣الى ٧٥٩هـ ومن ١٣٥٢ الى ١٣٥٧م (٦) •

---

(١) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ١٧ •
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٦١ •

(٢) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ١٧ •
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٦٢ •
عبدالسلام فهمي ، تاريخ الدولة المغولية ، ص ٢٤٢ •

(٣) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٦٣ •
استانلي لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ، ص ٢٣٢ •

(٤) حافظ ابرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ١٩ •
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٦٤ •

(٥) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٢٣ ، ٢٤ •
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٦٤ •
عبدالسلام فهمي : تاريخ الدولة المغولية ، ص ٢٤٢ •

(٦) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٦ - ٨ •
دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ٣٨٣/٩ •

ولم يكن للحكام الذين تولوا من بعده[1] أي دور جديد بالذكر سوى آخر حكامهم الأمير[2] خواجه نجم الدين علي المؤيد ٧٦٦ - ٧٨٣هـ - ١٣٦٤ - ١٣٨١م.

وكان الخواجه علي من أمراء وجيه الدين مسعود اكتسب بين الناس نفوذا وشهرة بسبب تدينه ، وتعلقه الكامل بالتشيع واحترام علماء الدين[3] .

ونشبت بين الأمير خواجه علي المؤيد والملك غياث الدين علي حاكم هراة عدد من المعارك منذ سنة ٧٧٣ الى ٧٧٦هـ (١٣٧١ - ١٣٧٥ م) تمكن في النهاية الملك غياث الدين من الانتصار عليه والاستيلاء على نيسابور[4] .

كما أن الأمير خواجه علي تمكن بمساعدة شاه ولي حاكم مازندران من استعادة حكمه على سبزوار سنة ٧٧٩هـ - ١٣٧٨م[5] . وتمكن من ضم ولايات قاين[6] وطبس[7]

---

(١) امتد حكم هذه الأسرة قرابة نصف قرن ، بلغ عدد أمرائهم اثنى عشر أميرا .

لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ، ص ٢٣٢ .

(٢) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٦٥ .
لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ، ص ٢٣٣ .

(٣) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٥١ ، ٥٢ .
خواندامير : حبيب السير ، ٧٩/٢/٣ .

(٤) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٥٢ ، ٥٣ .
خواندامير : حبيب السير ، ٧٩/٢/٣ .

(٥) عندما حاول الأمير خواجه علي المؤيد القضاء على الشيخ ركن الدين درويش وحليفه اسكندر شيخى ، هرب الشيخ ركن الدين الى المظفريين في بلاد فارس ، وطلب منهم أن يمدوه بقوة لمحاربة خواجه علي فاستجاب حاكم فارس شاه شجاع لطلبه ، وتمكن ركن الدين من الاستيلاء على سبزوار.

انظر : حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٥٥ .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٦٦ .

(٦) قاين : بلد قريب من طبس ، بين نيسابور وأصفهان ، وقيل هو قصبة قوهستان ، صغيرة ضيقة ، وعليها حصن منيع .
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٠٦٠/٣ .

(٧) طبس : قصبة ناحية بين نيسابور وأصفهان تسمى قوهستان ، وقيل : قصبة قوهستان قاين ، وهما بلدتان كل واحداه منهما يقال لها طبس :أحداهما طبس العناب والأخرى طبس التمر .
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٨٧٩/٢ .

وترشيز[١] وغيرها الى نفوذه فبذلك اتسعت حدود بلاده من الدامغان حتى سرخس[٢] ٠

ولم تدم العلاقة الطيبة بينه وبين شاه ولي طويلا حيث نشبت الحروب والمنازعات بينهما فاستصرخ خواجه علي تيمورلنك فأتى خراسان بعد أربعة شهور من هذا الوقت سنة ٧٨٢هـ - ١٣٨٠م ، فدخل خواجه علي في طاعته واستمر ملازما له حتى وافاه الأجل سنة ٧٨٨هـ - ١٣٨٧م[٣] ٠

ثالثا : شاه ولي حاكم مازندران :

كان والد شاه ولي الأمير شيخ علي هندو أحد أمراء الخان طغاتيمور ومن ذوي المكانة الطيبة عنده ، وكان يحكم استراباد من قبله[٤] ٠ وعندما قتل السربداريون طغاتيمور توجه شاه ولي مع جمع من أتباع والده الى ولاية نسا[٥] وكانت تحت حكم الأمير شبلى أحد أفراد قبيلة جانى قربانى ، فتزوج هذا الحاكم بأخت شاه ولي واتفق معه أن يذهب الى مازندران لجمع الأعوان ،

---

(١) ترشيز : ذكر البلدانيون العرب اسمها القديم هكذا طريثيث وهي من أعمال نيسابور كثيرة الأهل والخير ومنها تحمل التجارات الى فارس واصفهان ٠

انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢/ ٢٢ ٠
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٢/ ٨٨٤ ٠
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٩٤ ٠

(٢) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٦٦ ٠

(٣) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٦٦ ٠

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ١/ ٣٨٦ ٠
حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٩ ٠

(٥) نَسَا : كان سبب تسميتها بهذا الاسم ان المسلمين لما دخلوا خراسان بلغ أهلها فهربوا ، ولم يتخلف بها غير النساء ، فلما أتاها المسلمون لم يروا بها رجالا ، فقالوا هؤلاء نساء والنساء لايقاتلن فننسى أمرها الآن الى أن يعود رجالهن ، فتركوها ومضوا فسموا بذلك نساء وهي بخراسان بينها وبين سرخس مسيرة يومين ٠

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٥/ ٢٨١ ، ٢٨٢ ٠
ابن عبدالحق البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ٣/ ١٣٦٩ ٠

وعندما وصل الى دهستان (١) جمع مايقرب من مائتين من الانصار ، وكان أحد أتباع (٢) السربداريين يعسكر مع قوة من أتباعه قرب ذلك المكان فاندفع الى مهاجمة شاه ولي فهزم ، وشاع انتصار شاه ولى عليه ، فانضم اليه أعداد كبيرة من أتباع طغاتيمور (٣) •

كما أنه بالقرب من استراباذ نشبت معركة طاحنة بينه وبين السربداريين تحقق له النصر فيها (٤) ، واستقر باستراباذ وقام باستدعاء السلطان لقمان طغاتيمور ليتولى الحكم خلفا لوالده المقتول ، وتفيد المصادر أن شاه ولي تراجع في تنصيبه حاكما ، وأعلن عدم قدرة لقمان على ادارة الحكم وانه الأحق في ذلك ، وسارع بابعاد كل من رأى أن له صلة بلقمان (٥) • ونجح شاه ولي في الاستيلاء على دامغان وبِسْطام (٦) وسِمْنان (٧) وغيرها •

ولما ازدادت قوته وعلت مكانته في مازندران واستراباذ طمع في التوجه الى العراق ومحاربة الجلايريين ، فتوجه اليهم سنة ٧٧٢هـ - ١٣٧٠م فنشب

---

(١) دهِسْتان : بلد مشهور في طريق مازندران ، قرب خوارزم وجرجان •

ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٥٤٥/٢ •
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٢١ •

(٢) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٩ •
(٣) حافظ أبرو : المصدر السابق ، ص ١٠ ، ١١ •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٧/١ •
حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ١١ •
دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ٣٨٣/٩ •

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٧/١ •
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٦٧ •

(٦) بِسْطام : بلدة بقومس على جادة الطريق الى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين •

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٤٢١/١ •
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٩٦/١ •

(٧) سمنان : بلد بين الرى ودامغان ، وهي كثيرة الانهار والبساتين •
ابن عبدالحق البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ٧٣٧/٢ •

معركة بين الطرفين قرب الرى تحقق فيها النصر في الجولة الأولى لشاه ولي لكنه في الجولة الثانية هزم فاضطر الى التراجع والانسحاب (١) ، وفي سنة ٧٧٤هـ - ١٣٧٢م تمكن شاه ولي من ضم الرى وساوة (٢) الى سلطته وكان ذلك بتحريض من حاكم فارس وكرمان شاه شجاع (٣) الذي حكم من سنة ٧٦٠ الى ٧٨٦هـ (١٣٥٩-١٣٨٤م)٠ ثم أعد السلطان أويس العدة لاقتلاع فساد شاه ولي سنة ٧٧٦هـ - ١٣٧٥م الا أنه أصيب بالمرض فمات (٤) ٠

وكان لشاه ولي دور فعال في اعادة الأمير خواجه علي المؤيد حاكم سبزوار الى حكمه بعدما طرد منها من قبل الشيخ ركن الدين درويش وحليفه الأمير اسكندر شيخى ابن افرآسياب ، لكن العلاقة الطيبة بينهما لم تستمر طويلا ، فنشبت الحروب بين الطرفين حتى اضطر خواجه علي المؤيد الى طلب تيمورلنك أن يقدم الى خراسان فقدم تيمورلنك اليها ، وخف الأمير خواجه علي لاستقباله ٠ وعلى هذا نرى أن أوضاع خراسان قبيل الغزو التيمورى كانت مضطربة جدا وكانت المنازعات والحروب هي الطابع المميز خلال تلك الفترة فازداد أمرهم ضعفا وتحقق لتيمورلنك مبتغاه بكل سهولة (٥) ٠

---

(١) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ١٢ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٣/١/١٣٧ ٠
دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ٩/٢٨٣ ٠

(٢) سَاوَة : مدينة حسنة بين الرى وهمذان ، وبقربها مدينة يقال لها آوة ، فساوة أهلها سنية شافعية ، وآوة شيعة ، وبينهما نحو فرسخين ٠

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٣/١٧٩ ٠
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٢/٦٨٥ - ٦٨٦ ٠

(٣) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ١٢ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٥٦ ٠
دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ٩/٢٨٣ ٠

(٤) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٦/٢٤١ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٥٦ ٠

(٥) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ١٣ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٥٦ ٠

المبحث الثاني : الزحف التيموري على بلاد خراسان
٧٨٢ - ٧٨٦هـ / ١٣٨٠ - ١٣٨٤م

أولا : أسباب الزحف التيموري لخراسان

ثانيا : الحملة الأولى على خراسان سنة ٧٨٢هـ - ١٣٨٠م .

أ - حملة تيمورلنك وابنه ميرانشاه سنة ٧٨٢هـ - ١٣٨٠م .

ب - الاستيلاء على هراة .

ثالثا : الحملة الثانية على خراسان سنة ٧٨٤هـ - ١٣٨٢م .

[التوجه الى ترشيز]

رابعا : الحملة الثالثة على خراسان سنة ٧٨٥هـ - ١٣٨٣م .

[الاستيلاء على سجستان]

خامسا : الحملة الرابعة على خراسان سنة ٧٨٦-٧٨٧هـ / ١٣٨٤-١٣٨٥م .

الزحف التيموري على خراسان ٧٨٢-٧٨٦هـ / ١٣٨٠-١٣٨٤م .

أولا : أسباب الزحف التيموري لخراسان :

يبدو أن تيمورلنك قد رأى أن من واجبه أن يقضي على الفتن حيث كانت في أي مكان وزمان ، وتخليص الناس من حكامهم المستبدين كما قال ذلك في سيرته (١) ، واتخذ ذلك القول ستارا يحتمي خلفه ويبرر به الهجوم على خراسان .

كما أن تيمورلنك كان يرى في نفسه الوريث الوحيد للجغتائيين أحفاد جنكيزخان حتى أنه تقمص شخصيته ، وسعى جادا لتحقيق طموحاته التوسعية فجاءت حملاته لتحقيق هذه الرغبة ، ليكون الحاكم الأوحد من خلال سيطرته على العالم (٢).

فعندما تمكن تيمورلنك من الاستيلا على بلاد ماوراء النهر وخوارزم وهزيمته للجته أصبح فخورا لانضواء قسمين من أهم أقسام مملكة جنكيزخان تحت لوائه ، ولم يتبق أمامه سوى القسم الثالث الذي يحوي خرسان وفارس ، والعراق وجزاء من الهند ، خاصة وأن هذا القسم كان يتمتع غالبيته بحضارة ومدنية تفوق الأقسام الأخرى ، بجانب الموقع (٣) الاستراتيجي الممتاز الذي خطط أن يعود اليه بالخير ان هو استولى عليه (٤) .

ويبدو أنه مع مطلع عام ٧٨١هـ - ١٣٧٩م كانت بلاد خراسان قد سيطر على كل ولاية فيها طائفة من الطوائف مستقلة عن الأخرى (٥) ، وكان الصراع مشتعلا بين تلك الطوائف فتحين تيمورلنك الفرصة وأصبح الوقت أمامه مناسبا للتوجه اليهم وتسخير خراسان لطوعه ، خاصة وأن بعض المؤرخين (٦) يرجع سبب حملاته على خراسان الى نصيحة أسداها له بها الأمير علي بن أرغون جاني قرباني (٧) حيث طلب منه التوجه اليها . ولما حسن له ذلك قرر تيمورلنك التوجه الى هناك ،

---

(١) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ١١٠ .
(٢) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ١٨٠ .
(٣) ارمنيوس فامبري : تاريخ بخاري ، ص ٢٢٥ .
(٤) رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٦ .
(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٠٦/١ .
Grousset : Op . Cit . P . 426 .
(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٠٦/١ .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٦٢٧ .
(٧) يذكر اليزدي ٣٠٤/١ أن تيمورلنك عفا على جرائم الأمير علي بن أرغون واستشاره في أمر التوجه الى هراة ، فحسن له التوجه اليها .

خاصة وأن قلبه أطمأن ازاء خوارزم وأصبحت قبائل جغتاى وجوجى تحت رقابة أعوانه (١) ٠

الا أن البعض الآخر من المؤرخين يعلل ذلك بأن تيمورلنك عندما عقد مجلس القريلتاى سنة ٧٨١هـ - ١٣٧٩م أرسل رسولا الى الملك غياث الدين بيرعلي حاكم هراة لحضور هذا المجلس ٠ لكن غياث الدين طلب ارسال الأمير حاجى سيف الدين اليه لكي يذهب للمجلس في صحبته ، وبرغم تحقيق مطلبه هذا واستقباله للأمير استقبالا حافلا الا أنه رواغ وعطل سفره بحجة اعداد الهدايا ومستلزمات السفر (٢) ، ونعتقد أن سبب تهربه هذا هو انشغاله بتحصين هراة واقامة سور حولها يحميه من هجوم قد يقع من تيمورلنك فيما بعد ، فاتخذ تيمورلنك ذلك ذريعة للتوجه الى خراسان (٣) ٠

ثانيا : الحملة الأولى على خراسان سنة ٧٨٢هـ - ١٣٨٠م ٠

أ - حملة تيمورلنك وابنه ميرانشاه عام ٧٨٢هـ - ١٣٨٠م ٠

اضطربت أحوال خراسان في سنة ٧٨٢هـ - ١٣٨٠م اضطرابا شديدا وأشتد النزاع بين حكامها (٤) فاستغل تيمورلنك ذلك ، وزحف بصحبة ولده ميرانشاه على رأس جيش كبير الى خراسان (٥) وما ان وصل الى أندخود حتى قدم اليه الملك

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٠٤/١ - ٣٠٦

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٠٣/١ ٠
حافظ أبرو : پنج رسالة تاريخي ، ص ٦٠

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٠٤/١٢

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٠٦/١

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٠٨/١ ٠
حافظ أبرو : پنج رسالة تاريخي ، ص ٦٠

معزالدين محمد حاكم سرخس[(١)] ودخل في طاعته فحظى بكرم تيمورلنك • وأعقب ذلك توجهه الى هراة وما أن توقف على مسافة أحد عشر فرسخا منها حتى قدم عليه رسول علي بك قرباني عارضا عليه ملازمته في فتح المدينة[(٢)] ، لكن الظاهر أنه لم يكن صادقا فيما وعد وتعلل بحجج منعته من الخروج معه[(٣)] •

وكان الملك غياث الدين بير علي قد تمكن من ضم نيسابور اليه ، وكانت من قبل تحت حكم السربداريين ، كما أنه سيطر على المناطق المحيطة بها[(٤)] •

حرص تيمورلنك في خطته العسكرية قبل الهجوم على هراة عل الاستيلاء على المناطق المجاورة لها وهدفه من ذلك فصل قوات تلك المناطق عن الانضمام الى الملك غياث الدين ، فنراه قد كسب ود حاكم كوسية[(٥)] بهلوان مهدي[(٦)] الذي سعى اليه وقدم الطاعة والولاء ، فاستقبله تيمورلنك استقبالا حسنا[(٧)] •

واصل تيمورلنك زحفه وتمكن من الانتصار على القوات التابعة للملك غياث الدين في نيسابور ، ثم اتجه نحو قلعة فوشنج ، وبعد أن حاصرها أسبوعا

---

(١) هو شقيق الملك غياث الدين بير علي حاكم هراة ، كانت العلاقة بينهما جيدة في بداية الأمر ،ثم قامت بينهما المنازعات فترة ، ثم تم بينهما الصلح •

انظر : خواندامير : حبيب السير ، ٧٩/٢/٣ •

(٢) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٦٠ •
اليزدي : ظفرنامه ، ٣١١/١ •
عباس أقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٩٦ •

(٣) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٦١ •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣١١/١ •
Grousset : Op . Cit . P . 427 .

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٣١٧/١ •
حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٦١ •
خواندامير : حبيب السير ٢٢/٣/٣ •

(٦) كانت أقرب الى نهر هراة شمال فركود ، وهي نحو ثلث مدينة بوشنج المجاورة لها في خراسان • وبناء أهل كوسية من طين •

كى لسترنج : بلدان الخلافة الاسلامية ، ٣٩٧ - ٣٩٨ •

(٧) اليزدي : ظفرنامه ، ٣١١/١ - ٣١٢ •
خواندامير : حبيب السير ٢٣/٣/٣ •

نجح جنده في عبور الخندق واقتحام الحصن والاستيلاء على القلعة التي كان الاستيلاء عليها البداية الحقيقية للاستيلاء على كافة أرجاء خراسان (١) .

ب - الاستيلاء على هراة :

واصل تيمورلنك وجنوده الزحف تجاه هراة مارا بخواف (٢) وما أن تأكد الملك غياث الدين بير علي من قربه من أطراف المدينة حتى استعد استعدادا طيبا للمقاومة ، فأغلق أبواب المدينة ، وحفر خندقا حول بساتينها (٣) فلما وصل تيمورلنك الى المدينة أمر جنده بتدمير الحدائق وهدم المنازل وحصار المدينة من كل الجوانب (٤) وأمام ذلك لم يجد الجند بدا من فتح الأبواب رغم اعتمادهم على حصانة المدينة التي أوصاهم الملك غياث الدين بالدفاع عنها حتى الموت (٥) واندفعوا لمواجهة جيش تيمورلنك بكل بسالة وتضحية الا أن جند تيمورلنك (٦) تمكنوا من الانتصار عليهم بعد قتال استمر حوالي أربعة أيام قتل خلالها عدد كبير وأسر حوالي الألفين من رجال الملك غياث الدين الذين أحضروا

---

(١) خواندامير : حبيب السير ، ٣/٣/٢٣ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٦ .
Grousset : Op . Cit . P . 427 .

(٢) خَوَاف وهى خواب قديما : قصبة كبيرة ، من أعمال نيسابور ، يتصل أحد جوانبها ببوشنج ، والآخر ببوزن ، وتشتمل على مائة قرية وفيها ثلاث مدن : سنجان ، وسيراوند ، وجنرد .

ابن عبدالحق البغدادى : مراصد الاطلاع ، ٤٨٧/١ .
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٩٧

(٣) رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ١٩٦ .
Grousset : Op . Cit . P . 427 .

(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٣ .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣١٦/١ .
Grousset : Op . Cit . P . 427 .

(٥) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٦٣ .
Grousset : Op . Cit . P . 427 .

(٦) خواندامير : حبيب السير ، ٣/٣/٨٠
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٩٦ .

الى تيمورلنك فعفا عنهم ، وأرسلهم مصحوبين بالأمان الى أهل المدينة ، وأعلن " أن من يجلس في داره ولايشترك في القتال فهو قد أمن على نفسه ، وكل من يفعل خلاف ذلك فهو مسئول عن كل مايصيبه (١) • فرح الأهالي بذلك وكفوا عن القتال ودخلوا في طاعة تيمورلنك (٢) •

وعلى صعيد آخر لم يستسلم الملك غياث الدين بل فضل الهرب داخل المدينة محاولا حث الناس على الاتحاد والتلاحم للقتال من جديد ، والدفاع عن القلعة حتى آخر قطرة من الدماء ، ولكن دعواه لم تجد آذانا صاغية ، حيث كان الجميع قد فضلوا السلامة على المواجهة ورفضوا القتال مرة أخرى (٣) •

وازاء ذلك لم يكن أمام الملك المهزوم الا الخضوع والاستسلام ، وحفاظا على ماء الوجه ، أرسل والدته سلطان خاتون بنت طغاتمورخان وابنه الأكبر ملك بيرمحمد ، يرافقهم اسكندر شيخى بن أفرو أسياب أحد أمراء مازندران الى تيمورلنك (٤) فأكرمهم وأهداهم الخلع الفاخرة وطلب منهم اخبارالملك غياث الدين بضرورة خروجه من المدينة ابداء لحسن النوايا (٥) ، وكلف اسكندر شيخي أن يبقى معه ليستفسر منه عن أحوال مدينة هراة ، ولم ينس تيمورلنك ابلاغهم أنه سوف يستولي على المدينة بقوة السلاح ان لم يخرج الملك غياث الدين لمقابلته (٦) •

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٣١٩/١ - ٣٢٠ •
خواندامير : حبيب السير ، ٢٣/٣/٣ •

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٢٠/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ٢٣/٣/٣ •

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٢٠/١ •
حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٦٣ - ٦٥ •
Grousset : Op . Cit . P . 427 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٢٠/١ •
حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ٦٥ •
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٦ •

(٥) خواندامير : حبيب السير ، ٢٣/٣/٣ •

(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٢١/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ٢٣/٣/٣ •
Prawdin : Op . Cit . P . 441 .

ولاشك أن تيمورلنك قدم ذلك الاكرام والحفاوة للوفد الذى أرسله الملك غياث الدين ، وهو على يقين تام أن خصمه أصبح عاجزا عن المنازلة والقتال ، وانما قصد من ذلك الظهور أمام أهل خراسان أنه جاء لخلاصهم مما هم فيه من مفاسد في بلادهم ٠

استجاب الملك غياث الدين لأمر تيمورلنك وخرج لمقابلته معلنا استسلامه وخضوعه فأمنه تيمورلنك ومنحه الهدايا وأذن له بالعودة (١) وقد فعل ذلك بعد أن راه مستسلما ولاحول ولاقوة له (٢) ٠

وفي اليوم التالي خرج المشايخ والعلماء والأكابر وأعيان هراة لملاقاة تيمورلنك وأظهروا له الطاعة والولاء (٣) ٠

وما أن نال تيمورلنك بغيته في هراة حتى تحرك نحو شرقها ونزل قوهستان (٤) عدة أيام وأمر بنقل خزائن ملوك الغور وآل كرت التي كانوا قد جمعوها منذ سنوات طويلة ، ثم أمر بتخريب حصن هراة (٥) ، وخلع البوابات (٦)

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٢١/١ ٠
حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٦٧ ٠
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٣ ٠

(٢) يذكر ابن عربشاه في كتابه عجائب المقدور ،ص ٢٣ ، أن أحد أبطال هراة أشار على الملك غياث الدين أن يقتل تيمورلنك ويجعل نفسه فداه وقال له مامعناه أنا أفدى المسلمين بنفسي ومالي واقتل هذا الأعرج ولا أبالي فلم يجبه الى اشارته واستسلم لقضاء الله وقدره ٠

(٣) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٦٥ ٠
Prowdin : Op : Cit . P . 441 .
Grousset : Op . Cit . P . 427 .

(٤) قوهستان : تعريب كوهستان ، يعني موضع الجبال ، وعد البلدانيون العرب اقليم قوهستان من أعمال خراسان ، وأجل مدنها قاين ، ومن مدنها تون وجانبذ وطبس ٠
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٧٢ ٠
كى لسترنج : بلدان الخلافة الاسلامية ، ص ٣٩٢ ٠

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٢١/١ ٠
خواندامير : حبيب السير ٢٣/٣/٣ ٠

(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٢١/١ ٠

الحديدية التي كتب عليها ألقاب ملوك آل كرت من أماكنها وحملها الى كش، (١) ثم توجه تيمورلنك الى نواحي نيسابور وسبزوار وقد سارع خواجه علي مؤيد حاكمها الى تقديم فروض الطاعة والولاء ، (٢) ثم توجه تيمورلنك نحو كلات (٣) وطوس لتأديب حاكمها علي بك قرباني الذي اشتهر بالخداع والمراوغة ، الا أنه سرعان ما اتجه نحو تيمورلنك وقدم ولاءه واعتذاره عما بدر منه من خداع ، (٤) ومن هنا نرى أن موقف الحاكمين لم يكن من القوة والصمود أمام قوة تيمورلنك مما دفعهما الى الاستسلام والانضمام اليه ايثارا للسلامة واتقاء لشر هجماته المدمرة •

ثم واصل تيمورلنك سيره تجاه اسفرايين (٥) وكانت تحت حكم أتباع أميرولى حاكم مازندران ، (٦) ونجح في انتزاع قلعتها وتدمير برجها وقتل جنده العديد من أهل المدينة ، وما أن تم له ما أراد حتى أرسل مبعوثا الى أمير ولي يطلبه للمثول بين يديه كي يحيطه بعنايته واهتمامه فأكرم أمير ولى المبعوث ووعده

---

(١) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٦٥ •
خواندامير : حبيب السير ، ٢٣/٣/٣ •

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٢٤/١ •
رضا بازوكى ٪ تاريخ ايران ، ص ١٩٦ •

(٣) كِلاَتْ : قلعة في بلاد خراسان تقع الى الجنوب الشرقي من نسا وقد سقطت في يد تيمورلنك فأعاد بنائها •

كى لسترنج : بلدان الخلافة الاسلامية ، ص ٤٣٧ •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٢٤/١ •
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٦ •

(٥) أسْفَرايين : مدينة حصينة من نواحي نيسابور ، على منتصف الطريق من جرجان ، واسمها القديم مهرجان ، سماها بذلك بعض الملوك لخضرتها ونضارتها وتشتمل ناحيتها على أربعمائه واحدى وخمسين قرية •

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ١٧٧/١ •
ابن عبدالحق البغدادى : مراصد الاطلاع ، ٧٣/١ •

(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٢٥/١ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٧٨
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٦ •

بالحضور ، وتابع تيمورلنك مسيرته حتى نزل عند مضيق أوغالجاتو (١) وبقى عدة أيام للراحة ، ثم قرر العودة الى سمرقند وأصدر أوامره ببقاء الملك غياث الدين على حكم هراة وبذلك انتهت أولى حملاته على خراسان (٢) •

ثالثا : الحملة الثانية على خراسان سنة ٧٨٤هـ - ١٣٨٢م •

[التوجه الى ترشيز] •

بينما كان تيمورلنك مستقرا في مصيفه على حدود بخارى ، جاءه رسول من قبل حاكم سبزوار خواجه علي مؤيد السربداري يخبره بمؤامرة تحاك ضده ، حيث اتفق الأمير ولي حاكم مازندران وعلي بك حاكم كلات ، على الهجوم على سبزوار، رغم قبولهما الطاعة والولاء (٣) • فتوجه تيمورلنك بقواته سنة ٧٨٤هـ - ١٣٨٢م نحو خراسان ، وانضم اليه الملك غياث الدين حاكم هراة الذي سبق أن دخل في طاعته (٤) •

عسكر تيمورلنك بالقرب من كلات التي تحصن بها علي بك مع أهله وسكان ولايته ، استعدادا لمواجهة تيمورلنك وقتاله ، وكانت هناك صلة من القرابة والنسب بينه وبين تيمورلنك الذي أرسل حفاظا على هذه الصلة الى علي بك لمقابلته حتى لايتعرض للجزاء ، لكن علي بك احتمى بالحصن ولم يوافق على لقاء تيمورلنك (٥) فتظاهر تيمورلنك بالانسحاب من كلات الى كرت من توابع ابيورد وخطط للهجوم سرا ، ولم يفطن علي بك لذلك حيث أمر أهل المدينة باخراج

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٢٥/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ٢٣/٣/٣ •
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٦ •

(٢) خواندامير ، حبيب السير ، ٢٣/٣/٣ •
Sykes : Op . Cit . P . 123 .

(٣) خواندامير : حبيب السير ، ٢٤/٣/٣
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٧ •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٢٤/١ •
حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٦٦ •
Browne : Op . Cit . 166 .

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٢٥/١ •

الأغنام والمواشي من الحصن للمرعى فأغار عليها جند تيمورلنك ، ثم اتبعوا ذلك بمحاصرة كلات من جميع الجهات ، فاضطر علي بك الى التقرب لتيمورلنك مرة أخرى معلنا خجله ، وندمه على مابدر منه ، وطلب منه أن يتقدم مع بعض رجاله الى بوابة المدينة لمقابلته ، ويظهر أنه كان يدبر أمرا للغدر بتيمورلنك الا أن هذا التدبير قد انكشف أمره ، فلم يخرج لمقابلته (١) ٠

ولما كان تيمورلنك قد تعود على خداع هذا الحاكم فقد أمر جنده بالهجوم فاضطر علي بك الى طلب الأمان مرة أخرى (٢) ، وقدم الى تيمورلنك واعتذر له وطلب منه أن يسمح له بالعودة ثانية الى القلعة لاحضار سلاحه على أن يعود على الفور لملازمته في الهجوم على مازندران ، ولما رجع الى القلعة أمر بترميمها ورفع لواء التمرد مرة أخرى (٣) ٠

ثم أصدر تيمورلنك أوامره بتعمير قلعة قُهْلُغة المواجهة لبوابة قلعة كلات وعين الأمير حاجي خليفه واليا عليها ، وكلفه بمراقبة الطرق المؤدية الى كلات والسيطرة عليها (٤) ٠

ثم توجه تيمورلنك الى قلعة ترشيز الحصينة وكان الملك غياث الدين حاكم هراة قد منحها للأمير علي بك غورى أحد عماله ، الا أن هذا العامل تمرد عليه ، فأدى ذلك الى طلب غياث الدين من تيمورلنك الهجوم عليه ، ويذكر

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٣٧/١ ٠
حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٦٦ ٠

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٤١/١ - ٢٤٢ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٢٤/٣/٣ ٠
رضا باروكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٧ ٠

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٤٢/١ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٢٤/٣/٣ ٠

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٤٣/١ ٠
حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٦٦ ٠
رضا باروكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٧ ٠

اليزدي وغيره أن تيمورلنك طلب من غياث الدين حث أهالي البلد على الطاعة والاستسلام الا أن المدافعين من القلعة لم يمتثلوا لأوامره وقامت اثر ذلك عدة اشتباكات بينهم وبين جيش تيمورلنك حتى اضطروا الى طلب الأمان ، فأمنهم واثنى على بطولتهم وقوة تحملهم وطلب منهم العمل على حماية القلاع والحصون على حدود تركستان ، وعين سارق اتكه واليا عليها[(1)] [(2)] [(3)] .

ثم توجه تيمورلنك نحو مازندران وعسكر عند كبودجامه[(4)] فلما علم واليها أمير ولي ، أرسل عددا من أتباعه الى تيمورلنك ليقدموا اليه الهدايا اعترافا بطاعتهم له ، والانضمام اليه ، فوافق تيمورلنك على ذلك وعاد عن طريق سملقان[(5)] ، وأمر بمنح راذكان[(6)] للشيخ علي بهادر[(7)] ووهب سبزوار لعلي مؤيد السربداري[(8)] ، واجبر علي بك قرباني على الطاعة وأرسله مع أهله

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ١/٣٤٥ - ٣٤٦ .
حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٦٧ .
Sykes : Op . Cit . P . 123 .

(٢) لم أجد له ترجمة بين المصادر التي بين يدي .

(٣) حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ز ص ٦٧ .
خواندامير : حبيب السير ، ٣/٣/٢٤ .

(٤) كبودجامه : ناحية بجوار استراباذ ، يكثر فيها الحرير والقمح والكروم وكانت بلادا كثيرة الغنى والخير ، الا أن الخراب أصابها في حروب تيمورلنك .

كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤١٦ .

(٥) سملقان : بلد بقرب جاجرم من أعمال نيسابور .
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٧٣٨/٢ .
كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٣٣ - ٤٣٤ .

(٦) راذكان : قرية من قرى طوس ، وقيل بليدة ، ويقال أن منها نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقي .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ١٣/٣ .
كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٣٥ .

(٧) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٥٢/١ .
خواندامير : حبيب السير ، ٢٤/٣/٣ .

(٨) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٥٢/١ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٧ .

الى طشقند ، وقام بتوزيع أملاكه على الأمراء [1]، واختتم تيمورلنك حملته الثانية على خراسان بتعيينه أميركه بن تموركه واليا على هراة ، ثم عاد الى سمرقند مصطحبا معه الملك غياث الدين وأولاده [2] .

---

(١) خواندامير : حبيب السير ، ٢٤/٣/٣ .

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٥٢/١ .
حافظ أبرو : بنج رسالة تاريخي ، ص ٦٨ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٤ .

رابعا : الحملة الثالثة على خراسان سنة ٧٨٥هـ - ١٣٨٣م :
[الاستيلاء على سجستان]

يذكر المؤرخون أنه ابان سنة ٧٨٥هـ - ١٣٨٣م وقع في هَرَاة تمرد كثير من أهلها على نواب تيمورلنك ، وكان على رأس هؤلاء أولاد الملك فخرالدين : الملك محمد والأمير مغلب أبناء عمومة الملك غياث الدين بير علي • وكانا يعيشان حياة عصيبة في عهد الملك حسين وابنه غياث الدين (١) • وكان تيمورلنك عقب فتح هراة ، قد عين الملك محمدا حاكما على غور (٢) • فقام هذا مع جماعة كبيرة من الغوريين والأهالي وأعلنوا تمردهم في هراة ، وقبضوا على الولاة والمحصلين التيموريين ، وتطاولوا على السكان وأفسدوا في المدينة ، فعمت الفوضى والنهب والسلب فيها في الوقت الذي مات فيه أميركه حاكم هراة من قبل تيمورلنك (٣) •

وازاء تلك الأحداث الخطيرة ، أرسل الأمير ميرانشاه الذي كان معسكرا عند شاطئ نهر مرغاب قوة كبيرة من جيشة للقضاء على الفتنة ، ثم توجه اليهم بنفسه تنفيذا لأوامر وصلت اليه من والده ، فانتقم من الثوار والأهالي حتى قيل أن عدد القتلى بلغ زهاء ألفين وبنى من رؤوسهم أبراجا ومنارات ليكونوا عبرة لغيرهم (٤) • وما أن وصلت أنباء النصر الى تيمورلنك حتى أصدر

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٥٤/١ - ٣٥٥ •
خواندامير : حبيب السير ، ٢٥/٣/٣ •

(٢) غُور : جبال وولاية بين هراة وغزنة ، وهي بلاد باردة موحشة واسعة ،وهي مع ذلك لاتنطوي على مدينة مشهورة وأكبر مافيها قلعة يقال لها : فيروزكوه فيها تسكن ملوكهم •
ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٢١٨/٤ •
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٠٠٥/٢ •

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٥٤/١ - ٣٥٥ •
خواندامير : حبيب السير ، ٢٥/٣/٣ •
Prawdin : Op . Cit . P . 442 .
Grousset : Op . Cit . P . 427 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٥٥/١ •
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٩٦ •
Prawdin : OP . Cit . P . 492 .
Grousset : Op . Cit . P . 427 .

أوامره بقتل الملك غياث الدين بير علي وأخيه ملك محمد وبقية أفـــــراد أسرتهم (١) ، ويقال أن سبب قتلهم يرجع الى تأكد تيمورلنك من أنهم هم الذيـــن خططوا لتلك المؤامرة (٢) • وبذلك انتهت فترة حكم تلك الأسرة التي امتدت أكثـــر من مائة وثلاثين عاما (٣) •

ثم توجه تيمورلنك في خريف ٧٨٥هـ - ١٣٨٣م الى هراة وأمر بامعان القتل في أهل المدينة الأبرياء ، وذلك عندما سمع بمحاولة الغوريين الاستيلاء عليها (٤) •

ثم توجه نحو مازندران ونزل على شاطئ مرغاب فتلقاه حاكم كابلستان الأميـــر جاكو (٥) ، وقدم له فروض الطاعة والاحترام (٦) • ثم وصلت اليه أخبار تمرد حاكـــم اسفزار (٧) من قبله فتوجه الى قلعة سبزوار المعروفة [بيدرأباد] واستولـــى

---

(١) يذكر ابن عربشاه في كتابه عجائب المقدور ، ص ٢٤ [أن تيمورلنـــك عندما قبض على ملك هراة واحتاط على ماملكت يداه وضبط ولاياتها جانبا جانبا وقرر لكل جانب نائبا وتوجه الى سمرقند قافلا بما أمكنه ، وحبس السلطان غياث الدين في المدينة وأوصد عليه بابها ، ووكل بحفظـــه أصحابها واضاف اليهم لشدة الحفاظ الزبانية الشداد الغلاظ وذلك لحلفه ألا يريق دمه وأن يحفظ له ذمه ، فلم يرق له دما ولكنه قتلـــه في الحبس جوعا وظمأ] •

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٥٥/١ •
وبيكولوسكاب وآخرون : تاريخ أزباستان نابابان سدة هجرهم ميـــلادي ، ترجمه للفارسية كريم كشاورز ، طهران ، ١٣٥٤هـ ، ص ٤٣٠ •

رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٧ •
خواندامير : حبيب السير ، ٢٥/٣/٣ •

(٣) Grousset : Op . Cit . P . 428 .

(٤) خواندامير : حبيب السير ، ٢٥/٣/٣ •
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٨ •
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٩٦ •

(٥) لم نجد له ترجمة بين المصادر التي رجعنا اليها •

(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٥٩/١ •

(٧) أُسْفُزار : في جنوب هراة في طريق زرنج ، ويقال لها سبـــــزوار هراة تمييزا لها من سبزوار التي في غرب نيسابور •
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٧٢/١ •
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٥٤ •

عليها وأوقع السيف في أهلها وعمد الى تكديس ألفين من الأسرى الأحيــــاء فوق بعضهم البعض ووضع بينهم الطين والآجر وأقام من هذا الخليط أبراجا بعـــد ماهدم قلعتها[(١)] • ثم توجه تيمورلنك الى سجستان عندما علم بتمردهم عليه فأمر بعض رجاله بالاغارة على حدود المدينة واستطاعوا الحصول على الكثيــــر من الغنائم ، وتحقق لهم الاستيلاء على قلعة حصار زرة[(٢)] وقتل أغلب حاميتها[(٣)] •

وعندما تقدم تيمورلنك نحو سجستان قابله مجموعة كبيرة من كبار رجالها وأخبروه أن شاه قطب الدين حاكمها يرغب في الصلح وأنه مستعد لدفع الخـــراج الذي يقرره[(٤)] •

وخلال المباحثات خرجت أعداد كبيرة من الجيش لمحاربة تيمورلنك لكـــن الجيش التيموري تمكن من هزيمتهم وأجبرهم على الانسحاب مثخنين بجروحهـــــم وخسائرهم واحتموا بأسوار مدينتهم •

وكانت المحاولة الثانية للهجوم ليلا ، وقد أرعب الهجوم رجـــــــال المقاومة والأهالي وسبب بعض الارتباك لهم ، الا انهم تمكنوا من الحاق خسائر كبيرة بالجيش التيموري الذي نجح في اقتحام حصن المدينة والسيطرة عليـــه ، فاضطر قطب الدين الى الاستسلام والخضوع لتيمورلنك فقبل منه ذلك وأكرمه[(٥)] •

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٠/١ •
خواندامير : حبيب السير ٢٥/٣/٣ •
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٨ •

(٢) حصار زره : قلعة من قلاع سجستان ولعلها كانت تقوم في شمال زرنـــج •
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٧٦ •

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٢/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ٢٥/٣/٣ •
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٧٦ •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٣/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ٢٥/٣/٣ •
Sykes : Op . Cit . P . 124 .

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٧/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ٢٦/٣/٢ •
Sykes : Op . Cit . P . 124 .

وتذكر المصادر الفارسية أن رجال المقاومة لم يرضوا بالاستسلام ، وخرجت أعداد كبيرة منهم لمواجهة الجيش التيموري الا أنهم هزموا وتم الاستيلاء على المدينة ، وأمر تيمورلنك بسجن قطب الدين وترحيله الى سمرقند ، وعين على حكومتها شاه شاهان (١) •

بينما تقول المصادر العربية غير ذلك ، فعندما اقتحم تيمورلنك سجستان طلب منه أهلها الأمان ، [[فأمنهم على شريطة أن يمدوه مما عندهم من السلاح ، فاستكثروا له من ذلك ليرضوه ، وصار يستزيدهم فبلغوا الجهد في التقرب اليه بما قدروا عليه منه ، فلما ظن غالب سلاحهم صار عنده ، وان غالبهم صار بغير سلاح بذل فيهم السيف وخرب المدينة حتى لم يبقى بها - بعد أن رحل عنها - من يقوم بهم الجمعة]] (٢) •

والواقع أن ما ارتكبه تيمورلنك في سجستان كان فظيعا ومدمرا ، حيث أمر بالقتل العام للأهالي دون تفريق بين شيخ أو طفل ، وأقام من رؤوس هؤلاء المنارات والقباب ، ثم أمر باحراق المزارع وتدمير مساحات كبيرة من المدينة تدميرا شاملا (٣) ، حتى غدت البلاد أطلالا خاوية على عروشها لم يبق بها شجر ولامدر (٤) •

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٩/١ •
خواندأمير : حبيب السير ، ٢٦/٣/٣ • ولم أجد ترجمة عنه في المصادر التي بين يدي •

(٢) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٠/١ وانظر :
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٥ •

(٣) وصف المؤرخون الأوربيون الذين زاروا سجستان الدمار والتخريب الذي حل بها من جراء الهجوم التيموري المدمر حتى أصبحت مدينة زرنج مخربة ومهجورة تماما وان آثار التخريب مازالت باقية الى الآن حول القريتين الحديثتين : زهدان وشهربستان •

Sykes : Op . Cit . P . 124 .
Grousset : Op . Cit . P . 428 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٨/١ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٠/١
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٥ •
الرمزى : تلفيق الأخبار ، ص ٥٨٣ •
ن•و بيكولوسكاب وآخرون : تاريخ ازباستان،ترجمة كريم كشاورز ، ص ٤٣٠ •

وبعد أن تم لتيمورلنك ما أراد توجه الى بست (١) وتمكن في الطريق اليها من الاستيلاء على طاق وقلعتها (٢) وبقية المدن الأخرى المجاورة ، فقتل كل من أراد العصيان والتمرد وقام بتخريب مدنهم كالعادة ٠

ثم توجه الى قندهار (٣) واستولى عليها وقتل حاكمها ، وامضى بقية عام ٧٨٥هـ - ١٣٨٣م فيها وسيطر أيضا على المناطق المجاورة لها ، ثم عاد الى سمرقند بعدما حققت له عمليات هذه الحملة سيطرة تامة على منطقة سجستان بكاملها (٤) ٠

---

(١) بُسْت بالضم : مدينة بين سجستان وغزنين وهراة وهي من البلاد الحارة كثيرة الأنهار والبساتين ٠

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٤١٤/١ ٠
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٩٦/١ ٠

(٢) مدينة الطاق : مرحلة من زرنج وتكون على ظهر الجائي من سجستان الى خراسان وهي مدينة صغيرة كثيرة الأعناب ، أما قلعتها فهي على جبل مرتفع عند التواء نهر هيلمند ٠

كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٨٢ ٠

(٣) قُنْدَهار : بالضم ، ثم السكون ، وضم الدال : مدينة من بلاد السند مشهورة ، وقد قام تيمورلنك في المئة الثامنة [الرابعة عشر] بتدميرها ٠

ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١١٢٦/٣ ٠
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٨٦ ٠

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٧٨/١ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٢٦/٣/٣ ٠

خامسا : الحملة الرابعة على خراسان سنة ٧٨٦-٧٨٧هـ / ١٣٨٤-١٣٨٥م :

أثناء توجه تيمورلنك في حملاته الحربية على خراسان بدأ في مراسلة حكامها ، واستدعاهم الى حضرته فأجابه بعضهم ، أما شاه ولي حاكم مازندران فقد رفض دعوته ، وقام بمحاولة جادة لتكوين جبهة اسلامية موحدة لمواجهة الخطر التيموري ، فأرسل الى شاه شجاع حاكم فارس وكرمان (١) ، والى السلطان (٢) أحمد بن أويس حاكم العراق وأذربيجان طالبا منهم التعاون سويا ضد خطر تيمورلنك • فماذا كانت النتيجة ؟ •

لم يعر شاه شجاع ذلك اهتماما ، بل هادن تيمورلنك وتحالف معه ، أما السلطان أحمد فكان مشغولا بنفسه مغرورا بقوته فجاءت اجابته بأن هذا الأعرج الجغتائي لايمكن أن يطأ العراقين واذا قدم فسوف تحل به منيته وبذلك خاب ظن شاه ولي فيهما وأيقن أن نهايتهما الدمار وأنه عليه وحده أن يتحمل اعباء هذه المواجهة (٣) •

والواقع أنه لم يقع بين تيمورلنك وشاه ولي أى اشتباك حربي خلال حملات تيمورلنك السابقة على خراسان الا ماكان من أمر تدمير مدينة اسفرايين في الحملة الأولى (٤) •

---

(١) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٣٦/١ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٩ - ٣٤ •

(٢) يذكر ابن عربشاه في كتابه عجائب المقدور ، ص ٣٤ ، أنه قال لهما : أنا ثغركما ان انتظم أمري انتظم أمركما ، وان نزل بي منه باشغة فانها بمحاولتكما لاحقة ، فان ساعدتماني بمدد كفيتكما هذا النكد •

(٣) ذكر ابن عربشاه ص ٣٥ أنه نتيجة هذا الرد قال : [أما أنا فوالله لاوافقنه بعزم صادق ونفس مطمئنة فلئن ظفرت به لأنددن بكما في الأمصار، ولأجعلنكما عبرة لأولى الأبصار ، وان ظفر بي فلا علي مايطل اليكما فلينزلن القضاء الطام والبلاء العام عليكما ، ثم استعد للقائه واستسلم لقدر الله تعالى وقضائه] •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٢٥/١ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٧٨ •
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٦ •

ويرجع المؤرخون أن هدف الحملة الثانية على خراسان كان تأديب علي بك قرباني حاكم طوس وكلات ، وأمير ولي حاكم مازندران ، عندما لاح في الأفق اتحادهما في الهجوم على سبزوار (١) • بينما يرى آخرون أن زين الدين أفراسياب التشيلاوي طلب من تيمورلنك فتح مازندران وذلك انتقاما لمقتل والده (٢) • فبيت تيمورلنك النية على ذلك ويبدو أن شاه ولي بدأ في التخوف مما يحاك له سراء فسارع بارسال عدد من أتباعه الى تيمورلنك وقدموا له الطاعة ، وأخبروه برغبة شاه ولي ورجاله في اللحاق به (٣) •

ومهما يكن الأمر فان تيمورلنك حين تمكن من القضاء على معظم حكام خراسان ، لم يبق أمامه سوى شاه ولي الذي كان لايطمئن اليه بسبب تقلبه المستمر • فبعد أن أمضى ثلاثة أشهر في عاصمته سمرقند تحرك تيمورلنك من جديد نحو خراسان وذلك سنة ٧٨٦هـ - ١٣٨٤م وعقد النية على أن تكون مازندران هي بغيته في تلك الجولة (٤) ، فتحركت الجيوش باتجاه نهر مرغاب ، ومنها الى سرخس وباورد (٥) ، ثم تحولت شرقا الى نسا باتجاه الأملاك الشرقية لشاه ولي ، وهناك علم أن قائد قلعة درون (٦) من قبل شاه ولي أحكم حمايته للقلعة وتحصن بها مع رجاله (٧) •

---

(١) خواندامير : حبيب السير ، ٢٣/٣/٣ •
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٩٧ •
رضا باروكى : تاريخ ايران ، ص ١٩٧•

(٢) عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٩٧ •
(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٤٩/١ •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٧٨/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ٢٦/٣/٣ •

(٥) باوَرْد : وهي أبيورد : بلد بخراسان بين سرخس ونسا •
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٥٩/١ •
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٣٦ •

(٦) قلعة درون : تقع في منتصف الطريق بين عشق آباد وقزل آروت شرق خراسان•
دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ٣٨٤/٩ •

(٧) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨١/١ - ٣٨٢ •
خواندامير : حبيب السير ، ٢٦/٣/٣ •

وعند قلعة درون تلاقت طلائع القوات التيمورية مع جيش تيمورلنك ، ونشبت بين الجيشين معركة حربية حامية الوطيس تغلب فيها جيش تيمورلنك وتمكنوا من قتل قائد القلعة والسيطرة عليها (١) •

ثم توجه تيمورلنك الى نهر جرجان ، وعسكر بجيشه عند شاسمان ، حيث أمر باقامة الجسور ليعبر عليها جنده ، وتلاقت القوى المتحاربة في معركة استمرت عشرين يوما وانتهت لصالح تيمورلنك وانسحب شاه ولي مهزوما (٢) ، ولم تتمكن قوات تيمورلنك من القبض عليه •

وأصدر تيمورلنك تعليمات مشددة بأخذ الحيطة والحذر • تحسبا لنشوب معركة جديدة ، فأقيمت الخنادق والحواجز وكافة الترتيبات (٣) •

أما شاه ولي فقد نجح في لم شمل جيشه من جديد وتقدم لرد الاعتبار بجولة جديدة ، وتمكن أن يعود أدراجه ليلا لمهاجمة الجناح الأيمن للقوات التيمورية التي كانت تحت قيادة ميرانشاه ، ووقعت أعداد كبيرة من قوات شاه ولي في شرك القوات التيمورية وخنادقها فأصاب الضعف والوهن بقية الجنود ، واضطر شاه ولي الى الانسحاب مرة أخرى وتمكن تيمورلنك من احتلال عاصمة المنطقة استراباد في سنة ٧٨٦هـ - ١٣٨٤م (٤) ، وفعل بها كما فعل في غيرها من المدن ، وعهد بحكمها الى لقمان بادشاه ابن طغاتيمور (٥) وهرب شاه ولي الى

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٢/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ٢٦/٣/٣ •
دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ٣٨٤/٩ •

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٤/١ •
خواندامير : حبيب لسير ، ٢٦/٣/٣ •
Grousset : Op . Cit . P . 429 .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٥/١ •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٧/١ •
الرمزى : تلفيق الأخبار ، ص ٥٨٣ •

(٥) أعاد تيمورلنك عام ٧٨٦هـ لقمان بادشاه الى العرش في اقطاعه الوراثي وكان قد طرده من جرجان أمير ولي المطالب بالعرش •

دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ٣٨٤/٩ •

الغرب متجها الى تبريز ومستجيرا بسلطانها أحمد بن أويس (١) .

ويذكر المؤرخون أن تيمورلنك انهى جولاته بالتوجه الى الري واستولى على سلطانية واضطر السلطان أحمد بن أويس الى ترك سلطانية (٢) وتوجه الى تبريز سنة ٧٨٧هـ - ١٣٨٥م .

ثم تحرك تيمورلنك للاحاطة بحكام استمدار واستولى على آمل (٣) وساري (٤) وبقية ولايات مازندران ، وعاد الى سمرقند (٥) بعد أن وصل بحدوده الى ايران الغربية (٦) .

وأخيرا نستطيع أن نقول أن هناك عوامل متعددة ساعدت تيمورلنك على تحقيق هذا النصر الكبير في كافة بلاد خراسان ومنها :

رغبة تيمورلنك الجادة في ضم هذا الاقليم الهام الى سلطته فباستيلائه عليه يكون الطريق مفتوحا أمامه للتوجه الى بلاد فارس والعراق وقد كان له ما أراد .

---

(١) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٣٠٢/٢ .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٧/١ .
خواندامير : حبيب السير ، ٢٦/٣/٣ .
رضا بازوكي : تاريخ ايران ، ص ١٨٩ .

(٢) سلطانية : مدينة أثرية تقع في نصف الطريق بن أبهر وزنجان ، وقد أنشأها أرغون خان واتمها السلطان ألجايتو في سنة ٧٠٤هـ - ١٣٠٥م وجعلها قاعدة الدولة الايلخانية .

كي لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢٥٧ .

(٣) آمل : أكبر مدينة بطبرستان في السهل ، بينها وبين سادية ثمانية عشر فرسخا .
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٦/١ .

(٤) ساري : قصبة طبرستان ، واسمها القديم سادية وهي الى الشرق من آمل .
كي لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤١١ .

(٥) الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٧٨ .

Howorth, H. H. History of the Monglos From the 9th to the 19th Century, London. 1888 . P. 659 .

(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٥/١ .
خواندامير : حبيب السير ، ٢٦/٣/٣ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٥٧ .

- ضعف حكام ولايات خراسان وانشغالهم بالتنازع فيما بينهم ، وعدم تقديرهم للخطر المحدق أدى بهم ذلك الى عدم القدرة على مقاومة ومواجهة جيش تيمورلنك القوي •

لقد حاول تيمورلنك بقدر امكانه الحفاظ على قوة جيشه من حيث العدد والعدة ، حيث نرى أن خطته العسكرية كانت ذات شقين ، الأول منها المدمر الحاسم في حالة احساسة بمقاومة جادة كما حدث في هراة وترشيز ، واسفزار وسجستان ومازندران وغيرها • أما الشق الثاني فكان يلتزم فيه الهدوء والتحلي بالصبر والتريث في الهجوم عند مواجهة خصم ضعيف يعرف سلفا أنه غير قادر على الصمود أمامه ، وكان يبغي اراحة جيشة وعدم الاستعجال في القتال حتى يحافظ على قوته ، كما حدث في كوسيه ، سرخس ، كبودجامه ، كابلستان ، قهلقه •

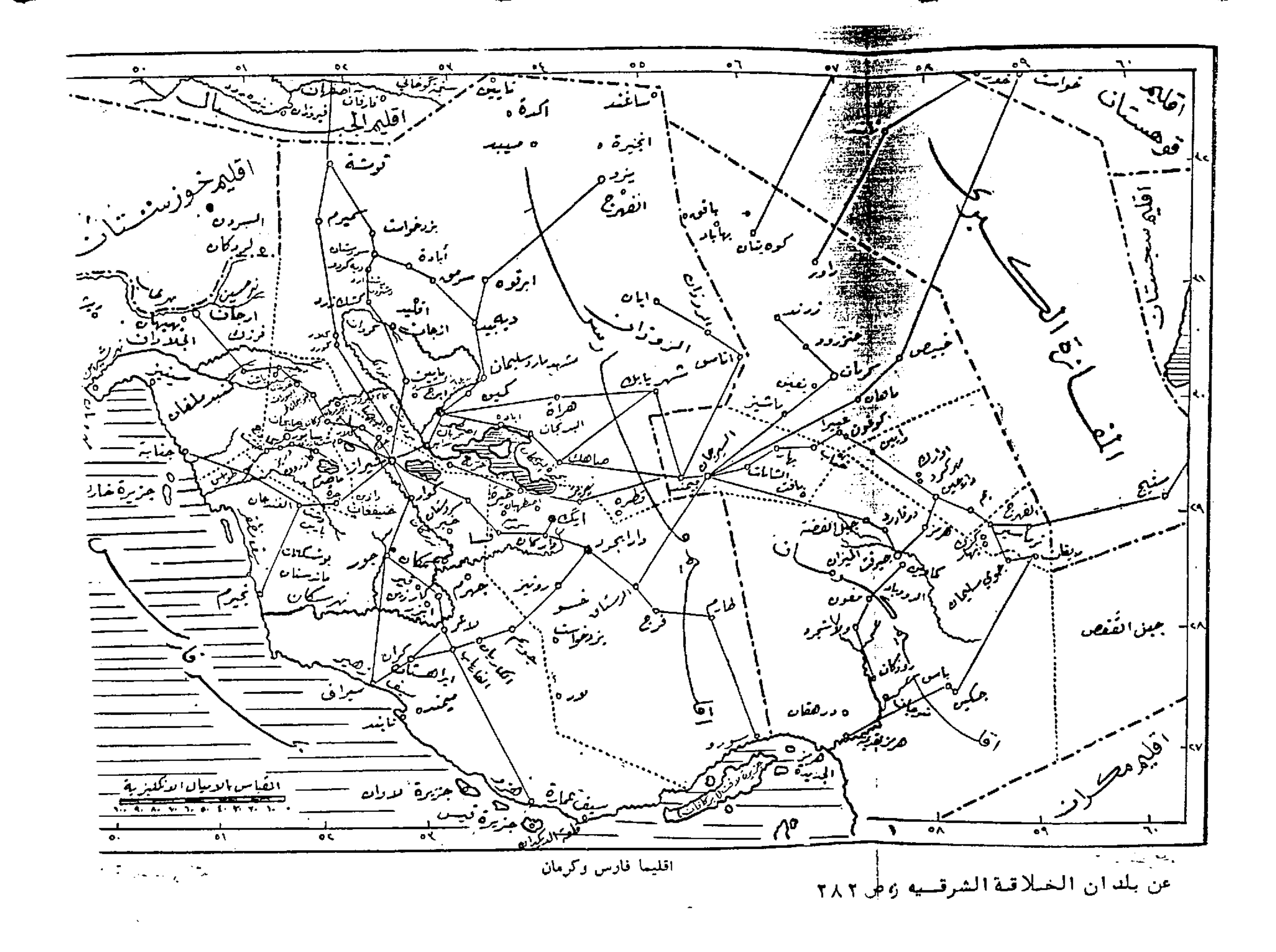
المبحث الثالث

الحالة السياسية في فارس وكرمان
قبل الغزو التيموري
(٧٦٠ - ٧٨٩هـ / ١٣٥٨ - ١٣٨٧م)

أ - : حكم شاه شجاع (٧٦٠ - ٧٨٦هـ) (١٣٥٨ - ١٣٨٤م)

ب - ولاية زين العابدين : (٧٨٦ - ٧٨٩هـ) (١٣٨٤ - ١٣٨٧م)

ج - موقف آل مظفر من تيمورلنك .



اقليما فارس وكرمان

عن بلدان الخلافة الشرقيه ص ٢٨٢

الحالة السياسية في فارس وكرمان قبيل الغزو التيموري : ٧٦٠ - ٧٨٩هـ / ١٣٥٨ - ١٣٨٧م .

حكم آل مظفر بلاد فارس وكرمان من سنة ٧١٣الى٧٩٥هـ ومن ١٣١٣الى١٣٩٣م وكان لمبارز الدين محمد بن المظفر أحد أحفاد غياث الدين حاجى خراساني [(١)] -من سكان خواف احدى قرى خراسان - الفضل الأكبر في تشييد دعائم حكم هذه الدولة التي عرفت باسم والده مظفر [(٢)] . وقد شغل نفس وظيفة والده حاكما على ميبد وعمل لحماية الطرق بين يزد [(٣)] وشيراز من أعمال السلب والنهب وطالب بحكم يزد بعد وفاة السلطان أبي سعيد [(٤)] ٧٣٦هـ - ١٣٣٥م ، ثم سيطر على كرمان وضواحيها [(٥)]

---

(١) يرجع المؤرخون أصل هذه الأسرة الى أمير خراساني اسمه (حاجي غياث الدين خراساني) انتقل من موطنه وقت استيلاء جنكيزخان على خراسان واستقر في يزد وكان له ابن يسمى منصور خلق ثلاثة أبناء : علي ومحمد والمظفر ، ولم يعقب علي خلفا أما الآخران فكان لهما ذرية كان منها سائر حكام آل مظفر .

وقد وصل شرف الدين مظفر الى وظيفة صاحب طبل وعلم في عهد السلطانيين المغولين كيخاتو من سنة ٦٩٠ الى ٦٩٣هـ ، وغازان من ٦٩٤ الى ٧٠٣هـ ، وأصبح في عهد محمد خدابنده أولجايتو (٧٠٣ الى ٧١٦هـ) المسئول عن حفظ طرق الولايات بين كرمنشاه والرستان حتى هراة ومرو مع حكومة ميبد ومات سنة ٧١٣هـ .

أما محمد والذي كان يشتهر بمبارز الدين محمد فقد ولد سنة ٧٠٠هـ وعمل لحماية الطرق بين يزد وشيراز من أعمال السلب والنهب زمن أولجايتو وابي سعيد خرابندا ، ثم منح حكومة يزد سنة ٧١٨هـ ، وتوفي سنة ٧٦٥هـ.

انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٣٠٦/١
الغياثي : التاريخ الغياثي : ص ١٤٧ - ١٤٨ حاشية رقم ١ ، ٦ .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٢٦ - ٥٣٤ .

(٢) مَيْبُد : بلد من نواحي أصفهان بها حصن حصين ، وقيل انها من نواحي يزد.

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢٤٠/٤ .
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٣٤٢/٣ .

(٣) يزد : مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز وأصفهان من أعمال فارس ، وقصبتها كثة .

ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٤٧٨/٣ .
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٢١ .

(٤) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٢٦ .
(٥) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٦/٥

وهيأ له ذلك مد بصره الى فارس ونشبت عدة معارك بينه وبين حاكمها أبي اسحاق اينجو ، وانتهى الأمر بينهما بانتصار مبارز الدين محمد وتأييد أهل البلد له (١) وكان ذلك سنة ٧٥٨هـ - ١٣٥٦م (٢) ٠

قام مبارز الدين محمد بتعيين ابنه شاه شجاع حاكما على شيراز ووليا لعهده ، ونصب ابنه الأخر محمودا حاكما على أصفهان (٣) ٠

وتذكر المصادر التي بين أيدينا أنه حدث بين مبارز الدين وابنائه (٤) بعض الخلافات هدد خلالها الوالد أولاده بالقتل (٥) ، وقد دفع ذلك الى حقد أبنائه عليه (٦) ، واتفق شاه شجاع وشاه محمود وشاه سلطان على الخلاص منه ،

---

(١) تضجر أهل البلد من تصرفات أبي اسحاق واتصلوا بمبارز الدين ووعدوه بفتح أبواب المدينة ان قدم اليها ٠

انظر : ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٦/٥ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣١ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي ، حاشية رقم ٧ ص ١٤٨ ٠

(٢) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٠ ، ٥٣١ ٠
استانلي : لين بول ، طبقات سلاطين الاسلام ، القاهرة : طبع الدار العالمية للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٢٣٠ ٠

(٣) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٦/٥ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي : ص ١٤٨ ٠
عباس العزاوي : تاريخ العراق ، ١٥٠/٢

(٤) كان لمبارز الدين من الابناء : شاه شجاع ، شاه محمود ، وشاه أحمد ، وشاه مظفر الذي مات في حياة والده ، وأبويزيد ٠

انظر : ابن حجر العسقلاني ، انباء الغمر ، ٣٠٧/١
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣١
ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٦/٥ ٠

(٥) عندما فتح مبارزالدين تبريز سنة ٧٥٨هـ أنبئ أن السلطان أويس الجلايرى قادم لفتحها فرأى الأصلح أن يعود الى شيراز ، ولما سلك مبارز الدين في سفره هذا مع ولديه شاه شجاع وشاه محمود مسلك التحقير وهددهم بالقتل خافا ولداه على حياتهما واتفقا على القبض عليه ٠

عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٣ ٠

(٦) شاه سلطان هو ابن أخت مبارزالدين محمد وكان ناقما على خاله ٠

عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٣ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي ، حاشيه رقم ٩ ، ص ١٤٩ ٠

وتحقق لهم ما أرادوا فحبسوه في قلعة طبرك (١)، ثم أمر شاه شجاع بسمل عيني أبيه (٢)، وارساله الى قلعة سفيد (٣). ولم تقم لمبارز الدين بعد ذلك قائمة حيث مرض وتوفى سنة ٧٦٥هـ - ١٣٦٣م (٤).

أ - حكم شاه شجاع : ٧٦٠ - ٧٨٦هـ - ١٣٥٨ - ١٣٨٤م .

ما أن تولى شاه شجاع الحكم حتى قام بتعيين أخيه شاه محمود حاكما على ابرقوه (٥) واصبهان وقم (٦) وقاشان (٧)، ومنح حكم كرمان لأخيه سلطان أحمد (٨) وأمر بسجن شاه يحى (٨) في شيراز (٩).

---

(١) قلعة على رأس جبل بمدينة الرى ، وعلى يمين القاصد الى خراسان .
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٨٧٨/٢ .
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢٤٠

(٢) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٧/٥ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣١ .
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ٣٠٧/١ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٤٩ .
Grousset : Op . Cit . P . 431 .

(٣) تعرف باسم القلعة البيضاء ، وهي قلعة حصينة من أعمال شيراز .

(٤) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٤ .
لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ، ص ٢٣٠ .

(٥) أبرقوه : بلد مشهور بأرض فارس من كورة اصطخر قرب يزد وبينهما ثلاثون فرسخا وقيل ثلاثة فراسخ أو أربعة
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٤/١ .
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٢٠ ، ٣٣١ .

(٦) قم : مدينة اسلامية لا أثر للعجم فيها ، بها آبار ليس في الأرض مثلها عذوبة وبين قم وساوة اثنا عشر فرسخا ، وبينها وبين قاشان مثل ذلك .
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١١٢٢/٣ .

(٧) قاشان : مدينة قرب اصفهان ، تذكر مع قم ، وأهلها كلهم شيعة .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢٩٦/٤ - ٢٩٧ .
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٠٥٧/٣

(٨) هو سلطان أحمد بن محمد بن مظفر كان واليا على كرمان بعد وفاة والده واستمر حاكما عليها الى أن قتله تيمورلنك مع من قتل من آل مظفر .

ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٢ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٥٤

(٩) هو شاه يحى بن شاه مظفر ولد سنة ٧٤٤هـ منح ولاية يزد ، وقتل مع من قتل من آل مظفر .
انظر : الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٥٤ حاشية رقم ٢ .

وتعرض شاه شجاع ابان فترة حكمة لكثير من المصاعب والحروب ، حيث تمردت عليه العشائر الأوغانية والجرماثية (١) ، فعمل على ردعهم والقضاء عليهم ونجح في هزيمتهم ثم قبل اعتذارهم بعد دخولهم في طاعته (٢) •

وعقد الصلح بينه وبين شاه يحي المعتقل في قلعة شيراز ونصبه حاكما على يزد ، لكن شاه يحى ما أن وصل اليها حتى أعلن عصيانه وتمرده ، فأدى ذلك الى توجه شاه شجاع اليه وتمكن من هزيمته ، ودخل في طاعته فعفا عنه شاه شجاع مره أخرى (٣) وكما حدث بين الأب وأبنائه من صراع وخلاف حدث بين الأخ وأخيه حيث كانت العلاقة بين شاه شجاع ، وشاه محمود سيئة للغاية فقد اشتد الصراع بينهما حول ضم بعض المناطق لكل منهما ، وعصا شاه محمود أخاه وأعلن تمرده عليه ، وانفصاله عنه ، وتوجه لمحاصرة يزد سنة ٧٦٥هـ - ١٣٦٣م فاستولى عليها ، واسقط اسم أخيه من الخطبة (٤) ، ونشبت معارك عنيفة بينهما ساعد خلالها شاه سلطان شاه شجاع ، وتمكنت قوات شاه محمود من هزيمة شاه سلطان والقبض عليه ، وكان سبب سمل أبيه مبارز الدين فلقى من أخيه نفس المصير (٥) • وعلى الرغم من عقد الصلح بين الآخوين على أن يظل شاه محمود حاكما على أصفهان كما كان ، وأن تجرى الخطبة باسم شاه شجاع (٦) ، فان محمود لم يكن راضيا بذلك، واستعد لمهاجمة أخيه مرة أخرى ، لذلك قام بمكاتبة السلطان أويس الجلايرى

---

(١) مما من العشائر المغولية التي قدمت الى كرمان في عهد ايلخانية أرغون خان للمحافظة على حدودها •

انظر : عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٢٩ •

(٢) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٥ •
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 , P.P . 697 - 700 .

(٣) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٥ •

(٤) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٥ •

(٥) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٥ •
Howorth : Op . Cit . Bol . 3 . P . 697 .

(٦) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٥ •
Howorth : Op. Cit . Bol . 3. P. 697 .

حاكم بغداد وآذربيجان يحذره من أخيه الراغب في ضم تبريز اليه ، وعزز مكاتبته بطلب الزواج من ابنته ، وقد رحب أويس بذلك ، وأمده بقوة لمساعدته ، كما انضم اليه عدد من أمراء أبي اسحاق اينجو ، وبعض الثائرين من قم وقاشان وساوة ، فقوى موقفه وخرج الجميع من أصفهان لازالة حكم شاه شجاع (١) ، ونشبت الحرب بين الأخوين فلما رأى شاه شجاع ان الهزيمة (٢) سوف تحل به طلب الصلح من أخيه ، فتم الصلح بينهما على أن يغادر شاه شجاع الى أبرقوة، ودخل شاه محمود شيراز مرفوع الرأس سنة ٧٦٥هـ - ١٣٦٣م (٣) ٠

ولم تتوقف الحروب بين الأخوين حيث تمكن شاه شجاع فيما بعد من الاستيلاء على كرمان وشيراز وأرغم محمودا على الفرار الى أصفهان ، ثم توفى شاه محمود سنة ٧٧٦هـ - ١٣٧٤م (٤) فأعطى له ذلك السيطرة الكاملة على حكم المظفريين ٠

ولم تكن العلاقة بين شاه شجاع والجلايريين على مايرام ، حيث قام شاه شجاع بمهاجمة تبريز في عهد السلطان حسين بن أويس ، وتمكن من الاستيلاء عليها ٠ غير أنه لم يمكث بها سوى أربعة أشهر ، حيث علم بتمرد شاه يحيى بفارس ، فعاد مسرعا الى شيراز وتمكن حسين من السيطرة على تبريز مرة أخرى (٥)٠ وفي سنة ٧٨١هـ - ١٣٨٠م قصد عادل أغا (٦) حاكم سلطانية من قبل الجلايريين الى

---

(١) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٩ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P.P. 697 - 698 .

(٢) تضرر موقف شاه شجاع عندما أنفصل عنه سلطان أحمد وابنه أويس وعدد كبير من قواته ٠
انظر : عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٦ ٠

(٣) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ٥٣٦ ٠
Howorth : Op. Cit . Vol. 3. P 698 .

(٤) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٣٠٧/١ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٥٣ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٦ ٠
عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ١٨٨/٢ ٠

(٥) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٣/٥ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ١/٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٩٩ ، ١٠٠

(٦) كان رئيس شرطة دار السلام "بغداد" ، وترقى في المناصب حتى وصل الى حكم سلطانية ٠
خواندامير : حبيب السير ١٣٧/١/٣

مهاجمة آل مظفر ، فخرج اليه شاه شجاع ، وهزمه ، ثم عفا عن عادل وأعاده الى حكمها (1) ٠

وعندما تولى السلطان أحمد بن أويس سنة ٧٨٤هـ - ١٣٨٢م حكم الجلايريين، تمرد عليه أخوه أبويزيد وعادل أغا ،وطلبا المساعدة من شاه شجاع فرحب بذلك لرغبته في ضم آذربيجان الى حكمه ، ولما علم السلطان أحمد بذلك أرسل اليه طالبا وده ، ومهادنته فوفق شاه شجاع بين الأخوين (2) ٠

واستمر شاه شجاع طوال حكمه في صد العصاة والمتمردين حتى وافته المنية سنة ٧٨٦هـ - ١٣٨٤م (3) ٠

ب - ولاية زين العابدين ٧٨٦ - ٧٨٩هـ - ١٣٨٤ - ١٣٨٧م ٠

قسم شاه شجاع قبل وفاته ممالكه بين أبنائه وأقاربه ، فعين ابنه زين العابدين حاكما على شيراز ، وولاية العهد من بعده ، واقطع أخاه السلطان أحمد ولايات كرمان ، وأعطى ابن أخيه شاه يحى يزد ، وابن أخيه الآخر شاه منصور اصفهان (4) (5) ٠

---

(1) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٧ ٠

(2) خواندامير : حبيب السير ، ١٤٠/١/٣ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٥٩ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 659 .

(3) اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي توفى فيها شاه شجاع حيث تذكر المصادر العربية أنه توفى سنة ٧٨٧هـ ٠ انظر :
ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٦/٥ ٠
ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنه ، ١٨٧/٢ ٠
الشوكاني : البدر الطالع ، ٢٧٤/١ ٠
بينما تذكر المصادر الفارسية والأوربية أنه توفى سنة ٧٨٦هـ ٠ انظر :
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٩/٣/١ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٧ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 704 .

(4) هو شاه منصور بن مظفر بن مبارز الدين محمد بدأ في نزاع مع آل مظفر، ووثب على زين العابدين فكحله واستقل بالحكم فبلغ ذلك تيمورلنك فجعله سبيلا الى قصد فارس فنازلها ودافع شاه منصور عنها الى أن قتل في المعركة ٠
ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، ١٨٨/٢ ٠

(5) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٢ ٠
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٣٠٧/١
Grousset : Op . Cit . P . 431 .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 707 .

ولم يهنأ مجاهد الدين زين العابدين بالحكم ، حيث نشبت المنازعات والحروب بينه وبين أمراء آل مظفر الذين رأى كل منهم أحقيته بالزعامة ، ولم يكن زين العابدين مثل والده ، ففشل في السيطرة على زمام الأمور واصطدم حكمه منذ البداية بطمع شاه يحي الذي استولى على أصفهان ، وهاجم شيراز عاصمة زين العابدين وانضم اليه أبويزيد بن مبارزالدين محمد ، واضطر زين العابدين الى مصالحة شاه يحي وتنازل عن أبرقوه لابي يزيد (١) .

وازدادت أوضاع فارس سوءا في هذه الفترة وتزعم حركات الاضطراب والفوضى والحروب مع زين العابدين كل من شاه يحي الذي فشل في الاستمرار في حكم اصفهان ، حيث لاقى عنادا ومقاومة من أهلها ، أجبرته على العودة الى يزد ، وفشل أبويزيد في تحقيق أي نصر على زين العابدين وارتحل الى يزد لدى شاه يحي (٢) واستمر الوضع هكذا حتى قدوم تيمورلنك اليهم سنة ٧٨٩هـ - ١٣٨٧م (٣) .

ج - موقف آل مظفر من تيمورلنك :

كان لآل مظفر ابان غزو تيمورلنك بلاد خراسان موقف سلبي ، حيث رأى شاه شجاع قبل وفاته ماحل بجيرانه من تدمير وتخريب ، وأدرك أن الدخول مع تيمورلنك في سلام ووفاق هو القرار الأفضل لحماية بلاده وتجنيب أبناء شعبه الدمار والتنكيل الذي عرف به تيمورلنك . فعندما بعث اليه شاه ولي طالبا منه ومن السلطان أحمد بن أويس تكوين حلف مشترك لمواجهة وصد تيمورلنك ، أهمل شاه شجاع رسالته ، لأنه كان قد سبق وهادن تيمورلنك واستسلم له من تلقاء نفسه (٤) .

---

(١) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٩ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، حاشيه رقم ٢ ، ص ١٥٥
Howorth : Op . Cit . Vol . P . 707 .

(٢) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٩ .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣٠/٣/١ .
خواندامير : حبيب السير ٢٨/٣/٣ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢٠١

(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٤ .

ويذكر المؤرخون أن تيمورلنك بعث الى شاه شجاع يدعوه الى الدخول في طاعته ، ومما جاء في رسالته اليه : [ان الله تعالى سلطني عليكم وعلى ظلمة الحكام والجائرين من ملوك الأنام ، ورفعني على من بارانى ، ونصرني على من خالفني وعاداني ، وقد رأيت وسمعت ، فان أجبت وأطعت فبها ونعمت ، والا فاعلم أن في قدومي ثلاثة أشياء: الخراب والقحط والوباء ، واثم كل ذلك عائد عليك ، ومنسوب اليك] (١) •

فاستجاب شاه شجاع لمطلب تيمورلنك ودخل في طاعته ، وقوى من رباط السلم بينهما زفاق ابنة شاه شجاع الى الأمير بير محمد بن جهانجير حفيد (٢) تيمورلنك وتم هذا الزواج في بلخ عند قدوم تيمورلنك الى خراسان سنة ٧٨٥هـ - ١٣٨٣م (٣) •

ومما زاد من قوة العلاقة بين الطرفين تبادل الهدايا بينهما وكان من بين الهدايا التى أرسلها شاه شجاع الى تيمورلنك سنة ٧٨٤هـ - ١٣٨٢م أحجار كريمة وجواهر وخواتم ذهبية ، وخيول عربية ، وعدد من البغال السريعة ، والدروع ، وغيرها (٤) •

وجاء رد تيمورلنك على تلك الهدايا بأن منح مبعوث شاه شجاع هدايا متنوعه الى سيده ومن تلك الهدايا بعض العملات الذهبية ، وخلعة من دولابه الخاص ، وحزام وخنجر وسيف معقوف وبه حجارة كريمة ، وبعض الخيول مع رسالة ضمنها عواطفه تأكيدا لأواصر المحبة بينهما (٥) •

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٩
ابن تغربردى : المنهل الصافي ، ١٠٨/٤ ، ١٠٩

(٢) جاء في كتاب عجائب المقدور لابن عربشاه ، ص ٢٩ ، وكتاب النجوم الزاهرة لابن تغربردى ٢٥٩/١٢ هذه العبارة : [ولم يسع شاه شجاع الا مهاداته ومصاهرته وزوج ابنته بابن تيمور ولم يتم ذلك السرور] •

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٠/٣/١ ، ٣٨١ •
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٢٦ •

(٤) Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 704 .
(٥) Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 704 .

وعندما أحس شاه شجاع بدنو أجله بعث الى تيمورلنك هدية ثمينة وخطابا مطولا يلتمس فيه الحفاظ على الصداقة المتينة بينهما أملا في حفظ بلاده لولي عهده زين العابدين ويمنحه حق الوصاية على ابنه ويخبره أنه أوصى أن يحكم شقيقه أحمد كرمان وابن أخيه شاه يحي يزد ، وابن أخيه شاه منصور أصفهان ، واسند وصيته بذلك الى تيمورلنك (١) .

ومما جاء في رسالة شاه شجاع لتيمورلنك قوله : [[ان أقصى مناى أن تكون هذه المعاهدة بيدى يوم القيامة لكى لاتقف أمامي قائلا : انك قد خنت العهد وحنثت بالوعد ، وبما أني سأكون قريبا بين يدى الله عز وجل ، فانى مطمئن الى أنى لم أقم بعمل أخجل منه الا هذا العبث الذي انصرفت اليه في حياتي ، وهو من الأمور التي يضطر اليها المرء اضطرارا ، انى أموت مطمئنا وأنا أسأل الله أن يؤازركم ويؤيدكم ، وكل رجائى أن تعطفوا على ولدى زين العابدين الذي سيجلس على العرش بعدى ، وان تصلوا على روحى ، وليغفر الله ذنوبي]] (٢) . وتؤكد لنا هذه الرسالة على حسن علاقة شاه شجاع بتيمورلنك الذي كان يمثل القوة العظمى خلال تلك الفترة .

وبعد وفاة شاه شجاع سنة ٧٨٦هـ - ١٣٨٤م تولى ابنه مجاهد الدين زين العابدين الحكم (٣) فأرسل اليه تيمورلنك مبعوثا يدعوه الى الحضور اليه ، ليؤكد ويدعم الصداقة التي كانت بينه وبين والده وانه من الضروري توطيد هذا التحالف ، الا أن زين العابدين لم يعط ذلك الأمر اهتماما ، وقبض على مبعوث تيمورلنك واعتقله عنده ولم يسمح له بالعودة اليه (٤) .

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣١ ، ٣٢ .
ابن تغري بردى : المنهل الصافي ، ١٠٩/٤ .
الشوكاني : البدر الطالع ، ٢٧٤/١ .

(٢) هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٩٠ ، ٩١ .

(٣) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٢ .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٩ .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣/١ ٤٢٤ - ٤٢٥ .
Sykes : Op . Cit . P . 125 .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 707 .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ٥٣٩ .

فأثار هذا العمل غضب تيمورلنك ، وجعله سببا للتوجه الى فارس لتأديب هذا الابن العاق الذي حاد عن الطريق الذي كان قد سلكه والده معه ٠

وتذكر بعض المصادر أن ماجاء في رسالة تيمورلنك اليه [[ان المرحوم شاه شجاع أوصاني عليك فيجب أن تتقدم لمقابلتى لقرب المسافة بيننا ولاختصك بالعطف والعناية ، ولنجدد سويا التحالف والصداقة التي كانت قائمة بينى وبين والدك]] (١) ٠

الا ان زين العابدين تعلل بالأسباب ، ولم يتقدم لمقابلته ٠ وبذلك يؤكد زين العابدين عدم رغبته في مهادنة تيمورلنك ، وكان الأحرى به أن يتقرب اليه ويحسن صداقته معه ، خاصة وان الوضع السياسي في بلاده كان متدهورا ومضطربا ٠

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ١/٤٢٥ ٠

المبحث الرابع

الزحف التيموري على فارس

٧٨٩ - ٧٩٥هـ / ١٣٨٧ - ١٣٩٣م

أ - توجه تيمورلنك الى فارس سنة ٧٨٩هـ - ١٣٨٧م .

ب - توجه تيمورلنك نحو شيراز .

ج - أوضاع آل مظفر بعد رجوع تيمورلنك الى سمرقند .

د - هجوم تيمورلنك على آل مظفر سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٢م .

هـ - نهاية آل مظفر .

و- نتائج الغزو التيموري لفارس .

الزحف التيموري على فارس ٧٨٩-٧٩٥هـ / ١٣٨٧-١٣٩٣م ٠

أ - توجه تيمورلنك الى فارس سنة ٧٨٩هـ - ١٣٨٧ م ٠

عندما تحقق لتيمورلنك الاستيلاء على ماوراء النهر وخراسان ، رغب في الاستيلاء على فارس التي كانت تمثل جزءا هاما من أهدافه التوسعية ، وقد تحقق له ذلك عندما أرسل مبعوثا الى زين العابدين حاكم فارس وكرمان يدعوه للحضور اليه ، الا أن زين العابدين اعتقل موفد تيمورلنك فاتخذه دافعا للتحرك والزحف اليه لتأديبه وضم فارس اليه وكان ذلك سنة ٧٨٩هـ - ١٣٨٧م (١) ٠

وثمه دافع آخر دعا تيمورلنك للزحف على آل مظفر في فارس وكرمان ، وهو ماحل بهم من اضطراب ومنازعات بعد وفاة السلطان شاه شجاع ، فاتجه بقواته نحوهم ، مدعيا رغبته في اعادة الهدوء والاستقرار واصلاح ماحل بهم من تفكك (٢) ، واجبارهم على طاعته ليحقق هدفه الكبير بأن يكون الوريث الشرعي للدولة الايلخانية (٣) ٠

زحف تيمورلنك من جيلان (٤) سنة ٧٨٩هـ - ١٣٨٧م صوب همذان ثم الى ظاهر أصفهان ، فخرج لمقابلته حاكمها مظفر كاش (٥) وبعض من الأعيان يطلبون الأمان وعدم التعرض لمدينتهم بأذى ، وعرضوا استعدادهم لتقديم كل مايطلبه منهم من مال ، فرحب تيمورلنك بهم وأحسن استقبالهم (٦) ، ثم أصدر أوامره الى جنده

---

(١) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٣٩ ٠
رضا باروكى : تاريخ ايران ، ص ٢٠١
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 707 .
Sykes : Op . Cit . P . 125 .

(٢) Grousset : Op . Cit . P . 431 .

(٣) تيمور : توزكات تيمور ، ص ٣٤٦ ٠

(٤) جَيْلان : بالكسر ، اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان ، وهي قرى كلها في مروج بين جبال ، وعلى ساحل بحر طبرستان ٠
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢٠١/٢
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٣٦٨/١ ٠

(٥) هو خال زين العابدين وحاكم أصفهان من قبله ٠

(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣١/١ ٠
الصرفى : تاريخ دول الاسلام ، ٢٩٢/٢ ٠
Grousset : Op . Cit . P . 431 .
محمد أسد الله صفا : تيمورلنك ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار النفائس ، ١٤١٠هـ/١٩٩١م ٠

بالانتشار بين نواحي وأطراف المدينة ، وتجول مع بعض أمرائه وجنده داخل المدينة ولم يتعرض تيمورلنك في تجواله لأذى من أهالي المدينة[١] . ولما رجع الى معسكره أصدر أوامره[٢] : أن يسلم كل مافي المدينة من خيل وسلاح وهذا يؤكد سوء نية تيمورلنك ورغبته في تجريد البلد من أهم مقومات الدفاع والمقاومة .

أرسل تيمورلنك المحصلين لجمع الأموال وكانت الأمور تسير بهدوء وسلام ، لكن حدث من محصلي تيمورلنك وبعض جنده ما آثار غضب أهالي المدينة من تصرفاتهم السيئة ، فأصابوا أمراضهم وفرغت من المال خزائنهم مما فرضوه عليهم من ضرائب جائرة[٣] ، فقام بعض أهل المدينة بقيادة أحد الحدادين يسمى على كجه بقتل أكثر المحصلين والجند الذين كانوا داخل المدينة ، بعد معركة نشبت بين الطرفين[٤] ، وقد قدر من قتل من جند تيمورلنك بحوالى ثلاثة آلاف[٥] ، ثم قام الأهالي بتحصين مدينتهم استعدادا لمواجهة تيمورلنك[٦] فأثار ذلك غضب تيمورلنك رغم محاولة أعيان أصفهان تهدئة خاطره وتبرير ماحدث بأنه كان من قبل الغوغائيين ، لمعرفتهم بما سوف يحل بهم من القتل والتنكيل[٧] ، الا أن

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣١/١ .
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ٩٢ .

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣٢/١ .
Howorth : Op . cit . Vol . 3 . P , 707 .

(٣) الصرفي : تاريخ دول الاسلام ، ٢٩٢/٢ ، ٢٩٣ .
شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٤٢ .
Prawdin : Op . Cit . P . 448 .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 431 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣٢/١ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٤٦ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 708 .

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣٣/١ .
القزويني : حمدالله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر المستوفي (٧٥٠هـ - ١٣٤٩م) تاريخ كريدة ، المجلد الأول ، لندن ، ١٣٢٨هـ-١٩١٠م ص ٧٣٩ .
ارمنيوس فامبري : تاريخ بخارى ، ص ٢٢٧ .
Sykes : Op . Cit . P . 125 .

(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣٣/١ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 708 .

(٧) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣٣/١ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٤٧ .

تيمورلنك رفض أن يستمع اليهم واعتبر ذلك تحديا صريحا له ، فأصدر أوامره بتطويق ومحاصرة المدينة والاستيلاء عليها (١) ، وقد قام الأهالي بالدفاع عن مدينتهم بكل شجاعة وتضحية ، لكن جند تيمورلنك تمكنوا من اقتحام المدينة والاستيلاء عليها (٢) ، ثم أمر تيمورلنك باشاعة القتل العام ، ونفذ جنده ذلك بصورة همجية لاتعرف الرحمة أو الشفقة ، وكان على كل واحد من جنده أن يتقدم بعدد معين من الرؤوس (٣) ، فعمد بعضهم الى شراء بعض الرؤوس من زملائهم وقد قدر عدد القتلى في هذه المجزرة الرهيبة بسبعين ألفا على الأقل (٤) • وزعت رؤوسهم على الشوارع والطرقات على شكل أبراج وقباب (٥) •

ب - توجه تيمورلنك نحو شيراز :

وعندما فرغ تيمورلنك وجنده من أمر أصفهان ، ترك عليها حامية من جنده ، وتوجه صوب شيراز ، وكان بها الحاكم الشرعي لآل مظفر زين العابدين الذي ما أن علم بتوجه تيمورلنك نحوه حتى فضل الهرب على الثبات ، وأظهر

---

(١) الصرفي : تاريخ دول الاسلام ، ٢٩٣/٢ •
شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٤٢ •

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣٣/١ •
الصرفي : تاريخ دول الاسلام ، ٢٩٣/٢

(٣) محمد أسد الله صفا : تيمورلنك ، ص ١٥١
شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ١٤٣ •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣٤/١ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٨٢ •
ارمنيوس فامبري : تاريخ بخاري ، ص ٢٢٧ •
Prawdin : Op . Cit . P . 448 .

(٥) Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 708 .
Browne : Op . Cit . P . 188 .

عدم اكتراثه ومبالاته بالهجوم التيموري (١)، وتوجه مضطرا الى تستر [شوشتر] • مستغيثا بحاكمها شاه منصور الذي كانت علاقته معه سيئة ، فما أن وصل اليه حتى أمر بسجنه وضم جنده الى جيشه (٢) •

سيطر تيمورلنك على شيراز دون مقاومة ، حيث قدم أهلها الأموال له وأدرج اسمه في خطبة الجمعة وغدت شيراز جزءا من أملاكه (٣) •

وتجمع معظم المصادر التاريخية على أن آل مظفر عندما رأوا أنه لاطاقة لهم بمواجهة تيمورلنك ، توجهوا اليه وكان في مقدمتهم والى يزد شاه يحي شقيق شاه شجاع وابنه الأكبر سلطان محمود ، وحاكم كرمان أحمد شقيق شاه شجاع وغيرهم ، وحظى الجميع بلقاء تيمورلنك بعد تقديمهم الهدايا له ، وقسم مدن فارس فيما بينهم وبذلك أصبحوا حكاما تابعين له (٤) •

ولم يمكث تيمورلنك في شيراز طويلا حيث تركها عندما علم بزحف حاكم القفجاق تقتاميش الى ماوراء النهر (٥) ، وبذلك توقف عن اكمال مشروعه في الاستيلاء على كافة مدن فارس •

ج - أوضاع آل مظفر بعد عودة تيمورلنك الى سمرقند .

عين تيمورلنك قبل مغادرته لفارس ، رجال آل مظفر الذين قدموا له طاعتهم أمراء ، فعين شاه يحي حاكما على شيراز ، والأمير أحمد حاكما على

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ٤٣٦/١
خواندامير : حبيب السير ، ٢٨/٣/٣ •

(٢) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٤٠ •
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 708 .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣٧/١ •
Grousset : Op . Cit . P . 431 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣٧/١ •
Grousset : Op . Cit . P . 431 .
Howorth : Op . Cit . Vol . P . 709 .

(٥) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٧/٥ •
اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣٧/١ ، ٤٣٨ •
القزويني : تاريخ كزيدة ، ص ٧٤٠ •
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٢٧ •

كرمان ، ونصب أبا اسحاق على سرجان وقلعتها ، وترك بهلوان مهذب واليا[(١)] على أبرقوه[(٢)] •

وكان شاه منصور حاكم تستر هو الوحيد الذي لم يقدم طاعته الى تيمورلنك •

ونرى أنه ما أن ترك تيمورلنك شيراز حتى اشتعلت الاضطرابات والمنازعات بين أفراد الأسرة الواحدة ، فازداد وضعهم سوءا وحرجا خلال الأعوام ٧٨٩- ٧٩٥هـ - ١٣٨٧ - ١٣٩٣م •

ومن الأحداث الهامة التي وقعت خلال تلك الفترة : أن زين العابدين السجين من قبل شاه منصور ، تمكن من الهرب بمعاونة بعض المؤيدين له من رجال شاه منصور ، واتجه صوب ملك عزالدين حاكم لرستان وطلب منه العون لاسترداد أصفهان فأمده بالمساعدة[(٣)] • وما أن وصل زين العابدين الى أصفهان حتى وجد الترحيب والقبول من سكانها ، لأنهم كانوا غير راغبين في حكم سلطان محمد بن يحي الجائر[(٤)] • ثم زحف زين العابدين الى يزد وضمها الى حكمه •

من جهة أخرى كان شاه منصور قد نجح في الاستيلاء على شيراز حيث رحب به وجهاء المدينة وفتحوا له الأبواب ، واضطر حاكمها شاه يحي الى الهرب نحو يزد[(٥)] ، واستمر شاه منصور في تحقيق انتصاراته على أقربائه من المظفريين

---

(١) هو بهلوان مهذب الخراساني ، من قواد شاه شجاع وزين العابدين من بعده ، كان حاكما في أبرقوه ، واستمر حكمه فيها بعد أن منحه تيمورلنك حكمها •
اليزدي : ظفرنامه ، ٥٩٣/١ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، حاشية رقم ٨ •

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٥٩٢/١ ، ٥٩٣ •
عباس اقبال : تايخ ايران ، ص ٥٤٠ •
Grousset : Op . Cit . P . 432 .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٥٩٤/١ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٥٥ •

(٤) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٤١ •
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 709 .

(٥) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٤١ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٥٥ •
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 709 .

بعزيمته وقوة شخصيته ، فاستولى على قلعة ديه بيد (١) ، وقلعة سرمق (٢) وغيرهما .
ووصل الى أبرقوه لكنه لم يهاجمها (٣) ، فأثار ذلك تخوف زين العابدين منه ، ورأى ضرورة مواجهته والقضاء عليه ، فأعد جيشا من الأصفهانيين ، وظن أن النصر سوف يكون حليفه ، معتقدا أن أعدادا كبيرة من أنصار والده شاه شجاع سوف ينضمون اليه اذا دخل في حرب مع شاه منصور ، وعندما اصطدم جيشه بجيش شاه منصور عند قلعة أصطخر (٤) ، حلت بزين العابدين الهزيمة ، وفر منسحبا نحو أصفهان يندب حظه السيء (٥) ، وكان بهلوان مهذب حاكم أبرقوه من قبل تيمورلنك قد تحالف مع شاه يحي لمواجهة شاه منصور ، فقدم شاه يحي الى أبرقوه فوجد العناية والتكريم من حاكمها . لكن شاه يحي تنكر لذلك نتيجة تحريض جنده له ، فنقض اتفاقه وأومر بالقاء القبض على شاه بهلوان وقتله ، وعين شاه يحي محمد قورجي أحد أتباعه على أبرقوه ورجع الى يزد (٦) .

---

(١) هي موضع بفارس ، على الطريق الواصل بين شيراز وأصفهان ،وعلى شمالها تقوم مدينة أبرقوه .

ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٢٣٩/١ .
كي لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٢٠ .

(٢) سَرْمَق : بلدة بفارس من كور اصطخر ، ولها ولاية ، وهي أكبر من أبرقوه.
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٧٠٩/٢ .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٥٩٥/١ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٥٦ .

(٤) اِصْطَخْر : من أقدم مدن فارس بينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخا وهي أكبر كور فارس .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٢١١/١ .
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٨٧/١ .

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٥٩٦/١ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٥٧ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 709 .

(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ٥٩٦/١ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٥٧ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 709 .

صمم شاه منصور على اكمال سيطرته على بلاد فارس ، فتوجه من شيراز الى أبرقوه واستولى عليها الا أن قلعتها استعصت عليه ، وعندما ذهب شاه منصور الى يزد تخوف شاه يحي من زحفه وبعث الى الأمير محمد قورجي المحتمي داخل القلعة أن سلم القلعة لأخيه شاه منصور ، شريطة أن لايتعرض جند شاه منصور ليزد ، فعاد شاه منصور الى أبرقوه وتسلم القلعة ثم رجع الى شيراز (١) . ضاق زين العابدين ذرعا من تسلط واستبداد وتوسع شاه منصور ، ورأى عدم قدرته على مواجهته وهزيمته ، فحاول تكوين جبهة متحدة ضده ، فاتفق مع سلطان أحمد حاكم كرمان وسلطان اسحاق حاكم سيرجان ووعدهم شاه يحي بالانضمام اليهم ، فتوجه الجميع ماعدا شاه يحي (٢) نحو شيراز وتعرضوا لبعض الأماكن بالتخريب والتدمير (٣) .

وعندما علم شاه منصور بزحفهم زحف اليهم فنشبت حرب طاحنة بين الفريقين عند فسا (٤) ، كان النصر فيها لشاه منصور وانسحب الحلفاء كل الى مدينته (٥) .

وتكررت حملات شاه منصور على أصفهان حتي نجح في النهاية في الاستيلاء عليها ، وهرب زين العابدين منها ، الا أنه بالقرب من الرى تم القبض عليه وارسله حاكمها موسى جوكار الى شاه منصور ، فقام بسمل عينيه (٦) .

---

(١) الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٥٨
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 710 .

(٢) اشتهر شاه يحي بخلف المواعيد ، ونقض المواثيق مع حلفائه .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٤١ .

(٣) الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٥٩ .

(٤) فسا : ويلفظها الفرس بسا كانت ثاني المدن في كورة دار ابجرد وتقارب شيراز في الكبر .
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٣٢٧ .

(٥) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٤١ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٥٩ .
Howorth : Op . Cit .Vol . 3 . P . 710 .

(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ٥٩٧/١ .
ميرخواند : روضة الصفا ، ٥٨٧/٤ .
عباس اقبال : المصدر السابق ، ص ٥٤٢ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 710 .

ثم قام شاه منصور بمحاولتين لغزو يزد والاستيلاء عليها من أخيه شاه يحي ففشلت حملته الأولى ، وفي المحاولة الثانية توسطت والدتهما بينهما فقالت لشاه منصور بعد تأكيد النصيحة والقول : [[ان هذا أخوك الكبير وقد قنع بمجرد يزد وترك العراق وفارس ، وانت تضايقه في هذا المقدار ، فهذا محل الملامة،وطعن الأعداء وألزمته بالرحيل من يزد فتركها ورجع الى شيراز]] (١) .

ونتيجة لهذه الصراعات بين المظفريين حل بهم الضعف ، فشجع ذلك تيمورلنك على الزحف اليهم والاستيلاء على بلادهم سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م .

د - هجوم تيمورلنك على آل مظفر سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٣ م .

ساء تيمورلنك ما حل بفارس من منازعات وحروب بين أفراد الأسرة الواحدة ، وغضب من اعتداء شاه منصور حاكم تستر على حكام آل مظفر المعينين من قبله ، وأصبح هو المسيطر على أزمة الأمور في فارس فرأى ضرورة التوجه اليه لتأديبه ومعاقبة الخارجين من طاعته ، وقد عرفت هذه الحملة بحملة السنوات الخمس لأنها امتدت من سنة ٧٩٤ الى ٧٩٨هـ ومن ١٣٩٢ الى ١٣٩٦ م) (٢) .

وحاول شاه منصور تكوين جبهة موحدة مع أقربائه لمواجهة تيمورلنك ان قدم اليهم ، الا أنهم لم يرحبوا بفكرته وأظهروا عداءهم له ، لذلك قرر مواجهة تيمورلنك وحده (٣) ، فهل نجح شاه منصور في ذلك ؟ هذا ماسوف تكشف عنه الصفحات التاليه .

وصل تيمورلنك الى خوزستان فاستولى عليها ثم سيطر على تستر [شوشتر] وعين عليها حاكما من قبله ، هو الأمير مسعود السبزواري (٤) ، ثم زحف الى قلعة

---

(١) الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٦٠ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 710 .

(٢) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٤٢ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٨٣ .
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٢٧ .

(٣) ابن عربشاه ، عجائب المقدور ، ص ٣٨ .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٠١/١ .
القزويني : تاريخ كريدة ، ص ٧٥١ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 711 .

سفيد التي اشتهرت بحصانتها ومتانة سورها ، وقتل حاكمها من قبل شاه منصور " محمد أزار مهتر " سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٢م (١) وأطلق سراح زين العابدين سجين تلك القلعة من قبل شاه منصور وأحسن اليه وأنعم عليه ووعده بأنه سوف ينتقم له من شاه منصور ، وترك على قلعة سفيد حامية من قواته (٢) .

وزع تيمورلنك جنده على كافة الاتجاهات ، وتمكن جنده خارج مدينة شيراز من القبض على بعض الكشافة من جيش شاه منصور وعرفوا منهم أماكن وجود جيش شاه منصور (٣) .

كان شاه منصور في فترة غياب تيمورلنك ، قد نجح في تقوية نفسه وتهيأ لصده ، وقد تجمع حوله قرابة ألفين (٤) من الرجال الأقوياء ، ثم قام بتحصين المدينة استعدادا لمواجهة تيمورلنك ، وعلى الرغم من نصح البعض له بعدم المخاطرة بذلك ، لقلة من كان معه من القوات ، وما سوف يسببه هذا التهور من العواقب الوخيمة على آل مظفر وبلادهم ، فانه لم يستمع الى نصحهم وقال لهم : [أما أنا فأقاتل وجندي ، فان خذلني جندي قاتلت وحدي ، وبذلت في ذلك حدي وجهدي ، وعاينت عليه وكدي وكدي ، فان نصرت نلت قصدي وان قتلت فلا علي ممن بقى بعدي ، وكأني انا كنت الحاضر والخاطر] (٥) .

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 161 .
اليزدي : ظفرنامه ، ١/٦٠٥ ، ٦٠٦ .
القزويني : تاريخ كزيدة ، ص ٧٥٢ .

(٢) Sami : Op . Cit . P . 161 .
اليزدي : ظفرنامه ، ١/٦٠٦ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 712 .

(٣) Sami : Op . Cit . P . 163 .
اليزدي : ظفرنامه ، ١/٦٠٨

(٤) حدد ابن عربشاه في كتابه عجائب المقدور ص ٣٨ ، وابن تغري بردى في كتابه النجوم الزاهرة ، ١٢/٢٦٠ ، ما أثبتناه في النص ، أما اليزدي في كتابه ظفرنامه ، ١/٦٠٨ فقد ذكر أن عددهم مابين الثلاثه والأربعة آلاف . أما عدد جيش تيمورلنك فيتراوح مابين الثلاثين والأربعين ألفا .
انظر كذلك : Sami : Op . Cit . P . 163 .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٤٣ .

(٥) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

ومهما يكن الأمر فان شاه منصور شرح لجنده خطته في مواجهة خصمه القوى تيمورلنك ونبههم قائلا : [فالرأى أني لا انحصر معه في مكان ، وألا أقابلـه بضراب وطعان ، بل انتقل في الجوانب ، واتسلط أنا ورماياى عليـه من كل جانب ، فنصفع أكتافه ، ونقطع أطرافه ، ونواظبه بالنهار ، ونراقبة بالليل، ونعد له ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل ، فكلما وجدنا منه غرة كسرنا منه القفار الغرة ، فتارة ننطحه ، وأخرى نرمحه ، وكرة نجرحه ، ومـرة نجدحه ، ونسلبه الهجوع ، ونمنعه الرجوع ، فتشتد عليه المضايق ، وتنسد عليه الطرق والطرائق] (١) .

ويتجلى هنا موقف شاه منصور القوى على اصراره منازلة تيمورلنـك ، فعندما قرب تيمورلنك من شيراز خرج شاه منصور وجنده لمواجهته ، ونشبت معركة طاحنة بين الفريقين عند موضع يسمى كود باتيله (٢) ،تمكن في النهاية جند تيمورلنك من تشتيت قوات شاه منصور الذي ابلى يومئذ بلاء حسنا (٣) .

ويذكر بعض المؤرخين العرب أنه كان في جيش شاه منصور أمير خراسانـي مباطن لتيمورلنك ، يدعى محمد بن زين الدين هرب من جيشه بأكثر الجند ، ولم يبق مع شاه منصور منهم الا دون الألف ، فتأزم موقفه ورأى بعد هذا الخلـل الذي سببه انهزام جنده استخدام الحيلة والمباغتة مع جيش يتفوق عليه عددا وعدة ، فعمد الى فرس جفول وربط في ذنبه قدرا من نحاس قد لفها في قطعة بلاس (٤) واحكم ربطها ، ثم ساقها الى معسكر تيمورلنك ومعظم جنده نيام ، فعندما جالت بمعسكرهم وهي تتخبط من حركة القدر تخوف جند تيمورلنك وفي ظنهم أن

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٩ .

(٢) ذكر كي لسترنج في صفحة ٢٨٧ ، أن تيمورلنك تغلب على آل مظفر في وقعة باتيلة في الأرض المنبسطة في ظاهر شيراز ولم تعان المدينة الا شيئا قليلا من الأذي .

(٣) القزويني : تاريخ كزيدة ، ص ٧٥٣ .

(٤) البلاس : ثوب من الشعر غليظ
انظر : د. ابراهيم انيس وآخرون : المعجم الوسيط ، ٦٩/١ .

عدوهم قد بيتهم ، فتمكن شاه منصور من قتل أكثر من عشرة آلاف فارس من جند عدوه (١) •

ولم يغفل المؤرخون الفرس والأوربيون مدى ماكان يتمتع به شاه منصور من شجاعة وبطولة ،حيث انقض على خصمه بكل ضراوة محطما كل ماصادفه من عوائق حتى وصل الى مكان تيمورلنك نفسه ولم يكن يحيط به أكثر من أربعة عشر من الجند أو خمسة عشر ، وعندما اقترب شاه منصور منه وجه اليه ثلاث ضربات من سيفه المعقوف وقعت على خوذته ، ولم يتمكن تيمورلنك من النجاة الا بفضل حامل ترسه عادل اختاجى وحارسه الخاص قمارى يساول (٢) ، ثم تلاحقت النجدات اليه على وجه السرعة حيث تمكن ميرزا محمد سلطان من كسر ميمنة جيش شاه منصور (٣) ، ونجح بير محمد جهانجير من هزيمة الميسرة وقتل أعداد من جيشه ، وهرب الباقون (٤) ، وكان جيش تيمورلنك قد تفسخ أثناء هجوم شاه منصور ثم بدأ التئامه مرة أخرى تحت قيادة شاه رخ وتمت محاصرة شاه منصور الذي انهكته الحرب وكلت يداه من الطعن والضرب ، وقتلت خيله ورجاله ، فساء موقفه فألقى نفسه بين القتلى وهو يترنح من شدة الألم وكثرة الجراح (٥) فعرفه أحد جند

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٤١ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٦٠/١٢ حاشية رقم (٢) •

(٢) دافع عادل اختاجى ، وقماري يساول عن تيمورلنك بكل شجاعة ، وقد قطعت يد الأخير عند دفاعه لحماية تيمورلنك ومن يومها أصبح غير قادر على العمل •
انظر الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٦٣ ، حاشية رقم (٩) •

(٣) Sami : Op . Cit . P . 163 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٦١٠/١ •
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 712 .

(٤) Sami : Op . Cit . P . 163 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٦١٢/١
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 712 .

(٥) يذكر البعض أن أحد رجال شاه رخ بن تيمورلنك تمكن من اصابة شاه منصور اصابة بالغة ، ولما وقع على الأرض قطع شاه رخ رأسه ، ثم حملها الى والده ، وقال له : [فلتطأ حوافر فرسك رؤوس أعدائك على الدوام]
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٢٨ •
Grousset : Op . Cit . P . 432 .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 712 .

تيمورلنك فقتله ، وحمل رأسه الى تيمورلنك فأمر بقتل قاتله (١) ·

فرح تيمورلنك بهذا النصر ، ودخل مدينة شيراز وأصدر أوامره بمصادرة جميع أموال وممتلكات شاه منصور وأرغم أهل المدينة على دفع كامل الأموال المقررة عليهم (٢) ، كما انه بعث حامية الى أصفهان وأمر بتحصيل الأموال من سكانها (٣) ·

وهكذا كان شاه منصور واحدا من الذين تمكنوا من مواجهة الزحف التيموري بكل جسارة واقتدار ، فلم ترعبه قوة تيمورلنك الهائلة وسمعته العسكرية التى انتشرت في كل الأرجاء ، بل تحامل على نفسه رغم قلة جنده ، ونجح في الوصول اليه في محاولة جرئية لقتله ، الا أن الكثرة تغلب الشجاعة كما يقولون ولو تعاون أمراء آل مظفر فيما بينهم ، ونسوا أحقادهم وطموحاتهم ، ورغبة كل منهم في الاستحواذ على السلطة لما ظهروا هكذا أمام جحافل تيمورلنك ·

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٤٣ ، ٤٤ ·
جمال زاده : رواج شعر وشاعرى ، ص ١٣٥ ·

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٦١٤/١ ·
Sami : Op . Cit . P . 165 .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٦١٤/١ ·

ه - نهاية آل مظفر :

يجمع معظم المؤرخين على أن أمراء آل مظفر توجهوا الى تيمورلنك مقدمين له طاعتهم واستسلامهم ، وكان في مقدمة هؤلاء شاه يحي وولداه ، والسلطان أحمد حاكم كرمان ، وسلطان مهدى بن شاه شجاع ، وغضنفر ابن شاه منصور ، والسلطان شاه أبو أسحاق وغيرهم ، وأهداه الجميع هدايا متنوعة ارضاء له (١) .

شرع تيمورلنك في تنظيم أمور فارس ورفع المظالم عن أهلها ، وعين الأمير ميرزا عمر شيخ حاكما عليها (٢) .

ثم أصدر أوامره بقتل جميع أمراء آل مظفر دون استثناء (٣) ، ويبرر بعض المؤرخين هذا العمل بقوله : ان سيرة آل مظفر كانت سيئة وتصرفاتهم غير مكترثة ، حيث كان كل منهم يعمل على نشر الفوضى والفتن ويتحين الفرصة للانتقام من الآخر ، فادى ذلك الى انتشار الفوضى ، وعانى الأهالي كثيرا من تلك المنازعات الخطيرة ، لذلك طلب أعيان المدينة من تيمورلنك أن يخلصهم من شرورهم ، وألايترك لهم زمام الأمور كما فعل عند هجومه عليهم سنة ٧٨٩هـ - ١٣٨٧م (٤) ، فاستجاب لهم وأمر بقتلهم عند مكان يسمى قومسة سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م (٥) .

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٦١٦/١ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٤٥ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٦٤ .

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٦١٨/١ .
القزويني : تاريخ كزيدة ، ص ٧٥٤ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢٠٤
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٤٣ .

(٣) Sami : Op . Cit . P . 165 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٦١٨/١ .
القزويني : تاريخ كريدة ، ص ٧٠٥ .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٤٣ .

(٤) قومسة : بالضم ثم السكون ، قرية من نواحي أصفهان .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٤١٥/٤ .
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١١٣٤/٣ .

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٢٠/١ ، ٦٢١ .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٤٣ .
Kennedy : Op . Cit . P . 77 .
Grousset : Op . Cit . P . 433 .

و - نتائج الغزو التيموري لفارس :

كان من أهم النتائج التى ترتبت على الغزو التيموري لفارس :

— أن تمكن تيمورلنك من القضاء الكامل على جميع أمراء آل مظفر (١)، حيث بلغ من قتل من هذه الأسرة على يد تيمورلنك قرابة السبعين (٢)، وكان سقوط دولتهم أمرا منطقيا ، لما كانوا عليه من نزاع وصراع مريرين عجلا بنهايتهم ٠

— سيطر تيمورلنك على هذا الجزء الهام ، فأصبحت فارس الجنوبية جزءا من أملاكه فتحقق له بذلك هدفه الكبير في اعادة تشييد امبراطورية جنكيزخان وجعلها تحت سيطرته ، كما أن هذا النصر سهل له مهمة توجهه الى العراق والقضاء على حكامها من آل جلاير ٠

— قيام تيمورلنك بتعيين ابنه ميرزا عمر شيخ (٣) حاكما على فارس وجعل شيراز مقرا لحكمه ، كما أنه عين الأمير ايدكو بهادر حاكما على كرمان وتموك كوجين حاكما على يزد ، ولالم قوجين حاكما على أبرقوه (٤) ٠

---

(١) يذكر اليزدي ، ٦١٩/١ ، ارمنيوس فامبرى ص ٢٢٨ ، عباس اقبال ، ص٥٤٣: ان تيمورلنك لم يقتل أبناء شاه شجاع الأمير شبلى الذي سمل بأمر والده شاه شجاع وزين العابدين الذي سمل بيد شاه منصور وارسلهما الى سمرقند٠

(٢) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٤٣ ٠
Sami : Op . Cit . P . 165 .

(٣) يذكر بعض المؤرخين أن ميرزا عمر عندما وطد نفوذه في فارس توجه الى اللحاق بوالده المتجه الى ديار بكر ، وعندما وصل الى قلعة تسمى خرماتو أصابه سهم قاتل من أهل تلك القلعة أدى الى وفاته سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م ولما علم تيمورلنك بذلك عين الأمير بير محمد بن عمر شيخ مكانه ٠

خواندامير : حبيب السير ، ٣٩/٣/٣ ٠
رضا باروكى : تاريخ ايران ، ص ٢٠٤ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٦٠٢ ٠

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ١ /٤٣٤
القزويني : تاريخ كزيدة ، ص ٧٥٥ ٠

— تضررت مدن فارس من غزوه المدمر وانعكس ذلك على مختلف النواحي الاقتصاديه والاجتماعية والعمرانية ، لما سببه هذا الغزو من توقف للحركة التجارية ابان الحرب ، كما أن توقف القوافل التجاريه الاجبارى بسبب الخوف من تعرضها للسلب والنهب دفع الى نقصان المواد الغذائية داخل البلاد ، فتضرر الناس من ذلك كثيرا .

— كما أن الغزو التيمورى أجبر الكثير من السكان على ترك مدنهم هربا من القتل والتنكيل الذي عرف به تيمورلنك ، وقد قدر المؤرخون عدد من قتل في أصفهان على يد التيموريين بسبعين ألفا (١) فأدى ذلك الى تناقص عدد السكان وترمل أعداد كبيرة من النساء وتشرد أطفالهم فساعد ذلك على تفاقم الانحراف الاجتماعى .

— ولم يخل الغزو التيموري من التدمير للمنازل،والاحراق للمزارع ويصف لنا ابن عربشاه ماحل بأصفهان يومئذ فيقول : [[توجه نحو المدينة مزمجرا متكالبا مستأسدا متنمرا ، فوصل اليها ، وأخنى عليها وأمر بالدماء أن تسفك ، وبالحرمات أن تهتك ، وبالأرواح أن تسلب وبالأموال أن تنهب ، وبالعمران أن يخرب ، وبالزروع أن تحرق ، وبالضروع أن تخرق ، وبالأطفال أن تطرح ، وبالاجساد أن تجرح ، وبالاعراض أن تثلم ، وبالذمم أن تسلم ولاتسلم ، وان يطوى بساط الرحمة، وينشر مسح النقمة ، فلا يرحم كبير لكبره ، ولاصغير لصغره ، ولايوقر عالم لعلمه]] (٢) .

— وفوق كل ذلك أمر تيمورلنك بنقل وترحيل العلماء والفنانين وأصحاب الحرف من فارس الى سمرقند ليجعلها عاصمة آسيا الأولى (٣) .

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣٤/١ .
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٢٧ .

(٢) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٤٧ .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٦١٨/١ .
Browne : Op . Cit . P . 191 .
Grousset : Op . Cit . P . 432 .

الفصل الثاني

علاقة تيمورلنك ببلاد العراق وآذربيجان

٧٨٦ - ٨٠٣هـ / ١٣٨٤ - ١٤٠١م

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول

الوضع السياسي في العراق وآذربيجان

المبحث الثاني

الزحف التيموري على العراق وآذربيجان

٧٨٦ - ٧٩٥هـ / ١٣٨٤ - ١٣٩٢م

المبحث الثالث

الغزو التيموري لبغداد

٨٠١ - ٨٠٣هـ / ١٣٩٨ - ١٤٠١م

المبحث الأول

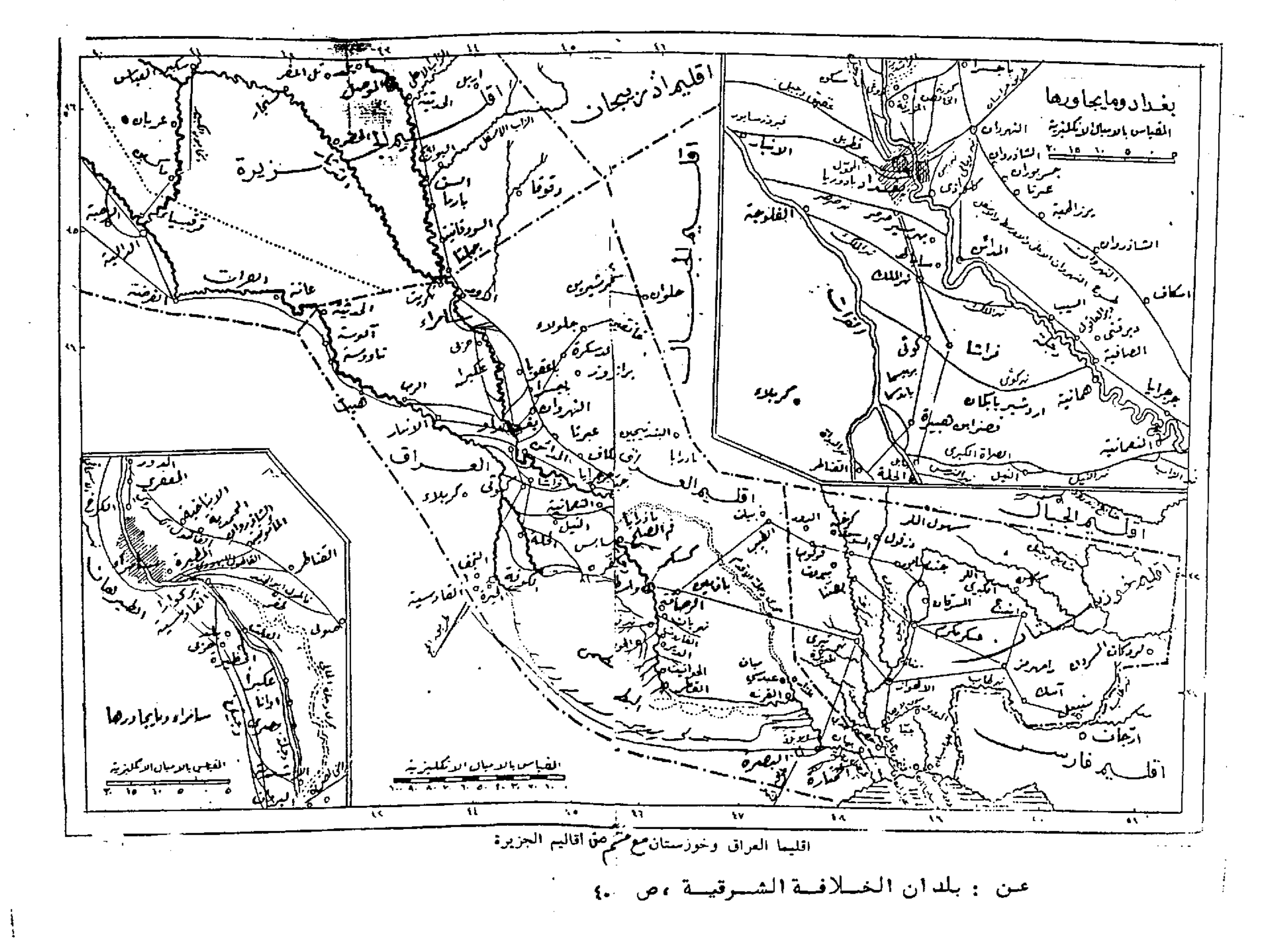
الوضع السياسي في العراق وآذربيجان .

٧٧٦ - ٧٨٧هـ / ١٣٧٤ - ١٣٨٥م

أ - السلطان حسين بن أويس الجلايرى ٧٧٦ - ٧٨٤هـ / ١٣٧٤ - ١٣٨٢م .

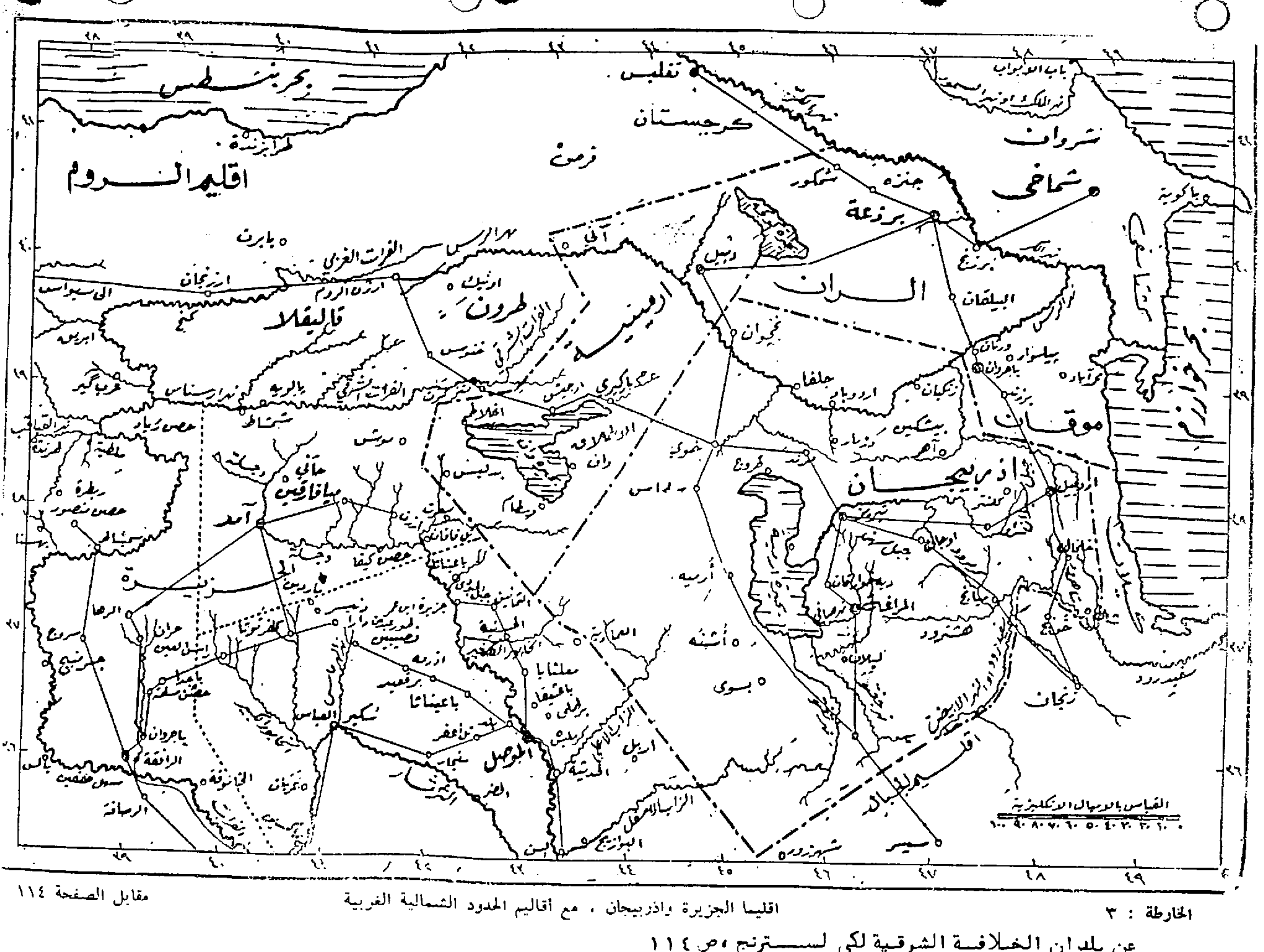
ب - السلطان أحمد بن أويس الجلايرى ٧٨٤ - ٧٨٧هـ / ١٣٨٣ - ١٣٨٥م .

ج - السلطان أحمد بن أويس وموقفه من تيمورلنك .



اقليما العراق وخوزستان مع قسم من اقاليم الجزيرة

عن : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٠



الخارطة : ٣ اقليما الجزيرة واذربيجان ، مع أقاليم الحدود الشمالية الغربية

عن بلدان الخلافة الشرقية لكي لسترنج ، ص ١١٤

الوضع السياسي في العراق وآذربيجان ٧٦٦-٧٨٧هـ / ١٣٧٤-١٣٨٥م.

منذ أن استولى المغول بقيادة هولاكو على بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م(١). أصبح العراق احدى ولايات الايلخانيين وظلت كذلك حتى توفى السلطان أبوسعيدبن خربندا سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م ،حيث كانت وفاته نهاية حقيقية للحكم الايلخاني، فهو لم يخلف عقبا ليتولى الحكم من بعده ، فأدى ذلك الى تفاقم الاضطرابات والفتن بين(٢) الأمراء(٣) ، وتوجهت الأنظار نحو(٤) الشيخ حسن بن أقبوقابن ايلكانويان الجلايري(٥)

---

(١) العيني : بدرالدين محمود : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق د/ محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ١٦٧ ومابعدها .

(٢) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥١/٥ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٨٢ .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٤٩٦ .

(٣) اشتد الصراع على السلطة بين الأمراء الذين نصب بعضهم أربا بن سوسه بن سنكفان بن ملك تيمور وعارض الآخرون هذا التعيين وكان على رأس المعارضين على بادشاه خال السلطان أبوسعيد الذي عين خان آخر من قبله يدعى موسى بن على بايدو بن طرغاى بن هولاكو وأدى ذلك الى قيام الحروب بن أعوان الطرفين فتحقق في النهاية النصر لعلي بادشاه ، لكن سوء سلوكه وتصرفه مع الأمراء آلب قلوبهم عليه ، وقاموا باستدعاء الشيخ حسن الجلايرى ليتولى الحكم .

ميرخواند : محمد بن سيد برهان الدين (ت ٩٠٣هـ - ١٤٩٧م) تاريخ روضة الصفا ، الجزء الخامس ، بيروزتهران ، ١٣٣٩م ، ص ٥٣٤ - ٥٣٧ .
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٤٩٦ - ٤٩٨ .

(٤) كان على رأس هؤلاء الذين أقنعوه الأمير طغاى بن سوتاى حاكم ديار بكر وأولاده وأخواته .

انظر : المقريزى : السلوك ، ١٩٨/٢/٢ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٨٢ .

(٥) جلاير احدى القبائل التى تسكن شرقي منغولية عند نهر اونن : انظر دائرة المعارف الاسلامية ، ٢١٠/١٢ واعتبر بعض المؤرخين هذه القبيلة من الأقوام التركية .

انظر الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٨٢ .
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٠٥ .

بينما يؤكد آخرون أنهم من القبائل المغولية وهذا هو الأرجح .
انظر : بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٥٤ .

حاكم بلاد الروم وأقنعوه بأحقيته بالزعامة وتولية الحكم (١) ، فاستجاب لمطلبهم وتمكن من القضاء على علي بادشاه سنة ٧٣٦هـ - ١٣٣٥م (٢) . كما أنه نجح في الانتصار على حاكم خراسان طغاى تيمور وارغامه على العودة الى خراسان (٣) ، وأصبح بذلك الشيخ حسن حاكما على أذربيجان والعراق العربي (٤) . وعلى الرغم من ذلك لم يكد يهدأ له الوضع حتى ظهر له منافس خطير من الأسرة الجوبانية يدعى حسن بن تمرتاش بن جوبان ، الذى ادعى أنه الأحق بالحكم فأدى ذلك الى نشوب الحروب بينهما وانتهت بانتصار الشيخ حسن الجلايرى سنة ٧٤٤هـ - ١٣٤٣م (٥) .

ويعتبر المؤرخون الشيخ حسن الجلايرى المؤسس الحقيقي للدولة الجلايرية التى استمرت من سنة ٧٣٦ الى ٨١٣هـ ومن ١٣٣٩ الى ١٤١١م (٦) .

ويطلق بعض المؤرخين على هذه الدولة [الايلكانية] نسبة الى جدهم الأعلى ايلكا نويان ، وينعتهم الغياثي بالشيخ حسنية ، نسبة الى الشيخ حسن

---

(١) عينه على هذا المنصب السلطان أبوسعيد خربندا سنة ٧٢٣هـ - ١٣٢٢م وكان حسن حفيدا لأرغون خان من جهة أمه التي كانت عمة السلطان أبي سعيد سبط أرغون آغا .

انظر : ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥/٥٥١ .
دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ٥/٣٦١ .

(٢) المقريزي : السلوك ، ٢/٢/٤٢١ .
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٤٩٨ .
Howorth : Op . Cit . vol , 3 . PP . 637 - 638 .

(٣) خواندامير : حبيب السير ، ٣/١/١٢٨ .
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٤٩٩ .

(٤) د. حربي أمين سليمان : المؤرخ الايراني الكبير غياث الدين خواندامير كما يبدو في كتابه دستور الوزراء . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م ، ص ٣٨٨ .

(٥) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥/٥٥١ .
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٠٠ .
محمد صالح القزاز : الحياة السياسية في العراق ، ص ٤٩٨ .
د. محمد جمال سرور : دولة بني قلاوون في مصر ، القاهرة ، ١٩٤٧م ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .
Howorth : Op . Cit . Vol,3 , P. 642 .

(٦) المقريزي : السلوك ٢/٣/٥٠٤
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٠٢

(٧) عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٥٤

الكبير مؤسس هذه الطائفة (١) • كما أنه ينبغي لنا أن نفرق بين الايلكانيين والايلخانيين أعقاب هولاكو في ايران حيث أن لقب ايلخان منحه منكوقاآن لأخيه هولاكو فسميت دولته بالايلخانية (٢) ثم تولى الحكم بعد وفاة الشيخ حسن الجلايرى ابنه أويس سنة ٧٥٧هـ - ١٣٥٦م وكان حاكم بلاد القبجاق جاني بك قد تمكن في سنة ٧٥٧هـ - ١٣٥٧م من الاستيلاء على تبريز من الجوبانيين ، وعين عليها ابنه بردى بيك الذي عين أحد قواده ويدعى أخيجوق نائبا له فيها (٣) • فاغتنم أويس هذه الفرصة وتوجه لمحاربة أخيجوق سنة ٧٥٩هـ - ١٣٥٨م ، وتمكن من الانتصار عليه والاستيلاء على تبريز ، لكن هذا الاستيلاء كان مؤقتا حيث عاد أخيجوق واسترد منه تبريز (٤) ، ودفع تردي الحالة في تبريز الى توجه مبارز الدين محمد المظفرى حاكم شيراز اليها والاستيلاء عليها (٥) ، الا أن أويسا لم يتركه يهنأ بهذا النصر فتوجه اليه ، فاضطر مبارز الدين الى العودة الى بلاده واسترد أويس تبريز الى سلطته (٦) ، ثم تمكن أويس سنة ٧٦٨هـ - ١٣٦٧م من الاستيلاء على الموصل وشروان ، والحق الرى بهما سنة ٧٧٤هـ - ١٣٧٣م فاضطر

---

(١) الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٨١ •

(٢) عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٥٤ •
عباس العزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين ، ٢٤/٢ - ٢٥ •
Howorth : Op. Cit . Vol, 3, P. 639 .

(٣) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٢/٥ •
ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ١١٦/٣
الرمزى : تلفيق الأخبار ، ص ٥٥٥ •
د• حربي أمين سليمان : دستور الوزرا ، ص ٣٩١ •

(٤) ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ١١٦/٣ •
خواندامير : حبيب السير ، ١٣٥/١/٣ •
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٥٦ •

(٥) خواندامير : حبيب السير ، ١٣٥/١/٣ •
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٥٥ •

(٦) ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ١١٧/٣ •
د• حربي أمين سليمان : دستور الوزراء ، ص ٥٥٦ •

حاكمها أمير ولى الى القيام بهجوم مباغت على ساوة فاستولى عليها ، ونتيجة لذلك أعد أويس جيشه وتوجه لمحاربته سنة ٧٧٦هـ - ١٣٧٥م الا أنه توفى قبل الوصول اليه (١) وكانت مدة حكمه تسعة عشر عاما (٢) ٠

السلطان حسين بن أويس ، ٧٧٦ - ٧٨٤هـ - ١٣٧٤ - ١٣٨٢م ٠

يذكر المؤرخون أن السلطان أويسا أوصى بتولية ابنه الأكبر شيخ حسن حكم بغداد وابنه الأصغر حسين ولاية العهد ، فقام الأمراء بقتل حسن خوفا من الفتنة ونصبوا حسينا على بغداد (٣) ، فاتخذ من تبريز عاصمة له ، وأبقى الأمراء وأعيان الدولة في مناصبهم (٤) كما كانوا في عهد والده ٠

ثم نهض السلطان حسين لمحاربة طوائف التركمان الذين كانوا يسببون القلق والتهديد لحدود بلاده ، وتحققت له السيطرة عليهم سنة ٧٧٧هـ - ١٣٧٦م وارغامهم على أن يقدموا له عشرين ألفا (٥) من الماشية في كل عام ٠

ولم تكن العلاقة السياسية بين المظفريين والجلايريين جيدة خلال فترة حكمه ، حيث قام شاه شجاع (٦) بمهاجمة آذربيجان والاستيلاء على تبريز ، لكنه لم

---

(١) خواندامير : حبيب السير ، ١٣٦/١/٣ - ١٣٧ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٥٦ ٠
عباس العزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين ، ١١٦/٢ ٠

(٢) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٢٤١/٦ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٥٦ ٠

(٣) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٣/٥ ٠
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٧٤/١ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٥٧ ٠

(٤) خواندامير : حبيب السير ، ١٣٧/١/٣ ٠
محمد أسعد طلس : عصر الانحدار ، دار الاندلس ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٣م ، ص ٣١ ٠

(٥) خواندامير : حبيب السير ، ١٣٧/١/٣ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٥٧ ٠
عباس العزاوى : تاريخ ايران بين احتلالين ، ١٤٣/٢ ٠

(٦) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٣/٥ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ١٣٧/١/٣ ٠
استانلى لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ، ص ٢٢٧ ٠

يمكث بها سوى أربعة أشهر حيث علم بتمرد شاه يحي بفارس فعاد مسرعا الى شيراز ، وتمكن حسين من السيطرة على تبريز مرة أخرى (١) •

ولم تكن الأوضاع الداخلية في عهد السلطان حسين مستقرة حيث ، فقد الأمن وكثرت الفتن والاضطرابات ، وحقد الأمراء وكبار رجال الدولة على السلطان ومعاونه عادل آغا (٢) الذي كان يعتمد عليه في ادارة شئون الحكم وقد حقدوا عليه ، لتسلطه عليهم ، وتحينوا الفرصة للقضاء عليه ، لكن السلطان ومعاونه نجحا في القضاء على ثورتهم (٣) •

وسرعان مافتح الباب للصراع بين السلطان حسين وأخوته الطامعين في الحكم ، فكان أخوه الشيخ علي يحكم بغداد نيابة عنه (٤) فاستبد بالحكم وأعلن استقلاله فأثار تخوفه ، وتوجه لمحاربته سنة ٧٨٢هـ - ١٣٨١م وتغلب عليه فتوجه شيخ علي الى تستر (٥) ، الا أن السلطان حسينا لم يبق طويلا في بغداد اذ ثار عليه أهلها لسوء سلوكه ومعاملته لهم وأجبروه على الهرب الى تبريز ، واستدعى وجهاء بغداد شيخ عليا وعينوه حاكما عليهم (٦) •

---

(١) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٣/٥ •
خواندامير : حبيب السير ، ١٣٧/١/٣ - ١٣٨ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٩٩ •

(٢) يطلق عليه بعض المؤرخين [سارق عادل] أو عادل السارق أخذ يترقى في المناصب حتى تولى حكم سلطانية ، وكان من أشهر أمراء الدولة الجلايرية •

خواندامير : حبيب السير ، ١٣٧/١/٣ •
دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ٢٥١/٢ •

(٣) خواندامير : حبيب السير ، ١٣٨/١/٣ •
عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ١٥٨/٢ •

(٤) خواندامير : حبيب السير ، ١٣٨/١/٣ •
الصرفي : دول الاسلام ، ٢٩١/٢ •

(٥) ابن قاضي شهبة : تقي الدين أبوبكر أحمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥١هـ) تاريخ ابن قاضي شهبة • المجلد الأول ، الجزء الثالث من المخطوط (٧٨١ - ٨٠٠هـ) ، تحقيق : عدنان درويش ، دمشق : ١٩٧٧م ، ١٣٨/٣/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ١٣٩/١/٣ •
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٥٨ •

(٦) خواندامير : حبيب السير ، ١٣٩/١/٣ •
علي ظريف الأعظمي : تاريخ بغداد ، ص ١٥٣

ولم يسلم السلطان حسين أيضا من تمرد أخيه أحمد حاكم البصرة عليه (١)، فكما حدث مع آل المظفر نراه يتكرر في الاسرة الجلايرية، فقد طمع أحمد في حكم العراق فجمع حوله الأمراء والجند وتوجه بهم لمحاربة أخيه في تبريز، وكان حسين في ذلك الوقت قد أهمل أمر مملكته، وشغلته لذاته وشهواته، ولم يحفل بمقاومة أحمد، فتمكن أحمد من القبض عليه وقتله سنة ٧٨٤هـ – ١٣٨٢م (٢) .

ب - السلطان أحمد بن أويس ٧٨٤ - ٧٨٧هـ / ١٣٨٢ - ١٣٨٥م .

بعد اغتيال السلطان حسين أعلن أخوه أحمد سلطته مستقلا وقام بالقبض على أمراء الدولة فقتلهم وأقام أولادهم في وظائفهم (٣)، ودفع ذلك بقية الأمراء الى الاستياء منه فنفرت منه القلوب وتحاملت عليه الأنفس، فلجأ قسم كبير منهم الى بغداد ونصبوا أخاه الشيخ عليا سلطانا وتوجهوا به الى تبريز (٤)، وهرب أخوه الآخر أبويزيد الى مدينة السلطانية حيث أقامه عادل آغا سلطانا عليها (٥) .

وبتشجيع من عادل آغا توجه شيخ علي لمحاربة أخيه أحمد وتحقق له النصر نتيجة التفاف عدد كبير من أمراء أحمد الحاقدين عليه الى جيشه ،

---

(١) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٦٣/١ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٨٥ .

(٢) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٣/٥ .
الصرفي : دول الاسلام ، ٢٩١/٢ .
خواندأمير : حبيب السير ، ١٣٩/١/٣ .
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٥٩ .

(٣) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٩٤/١ .

(٤) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٩٤/١ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٠٢ .

(٥) ميرخواند : روضة الصفا ، ٥٨٧/٥ .
نوري عبدالحميد العاني ، العراق في العهد الجلايري ، بغداد : دار الشئون الثقافية العامة ، ١٩٨٦م ، ص ٢٥ .

واضطر أحمد الى الهرب نحو نخجوان[(1)] ولم يجد السلطان أحمد أية وسيلة أمامه للتغلب على أخيه ، سوى الاستنجاد بالتراكمة ، فوافق قرا محمد التركماني حاكم الموصل على مساعدته في حربه ضد أخيه ولكن بشروط منها : ألايتقدم أحمد بن أويس من مكانه عند النصر الا باذنه ، وأن يترك له غنائم المعركة وأن لايطمع فيها[(2)] • وعلى الرغم من قسوة هذه الشروط وافق أحمد عليها ووقعت المعركة بين أحمد وأخيه شيخ علي ، كان النصر فيها لأحمد وحليفه ، وقتل الشيخ علي سنة ٧٨٥هـ - ١٣٨٣م •

ثم توجه أحمد الى تبريز وتقرر له الملك[(3)] • الا أنه لم يهنأ بملكه حيث خرج لمحاربته عادل آغا وبعد مناوشات بين الطرفين توسط الأمراء بينهما وأدت هذه الوساطة الى أن تكون آذربيجان للسلطان أحمد ، وعراق العجم للسلطان أبي يزيد وعراق العرب تكون ادارتها مشتركة بين السلطان أحمد وعادل[(4)] •

ومهما يكن الأمر فان وجهاء بغداد لم يسرهم مقتل الشيخ علي فأرسلوا الى عادل آغا طالبين منه أن يبعث اليهم واليا ليضبط وينظم أمورها ، فبعث اليهم الأمير طورس ابن خاله ليتولى هذه المهمة[(5)] ، الا أنه لم يحسن سياسته مع الأمراء والأهالي ولم يستطع اعادة الأمور الى نصابها ، بل زاد الوضع

---

(١) خواندامير : حبيب السير ، ٣/١/١٤٠ •
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 659 .

(٢) خواندامير : حبيب السير ، ٣/١/١٤٠ •
عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ١٧١/٢ •
Howorth : Op . Cit . Vol , 3 . P . 659 .

(٣) خواندامير : حبيب السير ، ٣/١/١٤٠ •
Howorth : Op . Cit . Vol , 3 . P . 639 .

(٤) خواندامير : حبيب السير ، ٣/١/١٤٠ •
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٥٩ •

(٥) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥/٥٥٤ •
خواندامير : حبيب السير ، ٣/١/١٤٠ •
عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ١٧٥/٢ •
محمد أسعد طلس : عصر الانحدار ، ص ٣٢

اضطرابا وتدهورا خاصة بعد قيامه بقتل كبار الأمراء ومصادرته لأموال الأهالي فتألبت القلوب عليه (١) .

ويذكر خواندامير وغيره أن السلطان أحمد عندما وصلته أخبار بغداد السيئة قلق لأمرها وتوجه لمحاربة طورسن الذي فضل الهرب على المواجهة ، ولكن أمراء أحمد تمكنوا من القبض عليه وقتله وعاد الى تبريز (٢) .

وعلى صعيد آخر كان عادل آغا وأبويزيد قد غضبا من استبداده وأعماله الوحشية ، وتحركا لمحاربته ، وعند مراغة دارت معركة كبيرة بينهما وبين أحمد تغلب فيها الأخير (٣) ، وعاد عادل وأبويزيد الى السلطانية ومنها توجها الى همذان طالبين العون والمساعدة من شاه شجاع حاكم فارس ، الذي رحب بطلبهما لرغبته في ضم آذربيجان اليه (٤) ، وما أن سمع السلطان أحمد بذلك حتى أرسل رسله الى شاه شجاع لتنقل اليه رغبته في توطيد العلاقة بينهما ، وأنه لايريد ضررا بأخيه أبي يزيد ، وأنه لايبخل عليه بمال أو سلطان ، وحذره من جانب عادل آغا وعدم تمكينه من الحكم (٥) ، فأرسل شاه شجاع اليه من يخبره أنه قد اتخذ قراره باعادة أبي يزيد الى سلطانية ، واحتجاز عادل آغا عنده (٦) .

وبموجب ذلك تمكن أبويزيد وبمساعدة من شاه شجاع من استعادة سلطانية (٧) لكنه لم يكد يهنأ بذلك حتى طلب منه شاه شجاع ترك حكم السلطانية لأمراء فارس وأن يتوجه الى تستر ، لكن أبايزيد لم يستجب لأمره ، وأرغم أمراء

---

(١) عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ١٧٥/٢ .
محمد أسعد طلس : عصر الانحدار ، ص ٣٢

(٢) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٤/٥ .
خواندامير : حبيب السير ، ١٤٠/١/٣ .

(٣) عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٥٥٩ .
عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ١٧٩/٢ .

(٤) خواندامير : حبيب السير ، ١٤٠/١/٣ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 659 .

(٥) خواندامير : حبيب السير ، ١٤٠/١/٣

(٦) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٤/٥ .
خواندامير : حبيب السير ، ١٤٠/١/٣

(٧) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٤/٥ .
خواندامير : حبيب السير ، ١٤٠/١/٣ .

الفرس على العودة الى بلادهم ، وحكم أبويزيد سلطانية مايقرب من خمسين يوما (١) بسبب سوء تصرفه وقتله لأخلص أمرائه دون سبب ، فخشيه أعوانه وتركوه هاربين، (٢) ولما علم السلطان أحمد بضعف موقف أخيه وتضجر أهالي سلطانية من تصرفاتـــه توجه اليه فاستولى على القلعة صلحا ، وعين ابنه [اقبوقا] أو [اق بوقـا] حاكما عليها واصطحب أبايزيد معه الى تبريز ، (٤) أما عادل آغا فقد انتهـــز فرصة مجئ تيمورلنك فذهب اليه وجعله حاكما على سلطانية ثم قتله بعد ذلك (٤) ٠

(١) خواندامير : حبيب السير ، ١٤١/١/٣ ٠

(٢) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٤/٥ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ١٤١/١/٣ ٠

(٣) خواندامير : حبيب السير ، ١٤١/١/٣ ٠

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٩/١ ، ٣٩٠ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٢٧/٣/٣ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 660 .
عباس العزاوي : العراق بين احتلالين ، ١٧٦/٢ ٠

ج - السلطان أحمد بن أويس وموقفه من تيمورلنك :

في الوقت الذي وطئت فيه جيوش تيمورلنك بلاد فارس كان السلطان أحمد بن أويس حاكما للدولة الجلايرية في العراق وآذربيجان ، وقد اشتهر بالبطش والظلم وسفك الدماء (١) • والغريب أنه كان يجاهر بكل هذا (٢) ، ويقال ان أفعاله كانت عاملا مساعدا في الاستعانة بتيمورلنك والترحيب به (٣) •

ومن جهة أخرى لم يكن هذا الحاكم يجهل ما لتيمورلنك من قوات قوية الشكيمة ، قادرة على الغزو والقهر ، ولكنه تغابى عن كل ذلك وتجاهل قوته ومقدرته في وقت كان حكام المنطقة يحسبون لتيمورلنك ألف حساب •

ويبدو أن تيمورلنك قد استفاد من هذا الحمق ، واستغله للهجوم على بلاد العراق وآذربيجان ، لتكملة انتصاراته التى حققها في اقليم خراسان وبلاد فارس التى أضحت جميعها تحت سيطرته واضعا في حسبانه ماتتمتع به هذه البلاد [العراق وآذربيجان] من موقع استراتيجي ممتاز ، وثقل ديني وسياسي واقتصادي على ماسنبينه فيما بعد •

وقد سنحت للسلطان أحمد كثيرا من الفرص الجيدة للوقوف في وجه تيمورلنك أو على أقل تقدير ليأخذ موقفا صلبا تجاهه ، فعندما توجه تيمورلنك الى خراسان أرسل الى شاه ولى أمير ممالك مازندران وغيره من أمراء المنطقة طالبا منهم المثول بين يديه فأجابوه ، الا أن شاه ولي الذي كان على درجة كبيرة من الحزم والذكاء ، سارع بمكاتبة شاه شجاع وأحمد بن أويس يخبرهما بأمر تيمورلنك ، ويبين لهما ضرورة التعاون معه لمواجهة

---

(١) يذكر ابن حجر العسقلاني في كتابه انباء الغمر ٤٦٥/٢ أن السلطان أحمد قتل في يوم واحد ثمانمائة نفس من الأعيان ، وانهمك في الملذات •

انظر أيضا : الشوكاني : البدر الطالع ، ٤٢/١ •

(٢) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٤/٢/٩ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٦٨/٢ •
ابن قاضى شهبه : تاريخ ابن قاضى شهبة ، ٤٧٣/٣/١ •
المقريزي : السلوك ، ٢٨٨/٢/٣

(٣) ابن قاضى شهبه : تاريخ ابن قاضى شهبه ، ٤٧٣/٣/١ •
المقريزي : السلوك ، ٧٨٨/٢/٣ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٦٣/١ •

الزحف التيموري[1] . فامتنع شاه شجاع من اجابته لكونه قد سبق أن تحالف مع تيمورلنك وأرسل اليه الهدايا القيمة ، وأصبحت العلاقة بينهما طيبة[2].

وعلى صعيد آخر نرى ابن أويس مشغولا بنفسه مدعيا أن تيمورلنك ليس في استطاعته أن يفعل في بلاده مافعله في فارس وخراسان ، واضعا في ذهنه أن فرسان الأكراد ومحاربي آذربيجان كفيلون بالوقوف في وجه تيمورلنك والحاق الهزيمة به[3] .

وينقل ابن عربشاه اجابة السلطان أحمد على رسالة شاه ولي التي جاء فيها : [[ان هذا الأشل الأعرج ماعساه أن يفعل ؟ ومن أين للأعرج الجغتائي أن يطأ العراقين ؟ وان بينه وبين هذه البلاد لخرط القتاد ، ولكم بين مكان ومكان ، فلا يخل العراق كخراسان وان عقدت على التوجه على ديارنا نيته ، لتحلن به منيته ولترتحلن عنه أمنيته ، فانا قوم لنا البأس والشدة والعدد والعدة والدولة والنجدة]][4] .

وهكذا خاب ظن شاه ولي فيهما ، وأيقن أن نهايتهم جميعا الدمار الشامل ، ومن جهة أخرى لم يجد تيمورلنك أمام موقف شاه ولى الا أنه توجه اليه طالبا مازندران وتمكن من الاستيلاء عليها[5] .

وكانت هناك علاقة قوية بين أحمد بن أويس وتوقتاميش خان سلطان بلاد الدشت [القبجاق] الذي كان في تلك الفترة على درجة كبيرة من القوة وحسن الاستعداد ، وكان من أشد أعداء تيمورلنك الا أن أحمد بن أويس لم يستغل هذه الفرصة الجيدة للتعاون معه ، نظرا لعدم اكتراثه بتيمورلنك وانغماسه في

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٤ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٣٦/١ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٩ ، ٣٤ .

(٣) ارمنيوس فامبري : تاريخ بخارى ، ص ٢٢٦ .

(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٥ .

(٥) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٣٦/١ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٥ .

شهواته ! وانتهى الأمر بينهما باستيلاء تقتاميش على تبريز سنة ٧٨٧هـ – ١٣٨٥م (١) ثم انسحب عنها بعد أن تحقق من عدم وجود أحمد بن أويس ، وقد خلف بها قرابة عشرة آلاف من القتلى ، علاوة على الأسرى الذين سيقوا الى بلاد القفجاق (٢) .

ونتيجة لتلك الأحداث التى تلاحقت على أحمد بن أويس لم يجد بدا من تغيير سياسته تجاه تيمورلنك فاستخدم أسلوب المراوغة والتظاهر له بالخضوع خاصة بعدما وصلت اليه الأخبار باستعداد تيمورلنك للزحف على بغداد والاستيلاء عليها بعد انتصاره على آل مظفر وقتله شاه منصور سنة ٧٩٥هـ – ١٣٩٣م فبعث وفدا كبيرا برئاسة المفتي الشيخ نورالدين عبدالرحمن الخراساني (٣) الذي كان يعده من أكابر مشايخ بغداد (٤) ، وحمل هذا الوفد بالعديد من الهدايا ورسالة تتضمن الاعتذار الشديد لتيمورلنك على كل مابدر منه تجاهه ، مبديا أسفه لعدم التمكن من المثول بين يديه (٥) .

ويتفق المؤرخون على حسن استقبال تيمورلنك لهذا الوفد واكرامه لرئيسه ، غير أنه لم يهتم بتلك الهدايا ، بل كان يأمل أن تسك النقود (٦)

---

(١) الاسترابادى : عزيز بن أردشير (٨٠١هـ – ١٣٩٨م) بزم ورزم . استانبول: أوقاف مطبعة سى ، ١٩٢٨م. ، ص ١٧ .
الرمزى : تلفيق الأخبار ، ص ٥٨٤ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 660 .
عباس العزاوى : تاريخ العراق ، ٢٣٠/٢ .

(٢) الاسترابادى : بزم ورزم ، ص ١٧ .

(٣) جاء لقبه الخراساني في كل من : المقريزي : السلوك ٧٨٨/٢/٣ ، ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر بأنباء العمر ، ٤٥٣/١ . الخطيب الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان ، ٧٩٥/١ ، بينما تلقبه مصادر أخرى الاسفرايني ، انظر : اليزدي : ظفرنامه ٦٢٩/١ ، وكان عالما فاضلا عارفا بأمور الفقه والتصوف وتوفى سنة ٧٩٧هـ . انظر ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ٣٤٩/٦ .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٢٩/١ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٠٨

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٢٩/١ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢٠٣
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٠٨

(٦) تجمع المصادر التي بين أيدينا على أن تيمورلنك احتفى برئيس الوفد وأكرمه أحسن اكرام ، لكنه خدعه بعدم الزحف على بغداد لأجله ثم سار في طريق آخر فلم يشعر أحمد بن أويس الا وجيوش تيمورلنك قد نزلت غربي بغداد قبل أن يصل رئيس الوفد اليها .
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٥٣/١ .
المقريزي : السلوك ، ٧٨٨/٢/٣ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٦٣/١ .
Prawdin : Op . Cit . P . 467 .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 662 .

باسمه ويذكر اسمه في الخطبة (١) • ولم يجد أحمد بن أويس بدا من الاستجابة لمطالب تيمورلنك ، وبالرغم من ذلك لم تسلم بغداد من هجماته ، حيث أن طموحاته تدفعه لتحقيق الاستيلاء عليها وضم جميع الأراضى الاسلامية تحت نفوذه ، وظهر ذلك جليا عندما أرسل الى أحمد بن أويس رسولا حاملا معه خلعة ورأس شاه منصور حاكم فارس مطمئنا اياه بعدم الاغارة على بلاده فسك أحمد بن أويس العملة باسمه ، ولبس الخلعة وطاف بها شوارع بغداد ونفذ مطالب تيمورلنك (٢) في حين عاد الرسول الى تيمورلنك مخبرا اياه أن السلطان أحمد عبارة عن فريسة سهلة المنال (٣) •

وما أن قرب تيمورلنك من قراباغ حتى سارع أحمد بن أويس بمكاتبة السلطان المملوكي برقوق يحذره من هذا الخطر (٤) وان كانت المصادر التى بين أيدينا لم تذكر لجوء أحمد بن أويس لطلب المساعدة من السلطان برقوق بل اختار الهرب وسيلة لنجاته (٥) •

ومن هنا يتضح أن أحمد بن أويس كان له موقفان تجاه تيمورلنك ففي

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٢٩/١ •
خواندأمير : حبيب السير ، ٣٦/٣/٣ •
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢٠٣ •

(٢) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٣/٢/٩ •
المقريزي : السلوك ، ٧٨٨/٢/٣ •
ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ٢٤٩/١ •

(٣) تيمور : تزوكات ، ص ١٢٦ •
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٤٧٣/٣/١ •
Prawdin : Op . Cit . P . 467 .

(٤) يذكر ابن حجر العسقلاني أن أحمد بن أويس جهز الى صاحب مصر امرأة تخبره بأمر تيمورلنك وتحذره منه ، وتعلمه بأنه توجه الى قراباغ ليشتى بها ثم يعود الى بغداد ثم الى الشام • انظر : انباء الغمر بأنباء العمر ، ٣١٢/١ •

(٥) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٣١٢/١ •
ابن قاضي شهبه : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ١٨٨/٣/١ •
المقريزي : السلوك ، ٥٥٢/٢/٣ •
د• ابراهيم على طرخان : مصرفى عهد دولة المماليك الجراكسة • القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٠م ، ص ٧٣ •

بداية الأمر أظهر شجاعة أمام جيرانه وقدرة على مواجهة تيمورلنك ، واعتمد على أسلوب الكلام والخطابة وقول الأشعار دون التخطيط والاستعداد والاتحاد مع جيرانه لمواجهة هذا العدو القوي •

ولم يدرك أحمد حقيقة قوة تيمورلنك الا بعد انتصاره على آل مظفر وقتله لشاه منصور ، فتغير موقفه الى موقف المسالم والمهادن له وانخدع برسائله ووعوده لرسوله بعدم المساس ببغداد وتركها من أجله ، واعتقد أنه سوف لايقدم اليه • كما يشير ابن خلدون قائلا : [[وعدل أحمد الى مصانعته ومهاداته فلم يغن ذلك عنه ، ومازال تيمورلنك يخادعه بالملاطفة والمراسلة الى أن فتر عزمه وافترقت عساكره فنهض اليه يغذ السير في غفلة منه]] (١) •

وكان يجب على أحمد بن أويس أخذ الحيطة والحذر والاهتمام بحركة تيمورلنك ، خاصة بعد استيلائه على آذربيجان وتبريز سنة ٧٨٩هـ - ١٣٨٧م التابعتين له ولكن لاحياة لمن تنادي حيث اتخذ أحمد الهرب وسيلة لنجاته دون أي تفكير بما سوف يحل ببلاده من جراء الهجوم التيموري •

---

(١) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥/٥٥٥ •

المبحث الثاني

الزحف التيموري على آذربيجان والعراق

٧٨٦ - ٧٩٥هـ / ١٣٨٤ - ١٣٩٣م

أولا : استيلاء تيمورلنك على آذربيجان ·

ثانيا : غزو تيمورلنك العراق سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م ·

أ - أسباب الغزو ودوافعه

ب - غزو تيمورلنك بغداد سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م ·

ج - مافعله تيمورلنك في بغداد ·

د - استيلاء تيمورلنك على ولايات العراق والجزيرة ·

البصره - تكريت - دقوق - كركوك - الرها - ماردين

ثالثا : خروج السلطان أحمد بن أويس من بغداد سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م·

أ - لجوء السلطان أحمد بن أويس الى الدولة المملوكية سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م ·

ب - مساعدة الدولة المملوكية للسلطان أحمد بن أويس لاسترداد بغداد سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م ·

الزحف التيموري على آذربيجان والعراق ٧٨٦-٧٩٥هـ / ١٣٨٤-١٣٩٣م.

أولا : استيلاء تيمورلنك على آذربيجان :

كان لموقع آذربيجان الجيد أكبر الأثر في دفع تيمورلنك للاستيلاء عليه ولما كان يمتاز به أيضا من ثقل اقتصادي جعله من مراكز التجارة خلال العصور الوسطى ، فهو يعد حلقة الوصل للتبادل التجاري بين الشرق والغرب ، حيث كانت تمر به القوافل القادمة من آسيا والمتجهة غربا الى آسيا الصغرى وموانئ البحر المتوسط أو المتجهة جنوبا الى بغداد والخليج العربي وشمالا الى سيبريا فكان لذلك مقصدا للتجارة من كل مكان (١) ، ولقد سعى تيمورلنك جادا للسيطرة على هذه الطرق . ورأى أيضا أن السيطرة على مدينة تبريز التى كانت تمثل المركز الاقتصادي والاداري لاقليم آذربيجان المترامى الأطراف (٢) ، معناها السيطرة على موارد اقتصادية مهمة تحرم الدولة الجلايرية من الاستفادة منها.

ويرى بعض المؤرخين أن تيمورلنك كان يحرص على القضاء على المفسدين وقطاع الطرق الذين يتعرضون بالنهب والسلب للقوافل التجارية ولقوافل الحجاج المتجهة الى مكة المكرمة ، لذلك توجه الى آذربيجان وماحولها للقضاء على هذه الظاهرة السيئة (٣) .

وهناك من المؤرخين من يرى أن عادل آغا الذي كان قد خرج على السلطان أحمد بن أويس بعث الى تيمورلنك يشجعه على التوجه الى آذربيجان والعراق لتأديب سلطانها أحمد بن أويس فاستجاب تيمورلنك لدعوته (٤) .

ويرى البعض الآخر من المؤرخين أن تيمورلنك لم يكن على حق عندما ادعى أن آذربيجان من أملاك أسلافه الجغتائيين ، حيث كان النزاع قائما على تبريز بين بني هولاكو وبني جوجى ، وكانت غالبا في يد أبناء هولاكو (٥) .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : الترجمة العربية ، ١٧٣/٩ .
محمد فياض : تيمورلنك ، ص ٧٩ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ١٧٤/٩ .
(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٩٤/١ ، ٣٩٥ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 660 .

(٤) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥٤/٥ .
(٥) الرمزى : تلفيق الأخبار ، ص ٥٨٥ .

وقد أرجع مؤرخو تيمورلنك سبب توجهه للاستيلاء على آذربيجان الى أنه كان رد فعل لما قام به حاكم الدشت [القفجاق]من هجوم مدمر على مدينة تبريز ، قتل فيه الكثير من المسلمين ، فغضب تيمورلنك لهؤلاء المسلمين الأبرياء وخرج مسرعا لانقاذهم وتخليص بلادهم (١) .

وصادفت تلك الرغبة من قبل تيمورلنك بجانب هذا الاستعداد العسكرى الذي عرف عنه فرصة جيده للتوجه الى سلطانية وتبريز ، وذلك بعدما أنهى حملته الرابعة على خراسان واستيلائه على الرى ، وهرب حاكمها شاه ولي الى الجلايريين سنة ٧٨٦ﻫ - ١٣٨٤م (٢) .

في هذه الاثناء كان السلطان أحمد بن أويس في مدينة سلطانية ، وما ان علم بقدوم تيمورلنك حتى أصدر أوامره لجنده بأن يكونوا على أهبة الاستعداد لمواجهة تيمورلنك عند قدومه اليها وترك ابنه أقبوقا مع حامية عسكرية بقيادة الأمير سنتاى حاكم المدينة وأحد قواده المخلصين (٣) .

أما هو فقد اضطر الى الهرب الى تبريز (٤) ، وما أن علمت القوات التيمورية بذلك حتى سارعت الى سلطانية ورغم سوء الأحوال الجوية تمكن أحد قواد تيمورلنك مع ستمائة من جنده من اجبار الحامية على الهرب فاستولى عليها (٥) .

---

(١) Sami : Op . Cit . P.P. 97 - 98 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٩٢/١ ، ٣٩٣ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٣٠٢/٢ .
اليزدي : ظفرنامة ، ٣٨٧/١ .

(٣) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٥٧ .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٨/١ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٧٨ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 659 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٨/١ .
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٢٦ .

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٨/١ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٥٧ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 660 .

وتتفق المصادر التاريخية في القول أن تيمورلنك ما أن وصل الى سلطانية ، حتى استدعى عادل آغا من شيراز ، فاستقبله تيمورلنك استقبالا طيبا وعهد اليه بامارة سلطانية وماحولها ، وتأمينا لهذا النصر ترك مع (١) عادل آغا حفيده محمد سلطان شاه مع قوة كافية لحماية تلك المنطقة ومحاولة ضم أطرافها الباقية ، (٢) ثم غادر تيمورلنك سلطانية متوجها الى رستمدار التى طلب أهلها الأمان فأمنهم • (٣) كما أن حكام أمل وسارى قدموا طاعتهم له • ثم عاد الى بلاده بعدما وصل بحدوده الى ايران الغربية حيث كان يحكم الجلايريون والمظفريون •

واذا رجعنا الى السلطان الهارب أحمد بن أويس نجده قد صب جام غضبه وتوبيخه على قائد الحامية سنتاى وألبسه المقنعة وأشهره في بغداد بعد أن ضربه ضربا مبرحا • (٤)

ويذكر المؤرخون أن تقتميش قام بحملة على مدينة تبريز وتمكن من انتزاعها من أمير ولي الذي أصبح حاكما عليها من قبل السلطان أحمد بن أويس بعد هروبه من تيمورلنك ابان احتلاله للرى سنة ٧٨٦هـ - ١٣٨٤م ، (٥) ونظرا لما قام به تقتاميش من قتل وتخريب وتدمير في تبريز ، فان تيمورلنك اعتبر ذلك تحديا له ونكرانا للجميل السابق الذي قدمه له وجعله سببا للتوجه الى تبريز • (٦)

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٩٠/١ •
Prawdin : Op . Cit . P . 187 .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 660 .

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٩٠/١ •
(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٩٠/١ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٠٥

(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٥٧ •
(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٩٢/١ •
Sami : Op . Cit . P.P. 97 - 98 .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 660 .

(٦) Sami : Op . Cit . P . 187 .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٠٥
الرمزى : تلفيق الأخبار ، ص ٥٩٨ •

ومهما يكن الأمر فان تيمورلنك في حملته على ايران [حملة السنوات الثلاث من ٧٨٨ الى ٧٩٠هـ - ١٣٨٦ - ١٣٨٨م] توجه نحو آذربيجان وقبل وصوله تمكن عادل آغا بمساعدة جند تيمورلنك من الاستيلاء على همذان وانتزاع تبريز من يد أتباع السلطان أحمد ٠

على أن السلطان أحمد بن أويس حاول استعادة تبريز فخرج من بغداد على رأس جيش مكون من عشرين ألف مقاتل ، لكنه انهزم أمام قوات تيمورلنك فدانت عاصمة آذربيجان لتيمورلنك عام ٧٨٨هـ - ١٣٨٦م (١) ، ومرة أخرى اتخذ ابن أويس طريقه الى بغداد ، بعد فشل محاولة للقبض عليه ، قام بها جنود تيمورلنك بقيادة الياس خواجه (٢) ٠

بعدئذ أمر تيمورلنك سكان المدينة بدفع مال الأمان وأخذ جنده كعادتهم في سلب ونهب المدينة وظلم أهلها (٣) ، ثم أمر بقتل عادل آغا الذي كان قد ولاه على سلطانية (٤) ، وقام بترحيل ونقل أمهر الفنانيين والصناع الى عاصمته سمرقند (٥) ٠

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٩٦/١ - ٣٩٧ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٥٩٩ ٠
Browne : Op . Cit . P . 187 .

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٩٧/١ ٠

(٣) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢١٢/١ ٠

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٩٧/١ ٠
خواندأمير : حبيب السير ، ٢٧/٣/٣ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٠٥

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٩٧/١ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 661 .
Browne : Op . Cit . P.P. 187 - 188 .

ثانيا : غزو تيمورلنك العراق سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م ٠

أ - أسباب الغزو ودوافعه :

ما أن أنهى تيمورلنك حملاته العسكرية التى حققت له النصر والنجاح في بلاد خراسان وفارس وآذربيجان ، حتى وضع نصب عينيه أن تكون الكرة الجديدة على بلاد ذات أهمية استراتيجية وقيمة اقتصادية فكانت بلاد العراق وولاياتها المتعددة هي الهدف المنشود ، وجاء هذا التحديد بعد دراسة جادة لتلك المنطقة من حيث أوضاعها السياسية أولا ، ثم دراسة العديد من العوامل التى ساعدته ومكنته أخيرا من تحقيق ما أراد ، حيث أن تلك الدراسة جاءت من رجل حنكته الأيام والتجارب ٠

فهل تحقق له ما أراد فوجد تلك البلاد لقمة سهلة ووجبة شهية ؟

للاجابة على ذلك لابد لنا أن نستعرض الظروف والأحوال التى كانت سائدة في العراق ، وبجانب ذلك العلاقة بين تيمورلنك وحاكم العراق أحمد بن أويس التي كانت سماتها الأولى مراوغة كل طرف للآخر ٠

فمن جانب السلطان أحمد بن أويس يذكر بعض المؤرخين أنه قد بالغ في ظلم رعيته ورجال دولته حتى أصبحوا يكنون له الكراهية والبغضاء ، مما حدا بهم الى مكاتبة تيمورلنك داعين اياه للتوجه اليهم لمساعدتهم في الخلاص من ظلم هذا السلطان ، وأبلغوه باستعدادهم للوقوف بجانبه (١) ٠

ويذكر آخرون أن أحمد بن أويس بعد تنازعه مع اخوانه على السلطة وما أدى اليه هذا النزاع من الانفراد بالجاه والسلطان ، ازداد بطشا وانغماسا في اللهو والمجون ، وترك أمر البلاد لأعوانه الذين لم يكن لديهم خبرة كافية في ادارة شئون البلاد مما أفسد الأحوال الادارية والسياسية (٢) ، وحيث فسدت السياسة والادارة فلابد من فساد عصب الدولة وصمام أمنها وهو الجيش الذي ظهر

---

(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٤/٢/٩ ٠
ابن قاضي شهبه : تاريخ ابن قاضي شهبه ، ٤٧٣/٣/١ ٠
المقريزي : السلوك ، ٧٨٨/٢/٣ ٠

(٢) الاسترابادى : بزم ورزم ، ص ١٧ - ١٨ ٠
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٩٤/١ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٠٢ ٠

ضعفه الشديد ، وهزم أمام جيش تقتاميش حين استولى على مدينة تبريز سنة ٧٨٧هـ - ١٣٨٥م (١) ٠

ويرى بعض المؤرخين أن الفرصة قد سنحت لتيمورلنك للهجوم على العراق، حين تباطأ السلطان أحمد في سك العملة باسم تيمورلنك ، والدعاء له في خطبة الجمعة (٢) ، وان كان بعضهم قد ذكروا أن السلطان أحمد قد سك العملة باسمه وأعلن خضوعه له (٣) ٠

هذا ماكان من أمر السلطان أحمد وأمر شعبه وجيشه ٠ أما عن تيمورلنك فقد كان يترقب الفرصة المناسبة للهجوم السريع على بغداد ، والاستيلاء عليها لانقاذ مايراه حقا تاريخيا ، وهو أن بلاد العراق تعد جزءا من أملاك الجغتائيين وهو الوريث الوحيد الذي ينبغي له امتلاكه ، والحافظ عليه (٤) ٠

وفي سبيل الوصول الى هذه الغاية لجأ تيمورلنك الى سياسة الخداع والمراوغة ومن أجل ذلك بعث تيمورلنك الى السلطان أحمد رسالة وضح فيها سبب تقدمه الى بغداد قائلا : [[أنا ماجئتك محاربا وانما جئتك خاطبا أتزوج في أختك]] ففرح السلطان الأحمق بذلك [[وثنى عزمه عن جمع العساكر وأخذ منهم ماكان أعطاه لهم من النفقة فتوجه كل واحد من العسكر الى بلاده]] (٥) ٠

---

(١) الاسترابادي : بزم ورزم ، ص ١٧ ٠
الرمزي : تلفيق الأخبار ، ص ٥٨٤ ٠
عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ٢/٢٣٠ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 660 .

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ١/٦٢٩ ٠
ميرخواند : روضة الصفا ، ٦/٢١٤ ٠
Prowne : Op . Cit . P . 191 .
Prawdin : Op , Cit . P . 467 .

(٣) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٩/٢/٣٤٣ ٠
المقريزي : السلوك ، ٣/٢/٧٨٨ ٠
ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ١/٢٤٩ ٠

(٤) تيمور : تزوكات ، ص ١٨٠
ميرخواند : روضة الصفا ، ٦/٢١٤ ٠
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٣٣ ٠

(٥) ابن اياس : محمد بن أحمد بن اياس الحنفي ٠ (ت ٩٣٠هـ) بدائع الزهور في وقائع الدهور ٠ تحقيق : د/ محمد مصطفي ، القاهرة : ١/٢/٤٦١٠

وكان تيمورلنك يود اعادة مجد الخلافة الاسلامية فكان أول من طمح في الخلافة من الأعاجم بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م (١) •

ولايفوتنا أن نبين الجانب الاقتصادي الذي وضعه تيمورلنك نصب عينيه فقد خطط للسيطرة على طرق العراق التجارية ولاسيما أن نهرى دجلة والفرات هما من أهم الطرق الموصلة بين الشمال والجنوب حيث كانت أغلب البضائع القادمة الى بغداد والخارجة منها تنقل عبر دجلة ، حيث كان هذا النهر يمثل أهم الطرق المائية التي تصل العراق بالعالم الخارجي (٢) •

كما رأى تيمورلنك أن سيطرته على الطرق المؤدية الى العراق تمكنه من السيطرة على طرق الحج الى مكة المكرمة حيث أن أحد هذه الطرق يبدأ من الكوفة (٣) ويبدأ الآخر من البصرة (٤) ويلتقيان عند ذات عرق شمال شرقي مكة المكرمة (٥) •

وبذلك يمكن لتيمورلنك أن يحول مدن ماوراء النهر الى مراكز تجارية هامة ، وفرض سيطرته كاملة على مداخل ومخارج تلك الطرق •

ولم يهمل تيمورلنك قيمة المعلومات التي يحملها اليه جواسيسه عن أحوال العراق ، حيث كان هؤلاء يتحركون في كل مكان واتجاه حتى يكونوا على

---

(١) محمد جميل بيهم : أول من طمح الى الخلافة من الأعاجم ، مجلة الهلال ، الجزء الأول ، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م •

(٢) كي لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٢٢ •

(٣) الكوفة : بالضم ، المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ، سميت الكوفة لاستدارتها أو لاجتماع الناس بها ، وقيل سميت كوفة بموضعها من الأرض وذلك أن كل رملة يخالطها حصى سمى كوفة ، وقيل غير ذلك •

انظر : ابن عبدالحق البغدادي ، ١١٨٧/٣ •

(٤) البَصْرَة : وهما بصرتان : العظمى بالعراق وأخرى بالمغرب ، والبصرة المقصودة هنا التي بالعراق وطولها أربع وسبعون درجة وعرضها احدى وثلاثون درجة • واشتهرت البصرة في كل الأزمنه بأنهارها ، وقد عدت فزادت على مئة ألف نهر تجرى في أكثرها الزواريق • وأكثر دورها بالآجر •

انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٤٣٠/١ •
كي لسترنج : بلدان الخلافة ص ٦٥ - ٦٧

(٥) كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ١١٢ •

علم كامل بتحركات السلطان أحمد واستعداداته لاسيما وأن هؤلاء كانوا من خيرة رجال تيمورلنك وأصحاب خبرة ودراية في هذا المضمار ، وكان من هؤلاء سيف الدين برلاس الذي أرسل في مهمة استطلاعية لمعرفة أحوال بغداد ، وعاد يصف له سوء أحوالها ورغبة أهل البلاد في الخلاص من سلطانهم وقال له : [[ان الغنم لاراعي لها والبلاد غنيمة باردة لأنهم في محاربة ومقاتلة فيما بينهم وأنه بالامكان الاستيلاء عليها]] (١) .

وكان ذلك بمثابة الضوء الأخضر والدافع الذي جعل تيمورلنك يزحف الى تلك البلاد .

ب - غزو تيمورلنك بغداد سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م .

لكل الأسباب السابقة توجه تيمورلنك لاحتلال العراق عبر كردستان ، وما أن وصل الى أق بولاق بالقرب من شهرزور (٢) حتى بعث اليه السلطان أحمد بن أويس وفدا برئاسة المفتي الشيخ نورالدين عبدالرحمن الخراساني ، وحمل هذا الوفد بالعديد من الهدايا ورسالة تتضمن الاعتذار لتيمورلنك على كل مابدر منه وانه ليس لديه القدرة على مواجهته (٣) .

وتشير المصادر العربية الى أن تيمورلنك أكرم الوفد وقال للمفتي سوف أترك بغداد لأجلك ولن أقدم عليها (٤) .

---

(١) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ١٢٦ .
عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ٢٢٩/٢ .

(٢) شَهْرَزُور : كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمذان ، وأهلها كلهم أكراد ، والمدينة في صحراء عليها سور سمكه ثمانية أذرع بقربها جبل يعرف بشعران ، وآخر يعرف بالزلم .
انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣٧٥/٣ .
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٨٢٢/٢ .

(٣) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٣/٢/٩ .
المقريزي : السلوك ، ٧٨٨/٢/٣ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٦٣/١ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 662 .

(٤) المقريزي : السلوك ، ٧٨٨/٢/٣ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٦٣/١ .

أما المصادر الفارسية فقد أكدت هذا الاكرام وان كانت قد تحفظت على نية تيمورلنك تجاه السلطان أحمد بن أويس وأنه لم يفصح أو يظهر أية دلالة من دلائل حسن النوايا بصدد الهجوم ، بل قيل أنه غضب من عدم ضرب السكة باسمه أو الخطبة له وحال ذلك دون التوصل الى اتفاق بينهما (١) ٠

ومهما يكن الأمر فان الشيخ الفاضل خدع بكلام تيمورلنك له وحسن ضيافته وأرسل بالبشارة للسلطان أحمد ٠

وسواء وعد تيمورلنك مبعوث السلطان أحمد بعدم الهجوم على بغداد ، أو لم يعده فانه لم يكن جادا في وعده ، بل كان يحرص على الترتيب السريع لغزو العراق ، وذلك أنه تحرك من جوار همذان سالكا طريقا جديدة غير معروفة باتجاه الشمال ليدخل أرض العراق من خلال معابر جبلية وعرة ضيقة توصل الى منطقة شهرزور ، وكانت جنوده تسير ليلا على أضواء المشاعل حتى يضمن السرية وسرعة دخول البلاد قبل أن تسبقه أخبار سيره اليها (٢) ٠

وما أن وصلت طلائع جيش تيمورلنك الى موضع يقال له مزار ابراهيم اللك (٣)، حتى سأل ساكنيه هل أرسلتم خبر قدومنا الى بغداد فأجابوا قائلين [[نعم أرسلنا حمامة الى أهل بغداد لنعلمهم بقدومكم]] فطلب منهم أن يرسلوا حمامة ثانية يكتبون فيها أن الغبار الذي رأوه لم يكن لجند تيمورلنك بل هو غبار فرسان التركمان الذين هربوا من تيمورلنك ، وأن هذا التحذير من جنده كان تحذيرا خاطئا ! (٤) ٠

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٢٩/١ ٠
ميرخواند : روضة الصفا ، ٢١٤/٦ ٠
رضا باروكي : تاريخ ايران ، ص ٢٠٣

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٣١/١ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol, 3 . P . 663 .

(٣) هو قبر الشيخ ابراهيم بن يحي اللك من علماء الصوفية ، ويبعد هذا المكان عن بغداد بسبعة وعشرين فرسخا الى الشمال الشرقي منها ٠
اليزدي : ظفرنامه ، ٦٣١/١ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١١٠ ٠

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٣١/١ ، ٦٣٢ ٠
خواندامير : روضة الصفا ، ٣٧/٣/٣ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol , 3 . P . 663 .

وبوصول تلك الرسالة الى بغداد اطمأن السلطان أحمد ولكنه قد سبق له أن أخذ حذره ووضع نفائسه وأملاكه الثمينة في أماكن أمينة من الضفة الأخرى لنهر دجلة (١)، وانتظر عند الجانب الغربي من دجلة (٢) ٠

وفي صباح يوم السبت ٢١ شوال سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م (٣) وصل تيمورلنك الى بغداد فانتاب الخوف والقلق السلطان أحمد الذي أعوزته الحيل في الدفاع والنضال عن بلاده ، فلم يجد خلاصا الا الهرب الى طرق الحلة وتمكن جند تيمورلنك من عبور النهر الى الضفه الغربية لملاحقة السلطان أحمد (٤) ٠

ويذكر المؤرخون أن معركة دارت بين فلول السلطان أحمد ورجال تيمورلنك ، وكانت النهاية عند مشهد في سهل كربلاء (٥) حيث انهزم السلطان أحمد (٦) هاربا الى الرحبة (٧) وأرسل الى السلطان المملوكي برقوق طالبا حمايته ، فأجيب أحسن جواب ، وكتب باكرامه والقيام بما يليق به (٨) ٠

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٣٢/١ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٣٧/٣/٣ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١١١ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol, 3 . P . 663 .

(٢) أخطأ المؤرخون العرب عندما ذكروا أن تيمورلنك قدم الى العراق من الجانب الغربي لنهر دجلة ، والأرجح أن تيمورلنك قدم من جهة الشمال الشرقي حيث عبر جنده الى الضفة الأخرى بخيلهم سباحة ٠
انظر : المقريزي : السلوك ، ٧٨٨/٢/٣ ٠
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٤٤/١٢ ٠
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٦٣/١ ٠

(٣) أرخ وصول تيمورلنك كما أثبتناه في النص كل من :
ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٠٧/٥ ٠
ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٧/٢/٩ ٠
المقريزى : السلوك ، ٧٨٨/٢/٣ ٠

(٤) اليزدى : ظفرنامه ، ٦٨٣/١ ٠

(٥) كَرْبَلاء : هو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنه في طرف البرية عند الكوفة على جانب الفرات ٠
انظر : ابن عبدالحق البغدادى : مراصد الاطلاع ، ١١٥٤/٣ ٠

(٦) العيني : بدرالدين أبومحمد محمود بن شهاب الدين ٠ (ت ٨٥٥هـ) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (من سنة ٧٨٤هـ الى ٨٠١هـ) رسالة دكتوراه ٠ تحقيق ودراسة : محمد عبدالحميد راغب ابراهيم ٠ القاهرة: جامعة الازهر - قسم التاريخ والحضارة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ٠ لم تطبع ٠ ص ٣١١ ٠
خواندامير : حبيب السير ٣٧/٣/٣ ٠

(٧) الرَّحْبَة : ما اتسع من الأرض وسمى بها مواضع كثيرة منها : رحبة خالد بدمشق ، ورحبة صنعاء ، والمقصود بالمتن رحبة مالك بن طوق التغلبي ، بينها وبين دمشق ثمانية أيام ، وبينها وبين بغداد مائة فرسخ ، وهي على شاطئ الفرات ٠
انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٢٣/٣ ال ٣٤ ٠
القلقشندى : صبح الأعشى ١١٥/٤ ٠

(٨) المقريزي : السلوك ، ٧٨٩/٢/٣ ٠

أما تيمورلنك فقد تمكن من دخول بغداد بسلام ، ولم يجد من يرده عنهـا حيث فتح أهلها أبواب المدينة طائعين مستسلمين (١) .

ويبدو أن الأهالي فتحوا أبواب المدينة خوفا من تكرار ماتعرضت له بلادهم سابقا في حملة هولاكو المدمرة سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م (٢) ، وبذلك سقطت مدينة بغداد مرة أخرى بيد تيمورلنك دون مقاومة (٣) .

ويذكر اليزدي وغيره أن أهالي بغداد انبهروا عندما رأوا جيش تيمورلنك يندفع كالنمل والجراد من النهر كأسلافهم السابقين وأصيبوا بالدهشة من كثرة أعدادهم (٤) .

ويتضح أن عدد جيش تيمورلنك كان كبيرا مما ذكره في تزوكاته قائلا : [[وقررت الهجوم على العراق تجمعت ثمانين ألفا من الفرسان ، وقلت لنفسي لو ذهبت صوب العراق مع هذا العدد الجرار فان الأرض لن تستوعب أعدادهم ، لذلك قررت أن أرسلهم فوجا فوجا]] (٥) .

بينما يرى بعض المؤرخين العرب أن هذا الجيش تكون من مائتين وأربعين ألفا منهم ثلاثون ألف مقاتل والباقي أوباش (٦) .

ومهما يكن الأمر فانه من المرجح أن عدد الجيش كان كبيرا لكنه دون أن يصل الى هذا الرقم الذي ذكره المؤرخون العرب .

---

(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٤/٢/٩ .
العيني : عقد الجمان ، ص ٣١١ .
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٤٦١/٢/١ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، ٤٦١/٢/١ .
Howorth : Op . Cit . Vol, 3 . P . 663 .

(٣) ارمنيوس فامبري : تاريخ بخارى ، ص ٢٢٩ .
Prawdin : Op . Cit . P . 433 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٣١/١ - ٦٣٢ .
Howorth : Op . Cit . Vol, 3 . P . 663 .

(٥) تيمور : تزوكات ، ص ١٢٠ .

(٦) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٧٠/٢/٩ .
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبه ، ٥٠٧/٣/١ .

ج - مافعله تيمورلنك في بغداد :

وبالرغم مما أوردته المصادر المختلفة من أن العديد من أهل بغداد راسلوا تيمورلنك للقدوم اليهم بسبب جور وظلم سلطانهم ، وعلى الرغم من تمتع المدينة بهدوء نسبي للترحيب الحذر الذي قام به السلطان أحمد وسحبه للسلاح من جنده بعدما انخدع بوعد تيمورلنك مما ساعد على دخول تيمورلنك المدينة بسلام ودون مقاومة تذكر • فهل قدر تيمورلنك هذا الأمر ؟ •

ان الجواب بكل أسف : أنه لم يعامل أهلها بما توقعوه من تأمين أرواحهم وأعراضهم وأموالهم ، بل قام باعماله المعتادة من تخريب وقتل ومصادرة ، حيث لم تكن هذه المرة الأولى التى يقوم بها بمثل هذا العمل بل كانت له سوابق أخرى في خراسان وفارس وغيرهما •

ولقد صور لنا بعض المؤرخين ماقام به تيمورلنك من أعمال بشعة في بغداد حين قالوا : فما أن دخلها حتى أحكم السيف في رقاب العديد من أرباب المدينة ، وهتك عسكره حريمهم ، وجلا منها كثير من أهلها (١) • وتنوع في عقوبتهم ، وسقاهم الملح والماء ، وشواهم على النار ، ولم يبق مايستر عوراتهم فصاروا يخرجون فيلتقطون الخرق من الطرقات حتى تستر عوراتهم (٢) •

ويتفق المؤرخون العرب على أن تيمورلنك استصفى أموال أهل بغداد بالمصادرات لأغنيائهم وفقرائهم (٣) •

وتذكر بعض المصادر أن تيمورلنك صادر أهل بغداد ثلاث مرات وفي كل مرة يأخذ منهم ألف وخمسمائة تومان (٤) ، وكان جملة ما أخذ منهم نحو مائة ألف ألف

---

(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٦/٢/٩ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٥٣/١ •

(٢) المقريزي : السلوك ، ٧٩٠/٢/٣ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٦٦/١ •
أحمد دحلان : الفتوحات الاسلاميه ، ص ١٠٥

(٣) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٠٧/٥ •
ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٦/٢/٩ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٥٣/١ •
الاسترابادي : بزم ورزم ، ص ١٩ •

(٤) كان التومان عبارة عن ثلاثين ألف دينار عراقية ، والدينار العراقي يقدر درهم مصر الفضة •
المقريزي : السلوك ، ٧٩٠/٢/٣ •

وخمسة وثلاثين ألف ألف درهم (١) •

ويضيف الاسترابادى أنهم لم يكتفوا بذلك بل أهلكوا الحرث والنسل وقاموا بتحطيم قناديل ومنابر المساجد بصورة همجية (٢) •

وقدر عدد الذين تعرضوا لتلك المهالك من أهل بغداد بثلاثة آلاف شخص (٣) •

أما اليزدي فيذكر أن تيمورلنك صادر أموال السلطان أحمد وذخائره ولم يفرض على السكان الا أموال الأمان ، وأمر بالغاء شرب الخمر واغلاق بيوت الدعارة التي كانت منتشرة في ذلك الحين ، ثم نقل مجموعة كبيرة من الحرفيين والفنانين الى سمرقند ليستفيد من خبراتهم (٤) •

---

(١) ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبه ، ٤٧٥/٣/١ •
المقريزي : السلوك ، ٧٩٠/٢/٣ •

(٢) الاسترابادى : بزم ورزم ، ص ١٩ •

(٣) اختلفت تقديرات المؤرخين في هذه المسألة ، ففي تاريخ ابن قاضي شهبة ٤٧٥/٣/١ والسلوك ٧٩٠/٢/٣ ، ونزهة النفوس ٣٦٦/١ أن من مات تحت العقوبة قرابة الثلاثة آلاف ، بينما جاء في تاريخ ابن الفرات ٣٦٢/٢/٩ قرابة السبعمائة •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٤٢/١ •

د - استيلاء تيمورلنك على ولايات العراق والجزيرة :

قرر تيمورلنك الاستيلاء على ولايات العراق والجزيرة ، لتكملة فتوحاته، وكان أولى تلك المدن التى تمكن الجيش التيموري من فتحها : الحلة (١) حيث نجح ابنه ميرانشاه في الاستيلاء عليها ابان مطاردته للسلطان أحمد بن أويس ، ومنيت تلك المدينة بالتخريب والتدمير الشامل حيث وضع في أهلها السيف يوما وليلة ، وأشعل فيها النار حتى احترقت ففنى معظم سكانها (٢) .

ويبدو أن ميرانشاه فعل ذلك بها لفشله في القبض على السلطان أحمد ، وبعد نجاح حفيد تيمورلنك محمد سلطان في القضاء على الأكراد وقطاع الطرق في كردستان طلب تيمورلنك منه أن يتوجه الى واسط (٣) لضمها اليه وتنظيم أمورها فتحقق له ذلك وعينه تيمورلنك حاكما عليها وعلى المناطق المجاورة لها (٤) .

الاستيلاء على البصرة :

كانت البصرة منذ أواخر العصر الايلخاني خاضعة لسيطرة القبائل

---

(١) الحلة : احدى المناطق الهامة لكثرة مواردها ، وقربها من بغداد ، وكان من توابعها منطقة بابل القديمة وبها عدة قرى يسقيها نهر الفرات ، وكان معظمها في الجانب الشرقي ثم بنى سيف الدولة صدقة بن منصور رئيس بني مزيد سنة ٤٩٥هـ الحلة في الجانب الأيمن .

انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢/٢٩٥ .
كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٩٧ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١/٤٥١ .
ابن قاضي شهبه : تاريخ ابن قاضي شهبه ، ١/٣/٤٧٥ .
المقريزي : السلوك ، ٣/٢/٧٩٠ .
يوسف كركوش : تاريخ الحلة القسم الأول في الحياة السياسية ، المكتبة الحيدرية ، النجف ، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ، ص ٩٨ .

(٣) سميت واسط لتوسطها بين البصرة والكوفة ، وقد شيدها الحجاج بن يوسف الثقفي في سنة ستة وسبعين .

ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ .
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٤٣

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ١/٦٤٠ .
ميرخواند : روضة الصفا ، ٦/٢١٣ ومابعدها .

العربية [١] . وبعد وفاة السلطان أبي سعيد بن خدابندا سنة ٧٣٦هـ - ١٣٣٥م،دانت بالولاء للشيخ حسن الجلايرى سنة ٧٥٥هـ - ١٣٥٤م . وضربت السكة باسمه وظل يحكمها شيوخ القبائل الذين يدينون بالولاء له [٢] ، وعندما تولى السلطان حسين ابن أويس الحكم من سنة ٧٧٦هـ الى ٧٨٤هـ . استناب أخاه أحمد بن أويس عليها [٣] ولانعرف تاريخ انتهاء ادارته لها .

وفي الوقت الذي صادف فيه مقدم تيمورلنك العراق كان يحكم البصرة صالح بن جولان الذي نجح في اخضاع القبائل العربية فيها ، ومد نفوذه الى البحرين [٤] ، وكان مدينا بالولاء للسلطان أحمد بن أويس [٥] .

وعندما تم الاستيلاء على الحلة ، طلب تيمورلنك من ابنه ميرانشاه والخان محمود التوجه الى البصرة ، وما أن علم حاكمها بذلك حتى سارع في جمع العديد من العربان وعرب البحرين لمواجهة القوات التيمورية ، وتحقق له النصر بعد معركة طاحنة تم خلالها أسر ميرانشاه [٦] . وأشيع أن الخان محمود قتل [٧] في هذه المعركة ، وما أن علم تيمورلنك بأسر ابنه حتى أرسل الى صاحب البصرة طالبا منه اطلاق سراح ابنه ومن عنده من الأسرى الا أن صاحب البصرة

---

(١) علي ظريف الأعظمي : مختصر تاريخ البصرة ، بغداد : مطبعة الفرات ، ١٣٢٧هـ ، ص ١٢٠ .

(٢) نوري عبدالحميد العاني : العراق في العهد الجلايري ، ص ٤٣ .
(٣) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٦٦/١
(٤) البحرين : اسم جامع لبلاد على ساحل الخليج العربي بين البصرة وعمان وهي قصبة هجر وقيل العكس عدها البعض من أعمال اليمن ، وعدها آخرون من أعمال العراق وبينها وبين البصرة مسيرة خمسة عشر يوما . انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٣٤٦/١ - ٣٤٧ . ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٦٧/١ .
(٥) نوري عبدالحميد العاني : العراق في العهد الجلايري ، ص ٤٣ . عباس العزاوي : العراق بين احتلالين ، ٢١١/٢ .
(٦) العيني : عقد الجمان ، ص ٣١٣ . ابن قاضي شهبه ، تاريخ ابن قاضي شهبه ، ٤٧٦/٣/١ .

(٧) اعتقد بعض المؤرخين أن الخان محمود قتل في هذه المعركة . انظر :
ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٨/٢/٩ .
العيني : عقد الجمان ، ص ٣١٣ .
بدائع الزهور ، ص ٢٦٠ .
وذكر كل من : ابن حجر العسقلاني : في انباء الغمر بأنباء العمر ، ٢٥٤/٢ والسخاوى : في الضوء اللامع ، ١٥٠/١٠ أنه توفى سنة ٨٠٥هـ . وهذا هو الأرجح .

رفض طلبه واشترط عليه مقابل تنفيذ ذلك أن يرسل اليه ولد السلطان أحمد علاء الدين وبصحبته آلاف الدنانير (١) ٠

لم يجد تيمورلنك ازاء هذا التشدد من صاحب البصرة ، الا رفض شرطه ، واستعد لارسال قوة حربية أخرى تفوق القوة السابقة عددا وعدة معولا على نصر سريع وخاطف ، الا أن تلك القوات التى ربما تم اعدادها على وجه السرعة قد منيت بهزيمة أخرى صاحبها اغراق المراكب البحرية للجيش التيموري (٢) التي كان يعقد عليها آمالا واسعة في القضاء على صاحب البصرة (٣) فأمر تيمورلنك بسحب فلول جيشه المهزوم نحو أرمينيا (٤) استعدادا لفرصة جديدة (٥) ، وقد سنحت هذه الفرصة التي استعد لها استعدادا طيبا ، واختار لها فصل الشتاء عام ٧٩٦هـ - ١٣٩٣م وتمكن من الانتصار على صاحب البصرة وتدمير المدينة (٦) ٠

وهنا نرى اختلاف موقف حاكم البصرة وجنده رغم قلة العدد والعدة عن موقف السلطان أحمد وجيشه المتخاذل أمام تيمورلنك ٠

---

(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٨/٢/٩ ٠
العيني : عقد الجمان ، ص ٣١٣ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 666 .

(٢) العيني : عقد الجمان ، ص ٣١٣ ٠
المقريزي : السلوك ، ٧٩٠/٢/٣ ٠

(٣) ابن قاضى شهبه : تاريخ ابن قاضى شهبه ، ٤٧٦/٣/١ ٠
المقريزي : السلوك ، ٧٩١/٢/٣ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 666 .

(٤) اسم لصقع واسع عظيم من جهة الشمال ٠ وحدها من برزعة الى باب الأبواب ومن الجهة الأخرى الى بلاد الروم وجبل القبق ، وهى صغرى وكبرى ، فالصغرى تفليس ونواحيها والكبرى خلاط ونواحيها ٠

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ١٥٩/١ ، ١٦٠ ٠
ابن عبدالحق البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ٦٠/١ ٠

(٥) Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 667 .

(٦) Sami : Op . Cit . P . 144 .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P.P 666 - 667 .

الاستيلاء على تكريت : (١)

وبعدما تمكن تيمورلنك من الاستيلاء على بغداد وفد اليه بعض التجار القادمين بتجارتهم عبر تكريت وأبلغوه أنه بالقرب من بغداد توجد قلعة تكريت وتعرف بحصانتها وقوة استحكامها ، وقد احتمى بها بعض المفسدين الذين يقومون بالاعتداء على قوافل التجار والتعرض لأموال المسلمين ، وان افعالهم تلك كانت تتم تحت سمع وبصر حاكمها حسن بيولتمور (٢) ، وكان والده قد اضطر سنة ٧٦٣هـ - ١٣٦٥م الى اعلان تبعيته للسلطان الجلايري أويس عندما كان متجها الى ديار بكر ، ولم يشر المصدر الى الأسباب التى دفعته الى ذلك (٣) •

وبعد وفاة بيولتمور سنة ٧٨٥هـ - ١٣٨٣م خلفه ابنه حسن واستغل هذا النزاع القائم بين السلطان أحمد بن أويس واخوته ، واعلن استقلاله عنهم • وارسل في نفس السنة وفدا الى السلطان المملوكى برقوق يخبره بالدخول في طاعته فأجابه الى طلبه (٤) ، وتشير نفس المصادر الى ان حكام سنجار (٥) وقونية (٦) قد

---

(١) بلد مشهور ، بين بغداد والموصل ، وبينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا في غربي دجلة ، ولها قلعة حصينة •
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ •
ابن عبدالحق : مراصد الاطلاع ، ٢٦٨/١ •

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٤٤/١ - ٦٤٦ •
خواندأمير : حبيب السير ٣٧/٣/٣ •
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٦٣٣ •

(٣) ميرخواند : روضة الصفا ، ٥٧٣/٥ •
(٤) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٧٦/١ •
المقريزي : السلوك ، ٤٩٨/٢/٣ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٧٥/١ •

(٥) سِنْجَار : مدينة مشهورة ، من نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام •
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٩٩ •
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٧٤٣/٢ •

(٦) قونية : من أعظم مدن المسلمين بالروم ، وكانت عاصمة السلاجقة •
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١١٣٤/٣ •
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٧٤ •

اتبعوه في ذلك وأجيبوا الى طلبهم • وعلى كل فان تيمورلنك سرعان ما استجاب لنداء هؤلاء التجار فأمر قواته بالهجوم على القلعة ومحاصرتها ، ويبدو أن أهمية تلك القلعة وقوة حصانتها جعلت تيمورلنك يذهب في أعقابهم ليكون قريبا من مسرح الأحداث (١) ، وتمت محاصرة المدينة من جميع الأطراف • ولما علم حسن بمحاصرة تيمورلنك له أرسل أخاه لمقابلته وليعرض عليه الطاعة والخضوع (٢)•

وتذكر المصادر الفارسية أن تيمورلنك أكرم وفادته الا أنه طلب ضرورة حضور أخيه ليقدم الولاء والخضوع بنفسه ، ثم يعود الى قلعته ثانية • ولم يثق حسن في وعود تيمورلنك وفضل مواجهته ومحاربته (٣) ، لكنه عندما أحس ثانية بضعفه وعدم مقدرته على مواجهة تيمورلنك ، أرسل أمه وأخاه ليطلبا العفو عنه ، فأصر على حضوره شخصيا فلم يقبل حسن هذا الشرط وبعد مقاومة لم تستمر طويلا استولى جند تيمورلنك على المدينة وشددوا حصارهم للقلعة ، فتمكنوا من السيطرة على الجزء الخارجي منها وأشعلوا النار في أعمدتها فأخذت أسوارها في السقوط واستسلم من كان بها طائعين (٤) ، وسيق الأمير حسن يولتمور مقيدا الى تيمورلنك (٥) •

ويذكر المؤرخون العرب أن تيمورلنك أرسل الى داره ودس عليه من هدمها عليه (٦) ، ثم أمر تيمورلنك بتعذيب حراس القلعة حتى الموت وطلب منهم ترك جزء

---

(١) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٧١/١ •
اليزدي : ظفرنامه ، ٦٦٤/١ •
رضا بازوكي : تاريخ ايران ، ص ٢٠٣

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٤٧/١ ، ٦٤٨ •
ميرخواند : روضة الصفا ، ٢١٩/٦ •

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٤٨/١ •
ميرخواند : روضة الصفا ، ٢١٩/٦ •
خواندامير : حبيب السير ، ٣٧/٣/٣ •
رضا بازوكي : تاريخ ايران ، ص ٢٠٣

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٥٠/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ٣٨/٣/٣ •
Sykes : Op . Cit . P 128 .

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٥٥/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ٣٨/٣/٣ •

(٦) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٧٢/١ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٦٩ •

من الحصن دون تدمير اثباتا لشجاعته وعظمته وعبرة للأجيال القادمة لتعرف مدى قوته (١) وأمر كذلك بسبي النساء وأسر الأطفال (٢)، وبنى من رؤوس القتلى منارتين وثلاث قباب وخرب البلد حتى صارت قفرا (٣)، وكان ذلك في صفر سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣ - ١٣٩٤م (٤) .

ثم توجه تيمورلنك بعد ذلك الى دقوق (٥) وكركوك وقدم حاكمها الأمير قزل مير علي أويرات ولاءه الى تيمورلنك مع حكام المدن والقلاع المجاورة فانعم عليهم وأكرمهم (٦) . ثم تابع سيره نحو اربل (٧) وكان حاكمها ابان وصول تيمورلنك

---

(١) ميرخواند : روضة الصفا ، ٢٢٤/٦ .
Browne : OP. Cit. P. 191 .
Sykes : Op . Cit . P . 128 .

(٢) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٦٩ .
المقريزى : السلوك ، ٧٩٩/٢/٣ .

(٣) ابن حجر العسقلانى : انباء الغمر بانباء العمر ، ٤٧٢/١ .
ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٣٤٤/٦ .
خواندامير : حبيب السير ، ٣٨/٣/٣ .

(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٦٩ .
ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ١١٢/٤ .
خواندامير : حبيب السير ، ٣٨/٣/٣ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٨٩ .

(٥) دَقُوق أو دقوقاء : مدينة بين اربل وبغداد قريبة من كركوك التى تعتبر من أجل مدن العراق الآن وقد أورد علي اليزدى هذا الاسم بصورة طاووق [[طاوق]] وهى التسمية الشائعة الآن .

(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٦١/١ .
خواندامير : حبيب السير ، ٣٨/٣/٣ .
نورى عبدالحميد العانى : العراق في العهد الجلايرى ، ص ٥٠ .

(٧) اربل : مدينة كبيرة وقلعة حصينة في فضاء من الأرض واسع بين الزابين الصغير والكبير .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ١٣٨/١ .
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٢١ .

اليها سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م الشيخ علي أويرات (١) ، وكان معترفا بسيادة الجلايريين عليه (٢) • ولما لم تكن المدينة ذات قدرة عسكرية فقد سارع الى تيمورلنك وقدم ولاءه وطاعته ، فتركه تيمورلنك واليا عليها (٣) • ثم استولى على مدينة الموصل، وكان حاكمها يومئذ الأمير يار علي بن برذخجا [بدرخجا] وكان قد لجأ الى تيمورلنك أثناء حصاره لمدينة تكريت حاملا معه الهدايا ، الا أن تيمورلنك لم يعره أي اهتمام • فعندما دخل الموصل رد له هذا الجميل على طريقته الخاصة فأشاع فيها القتل والأسر والسلب والنهب (٤) الا أن اليزدي وغيره ذكروا أن تيمورلنك عندما دخل الموصل قام بزيارة قبر النبي يونس والنبي جرجيس عليهما السلام ، وتبرع بعشرة آلاف دينار لاقامة القباب على هذين المطرحين (٥) ، وتقبل ماتقدم به حاكم المدينة من هدايا وهبات (٦) • ثم توجه تيمورلنك من الموصل الى رأس عين (٧) ومافعله في الموصل فعله فيها (٨) •

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٦١/١ •
ميرخواند : روضة الصفا ، ٢٢٠/٦ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٨٩ •

(٢) نوري العاني : العراق في العهد الجلايري ، ص ٥٤ •

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٦١/١ •
ميرخواند : روضة الصفا ، ٢٢٠/٦ •
محمد أمين زكي : خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن ، نقله الى اللغة العربية وعلق عليه محمد علي عوني ، مطبعة السعادة ، مصر ١٩٣٩م ، ص ١٧٠ •

(٤) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٧٢/١ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٦٩ •
ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ١١٢/٤ •
Browne : Op . Cit . P . 191 .

(٥) كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١١٨ •

(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٦١/١ ، ٦٦٢ •
ميرخواند : روضة الصفا ، ٢٢٠/٦ •

(٧) رأس عين : مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حران ودنيسر وفيها عيون كثيرة •
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٠ •
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٥٩٤/٢ •

(٨) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٦٩ •
ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ١١٢/٤

أما مدينة الرها (١) فكان شأنها شأن المدن التى سلمت بدون قتال وكان نتيجة ذلك أن أكرم تيمورلنك حاكمها لسعيه اليه وتقديم الهدايا وتركه حاكما عليها (٢) .

غير أن المؤرخين الفرس ذكروا أن حاكم قلعتها ويسمى كزل يامى أصابه الخوف عندما سمع بمقدم تيمورلنك اليه ، فهرب من القلعة ومعه جمع من اتباعه واحتموا بجبل شاهق الارتفاع ، فبعث تيمورلنك اليهم جنده لمتابعتهم وتمكنوا من أسرهم جميعا (٣) .

ثم توجه تيمورلنك نحو ماردين (٤) وكان حاكمها في هذا الوقت الظاهر مجدالدين عيسى (٥) ، ويبدو أنه لم يكن على درجة كبيرة من الشجاعة تمكنه من مواجهة تيمورلنك فقام بجمع أهله وأمواله وأعيان دولته وتحصن بالقلعة ،

---

(١) الرها : مدينة بالجزيرة فوق حران بينهما سته فراسخ ، قيل اسمها بالرومية [أذاسا] .
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٦٤٤/٢ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٧٢/١ .
عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ٢١٩/٢ .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٦٣/١ ، ٦٦٤ .
Sami : Op . Cit . P . 178 .
خواندامير : حبيب السير ، ٣٨/٣/٣ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٨٩ .

(٤) ماردين : بكسر الراء والدال : قلعة حصينة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٣٩/٥ .

(٥) هو عيسى بن داود بن صالح بن غازى بن ارتق الملك الظاهر مجد الدين توفى سنة ٨٠٩هـ - ١٤٠٦م وكان الظاهر قد أرسل الى السلطان المملوكى برقوق يعلمه باستيلاء تيمورلنك على تبريز وأنه أرسل يستدعيه للحضور اليه فاعتذر له لضرورة مشاورة سلطان المماليك برقوق ولم يقبل تيمورلنك منه ذلك الرد وقال له : ليس لصاحب مصر بملكك حكم ، وأرسل اليه خلعة وسكة ، ولما لمس الظاهر عدم رغبة المماليك في مساعدته حيث أكتفى ردهم عليه بأن يستمر بالخطبه باسمهم حينئذ اضطر الظاهر الى مهادنة تيمورلنك والخضوع له .

ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٣/٢/٩ .
العيني : عقد الجمان ، ص ٣١٤ .
المقريزي : ٧٨٨/٢/٣ .
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٤٣/١٢ .

واستخلف على المدينة ابن عمه وزوج ابنته الملك الصالح شهاب الدين أحمد (١) اسكندر وطلب منه الدفاع عن المدينة حتى آخر قطرة من دمه (٢)، لكن تيمورلنك ما أن تقدم نحو القلعة سنة ٧٩٦هـ - ١٢٩٤م حتى سارع الملك الظاهر بالترحيب به معتذرا له من تأخره في اللحاق به عندما طلب منه التوجه معه الى مصر والشام وعلل سبب امتناعه في الذهاب الى مكة لأداء فريضة الحج (٣) .

وأمام هذا الوهن والضعف من قبل الظاهر عيسى عفا تيمورلنك عنه (٤) .

ويذكر المؤرخون أنه نتيجة لذلك قبل الظاهر عيسى أن يؤدي مبلغا من المال الى خزانة تيمورلنك ، ودخل المحصلون المدينة فتعرض لهم جند ماردين (٥) فلما علم تيمورلنك بذلك استدعى الظاهر عيسى واستفسر منه عن سبب ذلك فعرف أن الظاهر اتفق مع أتباعه بعدم تسليم المدينة مهما كلفهم الأمر ، لذلك أمر بالقبض عليه (٦) وضرب القلعة التي قاومت بشدة تحت قيادة الصالح شهاب الدين (٧) ،

---

(١) هو أحمد بن اسكندر بن صالح بن غازي بن قرا أرسلان بن الملك الصالح شهاب الدين صاحب ماردين توفي سنة ٨١١هـ - ١٤٠٨م .
انظر : ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٢٣٩/١ .

(٢) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٧٠ .
اليزدي : ظفرنامه ، ٦٧٢/١ .
ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ١١٢/٤ ، ١١٣ .

(٣) Sami : Op . Cit . P . 179 .
اليزدي: ظفرنامه ، ٦٦٦/١ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٩٠

(٤) تذكر المصادر الفارسية أن الظاهر عيسى أسرع لمقابلة تيمورلنك ، وقدم له الهدايا الثمينة وان تيمورلنك أكرم وفادته ومنحه الخلع والهبات .
اليزدي : ظفرنامه ، ٦٦٦/١ .
Sami : Op . Cit . P . 179 .

(٥) يذكر المؤرخون أن الظاهر عيسى اتفق مع اتباعه بعدم تسليم القلعة والمحافظة عليها وان لم يفعلوا ذلك سوف يحل بهم الهلاك والدمار .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٧٠ ، ٧١ .
اليزدي : ظفرنامه ، ٦٧٢/١ .

(٦) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٧٢/١ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٧٠ ، ٧١ .
خواندامير : حبيب السير ، ٣٨/٣/٢ .

(٧) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٧٢ .
ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ١١٣/٤

ولما كان فصل الشتاء سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م قد حل ولايسهل فيه القتال ، فك عنها الحصار وتركها الى حين ، حيث عاد اليها في فصل الربيع وأمر جنده بمعاودة الحصار فتمكنوا من هدم سورها (١) واقتحامها (٢) ٠

واختتم تيمورلنك جولته الظافرة في مدن العراق والجزيرة بالاستيلاء على مدينتي آمد وخلاط (٣) ولم ينس تيمورلنك ماتعود عليه من قسوة مفرطة ، ووحشية بالغه ، حيث نراه قد أمر بتدمير تلك المدن التي كانت قبيل ذلك عامرة ومزدهرة (٤) ٠

وهكذا وخلال عام واحد تمكن تيمورلنك من بسط سيطرته المحكمة على العراق والجزيرة وآرمينيا وأصبح بيده التحكم والسيطرة على الطرق التجارية ذات الأهمية الاقتصادية الكبيرة ٠

---

(١) تمكن تيمورلنك من الاستيلاء على المدينة عنوة ووضع السيف في أهلها وقد صعد الناس الى القلعة فاسرف تيمورلنك وأعوانه في القتل والسبي والنهب على عوائلهم وأهل القلعة يرمونهم بالنشاب والنفوط ، ثم هدم سورها بأجمعه ٠

اليزدي : ظفرنامه ، ٦٧٨/١ ، ٦٧٩ ٠
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٧٢

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٧٨/١ ، ٦٧٩ ٠
ابن حجر العسقلاني ، انباء الغمر، ٤٧٢/١ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ، ٣٨/٣/٣ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٩٠ ٠

(٣) خِلاط : بلدة عامرة مشهورة كثيرة الخيرات ، وهي قصبة أرمينيا الوسطى يضرب ببردها في الشتاء المثل ٠

ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٤٧٦/١ ٠
القلقشندى : صبح الأعشى ، ٣٥٥/٤ ٠

(٤) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٧٣/١ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٩٠ ٠
ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٣٤٤/٦ ٠
عباس العزاوى : العراق بين احتلالين ، ٢١٩/٢ ٠

ثالثا : خروج السلطان أحمد بن أويس من بغداد سنة ٧٩٩هـ - ١٣٩٢م ٠

كان هناك العديد من العوامل التى دفعت أحمد بن أويس الى الفرار أمام جحافل تيمورلنك وعدم مواجهته عسكريا (١) ، ولاجدال في أن أهم تلك العوامل هي سياسته حيال الأمراء والرعية الذين لم يتكاتفوا ولم يهبوا الى مساعدته ساعة حلول هذا الخطر ، بل انهم على العكس من ذلك فتحوا أبواب المدينة أمام تيمورلنك فاستولى عليها دون عناء أو تعب (٢) ٠

ويتفق المؤرخون على أن السلطان عندما علم بقدوم تيمورلنك عبر نهر دجلة ، وأمر بكسر المعابر والجسور وافراق السفن والزوارق ، ووضع نفائسه على الضفة الغربية للنهر بعيدا عن متناول يد عدوه ، وعول على البقاء هناك حتى انسحاب تيمورلنك (٣) ٠

وعلى كل حال فانه في يوم السبت ٢١ من شوال سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م خرج تيمورلنك بنفسه لملاحقة السلطان أحمد الذي ما أن أدرك جدية العزم على مطاردته حتى انسحب الى الحلة (٤) ٠ في حين تمكن العديد من جند تيمورلنك من

---

(١) يذكر ابن عربشاه في كتابه عجائب المقدور ، ص ٦٢ ٠ أن أحمد بن أويس استعد للبلاء قبل نزوله وتأهب له قبل حلوله ، فتشمر للهزيمة ، وعلم أن ايابه سالما نصف الغنيمة ، واقتصر من بسيط فقه المقاتلة والمقابلة على الوجيز ، وصمم على الخروج من ممالك بغداد والعراق وتبريز ، وقال لنفسه : النجاة النجاة ٠

(٢) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٢/٢/٩ ٠
العيني : عقد الجمان ، ص ٣١١ ٠
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٦٢ ٠
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٦٣/١ ٠

(٣) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٤/٢/٩ ٠
ابن قاضي شهبه : تاريخ ابن قاضي شهبه ، ٤٧٣/٣/١ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٣٧/٣/٣ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol, 3 . P . 663 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٣٢/١ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٣٧/٣/٣ ٠
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٦٩ ٠
السلامي : شهاب الدين أحمد (القرن التاسع الهجري) مختصر التواريخ مخطوط بدار الكتب بالقاهرة برقم ١٤٣٥ ورقه ١٨٨أ ٠

عبورالنهر والاستيلاء على سفينة أحمد بن أويس " شمس " وأعادوها الى الضفة الأخرى (١) وعلى متنها عبر تيمورلنك لملاحقة أحمد بن أويس (٢) • وعندما أجتاز تيمورلنك مدينة صَرْصَر (٣) ، طلب منه الأمراء الرجوع الى بغداد وأقنعوه بأن يترك لهم مهمة اللحاق بالسلطان أحمد والقبض عليه ، فقبل مشورتهم ورجع عائدا الى بغداد موكلا هذه المهمة لابنه ميرانشاه وقائده عثمان بهادر وعدد من قواده المخلصين (٤) ، وبواسطة السفن التي استولى عليها جيش تيمورلنك (٥) عبرت مجموعة منهم الى الضفة الغربية لدجلة ، ومن ثم سارعوا بمصادرة ماتركه السلطان أحمد من أموال ونفائس قبيل فراره الى الحلة (٦) •

---

(١) يذكر الغياثي في كتابه التاريخ الغياثي ص ١١٢ ، ١١٣ أنه كان للسلطان أحمد سفينتان أحداهما يقال لها الشمس بيضاء ولها ثلاثون مجدافا والأخرى يقال لها القمر ولها ثمانية وعشرين مجدافا حمراء فركب تيمورلنك سفينة شمس الى الجانب الغربي •

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٣٣/١ •
خواندأمير : حبيب السير ، ٣٧/٣/٣ •

(٣) تقع على بعد ثلاثة فراسخ من بغداد ، وكان نهر صرصر تجرى فيه السفن وعليه جسر من مراكب يعبر عليه ، وهي عامرة بالنخيل والزروع ، وكانت المحطة الأولى للحجاج المتجهين الى مكة المكرمة وظلت ذات شأن حتى استولى تيمورلنك على بغداد وعسكر في الأرباض المجاورة لها •

ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢١٧ •
كي لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٩٣ •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٣٤/١ •

(٥) كان عدد هذه القطع أربع سفن عبر عليها جند تيمورلنك النهر بالتتابع وسبح بجوارهم جيادهم •

اليزدي : ظفرنامه ، ٦٣٤/١ •
Howorth : Op . Cit . Vol , 3 . P 664 .

(٦) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٠٧/٥ •
ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٤/٢/٩ •
اليزدي : ظفرنامه ، ٦٣٤/١ •
Howorth : Op . Cit . Vol , 3 . P . 664 .

ويذكر الغياثي أن السلطان أحمد كان يلقى بأثقاله وخزائنه وأمواله خلفه ليشغل جند تيمورلنك بجمعها عن ملاحقته (١) .

وظلت فرقة المطاردة التيمورية تلاحق السلطان أحمد ومن معه حتى وصل الى صحراء كربلاء (٢) ، وهناك التحم جند تيمورلنك وكان عددهم خمسة وأربعين فارسا بجند أحمد بن أويس الذين بلغ عددهم ألفين (٣) ، وكاد السلطان أن يقع في الأسر ، الا أنه أفلت بأعجوبة (٤) ، بعد معركة عنيفة (٥) بين الطرفين أجبر خلالها على الهرب الى الرحبة .

---

(١) الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١١٢ .

(٢) ذكر بعض المؤرخين هذا المكان كما ذكرناه في النص . انظر :

اليزدي : ظفرنامه ، ٧٣٦/١ .
خواندامير : حبيب السير ، ٣٧/٣/٣ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ٢٠٣ .
الاسترابادي : بزم ورزم ، ص ٢٢ ، بينما جاء اسم هذا المكان في المصادر الأخرى [مشهد علي رضي الله عنه]
انظر : ابن قاضي شهبه ، تاريخ ابن قاضي شهبه ، ٤٧٣/٣/١ .
العيني : عقد الجمان ، ص ٣١١ .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٣٥/١ .
خواندامير : حبيب السير ، ٣٧/٣/٣ .

(٤) Grousset : Op . Cit . P . 343 .

(٥) حدد اليزدي ٦٣٦/١ ، وخواندامير ، ٣٧/٣/٣ . أن العدد الذي كان في صحبة أحمد بن أويس أكثر من ألفين ، واجه منهم مائتان من المسلحين جند تيمورلنك وتمكن جند تيمورلنك بعد معارك عنيفة تمت بينهما من هزيمة جند أحمد واجبارهم على الهرب . بينما نرى الاسترابادى في ص ٢٢ وهو واحد ممن كانوا في صحبة أحمد يقول أن عددا من رجال أحمد تمكنوا من الحاق هزيمة كبيرة برجال تيمورلنك وأنهم أحدثوا نهرا من الدماء في أرض كربلاء ونعتقد أن رواية الاسترابادى قد اعتراها المبالغة وعدم الصدق فلو كان جند السلطان أحمد هم الذين انتصروا فلماذا لم يلاحقوا جند تيمورلنك المنهزمين ؟ والعكس هو الذي حصل .

وهناك عدة عوامل هيأت للسلطان فرصة الافلات من قبضة التيموريين نذكر منها :

تعرض خيل تيمورلنك للتعب والارهاق من شدة المطاردة وعدم تمتعها بقسط وافر من الراحة ، في وقت كان السلطان ينتقل من خيل الى خيل آخر فظهرت مطاياه في حالة نشطة وحسنة (١) ٠

انشغال وارتباك جند تيمورلنك في معالجة قائدهم عثمان بهادر مما مكن السلطان أحمد من الابتعاد عنهم (٢) ٠

كان لندرة المياه في صحراء كربلاء دور حاسم في كف رجال تيمورلنك عن ملاحقته ، حيث أصيبوا بالعطش الشديد فتوقفوا عن المطاردة وأخذوا يبحثون عن الماء (٣) ٠

ويبدو أن اكتفاء جند تيمورلنك بما حصلوا عليه من المال والغنائم وبما وقع في أيديهم من نساء وأولاد السلطان أحمد الذين أخذوا أسرى (٤) كان عاملا مساعد في الكف عن مطاردته (٥) ٠

---

(١) يذكر ارمنيوس فامبرى في كتابه تاريخ بخارى صفحة ٢٢٩ ٠ أن السلطان أحمد لم ينجو من سهل كربلاء الا بفضل فرسه العربي الأصيل التى مرقت به كالبرق الخاطف ٠

(٢) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٦/٢/٩ ٠
Prawdin : Op . Cit . P . 468 .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٣٧/١ ٠

(٤) أرسل تيمورلنك ابن السلطان أحمد علاء الدولة ، وزوجاته ونخبة من أمهر صناع بغداد الى سمرقند ٠

Browne : Op . Cit . Vol , 3 . P . 191 .

(٥) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٠٧/٥ ٠
اليزدي : ظفرنامه ، ٦٣٧/١ ٠

أ - لجوء أحمد بن أويس الى الدولة المملوكية سنة ٧٩٦هـ-١٣٩٤م :

عقب وصول أحمد بن أويس الى الرحبة قدم البريد منها على السلطان الظاهر برقوق بأن السلطان أحمد قد نزل بها في نحو ثلاثمائة فارس ، ومع البريد كتاب أحمد الى برقوق (١) ، فأجيب أحسن جواب وكتب باكرامه والقيام بما يليق به ، وان تترك له حرية الاقامة في أى مكان يريده (٢) •

وتؤكد المصادر التي بين أيدينا أن أمير الرحبة قد أحسن استقبال السلطان أحمد وقدم له أحسن مايليق به من الخدمة والضيافة ، ثم سيره الى حلب ، فلما دخلها خرج للقائه نائبها جلبان قراسقل (٣) ، وأنزله بالميدان ورتب له مايليق به (٤) •

وعقد السلطان برقوق مجلسا ضم الأمراء والأعيان لبحث أمر أحمد بن أويس (٥) ، واستقر رأى الجميع على أن يستقبل السلطان برقوق أحمد في القاهرة ، وأوكل مهمة احضاره الى الأمير عزالدين ازدمر (٦) ، ومعه نحو ثلاثمائة ألف درهم

---

(١) يذكر الخطيب الصيرفي في نزهة النفوس ٣٦٤/١ ، مضمون كتاب السلطان أحمد الى السلطان برقوق [أنه من جملة مماليك السلطان ، ومن المحسوبين عليه ويسأل الصدقات الشريفة في شمول نظره والوصية عليه الى أن يتمثل بين يدى المواقف الشريفة] •

(٢) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٥/٢/٩ •
ابن دقماق : صارم الدين ابراهيم بن محمد أيدمر العلائى (ت ٨٠٩هـ) ، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين • تحقيق : محمد كمال الدين عزالدين علي • الطبعة الأولى • بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م• ٢٤٥/٢/٩ •
المقريزى : السلوك ، ٧٨٩/٢/٣ •

(٣) هو جلبان بن عبدالله قراسقل الظاهرى برقوق ، توفى سنة ٨٠٢هـ - ١٣٩٩م
انظر : ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ٢٥٠/١ •

(٤) المقريزى : السلوك ، ٧٨٨/٢/٣ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٤٥/١٢ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٦٤/١ •

(٥) السلامي : كتاب مختصر التواريخ ، ورقه ٨٧أ •
العيني : عقد الجمان ، ص ٣١١ ، ٣١٢ •
ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ٢٨٩/٢ •

(٦) هو عزالدين أزدمر بن عبدالله الظاهرى أحد مقدمي الألوف بديار مصر المعروف بأخي اينال فقد سنة ٨٠٣هـ في القتال مع تيمورلنك بظاهر حلب بعد أن قاتل قتالا شديدا ، وقتل بظاهر حلب سنة ثلاث وثمانمائه •
انظر : ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ، ٣٤٩/٢ - ٣٥١ •

فضة وألف دينار من الذهب برسم النفقة على السلطان أحمد أثناء توجهه الى الديار المصرية (١) . وعند وصول السلطان أحمد سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م الى دمشق استقبل أحسن استقبال وتزاحم الناس لرؤيته ، وكان متعبا جدا (٢) .

ثم توجه بعدئذ الى القاهرة ، وكان وصوله اليها في يوم الثلاثاء السابع عشر من ربيع الأول سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م . وخرج لاستقباله السلطان برقوق والأمراء وتعانقا ثم بكيا ساعة . فطيب السلطان خاطره ووعده بمساعدته لاستعادة حكمه المفقود فاطمأن أحمد لذلك (٣) .

ويبدو أن السلطان برقوقا كان يدرك مغبة الزحف التيموري على العالم الاسلامي ، وأن استيلاءه على بغداد كان بداية الطريق للاستيلاء على البلاد الاسلامية الأخرى ، لذلك كان موقف برقوق تجاه السلطان أحمد موقفا مشرفا تردد صداه في أنحاء البلاد الاسلامية (٤) ، وقد نزل السلطان أحمد في المنزل الذي أعد له على بركة الفيل (٥) ، وأعطى السلطان أوامره الى سائر الأمراء أن يكونوا في

---

(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٧/٢/٩ .
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٦٥/٢ .
العيني : عقد الجمان ، ص ٣١١ .

(٢) يصف ابن قاضي شهبة وصول السلطان أحمد بن أويس الى دمشق قائلا : "دخل الى دمشق ولاقاه العسكر الى قارا ، ودخلوا في خدمته ، ونزل بالقصر وكان قد حصل له ضعف بحلب فلما شفي جاء وركب من الغد وتزاحم الناس على رؤيته ، وشكله دميم ولحيته خفيفة دون شواربه" .
تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٥٠٣/٣/١ .

(٣) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٦٦/٢/٩ .
ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ٢٨٨/٢ .
العيني : عقد الجمان ، ص ٣١٩ .
الشوكاني : البدر الطالع ، ٤٢/١ .

(٤) يذكر المؤرخون أن المنزل الذي نزل فيه السلطان أحمد هو بيت الأمير سيف الدين ظفر دمر على بركة الفيل ، وكان السلطان قد رسم بعمارته وزخرفته وأرسل فيه فرش وآنية تليق بالسلطان أحمد .
ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٦٧/٢/٩ .
السلامي : كتاب مختصر التواريخ ، ورقة ٨٧ أ .

(٥) تقع هذه البركة فيما بين مصر والقاهرة ، وكانت عمارتها وازدحام السكان بها بعد الستمائة من الهجرة ، وكانت دائرة كالبدر ، والمناظر فوقها كالنجوم وان العادة جرت على خروج السلطان والأهالي اليها ليلا .
انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٦٦/٢ .

خدمة السلطان أحمد وتلا ذلك صدور أوامر أخرى بارسال مائتى قطعة فضة ومائتى قطعة قماش سكندرى وثلاث أفراس وعشرين جارية وعشرين مملوكا وأشياء أخرى اليه (١) • وعلاوة على ذلك ولزيادة المحبة والود بين الطرفين تم زواج السلطان برقوق من ابنة أخ السلطان أحمد تندى خاتون (٢) فأدت هذه المصاهرة الى زيادة التعاون بينهما •

---

(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٦٧/٢/٩ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٣٦٦/٢ •
السلامي : كتاب مختصر التواريخ ، ورقه ٨٧ أ •

(٢) كانت خاتون تندى بنت حسين بن أويس قد قدمت مع عمها السلطان أحمد بن أويس وكان مبلغ الصداق ثلاثة آلاف دينار وكان صرف الدينار اذ ذاك ستة وعشرين درهما ونصف •

انظر : المقريزي : السلوك ، ٨٠٧/٢/٣ •
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٥٢/١٢ - ٥٣ •

ب - مساعدة الدولة المملوكية للسلطان أحمد بن أويس لاسترداد بغداد سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤ م ٠

كان احتضان الدولة المملوكية للسلطان الهارب أحمد بن أويس يعني في الواقع اعلان الحرب على تيمورلنك من قبل المماليك وأن المادة التاريخية المتوفره تصور لنا تيمورلنك ازاء ذلك بصوره مختلفة ، حيث أظهرته عكس ماعرف عنه من البطش والتنكيل بكل من يقف في وجه طموحاته التوسعية ، فنراه قد تحلى برباطة الجأش فلم يرد أن ينساق الى معركة حربية لم يحدد زمانها ومكانها ، بل لم يرد أيضا أن يفتح جبهة قتالية ضد المماليك في هذا الوقت واضعا نصب عينيه اكمال مهمته بنجاح ، والاستحواذ على كافة بلاد ايران ٠ وعليه اتخذ أسلوبا جديدا في التعامل مع المماليك ، فلجأ الى مراسلة السلطان المملوكي ، لكسب الوقت ، الا أن طبيعة تيمورلنك أثرت عليه وعلى رسائله التي غلبت عليها عبارات التهديد والوعيد بشن هجماته التدميرية ان لم يرضخ له برقوق ، بتسليم السلطان أحمد اليه ، لكن الرد المملوكي على تلك التهديدات كان يتسم بدبلوماسية هادئة (١) ٠ والذي يعنينا في رد السلطان برقوق على رسائل تيمورلنك هو مايختص بأمر السلطان أحمد لنرى موقف سلطان المماليك القوى تجاه المستجير به ، فقد جاء في هذا الرد : [[أما طلبك منا السلطان أحمد الجلايري غير مرة ، فقد علمناه ، ولكن عرفنا يا أمير تيمور أيش عمل بك ؟ حتى حلفت له عدة مرار بأيمان الله تعالى العظيمة ، وأعطيته العهود والمواثيق بأنك ماتتعرض اليه ولا الى مملكته ، ولا توافيه ولاتشوش عليه ، حتى اطمأن بأيمانك وركن اليك وأحسن ظنه فيك ، ووثق بك ، واعتمد عليك ، فخنته وغدرته ، وأتيته بغتة على حين غفلة ، وبدرته وأخذت مملكته وبلاده وأمواله وأولاده وأعظم من ذلك أنك أخذت حريمه وهن في عقد نكاحه وعصمته ، وأعطيتهن لغيره ، وقد نطق الكتاب والسنة بتحريم ذلك وعظم ذنب فاعله وقبيح جرمه]] ٠

---

(١) انظر عن الرسائل المتبادلة بين تيمورلنك وبرقوق في كل من :
القلقشندى : صبح الأعشى ، ٣٠٨/٧ - ٣١٩ ٠
المقريزي : السلوك ، ٨٠٣/٢/٣ - ٨٠٧ ٠
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٤٩/١٢ - ٥٢ ٠
(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٣١٢/٧ ٠

ثم يقول برقوق : [[ماكفى مافعلت مع القان أحمد المشار اليه حتى تطلبه منا ؟ اعلم أن القان أحمد قد استجار بنا وقصدنا وصار ضيفنا ، وقد ورد : من قصدنا وجب حقه علينا ، وقال تعالى لسيد الخلق أجمعين في حق الكفار الذين هم أنجس الناس : ((وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه)) فكيف بالمسليمن اذا استجاروا بالمسلمين؟ وكيف بالملوك أبناء ملوك المسلمين الذين لأسلافهم الكرام معنا ومع ملوك الاسلام خدام الحرمين الشريفين صحبة ومحبة وأخوة في الله تعالى؟]] ويستطرد برقوق قائلا : ان ارسال القان أحمد اليك أمر مستحيل ، وان قولك في رسائلك ان لم نجهز اليك أحمد مقيدا تأتي الينا في أول فصل الربيع ، واذا جهزناه اليك مقيدا تتأكد المحبة والصحبة بيننا وبينك ، فقد علمناه والذي نعرفك به هو أننا كنا نتوقع أنك تجئ قبل هذا الوقت، فقد أبطأت]] ،كما أن برقوقا كان على استعداد لتقريب وجهات النظر بينه وبين تيمورلنك في حال قبول تيمورلنك الشفاعة في السلطان أحمد فيقول : [[أنت طلبت أحمد الجلايري وها نحن واصلون اليك به ، نطلب منك أن تشفعنا فيه ، وتهبنا ذنبه الذي صدر منه وندخل عليك بسببه ونسأل احسانك أن تعين لنا موضعا نلتقي معك فيه ، حتى نأتيك بأحمد المذكور ، ونشفع فيه عندك فعين لنا الموضع المذكور على حسب ماتختار]] (١) ٠

وأمام تطور تلك الأحداث السريعة والمتلاحقة اتخذ برقوق قراره بالتوجه الى بلاد الشام لحماية هذا الجزء الهام من دولته ، وتمهيدا لاعادة السلطان أحمد الى حكمه في بغداد ، وهذا الجانب هو الذي يهمنا في هذا المبحث ٠ أن برقوقا نجح في هذه المهمة التي أظهرت شجاعته وحسن رأيه ٠

وفي العاشر من ربيع الآخر سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م استعد برقوق للخروج من

---

(١) انظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، ٣١٣/٧ - ٣١٥ ٠
محمد ماهر حمادة ، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الاسلامي ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ص ٤٢٤ - ٤٣٦ ٠

القاهرة ومعه السلطان أحمد متوجهين الى بلاد الشام ، وما أن دخلها (١) حتى نادى فيها بالأمان والاطمئنان في وقت وفدت رسل العديد من الحكام طالبين الرغبة في الدخول في حلف معه ضد تيمورلنك (٢) •

ان المعركة الحربية المرتقبة بين المماليك ، وتيمورلنك لم تقع يومئذ ، وذلك لأن تيمورلنك كان قد غادر العراق متوجها الى آذربيجان ، ثم انشغل بعد ذلك بحروبه مع حاكم القفجاق توقتاميش (٣) مفضلا ذلك على مواجهة برقوق حيث يبدو أن تيمورلنك لم يكن مستعدا لمواجهته خلال تلك الفترة ففضل تأخير ذلك •

وهكذا أصبحت الفرصة مواتية للسلطان أحمد للعودة الى بلاده حيث طلب منه برقوق التوجه الى بغداد فخرج من دمشق في يوم الأثنين أول شعبان سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م (٤) •

ونودي في دمشق ألا يتخلف عنه أحد من أهل بغداد ، وجهزه برقوق بجهاز يليق بمقامه وبكل مايحتاج اليه ، وأنعم عليه بخمسمائة ألف درهم من الفضة

---

(١) يتفق المؤرخون في أن السلطان برقوق وأحمد بن أويس قد دخلا دمشق في عشرين جمادى الأولى • انظر :

ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٨٢/٢/٩ • العيني : عقد الجمان ، ص ٣٢٦ • ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ٢٩١/٢ •
ابن قاضي شهبه : تاريخ ابن قاضي شهبه ، ٥١٢/٣/١ •

(٢) كان من بين هؤلاء الحكام الذين بعثوا رسلهم الى برقوق : تقتميش خان حاكم بلاد القفجاق ، ويلدرم بايزيد بن عثمان متملك بلاد الروم ، والقاضي برهان الدين أحمد حاكم سيواس •
انظر : Yasar Yucel, O.P. Cit. P. 39 .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٧٨٤/١ •
رضا باروكى : تاريخ ايران ، ص ٢٠٤
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٦٣٣ •
د• حكيم أمين عبدالسيد : قيام دولة المماليك الثانية ، القاهرة : الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م ، ص ١٢٧ •

(٤) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٨٣/٢/٩ •
السلامي : كتاب مختصر التواريخ ، ورقه ٨٧ أ •
العيني : عقد الجمان ، ص ٣٢٦ •

وأعداد كبيرة من الخيل والجمال والسلاح ، وخلع عليه خلعة أطلسين بشاش متمر (١) وسيف ذهب وكتب له تقليدا بمملكة بغداد (٢) ٠

وبهذه الوقفة الشجاعة من برقوق تمكن أحمد من العودة الى بلاده مقدرا ماقام به برقوق من عون وعطف واكرام ، الأمر الذي ألزمه باعلان طاعته وخضوعه له ، فأصبح بموجب ذلك نائبا لبرقوق في حكم بغداد وأصبحت دولته مرتبطة سياسيا بدولة المماليك في مصر والشام ٠

ومهما يكن الأمر فان المصادر التي بين أيدينا تفيد بأن السلطان أحمد عندما وصل الى بغداد سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م خرج اليه نائبها مسعود الخراساني (٣) وكان تيمورلنك قد عينه عليها عند مغادرته لها (٤) ، وما أن دخل السلطان أحمد بغداد حتى واجهته قوة نائبها ، وجرت بين الطرفين معركة عنيفة هزم فيها نائب تيمورلنك وولى هاربا (٥) الى تستر (٦) ٠

---

(١) المتمر نوع من القماش ، ويظن أنه مزخرف على حافتيه برسوم للتمر ٠ انظر : المقريزي : السلوك ، ٨١٤/٢/٣ حاشية رقم (٤) ٠

(٢) جاء في رواية العيني ص ٣٢٦ ، والمقريزي ، ٨١٤/٢/٣ ، والصيرفي ، ٣٨٩/١ أن أحمد طلب من برقوق أن يكون نائبه في بغداد فكتب له تقليدا بمملكته ، وجاء في رواية ابن تغرى بردى ، ٥٧/١٢ وكتب له تقليدا بسلطنة بغداد ٠ أما السلامي في مختصر التواريخ ورقه ٨٧ أ فأشار بعبارة وكتب له تقليدا٠

(٣) هكذا جاء اسمه في المصادر العربية ، انظر :
انباء الغمر بأنباء العمر ، ٤٤٦/٢ ٠
تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٥١٨/٣/١ ٠
أما المصادر الفارسية فتشير اليه باسم محمود السبزوارى ٠
انظر : ظفرنامه لليزدي : ٦٥٩/١ ٠
روضة الصفا لميرخواند ، ٢٤٥/٦ ٠

(٤) يذكر اليزدي في ظفرنامه ٦٥٩/١ أن تيمورلنك عندما عين مسعودا أمره بأن يشمل أهالي بغداد بالرعاية والاهتمام وألا يغفل من تفقد أحوال العجزة والمساكين ٠

(٥) يذكر بعض المؤرخين أنه عندما وصل السلطان برقوق الى حلب قدم اليه ابن نعير وأخبره أن والده نعير استرد بغداد وخطب بها باسم السلطان فأنعم عليه السلطان ولانعتقد أن هذه الرواية صحيحة حيث أنها لو كانت صادقة لدخل أحمد المدينة بسلام دون أن يتعرض له مسعود ، وقد أكد المؤرخون أن معركة كبيرة وقعت بين الطرفين تمكن خلالها أحمد من هزيمة نائب تيمورلنك ٠
انظر : ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٨٦/٢/٩ ٠
العيني : عقد الجمان ، ص ٣٢٦ ٠
المقريزي : السلوك ، ٨١٧/٢/٣ ٠

(٦) خواندامير : حبيب السير ، ٤٠/٣/٣ ٠
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢٠٤ ٠

وتمكن أحمد من القبض على جماعة كبيرة من أتباع مسعود ثم قتلهم [1] •

ويضيف المؤرخون أنه عندما انكسر نائب تيمورلنك أطلق المياه على عساكر السلطان فأعانه الله وتخلص من المياه بعد يومين [2] ، وبذلك تمكن أحمد من استعادة بغداد مرة أخرى سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م •

---

(١) ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٥١٨/٣/١ •
المقريزي : السلوك ، ٨١٧/٢/٣ •

(٢) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٨٦/٢/٩ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٧٦/١ •

المبحث الثالث

الغزو التيموري لبغداد ٨٠١ - ٨٠٣هـ / ١٣٩٨ - ١٤٠١م

أ - الحملة الأولى :

حملة ميرانشاه بن تيمورلنك على بغداد سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٨م •

ب - الحملة الثانية :

حملة زاده رستم على بغداد سنة ٨٠٢هـ - ١٣٩٩م •

ج - تأزم موقف السلطان أحمد بن أويس في بغداد وخروجه منها •

د - الحملة الثالثة :

غزو تيمورلنك بغداد سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م ودور حركة المقاومة •

هـ - مافعله تيمورلنك في بغداد سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م •

و - الوضع السياسي في العراق بعد خروج تيمورلنك •

ز - نتائج الغزو التيموري على العراق •

الجانب السياسي - الاقتصادي - الاجتماعي - الثقافي •

الغزو التيموري لبغداد ٨٠١ - ٨٠٣هـ - ١٣٩٨ - ١٤٠١م .

انزعج تيمورلنك من استعادة السلطان أحمد بن أويس لبغداد سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م حيث كان يحرص على بقاء هذا الجزء الهام تحت سيطرته ، وازداد قلقه وأحس بالخطر عندما علم بتحالفه مع المماليك ، لكنه ماكان يستطيع التوجه لقتالهم يومئذ ، بسبب حروبه ضد حاكم القفجاق من جهة ، وحكام الهند من جهة أخرى (١) . ولكن على الرغم من ذلك كلف ابنه ميرانشاه وحفيديه بيرمحمد وزاده رستم بالتوجه الى بغداد واستعادتها ، واستمرت فترة الصراع هذه من سنة ٨٠١ الى ٨٠٣هـ (١٣٩٨ - ١٤٠١م) حيث تمكن تيمورلنك من الاستيلاء عليها مرة ثانية .

أ - الحملة الأولى : حملة ميرانشاه بن تيمورلنك سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٨م

كان الأمير ميرانشاه بن تيمورلنك حاكما على تبريز من قبل والده ، وقد أمر بالتوجه الى قلعة النجق لمحاصرتها ، وكان بها آنذاك طاهر بن أحمد ابن أويس مع جماعة من خواصة وأمواله وذخائره (٢) . فبدأ ميرانشاه حملته متوجها الى بغداد . ولما كان ميرانشاه قد تعرض سابقا لحادث خطير أدى الى اختلال قواه العقلية (٣) ، فقد توهم أن قيامه بهذه الحملة سوف يحقق له النجاح ، وأن

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٠١ ، ١٠٢
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٦١/١٢ ، ٢٦٤ .
القرماني : اخبار الدول ، ص ٢٩٠ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢٠٩

(٢) الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١١٨ .
Howorth : Op . Cit . Vol, 3 . P . 667 .

(٣) كان ميرانشاه قد سقط من على حصانه أثناء احدى رحلات الصيد فأصيب بخلل في قواة العقلية ، فأصبح سلوكه وتصرفاته غير طبيعية حيث أساء التصرف بأموال الدولة وانخرط في شرب الخمر ، ولما قدم والده اليه عزله من منصبه .

اليزدي : ظفرنامه ، ٢٠٥/٢ .
خواندأمير : حبيب السير ، ٥١/٣/٣ .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٦٣٤ .
Price : Op . Cit . Vol , 3 . P 295 .

السلطان أحمد سيصاب بالخوف بمجرد سماع نبأ قدومهم اليه فيضطر الى الهرب كعادته (١) .

وعندما وصل ميرانشاه الى قبة ابراهيم الللك التى تبعد عن بغداد مسافة ٢٧ فرسخا (٢) ، وصلته الأخبار من تبريز تفيد بتمرد بعض أعيانها وتحالفهم ضده ، فلم يلتفت لذلك ومضى مواصلا مسيرته نحو بغداد (٣) .

وكان السلطان أحمد حينذاك في بغداد ، ويبدو أنه كان في هذه المرة أكثر شجاعة من المرات السابقة ، حيث قرر محاربة ميرانشاه وجنده ، واستعد للقتال وقام باغلاق أبواب المدينة وعمل الترتيبات اللازمة لحمايتها (٤) .

أما لماذا تغير موقف السلطان أحمد هذه المرة وقرر مواجهة ميرانشاه؟ فلأن هناك عوامل دفعت الى ذلك ومنها :

اعتقاده بأن الدولة المملوكية سوف تمده بالعون والمساعدة كما فعلت معه ابان استنجاده بها سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م .

تأكد السلطان أحمد أن توقيت ميرانشاه للحملة لم يكن موفقا ، حيث أن فصل الصيف الحار لايساعد على الحصار مدة طويلة ، نظرا للجفاف وشح المياه ، وشدة الحرارة (٥) . كما أن قلة عدد جند الحملة وعدم وجود تيمورلنك على رأسها رفع من معنويته ، وخفف من روعه ، فقرر الصمود والوقوف في وجه ميرانشاه .

ومهما يكن الأمر فان الاضطراب والتمرد الذي وقع في تبريز منع

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٠٢/٢ .
Price : Op . Cit . Vol . 3 . P . 293 .

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٠٢/٢ .
خواندأمير : حبيب السير ، ٥١/٣/٣
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 293 .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٠١/٢ ، ٢٠٢ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 667 .

(٤) المقريزي : السلوك ، ٨٩٩/٢/٣ .
Price : Op . Cit . Vol . 3 . P . 293 .

(٥) Price : Op . Cit . Vol . 3 . P . 293 .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 667 .

ميرانشاه من الاستمرار في محاصرة بغداد[(١)] ، فعاد مسرعا الى تبريز لمواجهة أولئك الخارجين عليه والمتمردين على سلطانه[(٢)]. وهكذا أخفقت محاولة ميرانشاه في استعادة بغداد .

ب - الحملة الثانية : حملة الأمير زاده رستم على بغداد سنة ٨٠٢هـ-١٣٩٩م .

أدى سوء أفعال الأمير ميرانشاه في تبريز ، وعدم اكتراثه بتنظيم أمورها ، الى تمرد الكُرْجستانيين[(٣)] عليه ، خاصة وأن المناخ أمامهم كان مناسبا منذ توجه تيمورلنك الى بلاد الهند ، فاغتنموا هذه الفرصة وأعلنوا تمردهم على التيموريين[(٤)] ، ومن جانب آخر كان الأمير طاهر بن أحمد بن أويس محاصرا في قلعة النجق من قبل جند تيمورلنك ففي غيبة ميرانشاه ابان حصاره لبغداد تمكن الأمير طاهر ومن معه من الهروب بمساعدة الجورجيين الذين تمكنوا أيضا من الانتصار على جيش تبريز[(٥)] .

وازاء ذلك اضطر تيمورلنك الى التوجه سريعا الى آذربيجان للقضاء على الفتن فيها ، واصلاح ما أفسده ابنه ميرانشاه ، فتقدم نحو تبريز وأدب ابنه

---

(١) استمر الحصار على بغداد يومين فقط .
انظر : اليزدي : ظفرنامه ، ٢٠٢/٢ .
خواندامير : حبيب السير ، ٥١/٣/٣ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 667 .

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٠٢/٢ .
خواندامير : حبيب السير ، ٥١/٣/٣ .
عباس العزاوى : العراق بين احتلالين ، ٢٣١/٢ .

(٣) هم سكان الكُرْج ، وكرجستان هي التى نسميها جورجيا الآن ، لم تدخل في عداد الولايات الاسلامية الا بعد فتح تيمورلنك هذه النواحى في ختام المئة الثامنة ، وتفليس قصبتها .

كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ٢١٦

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٠٣/٢ .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٦٠٤ .
عباس العزاوى : العراق بين احتلالين ، ٢٣١/٢ .

(٥) الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٩٤
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 669 .

وأعوانه المتلاعبين بشئون الحكم ، ثم توجه الى الجورجيين وتمكن من هزيمتهم (١) ثم وجه تيمورلنك بعد ذلك حفيديه أمير زاده رستم وبير محمد الى بغداد وأمدهما بألفي جندي ، الا أن الأمير بير محمد توقف في منتصف الطريق متعللا بمرض مفتعل وعاد الى شيراز (٢) •

وبرغم هذا الخلل الذي تركه انسحاب بير محمد واصل رستم وجنده سيرهم ، وتمكنوا من الاستيلاء على عدد من المدن التابعة للسلطان أحمد بن أويس دون عناء ، وألحقوا بها كعادتهم التخريب والتدمير (٣) • ثم توجه الأمير رستم الى مدينة مندلي (٤) ، فحاول نائبها من قبل السلطان أحمد صده ومقاومته لكنه لم يستطع ، فتمكن رستم من الاستيلاء على المدينة وأمر بنهبها وتدميرها (٥) ، وعلى الفور قام السلطان أحمد باغلاق أبواب بغداد ، وكسر الجسور والمعابر الموصلة اليها حتى يعوق دخول جيش رستم المنتصر الى المدينة (٦) ، وبالفعل توجه جيش رستم نحو بغداد ، لكنه لم يكمل حملته هذه حيث صدرت اليه أوامر

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١١٣ •
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٦٠٣ ، ٦٠٤
Price : Op . Cit . Vol . 3 . P . 304 , 305 .

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٢١١/٢ •
خواندامير : حبيب السير ، ٥١/٣/٣ •

(٣) خواندامير : حبيب السير ، ٥٢/٣/٣
Price : Op . Cit . Vol . 3 . 306 .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 668 .

(٤) مندلي : وتسمى قديما البندنيجين ، وهي بلدة مشهورة في طرف النهر ، وهى على نحو ٩٣ كيلو متر من شرق باعقوبا قرب الحدود العراقية الايرانية وهى اليوم مركز قضاء باسمها في لواء ديالى بالعراق •

كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٨٨ •

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٣٢/٢ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٩٦ •
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 668 .

(٦) خواندامير : حبيب السير ، ٥٣/٣/٣ •
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢١٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 668 .

تيمورلنك بالعودة سريعا الى شيراز ليكون حاكما عليها بدلا من أخيه بير محمد ، فاضطر الى العودة لتولية منصبه الجديد ، ونجا أحمد من هزيمة مؤكدة [(١)] •

ج - تأزم موقف السلطان أحمد بن أويس في بغداد وخروجه منها :

لم تتغير سياسة السلطان أحمد بن أويس السابقة مع رعيته عند عودته للحكم مرة ثانية سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م ، بل استمر في ظلمه وطغيانه واشباع شهواته ولم يستفد من التجارب السابقة التى مرت به فيقوم بتحصين بلاده وتقوية جيشه لمواجهة تيمورلنك •

ويذكر بعض المؤرخين أن تيمورلنك أرسل الى السلطان أحمد الأمير شروان [(٢)] بحجة أنه انهزم منه ويريد الانضمام الى السلطان أحمد ، وعندما قدم الى السلطان أعلن الطاعة والخضوع له فقوبل بالحفاوة والتكريم [(٣)] • وكان شروان قد اصطحب معه ألف فارس وحمل مالا كثيرا ليقسمه بين أمراء وأتباع السلطان أحمد خفية ، وذلك ليستميل به قلوبهم فيقبضون على السلطان ويسلمونه اليه ، فلم يترك أحد من الأمراء أو المقربين الا وأعطاه شيئا [(٤)] ، وكان كل ذلك يحدث والسلطان في غفلة عنه [(٥)] •

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٣٢/٢ •
خواندامير : حبيب السير ، ٥٣/٣/٣ •
Price : Op . Cit . Vol . 3 . P . 307 .

(٢) هو شروان بن شيخ بن براق منصوري حاكم خوزستان من قبل تيمورلنك ، كان حاكما ظالما سخر كل قدراته في تكديس الثروة وقام باعدام الكثير من المواطنين وسلب أملاكهم • ولم تذكر المصادر الفارسية التي بين أيدينا أن تيمورلنك هو الذي بعثه الى السلطان أحمد بن أويس • انظر: الغياثي : التاريخ الغياثي ، حاشية رقم (١٢) ص ١٩٦ •
Price : Op . Cit . Vol . 3 . P . 307 .

(٣) الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٩٦ •
محمد أسعد طلس : عصر الانحدار ، ص ٣٥ •
Price : Op . Cit . Vol . 3 . P . 308 .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 668 .

(٤) Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 668 .
Price : Op . Cit . Vol . 3 . P . 308 .

(٥) الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١١٩ •
Price : Op . Cit . Vol . 3 . P . 308 .

وقد ساعد الله السلطان أحمد ، عندما سقطت مذكرة تحتوى على المبالغ التى وزعت والرجال الذين منحت لهم ، من أحد الكتاب الذين يعملون في خدمة شروان ، ووقعت في يد أحد أعوان السلطان أحمد الذي قام بتسليمها له فأمر السلطان بقتل جميع من ورد اسمه في تلك المذكرة (١) ٠

وقد قدر البعض عدد هؤلاء القتلى بألفى رجل (٢) ٠ ويبدو أن هذا العدد مبالغ فيه فلو أن السلطان قتل من أبرز رجاله وقادة جيشه ألفين ، فمن يبقى في الدولة من رجال الحرب والادارة بعدهم ؟ ، أما الأمير شروان فكان السلطان قد أرسله مع بعض الأمراء لمحاربة قبيلة أويرات المتمردة عليه ، ولما افتضح أمره أرسل في أثره أحد قادته فقتله ، وأرسل رأسه الى بغداد (٣) ، وتعقب بقية الخونة وقضى عليهم جميعا ، ولم يعد يثق في أحد وضاقت في وجهه السبل ، حينئذ قرر التوجه الى قرايوسف التركمانى طالبا منه العون والمساعدة (٤) ٠

وتجمع المصادر العربية أن سوء سيرة السلطان أحمد وقتله لكثير من أمراء دولته ومصادرته لأموالهم ، قد غير القلوب عليه فثار من بقى من الأمراء عليه وأخرجوه من بغداد وكاتبوا نائب تيمورلنك بشيراز أن يحضر اليهم ، فاستنجد أحمد بصاحب الموصل قرايوسف التركمانى وتوجها الى بغداد

---

(١) ميرخواند : روضة الصفا ، ٢٤٢/٦ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٢١ ٠
Price : Op . Cit . Vol . 3 . P . 308 .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 668 .

(٢) الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٢١ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 668 .
عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ٢٣٢/٢ ، ٢٣٤ ٠

(٣) الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٢٠ ٠
Price : Op . Cit . Vol . 3 . P . 308 .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 668 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٣٢/٢ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٢٢ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٥٣/٣/٣ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 668 .

وتمكن أهل بغداد من هزيمتهما (١) .

ومهما يكن الأمر فان محاولة السلطان أحمد وحليفه قد باءت بالفشل حيث وصلت اليهما الأخبار بقدوم تيمورلنك نحو سيواس (٢) ، وان قسما من قواته يتجه نحو الشام ، وحيال هذا التطور أقر الحليفان أنه ليس بوسعهما الصمود أمام قوات تيمورلنك ، وفتر عزمهما على المقاومة .

فرأى السلطان أحمد أن أى تأخير منه سوف يؤدى الى سد طريق الهرب والوقوع في قبضة تيمورلنك (٣) . لذلك جمع أمواله وحريمه وتوجه هووحليفه الى العثمانيين (٤) ، وأثناء سيرهما وقع بينهما سوء تفاهم أدى الى انفصالهما (٥) ،

---

(١) المقريزي : السلوك ، ١٠٢١/٣/٣ .
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٠٨/٢
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره ، ٢١٥/١٢ .
السخاوى : الضوء اللامع ، ٢٤٥/١/١ .

بينما تذكر المصادر الفارسية غير ذلك أن السلطان أحمد بن أويس طلب من التركمانيين أن يتوجهوا معه الى بغداد ، ويقومون بنهبها ، وتوجه الجميع الى الجانب الغربي لنهر دجلة وعسكروا في مواجهة المدينة ، لكن السلطان ندم على هذا العمل وطلب من التركمانيين الانتظار وعدم الهجوم ، وعبر هو بسفينته ودخل داره ، وجمع أكبر قدر من المال والخيل والأسلحة والأقمشة ، وعاد الى قرا يوسف ودفع اليه الكثير من الهدايا والمال فرضى بها .
انظر : اليزدي: ظفرنامه ، ٢٣٢/٢ ، خواندامير: حبيب السير ، ٥٥٣/٣/٣ .

ونعتقد أن هذه الرواية غير صحيحة وهدف قائليها الى تشويه سمعة السلطان أحمد واظهاره بمظهر العميل ضد بلاده .

(٢) سيواس : بلد بالروم مشهور ، وتقع على نهر قزل ايرمق ، وأهلها مسلمون ونصارى ، والمسلمون تركمان ، وهى ذات هواء بارد ، يكثر فيها القطن والقمح .
القزوينى : آثار البلاد ، ص ٥٣٧ .
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٣٤/٢ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٨٢ .
Price : Op . Cit . Vol . 3 . P . 311 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٣٥/٢ .
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره ، ٢٦٦/١٢ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢١٠ .

(٥) يذكر ابن حجر العسقلانى في كتابه انباء الغمر ، ١٤٨/٢ أن بعض الجند نصح أحمد وعرفه ان قرايوسف يريد الغدر به فلما تحقق من ذلك فر منه ورجع أحمد الى سيواس ثم توجه الى العثمانيين .

فتوجه السلطان أحمد الى العثمانيين مستنجدا بالسلطان بايزيد (١) فأحسن استقباله واحتفى بقدومه ، ثم قدم بعد ذلك قرايوسف وفعل معه مثل مافعل مع السلطان أحمد (٢) •

(١) هو بايزيد الأول وهو النطق التركى للاسم العربي أبويزيد ويلقب يلدرم أي الصاعقة : سلطان العثمانيين ، وهو ابن مراد الأول ولد سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وتولى الحكم سنة ٧٩١هـ - ١٣٨٩م ، ومات في بلدة آق شهر سنة ٨٠٥هـ - ١٤٠٣م •

ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢/٢٢٥ •
ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٧/٤٣٧ •
دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ٦/١٦٤ •

(٢) أحمد دده منجم باشى (ت١١١٣هـ) : صحائف الأخبار في وقائع الآثار ، ترجمه الى التركية من الأصل العربي اسماعيل ارونال ، الجزء الأول ، ص ١٤٣ •

حافظ أبرو : شهاب الدين عبدالله بن لطف الله بن عبدالرشيد الخوافى (ت ٨٣٨هـ) زبدة التواريخ بايسنغرى [قسم منه وهو الجزء الثاني من كتاب تاريخ فتوحات الأمير تيمور كوركان المعروف بظفرنامه لنظام الدين شامى] بسعى واهتمام : فلكس تاور ، جابخانه دولتى يداكوزيك ، براج ، ١٩٥٦م ، ١٥٥ •

ميرخواند : روضه الصفا ، ٦/٣٤٥ •
Price : Op . Cit . Vol . 3 . P . 312 .

د - الحملة الثالثة : غزو تيمورلنك بغداد سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م ودور حركة المقاومة :

بعدما تأكد تيمورلنك من هرب السلطان أحمد وحليفة قرا يوسف الى العثمانيين ، لم يتوجه الى بغداد ، وسار بجيشه نحو بلاد الشام وتمكن من هزيمة المماليك في معركتي حلب ودمشق سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م •

وكانت خطة تيمورلنك التالية التوجه الى العثمانيين والقضاء على خصمه يلدرم بايزيد وأعد العدة من أجل ذلك ، الا أنه فضل تأخير هجومه عليهم والتوجه الى بغداد أولا حيث تنكرت بغداد لسلطته ، ولم ينجح ولده ميرانشاه سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٨م ، وحفيداه سنة ٨٠٢هـ - ١٣٩٩م في استعادة بغداد الى حكمه ، ورأى تيمورلنك أن بغداد تمثل منعطفا هاما في تحركاته المقبلة ضد العثمانيين نظرا لأهميتها التاريخية والسياسية والاقتصادية • فليس من الحكمة أن يتركها وينصرف عنها • وقد يكون لها أثر بليغ في المعارك المقبلة فهي تمثل بؤرة خطر على مؤخرته خاصة عند الاصطدام مع العثمانيين (١) ، لذلك رأى تيمورلنك أن يجعل بغداد هدفا لجولته المقبلة ضد العثمانيين •

ويذكر المؤرخون أنه ما أن رحل تيمورلنك عن ماردين (٢) حتى أمر قسما من

---

(١) هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ١٣٣ •
محمد فياض : تيمورلنك ، ص ١٠٤ •

(٢) كان تيمورلنك قد هاجم ماردين سنة ٧٩٦هـ ، وقبض على حاكمها الظاهر عيسى ، وقد قاسى الظاهر من معاملة تيمورلنك السيئة ابان سجنه الا أن تيمورلنك عفا عنه سنة ٧٩٩هـ ، وأعاده الى حكم ماردين بشروط منها : الخضوع له ، وضرب السكة باسمه وأن يقبض على علاء الدين الطنبغا نائب صاحب ماردين ويرسله اليه ، فحلف على تنفيذ ذلك وأعاده الى بلاده ، الا أن الطنبغا تمكن من الهرب مستغيثا بالسلطان المملوكي برقوق الذي أحسن وفادته •
وكان الظاهر قد وعد تيمورلنك بالتوجه معه عند ذهابه لمحاربة المماليك ، الا أن الظاهر لم يلتزم بما وعد به ، فغضب تيمورلنك منه وتوجه لمحاربته بعد هزيمته للمماليك في الشام وقام بمحاصرة قلعة ماردين الحصينة الا أنه تركها بعد حصار استمر عشرة أيام وأصدر أوامره بتخريب المدينة ، وبعدما تمكن تيمورلنك من هزيمة العثمانيين سنة ٨٠٥هـ ندم الظاهر على أفعاله مع تيمورلنك وطلب من شاه رخ أن يتوسط له عند أبيه تيمورلنك فتوسط له وعفا تيمورلنك عنه ، وتعهد بدفع مايترتب عليه من خراج سنويا وتزوج حفيد تيمورلنك أبوبكر بن ميرانشاه من احدى بنات الظاهر عيسى •
انظر في ذلك :
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٥٣/٢ ، ٣٥٤ •
ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٤٥٣/١/٩ •
العيني : عقد الجمان ، ص ٣٥٩ •

قواته يبلغ عشرين ألف رجل بالتوجه الى بغداد بقيادة الأمير زاده رستم (١) • وبصحبة الخان محمود ، وقد وصلت هذه القوة وعسكرت الى الجنوب من بغداد (٢) •

وكان السلطان أحمد بن أويس قبل هروبه أناب عنه في حكم بغداد أحد أمرائه واسمه [فرج] وهو شخصية مجهولة (٣) •

واستنجد فرج بالقبائل العربية ، فتوافد عليه الأعراب من الأطراف الأربعة ، وقد أخذهم الحماس فتوجهوا نحو قوات تيمورلنك التى تمكنت من تشتيتهم (٤) •

كما أن أمراء المدن المجاورة لبغداد ، ما أن علموا بقدوم تيمورلنك حتى قاموا بجمع شملهم وتحالفوا مع فرج لمواجهته وكان في مقدمة هؤلاء الأمراء علي قلندر حاكم مندلي ، وجان أحمد حاكم باعقوبا وفروخ شاه حاكم الحلة وغيرهم ، وتجمعت هذه القوات عند صَرصَر ، وبلغ عددها ثلاثة آلاف محارب للدفاع عن بغداد (٥) •

أما قوات الأمير زاده رستم فقد تمكنت من تطويق المدينة ثم نشبت بين الطرفين معركة كبيرة انتهت بانتصار الجيش التيموري (٦) •

---

(١) يذكر المؤرخون أن تيمورلنك أمر قواده اذا استولوا على بغداد أن يجعلوا الأمير زاده رستم حاكما عليها •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٠٨/٢ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٨٢ •

(٢) Sami : Op . Cit . P . 286 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٥٦/٢ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٨٢ •
Price : Op . Cit . P . 359 .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 669 .

(٣) يذكر البعض أنه كان من قوم جلاير وأنه كان يتمتع بشجاعة كبيرة •
انظر : اليزدي : ظفرنامه ، ٣٥٦/٢ •

(٤) Sami : Op . Cit . P . 286 .
خواندامير : حبيب السير ، ٦١/٣/٣ •

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٥٧/٢ •
خواندامير : حبيب السير ، ٦١/٣/٣ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٢٤ •
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 669 .

(٦) Sami : Op . Cit . P . 286 .
اليزدى : ظفرنامه ، ٣٥٧/٢ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٢٤

وتذكر بعض المصادر أن فرجا حرص على الدفاع عن المدينة بكل الوسائل الممكنة خوفا من أن تفلت بغداد من يده ، ويفقد مكانته فيها ، كما أنه استمر في عناده معتمدا على قوة حصن المدينة (١) ، وتأييد الأهالي له (٢) ٠

ولم يتمكن أحد من الجيش التيموري من الاقتراب من أسوار المدينة حيث كان المقاومون يرشقون بنبالهم كل من يحاول الاقتراب من أسوارها (٣) وقتل عدد من جيش تيمورلنك (٤) ٠

ويتفق المؤرخون العرب والفرس على أن النائب فرجا أبى تسليم المدينة للتيموريين ، على الرغم من الفرق الشاسع بين القوتين ، وأنه قال : [[ان السلطان أحمد أمرنى بأن أقسم له على أن لا أسلم المدينة الا اذا حضر تيمورلنك بنفسه ، والا فليس أمامنا سوى الحرب]] (٥) ٠

وتتحامل المصادر الفارسية على فرج ، وترى أنه بقوله ذلك خدع أهل بغداد ، وأنه في حقيقة الأمر يفتقر الى عنصر الأصالة في وصوله الى هذا المنصب والجاه ، لذلك لم يرغب في التخلي عنه (٦) ٠

ونرى أن فرجا نجح في شحذ همم رجال المقاومة وأهل البلاد ، وتجددت ثقتهم به لأنهم رأوا فيه مثالا للتضحية والشجاعة ٠ ومهما يكن الأمر فانه ما

---

(١) كانت المدينة مستحكمة للغاية ، وكانت قد تحصنت في الوقت الذي حكمها فيه مسعود السبزوارى من قبل تيمورلنك فأصبح خندقها وبرجها محصنين تماما ٠

Sami : Op . Cit . P . 287 .

(٢) Sami : Op . Cit . P . 286 .

(٣) Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 670 .

(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٨٣ ٠

(٥) Sami : Op . Cit . P . 286 .
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢/٢٠٨
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٨٢ ٠
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢١٣ ٠

(٦) Sami : Op . Cit . P . 286 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢/٣٥٨ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي ، حاشية رقم (٢) ، ص ١٢٥ ٠

أن وصلت الى تيمورلنك أخبار مقاومة فرج للتيموريين ، وفشل قواته في احتلال بغداد حتى قرر التوجه بنفسه اليها عن طريق التن كوبرك الواقع قرب الموصل (١) وعندما وصل الى المدينة عسكر بقواته أمام بوابة قرية العقاب وعسكر جزء (٢) من الجند عند أطراف وجوانب المدينة وتم مسح المكان من كل الجهات (٣) ٠

وعلى صعيد آخر ما أن علم فرج بقدوم تيمورلنك حتى بعث اليه رسولا يثق به على أنه رسول منه ، وكان هذا المبعوث قد سبق له التعرف على شخصية تيمورلنك ، وتؤكد المصادر الفارسية أن تيمورلنك أكرم المبعوث وخلع عليه (٤) ، وأخبر المبعوث فرجا بصحة قدوم تيمورلنك ، الا أن فرجا تظاهر بعدم تصديقه وأمر بسجنه ، وأصر على انكار قدومه ، كما أنه أقنع رجال الحامية بضرورة مواصلة الحرب دون أن يفكر في عاقبة ذلك التهور للفرق الشاسع بين القوتين (٥) ٠

ولما رأى تيمورلنك اصرار فرج ومن معه على المقاومة أصدر أوامره الى ابنه شاه رخ عند مدينة قولاغي (٦) للالتحاق به عند بغداد لحصارها (٧) ٠ وفور وصوله عقد اجتماع كبير لاستعراض الموقف ، وأمر تيمورلنك باجراء استعراض لفرسانه

---

(١) يذكر تيمورلنك في تزوكاته صفحة ١٥٠ [انه عندما وصل الأمراء الى بغداد لاخضاعها قاومهم نائبها فرج ، فرأيت من الصلاح أن أذهب بنفسي لاحتلال المدينة] ٠

(٢) تقع قرية العقاب على الجانب الغربي من نهر دجلة ٠
Price : Op . Cit . Vol . 3 . P . 361 .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٠/٢ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٦١/٣/٣ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 670 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦١/٢ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٦١/٣/٣ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 670 .

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦١/٢ ٠
Sami : Op . Cit . P . 287 .

(٦) تقع هذه المدينة في أغلب الاحتمالات في كردستان على طريق تبريز ٠
Price : Op . Cit . Vol . 3 . 362 .

(٧) Sami : Op . Cit . P . 287 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦١/٢ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 670 .

أمام أسوار بغداد ، وقد اندهش رجال المقاومة وهم يرون مدينتهم محاطة من جميع النواحي بهذا العدد الهائل من الجند (١) ، كما أن تيمورلنك أعطى أوامره بتشييد جسر عبر نهر دجلة ، أسفل المدينة ليتمكنوا من استخدامه لعبور النهر في حين اختبأ النبالون ورماة السهام في كمائن بالقرب منه لقطع الطريق على الحامية عند الهرب (٢) .

كما أنهم أغلقوا جميع الطرق ، وشددوا حصارهم على المدينة ، فساءت أحوالها وحل الجوع والغلاء بها (٣) .

ويذكر بعض المؤرخين أنه على الرغم من حصار تيمورلنك الشديد للمدينة ونجاح جنده من هدم وتدمير أجزاء من الحيطان الخارجية لسور المدينة ، الا أن رجال الحامية كانوا يقومون على الفور باصلاح ماخرب بالطوب والملاط (٤) .

واستمر الحصار لمدة أربعين يوما . ويحاول المؤرخون الفرس وغيرهم تبرير طول مدة الحصار لأكثر من أربعين يوما (٥) ، بأن تيمورلنك كان لايرغب في الاستيلاء عليها عنوة ، حيث كان يأمل أن يستسلم نائبها دون تعريض المدينة للتخريب والتدمير وقتل سكانها الأبرياء ، كما أن تيمورلنك لم يوافق على طلب قادته بهجوم شامل وعام ، لشعوره بأن أهالي المدينة سوف يزداد احساسهم

---

(١) Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 670 .
Price : Op . Cit . Vol . 3 . P . 362 .

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٢/٢ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 670 .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٢/٢ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٨٣ .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٢٦ .

(٤) Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 670 .
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ١٣٣ .

(٥) Sami : Op . Cit . P . 287 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٤/٢ .
خواندامير : حبيب السير ، ٦١/٣/٣ .

بالخطر المحدق بهم ، فيضطرون في النهاية الى التسليم (١) ، ولكن هل كان مؤرخو تيمورلنك صادقين في قولهم هذا ؟ .

لانعتقد ذلك لأن تيمورلنك لم يكن يهمه سوى تحقيق النصر بأسرع وسيلة ممكنة ، فلو كان حريصا على أهالي بغداد ، وعدم تعريض مدينتهم للدمار ، فلماذا لم يفعل ذلك معهم عند غزوه لها عام ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م ؟ والراجح أن تيمورلنك وجد مقاومة شديدة من أهل بغداد أجبرته على اصدار أوامره بتوجه ابنه اليه معونة على رأس قوة كبيرة وعلى كل حال فان المقاومة استمرت على جسارتها ومتانتها ، ولم يتزعزع موقفها تجاه تيمورلنك ، رغم تعرضهم لنقص الماء والغذاء ، ولكنهم مع ذلك كانوا يمثلون عقبة كؤودا أمام تيمورلنك (٢) •

هكذا سارت الأمور ، الى أن حدث ذات يوم وقت الظهيرة أن الحامية انسحبت من مراكزها من شدة الارهاق بسبب حرارة الشمس اللافحة تاركين عمائمهم وخوذاتهم معلقة على الرماح لايهام جند تيمورلنك بوجودهم (٣) •

كما أنهم اعتقدوا أن جيش تيمورلنك لن يهاجمهم في مثل هذه الساعة (٤) ، فذهبوا الى بيوتهم لتناول طعامهم بعد أن أعيتهم شدة الحرارة •

وهنا استغل التيموريون هذه الفرصة وتمكنوا من الاقتراب من سور المدينة من جهة برج العجمى وتسلقوا السور عنده (٥) ثم استولوا بعد ذلك على

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 288 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٤/٢ •
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 671 .

(٢) Price : Op . Cit . Vol . 3 . P.P. 363 - 364 .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٥/٢ •
خواندامير : حبيب السير ، ٦٢/٣/٣ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ١٢٦ •

(٤) كانت حرارة الجو في ذلك الوقت مرتفعة جدا اذ أن الشمس كانت في برج السرطان ، ويقال أن أى سرطان في قاع المحيط في هذه الفترة يشوى السمك ، وان الطيور كانت تسقط ميته • انظر :
Price : Op . Cit . Vol . 3 . P . 363 .

(٥) جاء في الغياثي ص ١٢٦ حاشية رقم (٧) ، ان برج العجمى يقع قريبا من باب الحلبة في الزاوية الجنوبية الغربية وهو ينسب الى الشيخ عبدالقادر الكيلاني وكان أهل بغداد يسمونه بالعجمى قبل نبوغه واشتهاره •

بقية الأسوار ودقت الطبول ايذانا ببدء الهجوم العام ، وحدث اندفاع هائل أدى الى سقوط الأسوار فوق الخنادق •

ودخل جند تيمورلنك المدينة حيث كانت الفاجعة عظيمة اذ ألقى عدد كبير من أهالي بغداد بأنفسهم في مياه دجلة لينجو سباحة ، لكن قوات تيمورلنك تمكنت من قتل وأسر أعداد كبيرة منهم (١) •

وتشير المصادر التي بين أيدينا الى أن النائب فرجا وابنته وبعضا من أتباعه المخلصين حاولوا الهرب بواسطة قارب خاص الا أن قوات تيمورلنك أمطرت قاربه بوابل من السهام ، فألقى ومن معه بأنفسهم في النهر ، ومات الجميع غرقا ، وتمكن جند تيمورلنك من انتشال جثة فرج الى خارج النهر لكي يراه الناس وليكون عبرة لمن تسول له نفسه مواجهة تيمورلنك (٢) •

واختلف المؤرخون في زمن دخول تيمورلنك بغداد فمنهم من يقول أنه دخلها في يوم عيد الأضحى العاشر من ذي الحجة من سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م فضحى بذبح المسلمين (٣) •

ويرى الآخرون ان احتلاله لها كان في ٢٧ من ذي القعدة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م (٤) •

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 289 .

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٦/٢ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٨٤ •
خواندامير : حبيب السير ، ٦٢/٣/٣ •
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢١٣ •

(٣) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٠٨/٢
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٨٣ •
القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٠٩

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٥/٢•
خواندامير : حبيب السير ، ٦١/٣/٣•
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢١٣ •

هـ - مافعله تيمورلنك في بغداد سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م :

بعد تمكن تيمورلنك من احتلال بغداد أصدر أوامره باشاعة القتل العام فيها ، دون أي تفريق ، وتعلل المصادر الفارسية ذلك بأن عددا كبيرا من أمرائه وجنده قتلوا ابان حصارهم للمدينة ، كما أن استمرار البغداديين في مقاومتهم وعدم استسلامهم له رغم حرصه على عدم التعرض لهم ولمدينتهم بأي أذي أو خطر ، زاد من حقده عليهم ، فأصدر أوامره باقتحام بغداد عنوة لتكون عبرة لمن يعتبر (١) . ونرى أن طبيعة تيمورلنك الدموية التدميرية كانت وراء اصداره لذلك الأمر . وكانت مذبحة بغداد عامة ومروعة ، حيث أمر تيمورلنك كل فرد من جنوده أن يحضر رأسا لأحد الضحايا (٢) أو أن يحضر رأسين (٣) .

ولم يسلم من تلك المجزرة سوى علماء الدين الذين ذهبوا الى معسكر تيمورلنك الغازي وطلبوا وقف هذه المذبحة وانقاذ أرواح الأبرياء من أهل بغداد ، فاحتجزهم عنده فسلموا بذلك ونجوا من القتل (٤) . وهذا القول انما يريد أن يجعل من تيمورلنك قائدا رحيما وعطوفا برجال الدين وهذا ماكان يزعمه مؤرخوه دائما .

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 289 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٧/٢ .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 671 .
Kennedy : Op . Cit . P . 86 .

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٧/٢ .
خواندامير : حبيب السير ، ٦٢/٣/٣ .
رضا باروكي : تاريخ ايران ، ص ٢١٣

(٣) خواندامير : حبيب السير ، ٦٢/٣/٣ .
Grousset : Op . Cit . P . 434 .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P.p. 671 .

(٤) Sami : OP . Cit . P . 289 .
خواندامير : حبيب السير ، ٦٢/٣/٣ .
Grousset : Op . Cit . P . 434 .
Kennedy : Op . Cit . P . 77 .

وتجمع المصادر العربية التي بين أيدينا أن تيمورلنك بنى قرابة مائة وعشرين مئذنه من جماجم القتلى كدليل على انتصاره وعظمته (١) •

كذلك اختلفت تقديرات المؤرخين حول ضحايا هذه الواقعه الأليمة فانحصرت بين تسعين ألفا (٢) ، ومائة ألف (٣) ، وهناك من يرى أن عددهم كان أكثر من مائتى ألف (٤) ، سوى من قتل في أيام الحصار ، أو قتل في مضيق أو مات في دجلة وهو غريق ، فقد ذكر أن خلقا ألقوا بأنفسهم في المياه وماتوا غرقا (٥) ونرى أن بعض هذه الأرقام مبالغ فيها ، باعتبار أنها لاتعتمد على الاحصاء الدقيق ولكنها تدل على مدى جسامة وبشاعة الكارثة ، وكثافة العدد الذي قتل فيها •

ويؤكد Nizam uddin Sami وغيره هذا المعنى بقولهم : بأن جند تيمورلنك لم ينظروا لأي فرق بين شيخ في الثمانين وطفل في الثامنة من عمره وأعملوا فيهم السيف جميعا ، ولم يبق من سكان بغداد سوى واحد من المائه فقط ، وصدرت الأوامر بأسرهم (٦) • ويذكر صاحب كتاب نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق • أنه عندما نزل تيمورلنك العراق ثانية هلعت قلوب الأهلين وخاف اليهود هذا الطاغية فتوجهوا هاربين من القرى المجاورة واجتمعوا ببغداد ،

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٨٤ •
ابن تغرى بردي : المنهل الصافى ، ١٢٥/٤ •
ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٦٥/٧ •

(٢) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٤٨/٢ •
ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ، ١٢٥/٤ •
Grousset : Op . Cit . P . 435 .

(٣) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٤٨/٢ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهره ، ٢٦٦/١٢ •

(٤) ذكر ابن حجر العسقلانى في كتابه أنباء الغمر ١٤٨/٢ ، أن عدد القتلى وصل مائة ألف ، ثم عاد وذكر في صفحة ٢٠٨ أن عددهم بلغ تسعين ألفا ، وذكر في صفحة ٤٦٧ أنهم كانوا نحو مائتين وخمسين ألفا •

(٥) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٨٣ •

(٦) Zafer Nama : Op . Cit . P . 289 .
Browne : Op . Cit . P . 197 .
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 671 .

الا أن كثيرين منهم قتلهم التتار • ويقال أن أصحاب تيمورلنك قتلوا في تلك السنة نحو عشرة آلاف يهودي في البصرة والموصل وحصن كيفا (١) •

وما أن فرغ تيمورلنك من ذلك حتى أصدر أوامره مرة أخرى بتسوية المدينة بالأرض وعدم ترك شيءمنها سليما ، فأمر بحرق وتدمير القصور والبيوت والكنائس والمباني والأسواق فأصبحت مأوى للبوم والغراب (٢) •

أما المساجد والمدارس والزوايا فأمر بألاتمس بأى ضرر (٣) • (٤) - ونتسأل ماذا ينفع هذا العمل ، فهل هذه المساجد والمدارس والزوايا أكثر حرمة من دماء المسلمين ؟ أظن ان هذا مجرد محاولة من أولئك المؤرخين لترميم سمعة هذا الطاغيه السيئة عن طريق ابراز عدم تعرضة لما ذكروه وهم مذنبون مثله-•

ويصف ابن عربشاه حال المدينة ابان خروج تيمورلنك منها:[[ان تيمورلنك خرب المدينة بعد أن أخذ مابها من أموال مخزونة ، وأفقر أهلها ، وأفقر منازلها ، وجعل عاليها سافلها ، وصارت بغداد بعد أن كانت مدينة السلام ، دار السام وأسروا من بقى من ضعفة أهلها فتمزق ، ومزقتهم أيدي الزمان كل ممزق بعد أن كانوا في ظلال ودلال ، ومن مساكنهم في جنتين عن يمين وشمال ، فاليوم عشش البوم والغراب في أماكنهم ، وأصبحوا لاترى الا مساكنهم]] (٥) •

---

(١) انظر : يوسف رزق الله غنيمة : نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ، الطبعة الأولى ، مطبعة الفرات ببغداد ، ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م ، ص ١٥٠ •

Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 671 .

(٢) Sami : Op . Cit . P . 289 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٩/٢ •
القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٩٠ •

(٣) تذكر بعض المصادر الفارسية أن جند تيمورلنك هدموا بعض المساجد •
انظر : Sami : Op . Cit . P . 284 .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، الترجمة العربية ، ص ٦٠٥

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٩/٢ .
خواندأمير : حبيب السير ، ٦٢/٣/٣ •
Grousset : Op . Cit . P . 435 •
Kennedy : Op . Cit . P . 87 .

(٥) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٨٤

و - الوضع السياسي في العراق بعد خروج تيمورلنك .

لم يمكث تيمورلنك في بغداد سوى عدة أيام[(١)] بسبب تعفن هوائها من نتن الجثث المنتشرة في كل مكان[(٢)] . فاضطر الى الانسحاب منها متوجها الى تبريز عن طريق كردستان ، وعندما وصل الى منبع نهر جغتو[(٣)] ، جرى له استقبال حافل ومكث هناك قرابة عشرين يوما ، أجرى خلالها مباحثات ومناظرات علمية مع العلماء والمثقفين[(٤)] ، ثم توجه الى تبريز متفقدا أحوالها وأمورها[(٥)] وأخيرا استقر به المقام في مدينة قراباغ وذلك في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة ٨٠٤هـ - ١٤٠١م[(٦)] .

وكان تيمورلنك قبل ذلك قد بعث بفرقة من جيشه الى مدينتي الحلة وواسط وتم نهبهما وتدميرهما وظفرت قواته بغنائم كثيرة[(٧)] ، كما أن حفيده محمد سلطان قدم اليه من سمرقند على رأس قوة كبيرة تمهيدا للهجوم على العثمانيين[(٨)] . وكان السلطان أحمد وحليفة قرايوسف قد هربا الى العثمانيين ،

---

(١) حدد اليزدي في كتابه ظفرنامه ، ٣٦٩/٢ خروج تيمورلنك في العشر الأول من ذي الحجة .

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٦٩/٢ .
خواندامير : حبيب السير ، ٦٢/٣/٣ .
رضا باروكى : تاريخ ايران ، ص ٢١٣ .
Kennedy : Op . Cit . P . 86 .

(٣) يقع هذا النهر في جنوب بحيرة أرمية .
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٩٤ .

(٤) Sami : Zafer Name . P . 289 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٧٢/٢ .
محمد أسدالله صفا : تيمورلنك ، ص ٢٠٢ .

(٥) Sami : Zafer Name . P 290 .

(٦) Sami : Zafer Name , 290 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٢/٢ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٨٤ .

(٧) Sami : Op . Cit . P . 291 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٧٠/٢ .

(٨) Sami : Op . Cit . P . 291 .

وما أن علما بتوجه تيمورلنك لمحاربة السلطان العثماني حتىهربا نحو العراق، وسارا من قلعة الروم بمحاذة شاطئ الفرات (١) • ويذكر بعض المؤرخين أن السلطان أحمد عندما وصل الى مدينة هيت (٢) اجتمع حوله بعض أتباعه المشتتين في الأطراف وتوجه بهم نحو بغداد ، وحاول جادا أعادة بناء ماتهدم ، وتجميع جيشه من جديد (٣) •

لكن تيمورلنك لم يترك له الفرصة في اعادة بناء قوته مرة أخرى فقام بتنظيم أربع فرق من جيشه لتذهب في اتجاهات مختلفة لتطويق العراق ، متحديا الأحوال الجوية غير الملائمة حيث أمر بذلك في منتصف شتاء ٨٠٤هـ – ١٤٠١م • فانطلقت الفرقة الأولى عن طريق كردستان وخوزستان نحو واسط ، وتحركت الثانية نحو بغداد ، وتوجهت الثالثة من الموصل الى مندلي فبغداد ، أما الرابعة فتحركت من تبريز الى كردستان فالجزيرة (٤) ، وكان الهدف من ارسال هذه الفرق القضاء على السلطان أحمد ، واخماد الثورات التى أثارها ظهوره في بعض المدن وقد حققت الفرق ماكلفت به بنجاح وتمت السيطرة الكاملة على مندلي وواسط وكردستان وغيرها (٥) •

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٤/٢ •
خواندأمير : حبيب السير ، ٦٣/٣/٣ •

(٢) سميت باسم بانيها ، وهو هيت بن البندي : بلدة على الفرات فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة ، على جهة البرية في غربي الفرات •

ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٤٢٠/٥ ، ٤٢١ •
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٤٦٨/٣ •

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٤/٢ •
حافظ أبرو : زبدة التواريخ ، ص ١٦٥ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٢٠٣ •
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 672 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٤/٢ ، ٣٨٥ •
خواندأمير : حبيب السير ، ٦٣/٣/٣ •
Howorth : History of the Nongols . Vol . 3 . P . 642 .

(٥) Sami : Zafer Name , P.P. 293 , 294 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٦/٢ ، ٣٨٨ •

ويذكر المؤرخون أن الجيش المكلف بالتوجه نحو بغداد كان بقيادة الأمير زادة أبي بكر ، وأمير جهانشاه اللذين تمكنا من اغلاق الطرق على السلطان أحمد ودخلا بغداد على غفلة أدت الى ارتباك السلطان فلم يتمكن من ارتداء ملابسه من شدة الخوف والاضطراب ، واضطر الى الهرب على متن سفينة مع جماعة من أتباعه وعبروا الى الجانب الغربي من النهر متوجهين صوب الحلة (١) •

وعندما تأكد التيموريون من هرب السلطان أحمد أسرع الأمير جهانشاه لملاحقته في الحلة فوجد الجسر مقطوعا والسلطان قد هرب صوب جزر خالد ومالك باسفل الفرات (٢) ، وتمكن جهانشاه من احتلال الحلة والقضاء على كل من يرتاب فيه (٣) ، ويبدو أن السلطان أحمد لم يغادر العراق هذه المرة فما أن علم بخروج الجيش التيموري من بغداد وعودة الفرق الأخرى الى قراباغ بأذربيجان استعدادا للتوجه الى محاربة السلطان العثماني بايزيد حتى عاد مسرعا الى بغداد واستعادها لحكمه • وعين ابنه طاهرا حاكما على الحلة والبقاع المجاورة (٤) •

وعلى الرغم من محاولة السلطان أحمد اعادة الحياة والاستقرار الى بغداد الا أن سلطته كانت ضعيفة كما أن علاقته ساءت بابنه طاهر الذي أعلن الثورة عليه ، واتفق مع مجموعة من الأمراء على محاربة أبيه ، وعندما علم

---

(١) Sami : Zafer Name , P . 297 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢/٣٨٩ •
خواندامير : حبيب السير ، ٣/٣/٦٣ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٢٠٣

(٢) Sami : Op . Cit . P . 294 .
Howorth : History of the Mongols , Vol . 3 . P . 72 .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٢٠٤

(٣) الغياثي : المصدر السابق ، ص ٢٠٤ •
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 672 .

(٤) خواندامير : حبيب السير ، ٣/٣/٧١ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٢٠٦
يوسف كركوش : تاريخ الحلة [القسم الأول في الحياة السياسية] الطبعة الأولى ، النجف : الحلة ، المكتبة الحيدرية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م • ص ٩٩ •

السلطان أحمد باتفاقهم ، بعث يستنجد بحليفه قرايوسف الذي تمكن من السيطرة على هيت وتعهد بأن يساعده في أزمته ، فتوجه اليه قرايوسف بجيش من العرب والتركمان • (١) ويذكر المؤرخون أن معركة طاحنة نشبت بين الأب وابنه تحقق خلالها النصر للأب وانهزم الابن هاربا ، ويقال انه سقط هو وفرسه في أحد الأنهار ومات غريقا ، ونال أحمد وحليفة مغانم ومكاسب كبيرة • (٢)

الا أن الود والصفاء لم يدم طويلا بين الحليفين حيث تخوف السلطان أحمد من قوة قرايوسف وطمعه ، وجشع جنده ، ففضل العودة الى بغداد ، في حين خرج قرايوسف من الحلة صوب بغداد واستولى عليها (٣) واضطر السلطان أحمد الى الهرب (٤) نحو تكريت وقدم له واليها سارق عمر الأويرات بعض المال وعددا من الجياد والأسلحة والتحق به عدد من اتباعه المخلصين واتجه الجميع نحو الشام • (٥)

ويذكر المؤرخون أنه وصل الى حلب في صفر سنة ٨٠٦هـ - ١٤٠٣م ، وكتب الى السلطان المملوكي فرج يعتذر عما بدر منه في السابق ، ومتى لم يقبل عذره فسوف يذهب الى بلاد الروم فأنزله نائب حلب في قصر السعادة وأعلم

---

(١) المقريزي : السلوك ، ١١٠٧/٣/٣ •
ابن حجر العسقلاني ، انباء الغمر ، ٢٣٨/٢ •
اليزدي : ظفرنامة ، ٥١٨/٢ •

(٢) المقريزي : السلوك ، ١١٠٧/٣/٣ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٣٨/٢ •
اليزدي : ظفرنامة ، ٥١٩/٢ •
يوسف كركوش : تاريخ الحلة ، القسم الأول ، ص ٩٩ •
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 673 .

(٣) المقريزي : السلوك ، ١١١٨/٣/٣ •
خواندامير : حبيب السير ، ٧١/٣/٣ •

(٤) وصف الغياثي ص ٢٠٨ كيفية خروج السلطان أحمد من بغداد هاربا أنه عندما دخل قرايوسف بغداد هرب أحمد ليلا أخرجه منها رجل يقال له قرا حسن ، حمله على كتفه وقطع به نحو خمسة فراسخ حتى وصلا الى حشمي من الاحشام وأخذ منه ثور ركبه السلطان أحمد وتوجه مع قرا حسن الى تكريت •

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٥١٩/٢ •
خواندامير : حبيب السير ، ٧١/٣/٣ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٢٠٨ •
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 673 .

السلطان بذلك • فورد المرسوم الشريف من الناصر فرج باعتقاله في قلعة حلب (١) ثم طلب الى القاهرة ، فلما وصل الى دمشق ورد المرسوم الشريف باعتقاله بقلعة دمشق (٢) • أما قرايوسف فقد أصبح العراق العربي تحت سيطرته (٣) • ولكن هذه السيطرة لم تستمر طويلا فعندما أنهى تيمورلنك حروبه مع العثمانيين قررا ارسال فرقة من جيشه بقيادة حفيده أبي بكر للقضاء على قرايوسف (٤) ، كما أنه أصدر أوامره الى الأمير زاده رستم في برجرد (٥) باللحاق بأخيه لمساعدته وانضم الجيشان معا بالقرب من الحلة فعبرا النهر سويا وأدركوا قرايوسف جنوب الحلة على شاطئ نهر الغنم المقابل لقرية سيب (٦) والتقوا بجيشه ودارت معركة عنيفة تحقق النصر خلالها لجيش تيمورلنك وقتل يار على شقيق قرايوسف وأسرت زوجته وخدمها وأتباعها وفر قرايوسف بصعوبة الى الرحبة (٧) مع عدد قليل من

---

(١) المقريزي : السلوك ، ١١١٦/٣/٣ •
ابن الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ١٨١/٢ •
السخاوى : الضوء اللامع ، ٢٤٥/١

(٢) ابن الخطيب الناصريه : الأول من الدر المنتخب ، الورقه ٦٠ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ١٨١/١٣ •

(٣) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٦٧/٢ •
اليزدي : ظفرنامة ، ٥١٩/٢ •
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 673 .
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٢٠٨ •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٥٢٠/٢ •
خواندامير : حبيب السير ، ٧١/٣/٣ •

(٥) بلدة بين همذان وبين الكرخ كانت تعد في القرى ، ثم كبرت وصارت مدينة•
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٨٩/١ •
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ •

(٦) السيب : نهر بالبصرة فيه قرية كبيرة ، ويذكر كى لسترنج انها تقع على ثلاثة فراسخ فوق دير العاقول •
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢٩٣/٣ •
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٥٥ •

(٧) اليزدي : ظفرنامه ، ٥٥٣/٢ ، ٥٥٤ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ١٨٣/٢ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٢٠٩ •
خواندامير : حبيب السير ، ٧١/٣/٣ •

أتباعه وتم نهبه من قبل الأعراب فتركها متجها الى دمشق (١) ٠

وغنم التيموريون غنائم كثيرة في هذه المعركة وتمكنوا من السيطرة على العراق ، ثم شرع أبوبكر في عمارة بغداد وزراعة أراضيها وتشجيع الأهالي على القيام بذلك (٢) ثم صدرت أوامر تيمورلنك بتعيين حفيده أبي بكر حاكما على العراق وكردستان وديار بكر (٣) وبذلك عادت العراق مرة أخرى تحت الحكم التيموري ٠

ومهما يكن الأمر فان الحليفين المتنازعين السلطان أحمد وقرايوسف قد حطت بهما الرحال في دمشق ، وصدرت أوامر السلطان الناصر فرج الى نائبه في دمشق شيخ المحمودي (٤) بالقبض عليهما وسجنهما (٥) ٠ والواضح أن فرجا كان يخشى غضب تيمورلنك اذا أحسن استقبالهما واكرامهما ، كما أن ابن حجر العسقلاني ذكر أن فرجا أمر بالقبض عليهما تأكيدا للاتفاق المبرم بينه وبين تيمورلنك [[أن من جاء من عنده يحبس حتى يكاتب فيه ، وكذا من جاء من عندنا اليه]] (٦) ، لذلك

---

(١) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٦٣/٢ ٠
ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ٣٠١/١٢ ٠

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٥٥٤/٢ ، ٥٥٥ ٠
خواندأمير : حبيب السير ، ٧١/٣/٣ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٢١٠ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 673 .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٥١٧/٢ ٠
خواندأمير : حبيب السير ، ٧١/٣/٣ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 673 .

(٤) هو الملك المؤيد شيخ بن عبدالله المحمودي ولد سنة سبعين وسبعمائة ، تعلم الفروسية من اللعب بالرمح والرمي بالنشاب والضرب بالسيف ، أخذ يترقى حتى صار أمير عشرة وتأمر على الحاج سنة ٨٠١هـ ، وناب في طرابلس ، ولما حاصر تيمورلنك حلب خرج مع العسكر فاسر ثم خلص منه بحيلة عجيبة وهي أنه القى نفسه بين الدواب فستره الله فأعيد الى نيابه طرابلس ، ثم ولي نيابة الشام وجرت له خطوب وحروب ثم تغلب على السلطنه سنة ٨١٥هـ واستمر سلطانا خمس سنين وخمسة أشهر ٠
السخاوي : الضوء اللامع ، ٣٠٨/٣/٢ ٠
الشوكاني : البدر الطالع ، ٢٨٣/١ ٠

(٥) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٦٤/٢ ٠
المقريزي : السلوك ، ١١١٨/٣/٣ ، ١١١٩ ٠
ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، ١٦٤/١٤ ٠
القلقشندي : صبح الأعشى ، ٣٣٠/٧

(٦) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٦٤/٢ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٢١١ ٠

بعث السلطان فرج الى تيمورلنك يخبره بأنه تم القبض على السلطان أحمد وقرايوسف فأجابه تيمورلنك أن يرسل اليه السلطان أحمد مكبلا بالسلاسل (١) والحديد ، ويكفيه أن يرسل رأس قرايوسف وهناك من يذكر أن السلطان فرج أصدر (٢) مرسوما لنائبه بقتلهما الا أن النائب مراعاة لعدم خرق قوانين الضيافة وحق اللجوء توقف عن تنفيذ ذلك الأمر ، وراجع فيه السلطان فرج (٣) ٠

والواقع أن أوضاع الدولة المملوكية يومئذ كانت سيئة للغاية لنشوب التنازع بين الأمراء في القاهرة ، وامتداد أثرها الى بلاد الشام (٤) ، ونتيجة لتلك الأحداث ، ولوصول أخبار وفاة تيمورلنك سنة ٨٠٧هـ - ١٤٠٥م أطلق نائب دمشق سراحهما (٥) ، فذهب قرايوسف الى تبريز ، وسار السلطان أحمد الى بغداد ودخلها في ٥ محرم سنة ٨٠٨هـ - ١٤٠٥م بعد أن هرب حاكمها من قبل تيمورلنك دولة خواجة ايناق (٦) ٠

وقام السلطان أحمد بعد ذلك بمحاولة جادة لاصلاح ماخرب الا أنه في خضم تلك الاصلاحات ثار عليه ابنه أويس فتمكن أحمد من القضاء على ثورته (٧) ٠

---

(١) جاء في كتاب صبح الأعشى للقلقشندي ٣٣٠/٧ نص رسالة السلطان فرج الى تيمورلنك وجاء في احدى فقراتها :"أن تأخيرنا الخواجه نظام الدين مسعود هذه المدة الا لأمر عرض من قضية السلطان أحمد وهربه من بغداد الى حلب ، وجهزنا من يحضره الى دمشق ليحصل منه الأرب ، ثم بعد ذلك بأيام ورد الخبر من كافل الشام بوصول قرايوسف بن قرامحمد الى دمشق في نفر قليل ، فجهزنا أحد الأمراء الى كافل الشام ٠ بمثال شريف ، يتضمن القبض على السلطان أحمد وقرايوسف المذكور ، وايداعهما الاعتقال بقلعة دمشق المحروسة وفاء للعهد" ٠

(٢) الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٢١١ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 674 .

(٣) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٦٤/٢ ٠
وليم موير : دولة المماليك في مصر ، ص ١٢٥ ٠

(٤) أنظر في ذلك حوادث سنة ٨٠٧هـ فهناك تفصيل واسع عن هذا النزاع في كل من كتاب انباء الغمر بأنباء العمر ، والسلوك لمعرفة دول الملوك ، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٠

(٥) يذكر السخاوي في كتابه الضوء اللامع ، ٢١٧/٦/٣ ، ان السلطان أحمد وقرايوسف عندما تقابلا في السجن اعتذرا لبعضهما عما بدر منهما وتصالحا ٠

(٦) ميرخواند : روضة الصفا ، ٥٥٠/٦ ، ٥٥٢ ٠
د٠ صالح محمد العابد ، وآخرون : العراق في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣م ص ٥٥٦ ٠

(٧) علي ظريف الأعظمي : تاريخ بغداد ، ص ١٦٠ - ١٦١ ٠

ومهما يكن الأمر فان الخلاف بين أحمد بن أويس وقرايوسف كان حائلا دون الاستقرار ففي سنة ٨١٣هـ - ١٤١٠م هاجم السلطان أحمد تبريز بجيش كبير واشتبك مع قرايوسف بمعركة قرب المدينة انتهت بهرب السلطان أحمد ومقتله (١) • وتقدم جيش قرايوسف فاستولى على بغداد في جمادى الأولى سنة ٨١٤هـ - ١٤١١م وانتهى بذلك الحكم الجلايري في العراق (٢) •

---

(١) المقريزي : السلوك ، ١٤١/١/٤ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٦٨/٢ •
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٦٤/١٤ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٢٨١/٢ •
السخاوي : الضوء اللامع ، ٢١٧/٦/٣ •

(٢) المقريزي : السلوك : ١٤٦/١/٤ - ١٤٨ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٦٠/٢ •
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٦٤/١٤ •
ميرخواند : روضة الصفا ، ٥٨٣/٦ •

ز - نتائج الغزو التيموري على العراق ٠

أثر الغزو التيموري المتلاحق على العراق والدولة الجلايرية بشكل خاص تأثيرا كبيرا في مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والثقافية ٠ وكان من أهم النتائج التى ترتبت على الغزو التيموري مايلى :

في الجانب السياسي :

من خلال ماعرضناه في الصفحات السابقة من الأحوال العسكرية والسياسية المتدهورة التي كانت قائمة في العراق عندما داهمها تيمورلنك ، نستنتج ان هذا الغزو كان الضربة الأولى التى أضعفت الجلايريين فتقلص نفوذهم وسيطرتهم على المدن العراقية القريبة من بغداد ، وأدى الغزو الى قتل أعداد كبيرة من العسكريين فزاد من ضعف الدولة وساهم في انهاكها سياسيا واداريا ٠

ونستطيع أن نؤكد ان غزوات تيمورلنك المتكررة على العراق كانت السبب المباشر في سقوط الدولة ، وأن مقتل السلطان أحمد سنة ٨١٣هـ - ١٤١١م أجهز عليها تماما ٠

وفي الجانب الاقتصادي :

ساعد الضعف السياسي والعسكري في العراق على سوء الحالة الاقتصادية وتأثرها تأثرا كبيرا ابان الغزو التيموري وبعده ، فقد أنهكت الدولة الجلايريه بعد استيلاء تيمورلنك لأذربيجان وحرمت الدولة من موارد اقتصادية هامة كانت تدر الخير على الجلايريين ، وتضررت حركة التجارة من الغزو التيمورى ، حيث كان كثير من سكان بغداد وغيرها من المدن العراقية يشتغلون بالتجارة ، ويذكر الظاهر برقوق سلطان المماليك في مصر والشام في رسالة كتبها الى تيمورلنك في جمادى الأولى سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٣م أن تيمورلنك قتل ثمانمائة تاجر من أهل بغداد بالمصادرة والعقوبة والعذاب (١) ٠

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٣١٤/٧ ٠

ودمر الغزو التيموري الأسواق والمحلات التجارية والخانات بصورة همجية (١) فتدهورت الحالة الاقتصادية ، وانكمش التبادل التجاري وفقدت بغداد والبصرة والكوفة وواسط مراكزها التجارية التي عرفت واشتهرت بها ، كما أن تيمورلنك صادر أهل بغداد ثلاث مرات سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م وفي كل مرة كان يأخذ منهم مبلغا كبيرا من المال ، حتى وصل مجموع ما أخذه منهم مائة ألف ألف وخمسة وثلاثين ألف ألف درهم بعد أن تفنن في عقوبتهم وسقاهم الملح والماء وشواهم على النار ولم يبق لهم مايستر عوراتهم (٢) •

كما أن النشاط الزراعي أخذ في الانحسار والضعف بسبب الغزو وماقام به الغزاة من حرق للمزارع وقتل للمزارعين وهجرة البعض الآخر فلم تجد الأرض من يقوم بزراعتها وحرثها ، فقل الانتاج الزراعي بصورة كبيرة كما أن انتشار الأوبئة والقحط قد أدى الى نقصان الانتاج الزراعي اذ كان يفتك بالقوى العاملة وبالمواشي وقد تكرر حدوثه ابان الغزو التيموري في السنوات ٧٩٧هـ - ١٣٩٤م ، ٨٠١هـ - ١٣٩٨م ، ٨٠٣هـ - ١٤٠١م (٣) •

فتضررت من ذلك العراق تضررا كبيرا وعانى السكان من القحط والمجاعة فترة طويلة •

كما أن حركة الصناعة تعرضت للانكماش لما رافق الغزو من قتل عام ، ففقدت الأيدي العاملة ، ويتفق بعض المؤرخين على أن تيمورلنك كان يحرص على ترحيل كافة الحرفيين والصناع والفنانين وكل من كان علامة دهره وأعجوبة عصره من البلدان المحتلة الى سمرقند ، وجبى اليها ثمرات كل شئ فكان بها من أهل كل فن عجيب (٤) •

---

(١) اليزدي : ظفرنامه، ٣٦٩/٢ •
خواندامير : حبيب السير ، ٦٤/٣/٣ •
(٢) المقريزي : السلوك ، ٧٩٠/٣/٣ •
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٤٧٥/٣/١ •
(٣) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٤٠١/٢/٩ •
المقريزي : السلوك ، ٨٢٩/٢/٣ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٨٨/١ •
(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣٢٨ •
اليزدي : ظفرنامه ، ٦٤٢/١ •

وكان للغزو أثره في توقف الحركة التجارية بين المدن حيث كانت قوافل التجار عرضه للسلب والنهب سواء من قبل جيش تيمورلنك أو من قبل غارات قطاع الطرق الذين كانوا يستغلون هذه الفرصة في السلب والنهب لقوافل التجارة وازداد نشاطهم فترة الغزو للعراق وقد أثر ذلك كثيرا على الموارد الاقتصادية لانعدام الأمن وعدم القدرة على تأمين طرق التجارة فارتفعت الأسعار وزاد الغلاء •

ويؤكد اليزدي أن القوافل التجارية الكبيرة التى تسلك الطرق الرئيسية كانت تضطر أن تصحب معها عددا من الرماة للدفاع عنها وحمايتها من القبائل الكردية والتركمانية التي كانت تهاجمها (١) •

وفي الجانب الاجتماعى :

ان الوضع الاجتماعي لأية دولة يتأثر سلبا أو ايجابا بأوضاعها السياسية وقد تأثر هذا الجانب تأثرا كبيرا من جراء الغزو التيموري المدمر حيث قتل في خلال سنوات هذا الغزو أعداد كبيرة من الأهالي قدر عددها المؤرخون عند غزو تيمورلنك لبغداد سنة ٧٩٥هـ بثلاثة آلاف قتيل ، وسنة ٨٠٣هـ بأكثر من تسعين ألفا ، عدا (٢) مدن العراق الأخرى كالبصرة والكوفة والحلة وتكريت وغيرها فقد فعل فيهم مثل مافعل في بغداد من قتل وسبى ونهب ، وكانت سعادته تزداد عندما يرى أكبر عدد من القتلى يتساقط أمام عينيه وقد أقام من رؤوسهم الأبراج والمآذن كما يشير المؤرخون لتكون عبرة لمن يعتبر (٣) • ونتيجة لهذا

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٦/٢

(٢) ابن حجر العسقلاني ، انباء الغمر ، ٢٠٨/٢ •
ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ١٢٥/٤ •

(٣) القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٩٠ •
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٦٠٥ •
ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ٦٥/٧ •
لونكريك : ستيفن هيملى : أربعة قرون في تاريخ العراق الحديث ، نقله الى العربية ، جعفر خياط ، الطبعة الثانية • بيروت : دار الكشاف ، ١٩٤٩م ، ص ١٥ •

الغزو والمجازر التي أقامها تيمورلنك اضطر عدد كبير من السكان الى الهجرة من البلاد هربا من القتل والتنكيل والسلب والنهب فأدى ذلك الى تناقص عدد السكان بصورة خطيرة وترمل عدد كبير من النساء لقتل أزواجهن ، وتشرد الكثير من الأطفال فزاد ذلك في تفاقم الانحراف والضيق الاجتماعي ٠

الجانب العمراني :

وأثر الغزو في الناحية العمرانية حيث حرص تيمورلنك على تدمير المدن التي كانت تحاول الوقوف أمام زحفه المدمر ، فقام بتدمير شامل لمدن البصرة وواسط والحلة وتكريت وبغداد ، وتجمع المصادر أن تيمورلنك كان بعد احتلاله للمدينة يصدر أوامره بهدم وتدمير المنازل والمتاجر والمستشفيات ، والخانات وتسويتها بالأرض (١) ٠

ويذكر تيمورلنك بعد احتلاله لبغداد سنة ٨٠٣هـ [[أمرت بقتل جميع المفسدين والأوباش بها وبتدمير القلعة ومباني المدينة]] (٢) ٠

الجانب الثقافي :

كما أن الغزو التيموري للعراق أدى الى ركود الحركة العلمية والأدبية في البلاد فتوقف النشاط الثقافي لفقدان الأمن والاستقرار وتدهور الأحوال السياسية ، وقد كان للغزو أثره السيء على الحركة الفكرية حيث ضيق الخناق على الأهالي فأصبحوا لايلتفتون الى العلوم والآداب والتربية والتهذيب خوفا من بطش تيمورلنك ، وقد حرص تيمورلنك على نقل العلماء والفنانين الى

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 289 .
(١) خواند امير : حبيب السير ، ٦٢/٣/٣ ٠
Price : Op . Cit . Vol , 3 . P . 365 .

(٢) تزوكات تيمور ، ص ١٥٠ ٠

سمرقند ، وقد قتل ابان الغزو مجموعة من العلماء (١) ، وترك البعض الآخر (٢) البلاد هربا بحياته الى أماكن أكثر أمنا واستقرارا •

ولم تسلم المدارس والمعاهد العلمية والمكتبات من تدمير الغزو فكان لذلك اكبر الأثر في انحطاط الحركة الفكرية وتوقف الابداع الأدبي وحل الجهل في أرجاء العراق (٣) •

وبذلك كان للغزو التيموري آثاره السيئة والمؤلمة واستمرت العراق تعاني من ذلك سنوات مديدة •

---

(١) كان ممن قتل من هؤلاء العلماء العالم الفاضل أحمد بن صالح البغدادي خطيب جامع القصر ببغداد ، وكان من فقهاء الحنابلة مات قتيلا عند هجوم تيمورلنك سنة ٧٩٥هـ • انظر :

ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٥٨/١ •
عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ٢٢٥/٢ ، ٢٢٦ •

(٢) كان من بين هؤلاء العلماء الهاربين محمد بن محمد بن عبدالله الواسطي المعروف بابن العاقولي رئيس العلماء بالمشرق برع في الفقه والآداب والعربية ، مدرس المدرسة المستنصرية ، وعندما نازل تيمورلنك بغداد نهبت أمواله وكتبه وسبيت حريمه حتى مات سنة ٧٩٧هـ •

ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٥٠٤/١ ، ٥٠٥ •
ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٣٥١/٦ ، ٣٥٢ •

(٣) يذكر نوري العاني ، ص ٣٢٠ ، أن رجلا من أكابر بغداد وجد مصحفا كان من جملة كتب السلطان التي نهبت أيام تيمورلنك ، فلما أعاده اليه طالبه بالكتب التي كانت مع المصحف وهدده بالقتل •
كما أن العالم محمد بن عبدالقادر بن عمر النجم السنجاري الواسطي قد ذكر أنه عندما غزا تيمورلنك العراق أخذت كتبه جميعها مع مقروؤاته ومسموعاته واجازاته ولم يبق له شيء من كتبه • وهذا يؤكد لنا مدى الدمار الذي أحدثه الغزو التيموري في الحياة الفكرية •

ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٥٦١/٣ •
السخاوي : الضوء اللامع ، ٦٧/٨/٤ ـ ٦٨ •

الفصل الثالث

علاقة تيمورلنك بالدولة المملوكية في مصر والشام
وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول
الوضع السياسي في الدولة المملوكية في
عهد السلطان الظاهر برقوق وعلاقته بتيمورلنك
٧٨٤ - ٨٠١هـ / ١٣٨٢ - ١٣٩٨م

المبحث الثاني
الوضع السياسي في الدولة المملوكية
في عهد السطان فرج بن برقوق
٨٠١ - ٨٠٢هـ / ١٣٩٩ - ١٤٠٠م

المبحث الثالث
الزحف التيموري على الشام
سنة ٨٠٢هـ / ١٤٠٠ - ١٤٠١م

المبحث الرابع
الزحف التيموري على دمشق
سنة ٨٠٢هـ / ١٤٠٠ - ١٤٠١م

المبحث الأول

الوضع السياسي في الدولة المملوكية في عهد السلطان برقوق ، وعلاقته بتيمورلنك .

٧٨٤ - ٨٠١هـ / ١٣٨٢ - ١٣٩٨م

أولا :

أ - الحالة السياسية في مصر والشام في عهد السلطان برقوق .

ب - اتصال حكام المناطق بالسلطان المملوكي برقوق ومحاولة تكوين جبهة موحده لمواجهة تيمورلنك .

ثانيا : علاقة السلطان برقوق بتيمورلنك .

أ - المفاوضات بين برقوق وتيمورلنك .

ب - استعدادات الدولة المملوكية لمواجهة الخطر التيموري .

ج - توجه برقوق الى بلاد الشام لمحاربة تيمورلنك سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م .

الوضع السياسي في الدولة المملوكية في عهد السلطان الظاهر برقوق .

أولا : أ - الحاله السياسية في مصر والشام في عصر السلطان برقوق .

حكم مصر والشام منذ سنة ٦٤٨ - ٩٢٣هـ - ١٢٥٠ - ١٥١٧م فرعان من المماليك (١) أطلق على الفرع الأول [دولة المماليك البحرية (٢) ٦٤٨ الى ٧٨٤هـ - ١٢٥٠ - ١٣٨٢م] وأطلق على الثاني [دولة المماليك الجراكسة أو البرجية (٣) من سنة ٧٨٤ الى ٩٢٣هـ - ١٣٨٢ - ١٥١٧م] وقد عرف حكم المماليك منذ بداية نشأتهم حتى وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالقوة والجهاد ضد أعداء الدين ٠

فقد انبرى المماليك لمواجهة الطوفان المغولي وتهديداته المتكررة ، فتمكنوا من الانتصار عليه في أكثر من معركة كان أعظمها شهرة معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م ٠ حيث انهزم فيها المغول هزيمة منكرة أنقذت خلاله البشرية من شرورهم وغاراتهم المدمرة (٤) ٠

---

(١) كما يتضح من مدلول اللفظ نفسه هم الرقيق الأبيض الذين أسروا في الحروب أو الذين بيعوا في أسواق النخاسة ، وتعهدهم من يشتريهم بالرعاية والعناية والتدريب العسكري ليكون عدتهم عند حدوث المنازعات أو الحروب مع غيرهم ، وأبدوا بسالة نادرة في المجال الحربي ٠
د٠ قاسم عبده قاسم : دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي ، دار المعارف المصرية ١٩٧٩م ، ص ٠٩ ٠
د٠ علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني ، الطبعة الخامسة ، القاهرة : مكتبة النهضه المصرية ١٩٦٤م ، ص ٢٠٣ ٠

(٢) دولة المماليك البحرية مؤسسها عزالدين أيبك التركماني (٦٤٨م-٦٥٥هـ) وكلمة البحرية أطلقت على طائفة المماليك قبل تأسيس دولتهم ، وهذه الطائفة هي التى أسكنها سيدهم الملك الصالح نجم الدين الأيوبي (٦٣٧ - ٦٤٧هـ) بجزيرة الروضة وبنى فيها ثكنات خاصة بهم ٠
المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار [الخطط المقريزيه] القاهرة : طبعة بولاق ، ١٢٧٠هـ ، ٩٠/٣ ٠
د٠ محمود رزق : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، المجلد الأول ، الطبعة الثانية ٠ القاهرة : المطبعة النموذجية ، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م ، ٢٣/١ - ٤١ ٠

(٣) قامت على أنقاض الدولة الأولى ، سميت بالبرجية أو مماليك البرج لأنها تنتمى الى لواء من الجند كان مقيما في القلعة ، وقد أكثر السلطان المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٩ - ٦٨٩هـ) من شرائهم حتى بلغ عددهم ٣٧٠٠ ٠ كما كانوا يسمون أيضا المماليك الشراكسة نسبة الى موطنهم الأصلي الذي أتوا منه وهو جورجيا وبلاد الشركس ٠
د٠ حسن علي ابراهيم : مصر في العصور الوسطى ، ص ٢٢٨ ٠
د٠ قاسم عبده قاسم : دراسات في تاريخ مصر ، ص ١٠

(٤) أبوالفداء : المختصر في أخبار البشر ، ٢٠٥/٣
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٨٠/٧ ٠
د٠ محمد جمال سرور ، دولة بني قلاوون في مصر ، ص ١٦٠ ٠

كما أن الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ - ٧٤١هـ - ١٢٩٣ - ١٣٤١م)(١) كان له دور فعال في مواجهة الزحف المغولي سنة ٦٩٩هـ - ١٢٩٩م في موقعة الخزندار(٢) وفي موقعة مرج الصفر سنة ٧٠٢هـ - ١٣٠٣م التي حقق فيها انتصارا كبيرا(٣) ، أظهر خلاله المماليك شجاعة وبطولة فائقة ، فكانت تلك المعركة نهاية لسلسلة الحروب المتواصلة بين الطرفين ، حيث لم تنشب بينهما حروب ذات أهمية(٤) حتى نهاية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) حيث جاءت حملات تيمورلنك المدمرة راغبة في انتزاع بلاد الشام من قبضة المماليك •

واستمر عصر المماليك الأول يشار اليه بالبنان • لكن بعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون (٧٤١هـ - ١٣٤١م) تغير الوضع بتعيين أبنائه وأحفاده الذين تولى أغلبهم السلطة وهم أطفال لايملكون القدرة والكفاءة على ادارة دفة(٥) أمور الحكم ، لصغر سنهم وقلة خبرتهم ، فانعكس ذلك على أوضاع البلاد في مختلف النواحي ، ودفع الأمراء الكبار الى السيطرة على زمام الأمور فنشبت الفتن والمنازعات والمؤامرات فيما بينهم •

وعلى كل حال فقد ظهر في الفترة الأخيرة من حكم أحفاد الناصر أمراء

---

(١) اعتلى الناصر محمد عرش مصر ثلاث مرات ، استمرت الفترة الأولى عاما واحدا أي من سنة ٦٩٣الى سنة ٦٩٤هـ ، ثم اغتصب الملك منه العادل زين الدين كتبغا ، فالمنصور حسام الدين لاجين ٦٩٦-٦٩٨هـ واستمرت فترة الاغتصاب هذه أربع سنوات ثم بدأ الناصر مرحلة سلطنته الثانية من سنة ٦٩٨هـ الى ٧٠٨هـ حيث تمكن بيبرس الجاشنكير من الاستيلاء على العرش بنفسه واستمر حتى سنة ٧٠٩هـ حتى خلع نفسه من السلطنه بعد تألب الأمراء عليه ، وعاد الناصر الى السلطنه للمرة الثالثة التي استمرت اثنتين وثلاثين سنة متصلة " ٧٠٩ - ٧٤١هـ " انفرد وحده بحكم مصر •
انظر : ابن دقماق ، الجوهر الثمين ١١٤/٢ - ١٧٢ •
العماد الحنبلي : شذرات الذهب ١٣٤/٦ - ١٣٥ •

(١) يقع هذا المكان في وادى الخزندار وهو بين حماة وحمص ، وقد انتصر المغول في هذه المعركة •
المقريزي : السلوك ، ٨٨٧/٢/١ - ٨٨٨ •

(٢) مرج الصفر:موقع بدمشق ، وتسمى أيضا شقحب وبينها وبين دمشق ستة فراسخ•
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ١٠١/٥ •
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ١٥٩/٨ •

(٣) المقريزى : السلوك ، ٩٣٤/٢/١ - ٩٣٧ •
محمد جمال سرور : دولة بنى قلاوون في مصر ، ص ١٩٧ •

(٤) كان من بين هؤلاء : سيف الدين أبوبكر (٧٤١ - ٧٤٢) ، وعلاء الدين كجك (٧٤٢هـ) وكان عمره لايتجاوز السابعة ، كذلك عندما اعتلى الحكم الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (٧٤٨هـ) لم يتجاوز عمره الحادية عشر، وكان حاجى بن شعبان (٧٨٣ - ٧٨٤هـ) هو اخر سلاطين المماليك من بيت الناصر محمد بن قلاوون وكان عمره عند اعتلائه الحكم يتراوح بين التاسعة والحادية عشر •
انظر : ابن دقماق : صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت٨٠٩هـ) • الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، تحقيق : محمد كمال الدين عزالدين علي ، الطبعة الأولى، بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ١٧٤/٢ - ٢٤٣ •

أقوياء أمثال بركة الجوباني (١) وبرقوق العثماني (٢) اللذان نجحا في التخلص من أينبك البدري (٣) صاحب الحل والعقد في دولة المنصور علي بن شعبان (٤) (٧٧٨-٧٨٣هـ) وسيطرا بركة وبرقوق على أزمة الأمور واقتسما خيرات البلاد فلم يكن يستطيع أحد أن يلي وظيفة الا بمال حتى تندر العامة بهما [برقوق وبركة نصبا على الدنيا شبكة] وكان ذلك نذيرا بسقوط دولة بني قلاوون فالسلطان لم يعد الا هيكلا ظاهريا وكان من سولت له نفسه بمركز دون ارادة برقوق كان نصيبة الهلاك والسجن (٥) • ثم خطط برقوق للقضاء على رفيق دربه بركة فقام أولا بالتقرب من الشراكسة وشملهم بعطفه وبوأهم المراكز الهامة ،

---

(١) هو بركة بن عبدالله الجوباني اليلبغاوى ، رفيق السلطان الظاهر برقوق ، وكان تركيا جلبه خواجه جوبان من بلاده الى الديار المصرية ، فاشتراه الأمير يلبغا الخاصكى وجعله من جملة مماليكه ، وترقى في المناصب أمير مائة ومقدم ألف وأمير مجلس ولما تولى برقوق الاتابكية صار بركة رأس نوبة الأمراء ، ثم وقع بينه وبين برقوق فتنة أوجبت قتالهما ، وتمكن برقوق من قتلة في سنة ٧٨٢هـ •

ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ٣٥١/٣ - ٣٥٤ •

(٢) هو برقوق بن آنص السلطان الملك الظاهر أبوسعيد برقوق العثماني اليلبغاوى سلطان الديار المصرية ، القائم بدولة الشراكسة، كان اسمه الطنبغا ، وقيل سودون فلما اشتراه الأتابك يلبغا العمرى سماه برقوق وجعله من جملة مماليكه ، وتقلب في المناصب من الجندية الى أمرة طبلخاناه ، ثم الى امرة مائة وتقدمة ألف وصار يترقى حتى أصبح هو السلطان سنة ٧٨٤هـ - ١٣٨٢م •

انظر : السخاوى : الضوء اللامع ، ١٢/٣/٢ - ١٤ •

(٣) عينه الملك المنصور علي بن الأشرف شعبان أتابك العساكر عوضا عن الأمير قرطاي الطازى ، ونودى في القاهرة ومصر [من كانت له ظلامة فعليه بباب أمير كبير اينبك البدرى] وتزايدت حرمته أضعافا كثيرة •
انظر : ابن اياس : بدائع الزهور ، ٢٠٣/٣/١ •

(٤) هو الملك المنصور على بن السلطان الملك الاشرف شعبان تولى الحكم بعد مقتل أبيه وهو ابن ثمان سنين وكان ذلك سنة ٧٧٨ - ٧٨٣هـ •

انظر : العيني : عقد الجمان ، ص ١٠
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٣٢/١ •

(٥) ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ١٦٣/١١ •
انطون خليل ضومط : الدولة المملوكية [التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري] ، الطبعة الثانية ، بيروت : دار الحداثة ، ١٩٨٢م ، ص ٢٨٦ •

ومنحهم الاقطاعات الكبيرة ، وتمكن من كسب حب الرعية بالغاء عدة مكوس[(١)] ، كما تمكن من القبض على رفيقه بركة بعد حروب نشبت بينهما ووضعه في السجن مع كل من كان يشك فيهم ، فازداد نفوذه ، ومع ذلك لم يعلن سلطنته حيث رأى ضرورة التريث حتى تسنح الفرصة المناسبة •

فبعد وفاة السلطان علي بن شعبان سنة ٧٨٣هـ - ١٣٨١م والذي لم يكن له من السلطة الا اسمها عرض على الأمراء والخليفة والقضاة تعيين حاجى بن شعبان سنة ٧٨٣هـ - ١٣٨١م[(٢)] • وأكد الخليفة في تقليده للأمير حاجى بالسلطنة أن يشترك معه الأمير برقوق في تدبير أمور الدولة فامضى الأمر على ذلك[(٣)] •

ويذكر البعض أن الحكم عندما آل الى الصغار من آل قلاوون كثرت الفتن في البلاد ، فقام الأمير برقوق سنة ٧٨٤هـ - ١٣٨٣م بجمع الأمراء والقضاة والعلماء ورجال الدولة وعرفهم أن الأمور مضطربة لصغر سن السلطان ، وأن الوقت يحتاج الى ملك عاقل يستبد بأحوال الدولة ، ويقوم بأمور الناس ، وينهض بأعباء الحروب ! فاتفقوا جميعا على خلع الملك الصالح حاجى ، وتعيين الأمير برقوق[(٤)] •

وبتولية برقوق الحكم سنة ٧٨٤هـ - ١٣٨٢م تكون الدولة المملوكية الأولى [البحرية] قد انتهت وقامت على أنقاضها الدولة المملوكية الثانية البرجية أو [الشركسية] •

---

(١) المقريزي : السلوك ، ٣٩٦/١/٣ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢١١/١ - ٢١٥ •
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ١٧٩/١١ •

(٢) المقريزي : السلوك ، ٤٣٩/٢/٣ •
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٢٠٦/١١ - ٢٠٧

(٣) ومن الجدير بالذكر أن هذا الشرط لم يذكره سوى ابن خلدون ، ٤٧٣/٥-٤٧٤ من المصادر التي أرخت لهذه المرحلة من تاريخ المماليك •

(٤) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٤٧٣/٥ - ٤٧٤ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٧٥/١ •
ابن أبي السرور : محمد بن السيد (١٠٨٧هـ) مخطوط النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية - دار الكتب القاهرة برقم ٢٢٦٦ تاريخ وميكروفلم رقم ١٧١٨ - ١٠٥٤٩ ، ورقه ١٦ أ •

ويعتبر برقوق المؤسس الحقيقي لهذه الدولة ، وكان من أهم الأحداث التي وقعت في عهده :

قيام برقوق بتقريب بني جنسه من الشراكسة وتعيينهم في المناصب الهامة ليكونوا سندا له عند نشوب المؤامرات والمنازعات ، ثم سعى في التخلص من مناوئيه وممن حامت حولهم الشبهات حتى وصف عهده في الفترة الأولى بأنه كان حكما ارهابيا (١) •

ومهما يكن الأمر فقد نشبت في عهد برقوق عدة ثورات كان منها :

ثورة الطنبغا السلطان الأشرفي (٢) نائب الابلستين (٣) سنة ٧٨٤هـ - ١٣٨٢م • لكن برقوقا تمكن من اخمادها (٤) • وبعدها بعام قامت ثورة أخرى من قبل الأمراء الأشرفية وبتأييد من الخليفة المتوكل على الله للاطاحة بحكم برقوق وقتله ، ولكنها باءت بالفشل ، وتم القبض على الخليفة وسجنه ، وعين خليفة آخرا يسمى الواثق بالله عمر بن ابراهيم بن أحمد بن العباس (٥) •

كما أن حاكم ملطية (٦) الأمير منطاش الاشرفى (٧) لم يرض بتولية برقوق السلطة،

---

(١) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٥٧/١ •

(٢) هو الأمير علاء الدين الطنبغا بن عبدالله الاشرفي نائب الابلستين من كبار الأمراء الأشرفية ، انضم الى منطاش عندما عصى على السلطان برقوق سنة ٧٨٩هـ ، وتوفى سنة ٧٩٦هـ بحلب •
انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٥٧/١ •

(٣) أبلستين : مدينة مشهورة ببلاد الروم •
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٧٥/١ •

(٤) العيني : عقد الجمان ، ص ٢٥ - ٢٦ •
المقريزي : السلوك ، ٤٨١/٢/٣ - ٤٨٢ •
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٩٢/٣/١ •

(٥) العيني : عقد الجمان ، ص ٣٧ - ٣٩ •
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ١٠٩/٣/١ - ١١٠ •

(٦) ملطية: بفتح أوله وثانية وسكون الطاء ، مدينة من بناء الأسكندر وهي من بلاد الروم ، مشهورة تتاخم الشام •
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٣٠٨/٣ •

(٧) منطاش الأشرفى نسبة الى الاشرف شعبان بن حسين كان اسمه تمربغا ، ثم تنقل الى أن ولاه الظاهر برقوق نيابة ملطية في سنة ٧٨٨هـ ، فجمع كثير من التركمان واظهر العصيان ، وكان مقتله سنة ٧٩٥هـ •
ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنه، ٣٦٤/٤ - ٣٦٥ •

فقام بجمع الأتباع والأعوان حوله وانضم اليه يلبغا الناصرى نائب حلب الذي (١) لم يكن هو الآخر مخلصا لبرقوق ، وكونا جبهة لمحاربته والقضاء عليه ، وعندما علم برقوق بذلك أرسل اليهما حملة لتأديبهما الا أن هذه الحملة منيت بهزيمة ثقيلة ، وكان لذلك صدى خطير في البلاد المصرية حيث أغلقت الحوانيت وتخوف الناس من قدوم الحليفين الى مصر (٢) •

توجه الحليفان الى مصر لمحاربة برقوق وعلى الرغم من استعداد برقوق لمواجهتهم الا أن خيانة دبرت بين صفوف جيشه ، حيث انفصل عدد كبير من الأمراء عنه ، وانضموا الى الجيش الشامي فضعف موقفه وحلت الهزيمة بجيشه بعد معركة كبيرة (٣) ، اضطر بعدها الى طلب الصلح والعفو من الحليفين وأعلن استسلامه فتم القبض عليه وأرسل الى قلعة الكرك ليسجن بها (٤) • على أن يلبغا الناصرى ومنطاش أعادا السلطان المخلوع حاجى بن شعبان للحكم مرة أخرى (٥) ، واستبشر الناس خيرا وظنوا أن أوضاعهم سوف تتحسن بهذا التغيير الجديد ، ولكن حدث العكس فقد ساءت الأوضاع واستبدا بالحكم وأصبح السلطان وليس له من

---

(١) يلبغا الناصرى بن عبدالله أحد كبار الأمراء وقد حكم في الدولة المملوكية أياما قلائل قتله برقوق سنة ٧٩٣هـ .

ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٣١/١ •

(٢) المقريزي : السلوك ، ٥٩٨/٢/٣ - ٥٩٩ •
العيني : عقد الجمان ، ١٥١ - ١٥٦
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٢٧٠/٣/١ •

(٣) ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ٢٧١/٢ •
السلامى : مختصر التواريخ ، ورقه ٨٥ أ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهره ، ٢٨٤/١١ •
Lane-Pool, S : History of Egypt the Middle Ages. London. 1936. P. 330 .

(٤) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٤٨٦/٥ •
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٢٨٩/١١ - ٣٢٧ •

(٥) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٤٨٦/٥ •
المقريزي : السلوك ، ٦٢٢/٢/٣ •
القدسي : محمد بن أبي حامد (القرن التاسع الهجري) : دول الاسلام الشريفة البهية وذكر ماظهر من حكم ابن الحنفية في جلب طائفة الأتراك الى الديار المصرية ، مخطوط بدار الكتب بالقاهرة • تاريخ ورقة ٦٢•
Lane-Pool, S: History of Egypt the Middle Ages, P. 330 .

الأمر شيء وتفاقم الضرر على الأهالي من الزمر والتركمان الذين قدموا مع يلبغا ومنطاش وتمنى الجميع عودة حكم برقوق (١) ٠

ولم يلبث يلبغا الناصري في منصبه طويلا حتى ثار عليه حليفه منطاش ، وتمكن من هزيمته والقبض عليه وسجنه وأصبح منطاش هو السيد المطاع والمتصرف بأمور الدولة (٢) ، ولكنه هو الآخر لم يستفد من أخطاء حليفه فقام بالقبض على الأمراء المماليك الشراكسة وقتل أعدادا كبيرة منهم ، وتفاقمت الاضطرابات في داخل البلاد من جديد (٣) ٠

ساعدت الظروف برقوقا على الخروج من سجنه في الكرك وتجمع حوله عدد كبير من المؤيدين الشراكسة والمناوئين لمنطاش ويلبغا (٤) ، فقوى موقفه بهم ، وتوجه للاستيلاء على دمشق لكنه هزم ، ولما علم منطاش بذلك توجه لمحاربته الا أنه هزم وتم القبض على السلطان حاجي شعبان والخليفة (٥) ، فأشار أعوان برقوق عليه بالتوجه الى القاهرة حيث أصبح الطريق أمامه مفتوحا وقد أحسن أهالي القاهرة استقباله وبذلك عاد برقوق الى الحكم مرة ثانية سنة ٧٩٢هـ - ١٣٩٠م (٦) ٠

وعلى الرغم من محاولة السلطان برقوق اعادة الهدوء والاستقرار في الدولة والقضاء على الفتن والثورات ، الا أنه فشل في تحقيق ذلك مبكرا حيث

---

(١) المقريزي : السلوك ، ٦٢١/٢/٣ - ٦٥٠ ٠

(٢) ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ٢٧٥/٢ ٠
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٢٨٢/١/٣ ٠

(٣) المقريزي : السلوك ، ٦٤٩/٢/٣ - ٦٥٠ ٠
القدسي : دول الاسلام الشريفة ، ورقه ٦٣ ٠

(٤) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٤٨٩/٥ ٠
ابن اياس : بدائع الزهور ٤١٣/٢/١ - ٤١٦ ٠
القدسي : دول الاسلام الشريفة ، ورقة ٦٤ ٠

(٥) المقريزي : السلوك ، ٦٩٢/٢/٣ - ٦٩٥ ٠
القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٠٦ ٠

(٦) العيني : عقد الجمان ، ص ٢٣٢ ٠
المقريزي : السلوك ، ٧٠٤/٢/٣ ٠
ابن ابي السرور : النزهة الزهية ، ورقه ١٦ ب ٠
Lane-Pool, S: History of Egypt the Middle Ages, P. 330 .

نشبت بينه وبين الأمير منطاش الحروب من جديد واستمر الوضع على هذا الحال حتى تمكن سنة ٧٩٣هـ - ١٣٩١م من القبض على رؤوس الأمراء الثائرين وعلى رأسهم الأمير يلبغا الناصرى وقتلهم،(١) كما أنه تمكن أخيرا من القبض على رأس الفتن منطاش وقتله سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م(٢) ٠

وبقتل هذين الأميرين هدأت الأوضاع وخاصة من جانب بلاد الشام(٣) ودام السلطان برقوق في الملك الى أن توفى بقلعة الجبل سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٨م(٤) ٠

---

(١) ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ٢٨٣/٢ ٠
العيني : عقد الجمان ، ص ٢٣٢ ٠

(٢) انظر ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ٢٨٥/٢ ٠
المقريزي : السلوك ، ٧٨٦/٢/٣ ٠
القدسي : دولة الاسلام الشريفة ، ورقه ٦٦ ، ٦٧ ٠

(٣) المقريزي : السلوك ، ٧٤٨/٢/٣ ٠

(٤) ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ٣٢٦/٣ ٠
السخاوي : الضوء اللامع ، ١٢/٣/٢ ٠

ب - اتصال حكام المناطق بالسلطان المملوكي برقوق ومحاولة تكوين جبهة موحدة لمواجهة تيمورلنك :

كان لموقف الدولة المملوكية المميز في مواجهة الزحف المغولي على العالم الاسلامي وهزيمتهم له في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م وغيرها من المعارك دور فعال في كسب هذه الدولة سمعة طيبة لدى جيرانها من الدول الأخرى ٠ وما أن تأسست الدولة المملوكية الثانية على يد برقوق سنة ٧٨٤هـ - ١٣٨٢م حتي فوجئت بغزو مغولي آخر بقيادة تيمورلنك الذي قدم من بلاد ماوراء النهر الى أراضي خراسان وفارس والعراق والحدود الشرقية للدولة المملوكية قاصدا السيطرة عليها ٠

ولقد فشل تيمورلنك في الاستيلاء على بلاد الشام ابان حكم السلطان برقوق الذي كان يمثل القوة الكبرى في المنطقة آنذاك رغم ماتعرض له حكمه في البداية من منازعات وفتن وحروب في مصر والشام حتى اعتقد البعض عدم اهتمام هذه الدولة بالخطر التيموري القريب من حدودها ، وذلك لانشغالها بمشكلات الداخل ، لكن المماليك لم يكونوا كذلك ، حيث حرصوا منذ بداية تأسيس دولتهم على حل مشاكلهم الداخلية بأنفسهم وتكاتفهم وتعاونهم عند حلول أي خطر خارجي عليهم وهذا مايؤكده موقف الدولة المملوكية من الزحف التيموري ٠

ولقد سعت الدول المجاورة الى كسب ود وصداقة السلطان برقوق ، فتقربت اليه متوددة وطالبة مساعدته لها ضد تيمورلنك ، فكان برقوق أهلا لتلك الثقة على الرغم مما كانت تعانيه بلاده من فوضى سياسية وتدهور اقتصادي ومادي كبير ، وسوف تكشف لنا الأحداث الجارية صدق مقولتنا هذه ٠

حرص حكام المناطق المجاورة على توطيد علاقاتهم الدبلوماسية مع برقوق حيث بعث اليه سنة ٧٨٥هـ - ١٣٨٣م أصحاب سنجار (١) وتكريت وقيصرية (٢) بهداياهم

---

(١) سِنْجار بالكسر ، ثم السكون ثم جيم وآخره راء : مدينة مشهورة من نَوَاحي الجزيرة في لحف جبل بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ٠
ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٢٦٢/٣ ٠
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٧٤٣/٢ ٠

(٢) قيصرية أوقيسارية: مدينة كبيرة في بلاد الروم كانت قرية ملك بنى سلجوق ٠
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١١٣٩/٣ ٠

وطلبوا منه الدخول في طاعته ، فأجيب سؤالهم وكتب لهم بذلك تقاليد وخلع على رسلهم (١) ٠

وفي سنة ٧٨٧هـ - ١٣٨٥م وصلت رسل من قبل السلطان تقتميش حاكم بلاد القفجاق الذين عبروا عن رغبة حاكمهم في اقامة علاقات طيبة بين المملكتين وأن يكونوا اخوة كما كان أسلافهم فرحب برقوق بذلك (٢) ٠

وترددت في عام ٧٨٨هـ شائعات في القاهرة تقول أن ثائرا من المغول يدعى تيمورلنك زحف نحو تبريز ، وسرعان ما تأكد ذلك رسميا عندما وصل مبعوث صاحب ماردين الملك الظاهر مجدالدين عيسى يخبر أن تيمورلنك استولى على تبريز ، وأن السلطان أحمد بن أويس انهزم الى بغداد (٣) ٠

ثم تتابعت أخبار تيمورلنك تتلاحق على السلطات المملوكية ، حيث وصلت رسالة بيد امرأة من السلطان أحمد بن أويس تخبر أن تيمورلنك توجه الى قراباغ ليقضى الشتاء بها ثم يعود لاحتلال بغداد والشام وأنه يجب أخذ الحيطة والحذر (٤) ٠

كما أن أخبارا أخرى وصلت الى القاهرة وأفادت بقرب الجحافل التيمورية من حدود الشام ، فترتب على ذلك قلق عظيم للسلطان ، وزاد من قلقه هزيمة قرا محمد التركماني (٥) وهروبه مع نحو مائتى فارس ونزوله بالقرب

---

(١) المقريزي : السلوك ، ٣/٢/٤٩٨ ٠
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١/٢٧٦ ٠
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ١/٣/١١١ ٠

(٢) المقريزي : السلوك ، ٣/٢/٥٣١ ٠
ابن حجر العقسلاني : انباء الغمر ، ١/٣٠١ ٠
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ١/١١٥ ٠

(٣) المقريزي : السلوك ، ٣/٢/٥٤٢ ٠
السلامي : مختصر التواريخ ، مخطوط ورقة ٨٤أ ٠
ابن قاضي شهبة : تاريخ قاضي شهبة ، ١/٣/١٨١ ٠

(٤) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١/٣١٢ ٠
ابن إياس : بدائع الزهور ، ١/٢/٣٧٨ ٠

(٥) هو الأمير قرا محمد التركماني صاحب الموصل وديار بكر ، وهو يعد مؤسس دولة القراقيونلية في تلك الجهات ، وربطته بالسلطان أحمد بن أويس علاقة طيبة وتزوج ابنة السلطان أحمد واستمر قرا محمد في الحكم الى أن قتل في معركة أهلية سنة ٧٩١هـ ، وتولى من بعده ابنه نصرخجا ابن قرا ٠
ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ٤/٣٢٠ ٠

من ملطية ، وتمكن تيمورلنك من الاستيلاء على آمد (١) ودخول فصائل من جيشه الى بلاد الجزيرة (٢) .

ثم قدمت أخبار سارة الى برقوق سنة ٧٩٠هـ - ١٣٨٨م تبشره باستعادة قرا محمد التركماني مدينة تبريز ، وأنه عين عليها ولده نصر خجا وخطب فيها باسم السلطان الظاهر برقوق ، وسأله أن يكون نائب السلطان فيها (٣) فأجيب الى سؤاله بالشكر والثناء (٤) . ويؤكد لنا دخول قرا محمد تبعية المماليك أن لهذه الدولة مكانة خاصة لدى حكام المناطق الأخرى ، حيث يجدون فيها المنقذ الفعال ضد أي هجمات خارجية يتعرضون لها .

ثم أفادت الأخبار بعودة تيمورلنك الى بلاده سنة ٧٩٠هـ - ١٣٨٨م وقد علل البعض أسباب عودته الى مقتل أعداد كبيرة من عسكره ، وكثرة الغلاء الذي حل بتبريز والبلاد التى قصدها (٥) .

ويذكر المؤرخون أن ثمة تعاونا تم بين الدولتين الكبيرتين المملوكية والعثمانية بعدما شعرتا بقرب الخطر التيموري من حدودهما ، فأرسل السلطان بايزيد الى السلطان برقوق رسله محملين بالهدايا وأخبروا بعودة تيمورلنك الى سمرقند (٦) .

---

(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ١٠/١/٩ .
العيني : عقد الجمان ، ص ١١٨ .
المقريزي : السلوك ، ٥٦٣/٢/٣ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ٨٨/٧ .

(٣) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٧/١/٩ .
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٣٣٧/١ - ٣٥٠ .
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٥٥/١١ .

(٤) العيني : عقد الجمان ، ص ١٣٧ .
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٣٥٠/١٢ .

(٥) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٢٤/١/٩ .
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٢٣٨/٣/١ .

(٦) المقريزي : السلوك ، ٥٧٤/٢/٣ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ١٦٧/١ .
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٣٩٠/٢/١ .

وتذكر المصادر التي بين أيدينا أن القاضي برهان الدين أحمد حاكم سيواس كان له دور فعال وبارز في ايقاظ الحاكمين برقوق وبايزيد وتحذيرهما من الخطر التيموري ، وأعلمهما بالخطاب المرسل اليه من قبل تيمورلنك حيث طلب منه أن يخطب باسم محمود خان وباسمه ، وأن يضرب السكة على طرز ذلك ورسمه ، وأنه رفض ذلك وقام بقطع رؤوس بعض رسل تيمورلنك وعلقها في أعناق الرسل الباقين ، وأشهرهم في بلاده ، وقام بارسال نصفهم الى السلطان برقوق والنصف الآخر الى السلطان بايزيد ، ثم قال لهما : [[اعلموا أني جاركما وديارى دياركما ، وأنا ذرة من غباركما ، وقطرة من بحاركما وما فعلت معه هذا مع ضعف حالي وقلة مالي ورجالي ، وضيق دائرتي وبلادي ، ورقة حاشية طريقي وتلادى ، الا اعتمادا على مظاهرتكما ، واتكالا على مناصرتكما واقامة لأعلام حرمة دولتيكما ، ونشر الرايات هيبة صولتكما ، فاني جنة شركما ووقاية نحركما ، وجاويش جنودكما ، وجاليش بنودكما ، وربيئة طلائعكما ، وطليعة وقائعكما ، والا فمن أين لي مقاومته ، وأنى يتيسر لي مصادمته ؟

وقد سمعتم أحواله ، وعرفتم مشاهده وأفعاله ، فكم من جيش كسر ، وقبيل أسر ومُلْك مَلَك ومَلِك أهلكَ ، وستر هتك ، ونفس سفك ، وحصن فتح ، وفتح منح ، ومال نهب ، وعز سلب ، وصعب أذل ، وخطب أحل ، وعقل أزل ، وفهم أضل ، وخيل هزم ، وأس هدم وسؤل قطع ، وقصد منع ، وطود قلع ، وطفل فجع ، ورأس شرخ ، وظهر فضح ، وعقد فسخ ، ونار أشب ، وريح أهب ، وماء أغار ، ورهج أثار ، وقلب شوى ، وكبد كوى ، وجيد قصم ، وطرف أعمى ، وسمع أصم . فاني لي ملاطمة سيل العرم ، ومصادمة الفيل المغتلم ، فان نجدتماني وجدتماني ، وان خذلتماني بذلتماني ، ويكفيكما هيبة وشهرة ، وناهيكما أبهة ونصرة ، ان من خدمكما قدامكما ، من كفاكما مادهاكما ، وان أصابني والعياذ بالله منه ضرر ، أو تطاير الى مملكتي من جمرات شره شرر ، ربما تعدى ذلك الفعل بواسطة الحوادث الى مفعول به ثان وثالث]] (١) .

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٩٤ - ٩٦ .
الاسترابادي : بزم ورزم ، ص ٤٥٧ - ٤٥٨ .

وجاء رد السلطان بايزيد بالموافقة والاستحسان ووعده نصرته ومساعدته كما أبدى برقوق استعداده الكامل لمساعدته في مواجهة الخطر التيموري ولم يلتفت الحاكمان برقوق وبرهان الدين أحمد الى سوء العلاقة التي كانت بينهما (١) بل رحبا بقيام التحالف والتعاون فيما بينهما • كما أن السلطان برهان الدين قام باعتقال سفير تيمورلنك ، ولما علم السلطان برقوق بذلك بعث سفارة الى السلطان برهان الدين يطلب منه استمرار العلاقة الطيبة بينهما ، وأن يرسل اليه سفير تيمورلنك المعتقل تأكيدا لتدعيم العلاقة بينهما فاستجاب برهان الدين لطلبه • (٢)

ويذكر أن الظاهر برقوق قدم مساعدة عسكرية لحاكم سيواس عندما استنجد به لمواجهة بعض الجحافل التيمورية التي وصلت الى أرزنجان [أرزنكان] ولما وصل الجيش المملوكي الى سيواس ولى الأعداء الأدبار متوجهين الى بلادهم وشكرهم برهان الدين على حسن مساعدتهم • (٣)

والواقع أن العلاقة بين الحاكمين قد وصلت في هذه المرحلة الى درجة من القوة والرسوخ ، بحيث كانت الرسائل والهدايا تتردد باستمرار بينهم مؤكدة ضرورة الرغبة في الاتحاد في جبهة واحدة ضد الخطر التيموري • (٤)

كما أن تقتاميش حاكم القفجاق كان كذلك يحرص على اقامة علاقة جيدة مع برقوق ، حيث كان هذا الحاكم في نزاع وحروب مستمرة مع تيمورلنك وكان من أكثر الحكام ثباتا لمواجهته • (٥)

---

(١) ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٢٤١/٣/١ •

(٢) الاسترابادي : بزم ورزم ، ص ٤٥٨ - ٤٥٩ •

(٣) ابن خطيب الناصرية : الأول من الدر المنتخب ، مخطوط ورقة ٤٨ ب •
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٦٢٢/٣/١ •

(٤) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٨٦/٢/٩ •
الاسترابادي : بزم ورزم ، ص ٥٢٩ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٩٠/١ •

(٥) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٨١/٢/٩ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٧٧ - ٨٧ •
م•م • الرمزى : تلفيق الأخبار ، ص ٥٨٢ - ٥٨٩ •

يذكر معظم المؤرخين أن العلاقات السياسية بين السلطانين برقوق وتقتميش كانت على درجة كبيرة من القوة وتبادل الهدايا والسفراء ، وأن تقتميش قد بعث سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م رسله الى الظاهر برقوق ومعهم رسالة من مضمونها [[أنه يسأل السلطان أن يكون واياه يدا واحدة على الطاغي تيمورلنك]] (١) •

وقد قابل برقوق هذه الدعوة بالترحيب ، لأنه وجد فيه قوة ودعامة وليكون رابع المنضمين الى الجبهة المتحدة ، وهكذا نرى أنه ازاء الخطر التيموري التأم شمل الحكام السابقين وتناسوا المنافسة السياسية التي كانت قائمة بينهم في محاولة جادة لتكوين حلف رباعي للدفاع عن المنطقة •

والواقع أن أعضاء الحلف المشترك لم يتخذوا خطوات عملية لمواجهة تيمورلنك ، حيث لم تذكر المصادر التي بين أيدينا أن شيئا مثل هذا قد تم ، فانحصر تعاونهم في تبادل الرسائل والهدايا فقط ، ثم قيام كل من السلطان برقوق وبرهان الدين أحمد بالضرب بيد من حديد على كل من حاول التعاون مع تيمورلنك ابان تواجده على حدود بلادهما ، حيث نرى برقوقا قد قام بحركة ردع شاملة حاول خلالها تأديب القبائل التي سهلت أمور تيمورلنك أثناء تواجده في المنطقة (٢) ، كما أنه قام بحركة تأديب لولى بن قراجا بن دلقادر كبير (٣)

---

(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٨١/٢/٩ •
ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ٢٩١/٢ •
المقريزي : السلوك ، ٨١٣/٢/٣ •

(٢) D . Ya Sar Yucel . OP . Cit . P . 18 .

(٣) كان كبير التركمان أميرا محترما ذو وجاهة بين طوائفهم ، وكان موصوفا بالشجاعة وجودة الرأى ، باشر نيابة الابلستين ومرعش بعد أخيه خليل وطالت مدته ، وانفصل منها عدة مرات ، واتفقت له وقائع مع الجند الحلبى واعتقل في بعض السنين بقلعة حلب ، وهو الذي ساعد منطاش على خراب البلاد الشمالية ولاسيما حين حضر معه على مدينة عينتاب وسلط التركمان عليها ، قتل غيلة على فراشة سنة ٨٠٠هـ وقيل ان السلطان برقوق أعطى قاتله امرة بحلب •

ابن قاضي شهبة ، تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٦٧٦/٣/١ •
ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، ١٧٨/٢ •

التركمان حيث كان هذا الحاكم قد بعث بالرسل والهدايا الى تيمورلنك ودعاه لاقتحام الشام ، وقد تعاون معه كمرشد له ، لذلك كلف برقوق نائبه على حلب للتوجه لتأديبه عقابا لتعاونه مع تيمورلنك ، (١) كما اهتم اهتماما كبيرا بتأمين أطراف الدولة المملوكية ضد الأخطار الخارجية (٢) ٠

كذلك قام برهان الدين بأعمال مماثلة لما قام به برقوق فقام بمهاجمة امارة قرمان ، وامارة أرزنجان اللتين أعلنتا تبعيتهما لتيمورلنك (٣) ٠

(١) الاستربادي : بزم ورزم ، ص ٤٥٥ - ٤٥٦ ٠
Dr. Yasar Yucel. Op. Cit. P. 19 .

(٢) Huart , CL. : Histoire des Arabes, 2 Vols., (Paris, 1913) P. 60 ·

(٣) الاستربادي : بزم ورزم ، ص ٤٦٤ - ٤٦٦ ٠
(٣) Dr. Yasar, Yucel : Op . Cit . P.P . 18 - 19 .

ثانيا : علاقة السلطان برقوق بتيمورلنك .

أ - المفاوضات بين برقوق وتيمورلنك :

حاول تيمورلنك في أواخر القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادي) اقامة علاقات دبلوماسية مع السلطان المملوكي برقوق ، ليطمئن له ، وليسلم جانبه بعدم مساندته لأعضاء الجبهة المؤيدين له ، وليغمض عينيه عن تحركه السريع المقبل في المنطقة ، دون أية معارضة من برقوق الذي كان يحكم دولة قوية يحسب لها تيمورلنك ألف حساب لما تتمتع به من سمعة حربية طيبة .

وكان برقوق يعرف تماما من هو تيمورلنك ، وماهي أساليبه الملتوية عندما يريد تحقيق مطامعه ، فهو الرجل الذي لايؤمن جانبه .

ومن هذا المنطلق أعلن برقوق عدم الرغبة في الدخول معه في علاقة يجهل خفاياها ، فمنذ أول رسالة بعثها تيمورلنك اليه أصدر أوامره بقتل رسل تيمورلنك وأظهر عداءه الصريح له .

ومن خلال دراستنا للرسائل المتبادلة بينهما يتضح عدم رغبة تيمورلنك في تحقيق سلام في المنطقة ، وأن ارساله لرسله الى السلطان المملوكي كان لغرض التجسس والاستكشاف لمعرفة قوة برقوق ، ومدى تقبله بما جاء في رسائله. وسوف نتتبع ماجاء في تلك الرسائل من عبارات لاتمثل حسن النية والرغبة في اقامة علاقة طيبة من الود والصفاء ، بقدر ماكانت تمثل تحديا صريحا متبادلا بينهما ، وأن جنوح تيمورلنك للسلم ماهو الا خدعة ماكرة حيث لجأ الى ذلك رغبة في كسب الوقت وتمكين نفسه تماما من المنطقة ثم يعلن بعد ذلك هجومه ، وهذا ماعرف به تيمورلنك .

ففي سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م بعث تيمورلنك برسالته الأولى الى السلطان برقوق مع العالم شيخ ساوة (١) وزوده بهدايا عديدة وقيمة وكتاب الى السلطان يحتوى على مقدمة يبين فيها تيمورلنك:[[أن السلاطين الأوائل من نسل جنكيزخان

---

(١) يقول اليزدي عن الشيخ ساوة أنه من أشهر العلماء في عصره ، وأنه رجل ذو مواهب وقدرات خاصة ، وانه كان في صحبته عند قدومه الى برقوق عدد من العلماء والحكماء .

انظر : اليزدي : ظفرنامه ، ٦٤٢/١ .

كانوا على خلاف مع حكام المماليك ، الأمر الذي سبب للشام وماحولها الويلات والمحن ولكن بعد ذلك تم الصلح والسلام بينهما ٠

الا انه عندما انتقل السلطان أبوسعيد سنة ٧٣٦هـ - ١٣٣٥م(١) الى الرفيق الأعلى لم يبق من نسل جنكيزخان حاكم قوي من سلالته يستطيع تسيير دفة الأمور بشأن ذلك ظهر ملوك الطوائف والمتطلعون الى الحكم والسلطة الأمر الذي سبب الاضطراب والفتن والحروب داخل المنطقة]](٢) ٠

ثم يقول تيمورلنك : [[أما وقد اختارنا الاله الواحد بفضل من عنده لاصلاح مافسد ، وأدان لسيفنا المظفر كل بلاد فارس والعراق العربي الذي تتاخم حدوده حدود بلادكم ، فان المحبة التي ندين بها لشعبنا تتطلب بحكم الجوار أن نتبادل المراسلة والمكاتبة فيما بيننا ، وأن يأتي الرسل ويعودوا في يسر بين بلدينا ، وأن ينتقل تجار البلدين في أمن حتى تنتعش البلاد ، ويكثر السكان ويعيشوا في سلام ٠

ولهذا السبب أرسلنا رسولنا اليكم ضارعين الى الله أن يكلأكم بعنايته ان سلكتم حسب هذا ٠ والسلام على من اتبع الهدى والحمد لله رب العالمين]](٣)٠

ان ماجاء في رسالة تيمورلنك من عبارات تدعو للسلام وتبادل علاقات المحبة والوئام يجعلنا نتساءل :

هل كان تيمورلنك فعلا صادق النية في هذا التقارب ؟

---

(١) انظر عن السلطان أبي سعيد والفوضى التي حلت ببلاده بعد وفاته في كل من :
ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٥١/٥ ٠
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٨٢ ٠
ميرخواند : روضة الصفا ، ٥٣٤/٥ - ٥٣٧ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٤٩٦ ٠

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٤٢/١ - ٦٤٣ ٠
Howorth : Op . Cit . Vol . 3 . P . 666 .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٤٢/١ - ٦٤٣ ٠
ميرخواند : روضة الصفا ، ٢٠٩/٦
Browne : Op . Cit . V . III . P . 159 .
Howorth : Op . Cit . VOL, 3 . P . 666 .
حكيم أمين عبدالسيد :قيام دولة المماليك الثانية ،ص١٦٧ ،ملحق رقم (١)٠

نستطيع القول أنه لم يكن صادق النية ، ولم يكن جادا في توطيد هذه العلاقة بقدر ماكان يرغب وبأية طريقه في ترسيخ نفوذه في المنطقة حتى ولو كان ذلك عن طريق الرسائل الخادعة ٠

وهناك من يرى أن برقوقا عندما وصلته أخبار قدوم رسل تيمورلنك الى الرحبة طلب من نائبه القبض عليهم وارسال مامعهم من الهدايا، وكتاب تيمورلنك ، فنفذ نائبه أوامره ٠ (١)

وكانت هدايا تيمورلنك تشتمل على تسعة مماليك وتسع جواري وغير ذلك وقد تبين أن هؤلاء المماليك من أهل بغداد الذين قام تيمورلنك بأسرهم ، وكان من بينهم ابن وزير بغداد ، وابن قاضيها ، وابن محتسبها ، ولم يكن فيهم غير تركي واحد ، ولما تأكد برقوق من صدق أقوالهم عفا عنهم وأكرمهم٠ (٢)

وكان سبب ارسال تيمورلنك هذه الهدية رغبته في بث الرعب في قلب برقوق وتخويفه اذا لم ينقد لأوامره وماجاء في رسالته ، وانه ان حاد عن ذلك سوف يحل به مثل ماحل بالعراقيين ، وقد يكون فعل ذلك بقصد التحرش والاستفزاز والتلميح والترهيب ، وهذه هي طريقة تيمورلنك في تعامله مع خصومه ٠

وفي أوائل سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م ٠ وصلت رسالة ثانية من تيمورلنك الى السلطان المملوكي برقوق اشتملت على بعض عبارات التهديد والوعيد وبامكاننا (٣)

---

(١) انظر : ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٦٢/٢/٩ ٠
المقريزي : السلوك ، ٧٩٧/٢/٣ ٠

(٢) انظر : ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٦٢/٢/٩ ٠
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٧٣/١ ٠
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٥٠٢/٣/١ - ٥٠٣ ٠

(٣) انظر النص الكامل لهذه الرسالة والرد عليها في :

ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٧١/٢/٩ ٠
المقريزي : السلوك ، ٨٠٣/٢/٣ - ٨٠٧ ٠
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٧٩/١ - ٣٨٣ ٠

ان نعتبر أن هذه الرسالة جزءا من الحرب النفسية التى يشنها تيمورلنك ضد خصومه ٠

ويظهر من أسلوبه أنه واثق جدا من قوته حيث قال : [[اعلموا أننا جند الله ، مخلوقون من سخطه ، ومسلطون على من حل عليه غضبه ، لانرق لشاك ، ولانرحم لباك ، قد نزع الله الرحمة من قلوبنا ، فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا ومن جهتنا ، وقد خربنا البلاد وأيتمنا الأولاد ، وأظهرنا في الأرض الفساد]] (١) ٠

ثم أخذ يستخف بقوة خصمه حيث وصف قلوب رجاله بأنها كالجبال ، وقلوب أعدائه بأنها كالرمال ، مهددا بأن الحصون أمامه لاتقف حائلا دون تقدمه والفتك بعدوه ٠ وان كان في نفس الوقت قد عرض على السلطان المملوكي أن يكون له مالهم ان سالمه وأطاع أوامره ٠ ثم يستنكر تيمورلنك من برقوق قتله للرسل قائلا : [[أنصفناكم اذ راسلناكم فلا تقتلوا المرسلين كما فعلتم بالأولين ، فتخالفوا كعادتكم سنن الماضين وتعصوا رب العالمين ، ((وما على الرسول الا البلاغ المبين)) (٢) ، وقد أوضحنا لكم الكلام فأرسلوا برد الجواب والسلام]] (٣) ٠

أما رد برقوق على هذه الرسالة فقد كان قويا لم يرهبه التهديد التيموري ، وأظهر ثقة كبيرة في نفسه ، والتزم بالرد على رسالة تيمورلنك بنفس الأسلوب الاستفزازى والعدوانى ٠

ومما جاء في رد برقوق قوله [[حصل الوقوف على ألفاظكم الكفرية ونزعاتكم الشيطانية ، وكتابكم يخبرنا عن الحضرة الجنابية ، وسيرة الكفرة الملائكية ، وأنكم مخلقون من سخط الله ومسلطون على من حل عليه غضب الله ، وأنكم لاترقون لشاك، ولاترحمون عبرة باك ، وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم

---

(١) انظر : المقريزي : السلوك ، ٨٠٣/٢/٣ ٠
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٥٠٧/٣/١ ٠

(٢) القرآن الكريم : سورة النور ، آية ٥٤ ٠

(٣) ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٥٠/١٢ ٠
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٨١/١ ٠

فذلك أكبر عيوبكم ، وهذه من صفات الشيـاطين لا من صفات السلاطين]] (١) ٠

وقد أكد في رسالته أن تيمورلنك ومن معه كفرة ، وأن من تمسك بالأصول لايبالى بالفروع وأنه من أعجب العجب تهديد السباع بالضباع والكماة بالكراع فخيولنا برقية ، وسهامنا عربية ، وسيوفنا يمانية ، ولبوثنا مصرية ، وأكفنا شديدة الضرب ، وان قتلناكم فنعم البضاعة ، وان قتل منا أحد فبينه وبين الجنة ساعة (٢) ((ولايحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)) (٣) ٠

وقد انفرد القلقشندي دون المصادر الأخرى التي بين أيدينا فأورد في صبح الأعشى نص رسالة موجهة من برقوق الى تيمورلنك ردا على رسالة بعث بها (٤) تيمورلنك اليه ، وان لم يذكر القلقشندي نص الرسالة التيمورية الا اننا نستيطع معرفة ماجاء فيها من رد جواب برقوق على رسالته وقد بدأ برقوق رسالته قائلا : [[وبعد ، فقد وصل الى أبوابنا الشريفة العالية كل ماجهزته أولا وآخرا يا أمير تيمور من كتاب،وأحاطت علومنا الشريفة بما فيها من خطاب وقصد وعتاب ، وادعاء وارغاب وارعاب]] (٥) والواقع أن رد برقوق في هذه الرسالة يكشف لنا موقف برقوق تجاه تيمورلنك فجاء رده واضحا فند فيه الأخطاء والافتراءات التي جاءت في رسائل تيمورلنك فقد استشاط غضبا من ارسال تيمورلنك له السيف والتركاش (٦) واعتبر ذلك اهانة له ، وذكره أنه على الرغم من ذكره واعجابه بجنكيزخان (٧) ومحاولته تقمص شخصيته ، الا أنه لم يعرف عنه أو عن غيره أن بعث الى خادم الحرمين هدية تحمل سيفا وتركاشا ، وأظهر عدم تخوفه ان كان غرض تيمورلنك من ذلك تخويفه وقد دعم كلامه بابيات من أشعار البطولة والجهاد ٠

---

(١) ابن الفرات :تاريخ ابن الفرات ، ٣٧٣/٣/٩ ٠
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٥١/١٢ ٠

(٢) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٩٩ ٠

(٣) سورة آل عمران ، آية ١٦٩ ٠

(٤) من الراجح ان تكون هذه الرسالة هي الرد على الرسالة الأولى التي بعثها تيمورلنك الى برقوق ، انظر ص ٢٧٨ - ٢٧٩ ٠

(٥) صبح الأعشى ، ٣٠٩/٧ ٠

(٦) التركاش : لفظ فارسي الأصل ، ومعناه الكنانة أو الجعبة التى توضع فيها النشاب ٠ انظر : المقريزى : السلوك ، ٣٧١/١ حاشيه رقم ٢ ٠

(٧) المقصود : بذلك تيمورلنك ٠

ثم يحاول برقوق أن يدحض تصنع وكذب تيمورلنك في رغبته في فتح باب المحبة والمودة ، واعتبر ذلك مغالطة كبيرة فكيف يقول ذلك ، وهو يحرص على ايواء ومؤازرة من عاداة أو هرب من أمرائه وقواده اليه ، ونبهه الى نقطة هامة وهي أنه [[ان كان فعلا صادقا فيما يقول فعليه أن يرسل اليه بهؤلاء المتمردين لكنك مافعلت ذلك ، بل عملت بالضد منه لأنك آويتهم وحميتهم وأكرمتهم • كما أنه عندما وصل اليك صولة بن حيار الذي هو قطعة هجان من هجانتنا أكرمته وألبسته التاج وعظمته وبعثت معه خلعه الى الأمير نعير والى غيره من عربانه ووعدته بالتقدمة والأمارة بالتصريح العظيم بالتلويح والاشارة وكتبت اليه كتابا ما تركت فيه ولا خليت ، وأظهرت كل ماكان عندك وما أبقيت فجهزه الينا وقرئ على مسامعنا الشريفة كلمة كلمة ، وعرفنا واضح معناه ومبهمه ،]] (١) •

وتأكد برقوق من سوء نية تيمورلنك تجاه الدولة المملوكية وأن ارساله للرسل السابقين ماهو الا مماطلة منه الهدف منها كسب الوقت وانشغال برقوق عنه ثم يفاجئهم في النهاية وهم على غرة بهجومه الكاسح ، وقد تجلى هذا الموقف في قول تيمورلنك للأمير نعير [[ان أبطأ ركابك عن الوصول ، فنحن واصلون اليكم في طريقنا الى مصر وغيره ، ولايبقى لطاعتك مزية ولامنة]] (٢) •

ويناقش برقوق في رده مسألة السلطان أحمد بن أويس اذ يقول له : [[لكن ياأمير تيمور ايش عمل السلطان أحمد بك ؟ حتى حلفت له عدة مرات بأيمان الله تعالى العظيمة وأعطيته العهود والمواثيق بأنك ماتتعرض اليه ولا الى مملكته ولاتوافيه ولاتشوش عليه حتى اطمأن بأيمانك ، وركن اليك ، وأحسن ظنه فيك ، ووثق بك ، واعتمد عليك فخنته وغدرته وأتيته بغتة على حين غفلة وبدرته ، وأخذت مملكته وبلاده وأمواله وأولاده وأعظم من ذلك أنك أخذت أيضا حريمه وهن في عقد نكاحه وعصمته وأعطيتهن لغيره]] (٣) •

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٣١٠/٧ •
(٢) القلقشندي : المصدر السابق ، ٣١١/٧ •
(٣) القلقنشدي : المصدر السابق ، ٣١٢/٧ •

ويرفض برقوق بشدة وثقه كبيرة ارسال أحمد بن أويس اليه لأنه أجاره ولايمكن تسليم ضيف نزل عنده واستجار به . ثم يوضح في رسالته السبب الذي دفعه الى قتل رسل تيمورلنك فيقول في ذلك : [[أما ماذكرته من أمر الرسل فقد علمناه ، والذي نعرفك به هو أن الرسول المذكور كان يكتب المنازل منزلة منزلة الى بلادنا المحروسة وأطلع عليه في ذلك جماعة من جهتنا . ولما وصل الى الرحبة المحروسة ، قال للنائب بها : بس الأرض للأمير تيمورلنك وأقرأ الخطبة باسمه فلو كان رسولا مصلحا ماكتب المنازل ولا أكثر فضوله وتحدث بما لاينبغي له]] (١) .

ومن هذا الرد نرى أن برقوقا على حق في قتله الرسل حيث لم يكن هؤلاء الرسل يقومون بهذه المهمة فقط ، وانما كانت مهمتهم الأولى التجسس واستطلاع أحوال البلاد ومعرفة قوتها ، وصدق برقوق في قوله : [[لاينبغي للرسول أن يكون الا أعمى وأخرس فزير العقل ، ثقيل الرأس]] (٢) ثم تناول برقوق الرد على تهديدات تيمورلنك " بأن هولاكو أخذ من كل ماشة رجل رجلين ، وجاء بهم ، وأنت قد جئت بالرجلين وبالماشة فقد علمناه ، واعتمادك على كثرة عسكرك قد علمناه أما نحن فاعتمادنا على الله (٣) ولم يعبأ برقوق بعبارات تيمورلنك لأنه يعتقد أنه اذا تم اللقاء بينهما سوف ينصر الله عباده المؤمنين لقوله تعالى ((وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) ففي الحروب السابقة بين المماليك والمغول كان النصر في الغالب للمماليك وكان مما ادعاه تيمورلنك أنه أدب صاحب تكريت ونكل به لأنه كان لصا حراميا ، فرد عليه برقوق شاكرا قيامه بهذا العمل الطيب ، ولكنه مع ذلك قام بتأنيبه قائلا : [[أفأهل بغداد كانوا حرامية قطاع طريق حتى فعلت بهم مافعلت ، وقتلت منهم من التجار ثمانمائة نفس في المصادرة بالعقوبة والعذاب ففي أي مذهب يجوز هذا؟]] (٤)

ومنا يظهر أن برقوقا لم يترك فرصة تذكير وتأنيب تيمورلنك بما قام

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٣١٦/٧ .
(٢) القلقشندي : المصدر السابق ، ٣١٧/٧ .
(٣) القلقشندي : المصدر السابق ، ٣١٧/٧ .
(٤) القلقشندي : المصدر السابق ، ٣١٤/٧ .

به من قتل وسبي وتخريب وحرق في بغداد بصورة همجية ، وانه لايحل لمن يدعي الاسلام أن يفعل ذلك فكيف تدعي أنك عادل وتعمل بأهل بغداد المسلمين الموحدين هذه العمائل ؟ (١) .

ويختتم برقوق رسالته بالرد على تهديد تيمورلنك له بخراب دياره ان لم يجهز اليه السلطان أحمد بن أويس فجاء جواب برقوق في هذه المسألة قائلا: [[اننا كنا نتوقع انك تجئ قبل هذا الوقت ، فقد أبطأت كثيرا]] (٢) .

[[واننا نتحقق أن مايحصل خراب الديار والدمار ومحو الآثار الا لمن يسعى ويتكلم بخراب الديار ، وها نحن واصلون بجيوش وجنود وعساكر مؤيدة من السباع أسبع ، لاتروى اسلحتهم من دماء البغاة ولاتشبع ، والجواب ماترى لاماتسمع]] (٣) .

وتوقفت المراسلات بين تيمورلنك وبرقوق لأكثر من عامين ثم عاد تيمورلنك سنة ٧٩٩هـ - ١٣٩٧م وبعث وفدا الى السلطان المملوكي برقوق فعوقوا في حلب وأرسلت الكتب التي معهم الى السلطان في القاهرة وقد تضمنت مطالبة تيمورلنك باطلاق سراح قريبة أطلمش بك ورجل آخر من أصحابه ، فأصدر السلطان برقوق أوامره بأن يكتب أطلمش الى تيمورلنك رسالة يعرفه على ماهو عليه من الخير والاحسان ، وأنه مسرور بالاقامة في الديار المصرية (٤) .

كما أن برقوقا بعث اليه بجواب ردا على رسالته قائلا : [[ان أصحابك عندي وعندك جماعة من أصحابي ، فأرسل الي أصحابي حتى أرسل اليك أصحابك والسلام]] (٥) . وأرسلت الرسالتان الى الرسل فأخذوها وتوجهوا الى مرسلهم .

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٣١٥/٧
(٢) القلقشندي : المصدر السابق ، ٣١٥/٧ .
(٣) القلقشندي : المصدر السابق ، ٣١٨/٧

(٤) المقريزي : السلوك ، ٨٦٩/٢/٣ .
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٦٠٤/٣/١ .
عباس اقبال : تاريخ ايران ، ص ٦٣٥ .

(٥) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٥٢٢/١ .

وأخيرا ومن خلال استعراضنا وتحليلنا للرسائل المتبادلة بين تيمورلنك وبرقوق استطعنا أن نخرج بالنتائج الآتيه :

عدم امكانية قيام علاقة طيبة بين الطرفين حيث كان تيمورلنك يرى أنه الأقوى وعلى برقوق أن ينقاد اليه ، فانسدت كل الأبواب الموصلة الى الوئام والسلام بينهما ٠

كان تيمورلنك يهدف من ارساله لمبعوثيه ورسائله ، محاربة برقوق نفسيا ومعرفة مدى استجابته أو رفضه لتهديداته المتكررة ليحدد بعد ذلك امكانية الزحف اليه ٠

وأثبت برقوق أنه منافس قوي لتيمورلنك ، وكان يخاطبه بمنطق القوة والبأس ، ولم ترهبه تهديداته بل كان يرد عليها فقرة فقرة مع الالتزام بنفس الأسلوب الذي كتبت به رسائل تيمورلنك ، وعلى الرغم من تبادل الرسائل وماجاء فيها من اهانات وسب وشتم الا أنه لم تقم بين الطرفين معركة حربية ، حيث كان تيمورلنك يتحاشى مواجهة برقوق حربيا ، حتي أنه لم يجسر على التقدم نحو البلاد الشامية الا بعد أن وصلته الأنباء بوفاة السلطان برقوق وقد سر سرورا عظيما عندما علم بوفاته سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٨م (١) ٠

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٠٧ ٠
السخاوى : الضوء اللامع ، ٤٦/٣/٢ ، ٤٧ ٠
الشوكاني : البدر الطالع ، ١٧٤/١

ب - استعدادات الدولة المملوكية لمواجهة الخطر التيموري :

لم تقف الدولة المملوكية مكتوفة اليدين أمام تحركات تيمورلنك على حدودها الشرقية حيث أظهر الظاهر برقوق اهتماما كبيرا بهذا التحرك ، ولم يبخل نواب الشام بارسال رسلهم ليخبروه بقرب الجحافل التيمورية من بلادهم ، كما أن حكام المناطق الأخرى القريبين من حدودهم كانوا يبعثون برسلهم وهداياهم الى السلطان المملوكى راغبين في التعاون والتحالف معه ضد الخطر التيموري •

ونرى أنه على الرغم من وجود الرغبة القوية في تكوين جبهة موحدة ضد تيمورلنك تألفت من السلطان المملوكي برقوق ، والسلطان العثماني بايزيد ، وسلطان القفجاق تقتاميش ، وحاكم سيواس برهان الدين أحمد ، الا أنه لم يكن هناك أي تعاون حربى مشترك لمواجهة تيمورلنك ! وهذا ماسوف يتضح لنا من خلال تتبعنا للأحداث الجارية • فما أن وصلت أخبار تحركات تيمورلنك المستمرة على المناطق الشرقية من حدود الدولة المملوكية ، حتى توالت الرسائل على برقوق من قبل نواب الشام يطلبون منه المساعدة ، ويبدون تخوفهم من قرب تيمورلنك من حدودهم (١) •

وفي سنة ٧٨٩هـ - ١٣٨٧م قدم البريد حاملا رسالة تفيد أن تيمورلنك زحف الى الرها ، وتمكن من هزيمة قرا محمد التركماني الذي اضطر الى الهرب قرب ملطية (٢) • ولما تأكد برقوق من صدق تلك المعلومات أصدر أوامره الى عقد مجلس ضم القضاة وأعيان المشايخ والأمراء ، وتشاور معهم في أمر هذا الطاغية ، واقترح عليهم ضرورة أخذ مال الأوقاف من الجوامع والمدارس وغيرها (٣) ، لتجهيز

---

(١) انظر : ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ١٠/١/٩ •
ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ٢٦٤/٢ - ٢٨٨
Yasar . Yucel : Op . Cit . P . 11 .

(٢) العيني : عقد الجمان ، ص ١٩٩ ، ابن حجر العسقلاني: انباء الغمر، ٣٣٥/١•
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٢١٧/٣/١ •

(٣) كانت كثرة الأوقاف وضخامة ريعها مما جعلها مطمعا للسلاطين ولاسيما في وقت الأزمات كظروف الحرب سواء ضد عدو خارجى أو فتنة داخلية فتطلعوا الى حل الأوقاف وقاموا بمحاولات عديدة في هذا الإتجاه ، فكانوا يجمعون العلماء والقضاة ليحصلوا منهم على فتوى بحل الأوقاف واقطاعها للموالين لهم من الأمراء والجند أو الاستيلاء على فائض ريعها وعلى أموال العامة ولكن في جميع الحالات رفض القضاة والفقهاء اصدار مثل هذه الفتوى • انظر : المقريزي : السلوك ، ٢٦٩/١/٣ •
العيني : عقد الجمان ، ص ١١٩ حاشية رقم (٣) •
انظر : د• محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ٣٢٢ ومابعدها •

الجيش لمحاربة تيمورلنك فكثر الكلام في ذلك ، ثم تم اتفاق الجميع على أن يؤخذ من مال الأوقاف متحصل سنة ، وتترك الأوقاف على ماهي (١) •

ثم قام برقوق بارسال تجريدة قدر عددها بثلاثمائة جندي الى حلب لاستطلاع الموقف ، ومعرفة أخبار تيمورلنك وأحواله قبل توجه الجيش لملاقاته (٢) •

ولقد نجح جواسيس برقوق في كشف ومعرفة تحركات تيمورلنك المتتابعة فوصلت الأخبار الى القاهرة بأنه رجع الى عراق العجم (٣) •

ويذكر المؤرخون أن أول صدام عسكري بين المماليك وتيمورلنك ، كان في سنة ٧٩٠هـ - ١٣٨٨م وذلك عندما استنجد حاكم سيواس برهان الدين بالتيموريين (٤) لمواجهة جيش المماليك الذين ساءت علاقتهم به لاستقباله وتعاونه مع الأمير منطاش الهارب من سطوة برقوق ، وقد ضرب المماليك مثالا جيدا للبطولة ، وأنزلوا ضربة قاصمة بالجحافل التيمورية وقوات سيواس ، حيث قتلوا أعدادا كبيرة منهم وأسر منهم نحو الألف وأخذ منهم نحو عشرة آلاف فرس ، وعاد العسكر سالما الى حلب (٥) •

ويظهر من خلال تتبعنا للأحداث الجارية في المنطقة أن حملات تيمورلنك قد توقفت على بلاد خراسان وفارس والعراق وماجاورهما ، خلال الفترة مابين سنة ٧٨٩ - ٧٩٤هـ - ١٣٨٧ - ١٣٩٣م ثم عاد مرة أخرى بحملاته المدمرة وذلك بما عرف بحملة السنوات الخمس (٦) • حيث نجح خلالها في الاستيلاء على فارس سنة

---

(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ١٠/١/٩ •
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٣٨٦/٢/١ - ٣٨٧ •
(٢) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ١٤/١/٩ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤٧/١١ •
(٣) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ١٤/١/٩ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٣٣٦/١ •
(٤) تغيرت هذه العلاقة العدائيه بين السلطان برقوق وحاكم سيواس القاضي برهان الدين ، حيث تبادلت الرسائل والهدايا بين الطرفين وأظهر برهان الدين سنة ٧٩٦هـ رغبته الحارة في التعاون مع برقوق والسلطان العثماني بايزيد في جبهة واحدة لمواجهة تيمورلنك •
انظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٥٩/١٢ •
(٥) انظر : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٢٤١/٣/١ •
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٢٥٢/١١ ، ٢٥٣ •
(٦) انظر : اليزدي : ظفرنامه ، ٥٩٣/١ ، ٥٩٤ •

٧٩٥هـ - ١٣٩٣م بعد مذبحة كبيرة قضى خلالها على جميع أسرة آل مظفر[1] ، ثم عرج بعد ذلك نحو بغداد وتمكن من الاستيلاء عليها وهرب حاكمها أحمد بن أويس الى الرحبة[2] .

وكان الوضع في الدولة المملوكية بعد عودة تيمورلنك سنة ٧٩٠هـ ، قد ساء بسبب الحروب بين برقوق وبعض الأمراء المنافسين له ، حتى تمكن أخيرا من القضاء على الأمير يلبغا الناصرى سنة ٧٩٣هـ - ١٣٩١م[3] ، ومن بعده على الأمير منطاش سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م[4] ، فهدأت الفتن والمنازعات الداخلية في البلاد .

ونرى أن أحوال الدولة المتدهورة من جراء الصراعات الداخلية بين برقوق وأمرائه كانت السبب الأول في انشغال برقوق عن التطورات الخارجية وهذا الأمر يؤكده موقف برقوق البطولي عند قدوم تيمورلنك الى حدود بلاده . فقد اشتاط برقوق غضبا من أفعاله مع جيرانه ورأى عدم السكوت على ذلك ، وشرع في اتخاذ اجراءات سريعة تكون كفيلة بمواجهة تيمورلنك .

ففي سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م بعث برقوق رسائل تحذير الى نوابه في بلاد الشام يطلب منهم أخذ الحيطة والحذر ، والاستعداد لمواجهة العدو المرتقب ، كما أنه أخبرهم بما حل في بغداد من قتل وتدمير نتيجة تكاسل حاكمها وأهلها[5] ثم أصدر برقوق مرسوما بأن ينادى بالقاهرة ومصر بأن يتجهز الناس لقتال تيمورلنك[6] .

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 165 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٦١٨/١ .
القزويني : تاريخ كزيدة ، ص ٧٥٥ .

(٢) العيني : عقد الجمان ، ص ٣١١ .
خواندامير : حبيب السير ، ٣٧/٣/٣ .

(٣) ابن خلدون : كتاب العبر ، ٥٠٣/٥ .
ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ٢٨٣/٢ .

(٤) انظر : ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ٢٨٥/٢ - ٢٨٦ .
ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، ٣٦٤/٤ .

(٥) انظر : المقريزي : السلوك ، ٧٩١/٢/٣ .
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٤٧٨/٣/١ .

(٦) انظر : ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٥٠/٢/٩ .
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٥٧/١ .

كما أن علماء الدين من قضاة وعلماء كان لهم أثرا فعالا في حث الناس على الجهاد ، والوقوف مع السلطان برقوق ، فازداد الشعور الوطني لديهم وأظهروا استعدادهم لحماية أراضيهم (١) .

وفي خضم ذلك الاستعداد بعث حاكم ماردين الظاهر مجد الدين عيسى الى السلطان برقوق يخبره بسقوط تبريز ، وأن تيمورلنك طلب منه الحضور اليه فتعلل واعتذر له بأن حضوره يستوجب سؤال السلطان برقوق فرد عليه تيمورلنك قائلا : [[ان أسلافك من السنين المتقدمة ماحكم عليهم أحد ، والخطبة باسمك والسكة باسمك ، فلا تعلق صاحب مصر في الوسط]] (٢) .

وأنه أرسل اليه خلعة وسكة ، فجاء رد برقوق له أن يخطب باسمه الى أن يرى مايختاره (٣) .

وفي سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م وصلت الأخبار الى القاهرة بأن الأكراد دخلوا في طاعة تيمورلنك (٤) وان حاكم ماردين اضطر لأن يرسل لتيمورلنك رسولا يحمل له الخضوع والولاء لكن تيمورلنك لم يظهر الاهتمام بالرسول واقام معسكراته بجوار ماردين ، فتوجه الظاهر عيسى حاكم ماردين الى تيمورلنك يحمل الهدايا وقبل أن يدفع مافرض عليه من أموال قدرت بمائة تومان (٥) .

وفي نفس العام وصلت الأخبار من نائب الشام ومن بينها مطالعة نائب الرحبة تخبر عن وصول السلطان أحمد بن أويس الى الرحبة (٦) .

وكان لموقف السلطان برقوق مع السلطان أحمد أثر طيب في انحاء العالم الاسلامي ، وقد دفع ذلك الى غضب تيمورلنك من برقوق واعتبر ذلك تحديا صريحا له لذلك قام بانزال أشد العقوبات على أهل بغداد (٧) .

---

(١) انظر : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٤٧٨/١ - ٤٧٩ .
(٢) العيني : عقد الجمان ، ص ٣١٤ .
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٤٧٢/٣/١ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٦٢/١ .
(٣) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ٣٤٣/٢/٩ .
(٤) انظر : ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٦١/٢/٩ .
المقريزي :السلوك ، ٧٩٦/٢/٣ .
(٥) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٧٠ - ٧٥ .
اليزدي : ظفرنامه ، ٦٦٣/١ .
(٦) انظر : المقريزي : السلوك ، ٧٨٩/٢/٣ .
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٤٤/١٢ .
(٧) انظر : الاسترابادي : بزم ورزم ، ص ١٩ .
المقريزي : السلوك ، ٧٩٠/٢/٣ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٦٦/١ .

ومهما يكن الأمر فان الأحداث الجارية أظهرت تيمورلنك بصورة تختلف عما عرف به من البطش والتنكيل لكل من يقف في طريقه ، فاظهر رباطة جأش ، ولم يرغب في هذه الفترة - على أقل تقدير - أن يدخل في معركة مع المماليك ، خاصة وهو على علم بتأييد أعضاء الجبهة لبرقوق ، فرأى أن يعتمد على أسلوب المراسلات ، مظهرا رغبته في اقامة علاقات صداقة بينهما ، لذلك بعث بأكثر من مبعوث ورسالة من أجل هذا الغرض (١) • ولكن على الرغم من كل ذلك لم تتحسن العلاقة بينهما بل ازدادت سوءا • وهذا ماسوف نوضحه فيما بعد • وفي فترة استعداد القوات المملوكية للتوجه الى الشام لمواجهة تيمورلنك زحف حوالي ألف فارس من جند حلب بقيادة سيف الدين دقماق الظاهرى (٢) ، والطنبغا السلطاني (٣) نحو الرها ونشبت معركة بينهم وبين جاليش (٤) تيمورلنك فتمكن الجيش الحلبي من قتل عدد كبير منهم ، وأسروا آخرين ، وفر الباقون وسر برقوق بهذا النصر سرورا عظيما (٥) •

كما أن فترة الاستعداد لم تخل من ارسال تيمورلنك جواسيسه الى بلاد الشام ومصر لتقصى أخبارها ، حيث تم القبض على عدد منهم متلبسين بهذه التهمة ، ففي سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م تم القبض على رجل تترى يسمى دولات خجا وعند استجوابه اعترف أنه أحد جواسيس تيمورلنك ، وأقر أن بالقاهرة عدة جواسيس فقبض على سبعة من هؤلاء مابين تجار وغيرهم (٦) •

---

(١) انظر : المقريزي : السلوك ، ٣/٢/٨٠٣ - ٨٠٧ •
ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، ٤٩/١٢ - ٥٢ •
القلقشندي : صبح الأعشى ، ٣٠٨/٧ - ٣١٩ •

(٢) هو سيف الدين دقماق المحمدى الظاهرى برقوق ، كان من المقدمين الألوف تولى نيابة ملطية في أيام الظاهر ، ونيابة حماة سنة ٨٠١هـ ثم صفد ثم حلب سنة ٨٠٤هـ وقتل سنة ٨٠٨هـ •
انظر : السخاوى ، الضوء اللامع ، ٢١٨/٣/٢

(٣) كان نائب الرها وهو في ذلك الوقت كان أتابكا بحلب •
انظر : ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٤٨/١٢ •

(٤) جاليش : يراد بالجاليش مقدمة الجيش ، ويطلق الجاليش أيضا على علم من الاعلام التي كانت تحملها جيوش سلاطين المماليك في الحرب ، وكان من الحرير الابيض المطرز بشارات السلطان وتعلق في أعلاه خصلة من الشعر •
انظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٥٥/١٣ حاشية رقم ٢ •

(٥) المقريزي : السلوك ، ٨٠٢/٢/٣ •
العيني : عقد الجمان ، ص ٣٢٢ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٧٨/١ •

(٦) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٦٩/٢/٩ •
المقريزي : السلوك ، ٨٠٢/٢/٣ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٧٤/١ •

ومن هنا نرى أن تيمورلنك كان يخطط لغزو بلاد الشام وان ارساله لهؤلاء الجواسيس أو العيون ماهو الا محاولة جادة منه لمعرفة الوضع السياسي والحربي ومقدار قوة الجيش المملوكي وامكانية استعداداته ، ولكن خطته في ذلك فشلت لاكتشاف أمرهم ودفع ذلك السلطان برقوق الى التوجه سريعا الى البلاد الشامية .

ج - توجه برقوق الى بلاد الشام سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م :

رأى السلطان المملوكي برقوق ضرورة التوجه سريعا الى الشام والوقوف في وجه تيمورلنك وتحقيق نصر عليه ، يرفع من مكانته لدى جيرانه وأعضاء الجبهة ، ويريح العالم الاسلامي من هجماته وتوسعاته التى لاتعرف التوقف ٠

وأدرك برقوق خطورة القوة التيمورية الجديدة الزاحفة من الشرق ، فنودي في القاهرة ومصر بتجهيز الناس للسفر لقتال تيمورلنك فانه قد قصد أخذ البلاد ، وقتل العباد ، وهتك الحرمات ، واحراق الديار ، وأن محاربته أمر واجب (١) ٠

على الرغم مما كانت تتعرض له الدولة المملوكية يومئذ من ضيق مالي شديد ، الا أن برقوقا نجح في تدبير الأموال اللازمة للحرب فألزم جميع مباشرى ديوان الخاص والدولة ، ومباشرى الأمراء باحضار البغال من كل واحد منهم أو أخذ ثمن البغلة على قدر حال كل واحد منهم (٢) ٠

ثم طلب برقوق من قاضى القضاة صدر الدين المناوى (٣) أن يقرضه من مال الأيتام ، فامتنع ، فلما سمع ذلك البدر محمد بن أبي البقاء وجد سبيلا الى

---

(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٥٠/٢/٩ ٠
المقريزي : السلوك ، ٧٩١/٢/٣ ٠
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٤٧٩/٣/١ ٠

(٢) انظر : المقريزي : السلوك ، ٨٠٢/٢/٣ ٠
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٧٥/١ ٠
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٧٨/١ ٠

(٣) هو القاضي محمد بن ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم بن عبدالرحمن الصدر أبو المعالى الشرف السلمي المناوى ولد سنة ٧٤٢هـ ، ونشأ في الحكم وهو شاب وولى افتاء دار العدل والتدريس في مدارس القاهرة ، وولى القضاة بالديار المصرية سنة ٧٩١هـ ٠ ومات غريقا في نهر الزاب بالفرات سنة ٨٠٣هـ ٠

انظر : السخاوى : الضوء اللامع ، ٢٤٩/٦/٣ ٠

ولايته والتقرب الى السلطان ووعد لدى عودته الى القضاء بمال يقوم به هو ، وأن يقرض السلطان خمسمائة وستين ألف درهم من مال الأيتام (١) •

كما اقترض السلطان برقوق من بعض التجار (٢) مبلغ ألف ألف درهم (٣) وأمر الناس بدفع الأموال ومن يمتنع من الدفع يضرب عنقه (٤) •

ويذكر ابن تغرى بردى أن السلطان أنفق بعد ذلك نفقة على المماليك لكل مملوك مبلغ ألفى درهم وعدتهم خمسة آلاف مملوك فبلغت النفقة في المماليك خاصة عشرة ألف آلاف درهم فضة ، سوى نفقة الأمراء وما حمل في الخزائن وما تكلفه للسلطان أحمد بن أويس (٥) •

ويضيف ابن حجر العسقلاني أن هذه النفقة لم ترض طموحات المماليك فتمنعوا عن استلامها فجلس السلطان برقوق بنفسه وأمر بالنفقة فأخذوها دون أن يتكلم أحد منهم (٦) •

وضاعف السلطان برقوق اهتمامه في تجهيز هذه الحملة ، حيث قام بترتيب أطلاب الأمراء بنفسه فرتبها أحسن ترتيب ، ثم أخذ ترتيب طلبه ، وجعله في المقدمة كالجاليش لكثرة من كان به وعبأه قلبا وجناحا ويمينا ، وجناح شمال ورديفا وكمينا ، وأصبح الجيش في أبهج زى وأفخر هيئة (٧) •

---

(١) المقريزي : السلوك ، ٨١٠/٢/٣ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٨٤/١ - ٣٨٥ •

(٢) كان هؤلاء التجار الذين اقترض برقوق منهم الأموال : برهان الدين ابراهيم المحلي التاجر ، وشهاب الدين أحمد محمد بن مسلم ، ونورالدين علي بن الخروبي •
انظر : الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٨٦/١ •

(٣) المقريزي : السلوك ، ٨١١/٢/٣ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٥٥/١٢ •

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ، ٣٨٧/٢/١ •
انطوان ضومط : الدولة المملوكية ، ص ٣٢٦ •

(٥) ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٤٩/١٢ •

(٦) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٧٤/١ •

(٧) انظر : المقريزي : السلوك ، ٨٠٧/٢/٣ - ٨٠٨ •
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٥٣/١٢ - ٥٤ •
د•حكيم أمين عبدالسيد : قيام دولة المماليك الثانية ، ص ١٢٧ •

وقد قدر عدد الجمال التى وزعت في المماليك بأربعة عشر ألف جمـل ، وعدة الخيل الموزعة في المماليك السلطانية ألفين وخمسمائـة فرس ، سوى ماعندهم من الخيل وهي أضعاف ذلك ، وأما ماكان مع السلطان والأمراء فهـو يزيد عل مائة ألف مابين فرس وجمل ، (١) بالاضافة الى ما أخذوه معهم من كامـل التجهيزات العسكرية التي لم يسمع بمثلها ، حتى أنه أخذ معه خمسة قناطيرمن العاج والأبنوس لصنع الشطرنج ليلعب به السلطان (٢) •

ومهما يكن الأمر فان السلطان برقوقا وصل دمشق في العشرين من جمـادى الأولى سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م وبصحبته السلطان أحمد بن أويس والأمراء والقضـاة وسائر العساكر ، وكان يوم دخوله يوما عظيما ، وجلس على تخت الملك بالقلعة ونادى بالأمان والاطمئنان (٣) •

وفي دمشق قدم اليه رسل حاكم القفجاق تقتاميش سنـة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م مقدمين رغبة سيدهم في مساعدة برقوق وأن يكونا يدا واحدة لمواجهة تيمورلنك (٤) وتلا ذلك قدوم رسل السلطان العثماني بايزيد وأخبروا برقوقا أن سلطانهم جهز مائتى ألف درهم وانه ينتظر مايرد عليه من جواب السلطان ليعتمده (٥) •

كذلك أعلن حاكم سيواس بأنه في طاعة السلطان برقوق ، وينتظر وصـول أوامره للتوجه الى أية جهة يريدها برقوق لمواجهة الخطر التيموري (٦) • فسـر

---

(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٨/٢/٩ •
المقريزي : السلوك ، ٨١٢/٢/٣ •
بينما يذكر كل من ابن تغرى بردي في النجوم ، ٥٥/١٢ ، وابن الخطيـب الصيرفي في نزهة النفوس ، ٣٨٦/١ أن عدد الجمال أربعة آلاف •

(٢) انظر : المقريزي : السلوك ، ٨١٢/٢/٣ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٨٧/١ •

(٣) انظر : ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ٢٩١/٢ •
العيني : عقد الجمان ، ص ٣٢٦ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٥٦/١٢ •

(٤) العيني : عقد الجمان ، ص ٣٢٦ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٥٨/١٢ •

(٥) انظر : المقريزي : السلوك ، ٨١٧/٢/٣ •
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٥٩/١٢ •

(٦) انظر : المقريزى : السلوك : ٨١٧/٢/٣ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٧٦/١ •

السلطان برقوق من موقف أعضاء الجبهة وشكرهم جميعا على ما أبدوه من تعاون وتحالف معه ، وهذا يؤكد أن هؤلاء الحلفاء شعروا بخطورة الزحف التيموري ٠

لم يستمر بقاء برقوق في دمشق طويلا حيث توجه الى حلب وبصحبته السلطان أحمد بن أويس وكبار نواب الشام (١) ٠

والواقع ان المتغيرات على مسرح الأحداث كانت من العوامل التى حالت دون نشوب حرب بين برقوق وتيمورلنك سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م ٠

وعلى الرغم من حرص برقوق على مواجهته في ميدان القتال الا أن ذلك لم يتحقق له ٠ حيث أجبر هجوم تقتميش سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م على حدود سمرقند تيمورلنك على تغيير خطته لمواصلة الزحف على بلاد الشام والأناضول ، فعاد سريعا الى سمرقند لمواجهة تقتاميش وتأديبه وقد نجح في تحقيق ذلك (٢) ٠

وهناك من يرى أن عدم مواصلة تيمورلنك زحفه الى بلاد الشام ، يعود الى وصول أخبار مزعجة من سمرقند تطلب منه العودة سريعا اليها ، لنشوب بعض الثورات والفتن الداخلية بها بسبب ما أحدثه بعد تيمورلنك عنها من فراغ سياسي كبير (٣) ٠

ونرى أن تيمورلنك تحاشى خلال هذه الفترة محاربة برقوق ، وذلك لارهاق قواته من كثرة الحروب التى خاضوها في بلاد فارس والعراق وغيرهما ٠

كما أن تيمورلنك خشى من اتحاد أعضاء الجبهة ومساعدتهم لبرقوق ، ففضل تأمين خطوطه الخلفية قبل الدخول في معركة فاصلة مع برقوق ، وأن ذلك لايتم له الا بعد قضائه على تقتاميش ، والسلطان العثماني بايزيد ، وحاكم سيواس برهان الدين أحمد ٠

---

(١) انظر : ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ٢٩١/٢ ٠
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٧٥/١ ٠

(٢) انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٧٣/١ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٤٠/٣/٣ ٠
عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٦٠٠ ٠

(٣) Sami : Op . Cit . P . 157 .
D. Yasar,Yucel . Op . Cit . P . 40 .

وخلال تواجد السلطان برقوق في حلب أوفى بوعده تجاه السلطان أحمد في مساعدته على استعادة حكمه ، فقام برقوق سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م بتجهيزه وتزويده بكل مايحتاجه من مال وخيل وجمال وأسلحة ، وخلع عليه بأفضل الخلع (١) . ونودي في دمشق ألا يتخلف أحد من أهل بغداد عن الذهاب معه (٢) .

وتمكن السلطان احمد بن أويس من الانتصار على نائب تيمورلنك في بغداد ، وأصبح بذلك نائبا لبرقوق عليها ، وغدت دولته مرتبطة بالمماليك ارتباطا قويا ، وأثبت برقوق بمساعدته للسلطان أحمد ابن أويس شجاعته وتحديه لتيمورلنك ، وأنه منافس قوي له .

وعلى الرغم من وصول الأخبار الى السلطان برقوق بعودة تيمورلنك الى بلاده ، الا أنه لم يهمل مراقبة تحركاته ، حيث أرسل فرقة من جيشه الى أطراف المملكة للتأكد من صحة رجوعه (٣) .

ويذكر البعض أن برقوقا عندما علم برجوع تيمورلنك ، أرسل خلفه الأمير تنم (٤) نائب دمشق بالعساكر الشامية وتابعوه حتى أرزنجان ، ثم عادوا ولم يقفوا له على أثر (٥) .

كما قام برقوق بتعيين عدد من النواب الجدد للدفاع عن الحدود الشامية ، وعلى هذا استقبلت قلاع ملطية وطرسوس (٦) والرها وقلعة الروم نوابا جددا (٧) .

---

(١) انظر : ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ٢٩٢/٢ .
المقريزي : السلوك ، ٨١٤/٢/٣ .
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٥١٥/٣/١ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٨٩/١ .

(٢) انظر : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٥١٦/٣/١ .

(٣) انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٧٥/١ .

(٤) هو تنم بن عبدالله الحسني الظاهري اسمه الأصلي تنبك وغلب عليه تنم ، عينه الظاهر برقوق نائبا على دمشق واستمر مدة طويلة على ذلك ، وفي سنة سبع وسبعين قاد الجيوش الاسلامية الى سيواس نجدة لصاحبها برهان الدين ، ولما مات الظاهر أظهر المخامرة وطلب السلطنة فاطاعه نواب الشام ، وعندما تحارب مع السلطان فرج كانت الكسرة عليه وعلى من معه فأسروه ثم قتلوه ، وكان شجاعا مهيبا وقتل في ليلة الخميس الرابع من رمضان سنة ٨٠٢هـ .
انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١١٩/٢ .
ابن تغرى بردي : المنهل الصافي ، ١٦٨/٤ - ١٧٢ .

(٥) انظر : ابن تغرى بردي : المنهل الصافي ، ١١٤/٤ - ١١٥ .

(٦) طرسوس : مدينة من شغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم بينها وبين أذنة ستة فراسخ ، يشقها نهر البردان .
انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٢٨/٤ ، ٢٩ .

(٧) انظر : ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٩٦/٢/٩ - ٣٩٧ .
المقريزي : السلوك ، ٨٢٤/٢/٣ .

فضلا عن بعض أشغال العمارة التي كانت تقام وقتذاك في قلاع الشام خاصة قلعة بعلبك (١) التي كانت تمثل موقعا حربيا يتحكم في المدخل الى قلب الشـام وترك عددا من جنده للمحافظة على سلامتها (٢) ٠

وهكذا برهن برقوق على زعامته للعالم الاسلامي والحرص على وحدتـه ، لدرجة أفزعت تيمورلنك ، حتى أنه لم يجرؤ على محاربته أو التقدم نحو البلاد الشامية طوال عهد برقوق ٠

ثم قرر برقوق العودة الى الديار المصرية بعد ما تأكد من زوال الخطر التيموري من المنطقة سنة ٧٩٧هـ - ١٣٩٤م (٣) ٠

---

(١) بَعْلَبَك : مدينة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، بها أبنية عجيبة وآثـار عظيمة ، وقصور على أساطين الرخام لانظير لها ٠

انظر : ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٢٠٨/١

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ٨٨/٧ ٠
د٠ حكيم أمين عبدالسيد : قيام دولة المماليك الثانية ، ص ١٢٩ ٠

(٣) انظر : ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ٢٩٤/٢ ٠
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٦١/١٢

المبحث الثاني

الوضع السياسي في الدولة المملوكية في عهد السلطان فرج

٨٠١ - ٨٠٣هـ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠م

الوضع السياسي في الدولة المملوكية في عهد السلطان فرج

٨٠١ - ٨٠٣هـ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ م ٠

حين مرض السلطان برقوق وأحس بدنو أجله في شوال سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٨م استدعى الخليفة المتوكل والقضاة والأمراء وطلب منهم ، أن يحلفوا على السلطنة لأولاده من بعده وهم : فرج (١) ، وعبدالعزيز (٢) ، وابراهيم (٣) • فحلف جميعهم على ذلك (٤) ، وقرر أن يكون الأمير الكبير أيتمش البجاسي (٥) هو القائم بعده بتدبير دولة ابنه فرج وجعله وصيا على تركته وأن يكون الخليفة ناظرا على الجميع (٦) •

---

(١) هو الملك الناصر زين الدين أبوالسعادات فرج بن الملك الظاهر برقوق وهو السادس والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية ، والثاني من الجراكسة ، وأمه أم ولد تسمى شرين ، ولد سنة احدى وتسعين وسبعمائة وتولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٨٠١هـ •

انظر : ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ١٦٨/١٢ •
السخاوي : الضوء اللامع ، ١٦٨/٦/٣ •

(٢) هو الملك المنصور عزالدين أبوالعز عبدالعزيز بن الظاهر برقوق وهو ثالث الملوك الجراكسة أمه أم ولد تركية تسمى قنقباى ، ولد بعد التسعين وسبعمائة ، وجعل أبوه اليه السلطنة بعد أخيه فرج •

انظر : السخاوي : الضوء اللامع ، ٢١٧/٣/٢ •

(٣) هو ابراهيم بن الظاهر برقوق أخو الناصر فرج وعبدالعزيز ، وهو أصغر الثلاثة ، سكن مع أخيه المنصور عبدالعزيز بالقلعة ، فلما ملكوا أخاه بعد اختفاء أخيهما الناصر وعاد الى المملكة استمرا مقيمين الى أن أرسل بهما الى الاسكندرية ورتب لهما نفقة ولم يلبث أن مات كل منهما سنة ٨٠٩هـ

انظر : السخاوي : الضوء اللامع ، ٣٢/١/١ •

(٤) انظر : المقريزي : السلوك ، ٩٣٦/٢/٣ - ٩٣٧ •
القدسي : دولة الاسلام الشريفة ، ورقة ٦٨ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٥/٢-٦ •

(٥) هو الأمير الكبير أيتمش البجاسي الجركسي أتابك العساكر في أيام الظاهر برقوق ، قربه وأدناه ثم بعده أمسك وقتل بقلعة دمشق في أوائل شعبان سنة ٨٠٢هـ •
انظر : ابن تغرى بردي : المنهل الصافي ، ١٤٣/٣ - ١٥١ •
السخاوي : الضوء اللامع ، ٣٢٤/١/١ •

(٦) المقريزي : السلوك ، ٩٣٦/٢/٣ - ٩٣٧ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ١٦٩/١٢ - ١٧١ •

وما أن تولى فرج بن برقوق العرش سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٩م حتى نشبت الفتن والمؤامرات بين الأمراء حيث امتنع الأمير سودون (١) عن حضور الاجتماع المقرر للأمراء مع السلطان بالقلعة ، فقبض عليه وسجن بالاسكندرية (٢).

كما أنه ظهر في عهد فرج حزبان متعارضان رغب كل منهما في الاستئثار بالنفوذ ، فضم الحزب الأول الأتابك أيتمش (٣) والأمير تغرى بردي والأمراء الكبار وكان لهؤلاء السلطة على الجيش ويعين منهم النواب (٤).

وكان الحزب الثاني يضم الأمراء الخاصكية بزعامة الأمير يشبك الشعباني (٥) والأمير سودون طاز (٦) ، وكان معظم أفراده من الأمراء الجراكسة . وقد اعتقد أفراد هذا الحزب انهم معرضون للقتل من قبل ايتمش وجماعته ، وكانوا غير

---

(١) سودون قريب الظاهر برقوق ويعرف بسيدى سودون ، ترعرع في عهد برقوق ورقاه حتى صار مقدما ثم أمير أخور كبير ثم بعد موته قبض عليه وسجن في الاسكندرية ثم أفرج عنه واستقر دوادارا كبيرا ، ثم عين نائبا للشام وخرج لدفع تيمورلنك وابلى بلاء حسنا .

انظر : السخاوى : الضوء اللامع ، ٢/٣/٢٨٤ .

(٢) المقريزي : السلوك ، ٣/٣/١٦٢ .
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ١٢/١٧٢ - ١٧٣

(٣) هو والد أبي المحاسن يوسف المؤرخ صاحب النجوم الزاهرة ، والمنهل الصافي وغيرهما من عيون الكتب ، رقاه الظاهر برقوق حتى صيره أمير مائة سنة أربع وتسعين ثم ولى نيابة حلب سنة ست وتسعين ، وعين سنة ثلاث عشر وثمانمائة أتابكا ثم تولى نيابة دمشق في آخر السنة فمرض في سنة أربع عشرة وثمانمائه ومات في محرم سنة خمس عشرة وثمانمائة .

انظر : السخاوى : الضوء اللامع ، ٢/٣/٢٩ .

(٤) ابن خطيب الناصرية : الأول من الدر المنتخب ، مخطوط ، ورقه ١٩٤ أ .
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ١٢/١٨٠ .

(٥) هو يشبك الشعباني الأتابكى الظاهري برقوق ، رقاه استاذه الى التقدمة والخازندارية ، ثم صار بعده لالاه لابنه الناصر ، وهو الذي قام بترشيد الناصر حتى يستبد بالأمور دون الأتابك ايتمش فثارت الفتنة وانكسر ايتمش بمن معه الى البلاد الشامية ، ثم أخذ أمره في التزايد والارتقاء وصار مدبر المملكة ، وكانت وفاته سنة ٨١٠هـ .

انظر : السخاوى : الضوء اللامع ، ٥/١٠-٢٧٨ - ٢٧٩

(٦) المقريزي : السلوك ، ٣/٢/٩٨٢ .
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ١٢/١٨٠ .

راضين عن تسلط الأمراء الكبار وسيطرتهم على دفة الأمور ، كما أنهم رأوا أن الفرصة سانحة لاظهار نفوذهم مادام السلطان طفلا ، فجنحوا الى تدبير المؤامرات والخطط لازاحة ايتمش ومن معه وتجريدهم من نفوذهم ومكانتهم (١) ، وتمكن يشبك من اقناع فرج أنه قد وصل الى سن الرشد وطلب منه أن يخبر ايتمش بذلك الأمر (٢) ، فاستجاب فرج لمشورته وسأل ايتمش قائلا : [[ياعم أنا قد أدركت وبلغت الحلم وأريد أن أترشد (٣) ، فقال له أيتمش : السمع والطاعة واتفق الجميع على ذلك (٤) ، وكان عمره حينذاك اثنتى عشر سنة (٥)]] •

ولاشك أن السبب الذي دفع يشبك ومن معه الى تشجيع وتحريض السلطان في اعلان ذلك كراهيتهم لأيتمش وحزبه ، واعتقادهم أنه سوف يرفض طلبه وأنه بموجب ذلك الرفض سوف يتم لهم محاربتهم ويتحقق لهم ماكانوا يرمون اليه ، الا أن أيتمش خيب ظنهم بموافقته الفورية •

ومهما يكن الأمر فقد رفعت البشائر وأقيمت الأفراح في كل مكان احتفالا بترشيد السلطان (٦) • وغادر أيتمش الأسطبل السلطاني ونزل الى داره (٧) ، وكان رفيقه تغرى بردى قد حذره من النزول من الاسطبل وقال له : [[أطلع الى باب السلسلة وامكث به اليوم وخذ في نقل قماشك شيئا بعد شيء الى الليل حتى نبرم أمرا نفعله في هذه الليلة فاذا أصبحت فانزل الى دارك (٨)]] الا أن أيتمش لم يستجب لكلامه واصر على النزول الى داره (٩) •

---

(١) انظر : المقريزي : السلوك ، ٩٨٢/٣/٣ •
(٢) انظر : ابن تغري بردي : النجوم الزاهر ، ١٨٢/١٢ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٤/٢ •
(٣) انظر : المقريزي : السلوك ، ٩٨٥/٣/٣ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ١٨٢/١٢ •
(٤) انظر : ابن تغرى بردي : المصدر السابق ، ١٨٢/١٢ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٥/٢ •
(٥) انظر : الخطيب الصيرفي : المصدر السابق ، ٣٤/٢ •
(٦) انظر : المقريزي : السلوك ، ٩٨٥/٣/٣ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٤/٢ •
(٧) كان داره عند باب الوزير وهو أحد أبواب سور القاهرة الشرقي ، وان موقع هذا الباب لايزال قائما الى اليوم على رأس شارع التربة الموصل بينه وبين شارع الوزير •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٥/٢/حاشية رقم (١) •
(٨) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٨٣/١٢ •
(٩) المقريزي : السلوك ، ٩٨٥/٣/٣•
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٤/٢ - ٣٥ •

وتأزمت الأوضاع بعد نزول أيتمش ونشبت معارك طاحنة بين الحزبين المتصارعين ، انتصر خلالها حزب يشبك ومن معه واضطر أيتمش وعدد كبير من أعوانه الى الهرب نحو الشام (١) ، وبهذا النصر ليشبك وسودون أصبحا هما المسيطرين على أزمة الأمور في مصر ٠

واذا كان هذا هو الوضع في مصر فانه أيضا في الشام لم يكن أحسن حالا حيث تفاقمت الفتن والثورات فما أن وصلت أخبار مصر السيئة الى نواب الشام، حتى انتهز الأمير تنم الحسني نائب دمشق تلك الفرصة ، للاستفادة من هذه الفوضى والانفصال عن حكم المماليك في مصر ، وقد زاد من قلقه سيطرة يشبك على أمور الدولة في مصر وهو ليس قديم العهد بالأمرة ، وأخذ تنم يصرخ بأن السلطان صغير وكل مايصدر ليس عنه ، وانما هو من الأمراء ، وأنا وصي السلطان لايعمل أحد شيئا الا بمراجعتي ، فترقب الناس بدمشق وقوع الفتنة (٢) ٠

ويذكر ابن عربشاه [[أنه في سنة اثنتين وثمانمائة ، وقع الخلف بين الجند الشامي والمصرى ، وانحاز كل فريق الى فئة ، وتفرقت آراؤهم أيادى سبأ ، ومال هواء كل منهم الى دبور وشمال وصبا ، وأهملوا أمور الرعايا وغفلوا عن حلول الرزايا]] (٣) ٠

---

(١) انظر : المقريزي : السلوك ، ٩٨٧/٣/٣ ٠
ابن خطيب الناصرية : الأول من الدر المنتخب ، مخطوط ، ورقه ١٩٤ أ ٠

(٢) ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ١٧٦/١٢ ٠

(٣) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٢٤ ٠

والواقع أن الأمير تنم تمكن من فرض سيطرته على معظم نيابات الشام ، الا أنه فشل في فرض سيطرته على حماة (١) لمقاومة نائبها دمرداش المحمدي (٢) له ٠

وهكذا انقسمت الدولة المملوكية الى قسمين ، قسم يحكمه فرج في مصر، وقسم في الشام يحكمه تنم الحسنى الذي ازدادت مكانته وقوته بانضمام الأمير أيتمش وجماعته اليه (٣) ٠

ويذكر المؤرخون أن السلطان فرجا ما أن علم بوصول أيتمش الى الشام واستقبال تنم الجيد له ، حتى أرسل يطلب قدومه اليه ، وبصحبته أيتمش ومن معه من الأمراء الهاربين ، الا أن تنم رفض هذا الطلب ، واطلع أيتمش ومن معه عليه ، وطيب خاطرهم (٤) ٠

ثم كلف الأمير تنم أيتمش وتغرى بردى بأن يتوجها الى نائب حماة ونائب حلب ودعوتهما للدخول في طاعته ، وموافقتهما على محاربة السلطان ، فوافقا على ذلك وسر تنم سرورا عظيما (٥) ٠

وكان تنم على درجة كبيرة من الطموح ، حيث كان يرغب في السيطرة الكاملة على مصر والشام ، وخطط للتوجه الى مصر ٠ وكانت أخبار استعداداته

---

(١) حماة : مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات ، من أجمل البلاد الشامية ، يحيط بها نهر العاص ٠

انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٣٠٠/٢ ٠
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٤٢٣/١ ٠

(٢) هو دمرداش المحمدي الظاهري برقوق الخاصكي تولى نيابة طرابلس ثم أتابكية حلب ثم نيابة حماة ، واتهم بالتواطؤ مع تيمورلنك بتسليمه قلعة حلب ، وقد قتل بالاسكندرية عام ٨١٨هـ ٠

انظر : السخاوي : الضوء اللامع ، ٢١٩/٣/٢ ٠

(٣) ابن خطيب الناصرية : الأول من الدر المنتخب ، مخطوط ورقه ٢٤٩ أ ٠
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٥٦٤/٢/١ - ٥٧٤ ٠

(٤) انظر : المقريزي : السلوك ، ٩٩٣/٢/٣ ٠
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ١٩٤/١٢ ٠
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٥٦٤/٢/١

(٥) انظر : المقريزي : السلوك ، ٩٩٣/٢/٣ ٠
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة، ١٩٤/١٢ ٠

ورغبته في التوجه الى البلاد المصرية تصل تباعا الى السلطان فرج الذي اتفق مع امرائه بعد مشاورات ومناقشات على التوجه الى الشام ومحاربة الأمير تنم والقضاء على ثورته قبل استفحالها (١) ٠

وفي دمشق تجمع نواب الشام وأعلنوا اتحادهم ومحاربتهم للسلطان وجيشه وتوجهوا نحو غزة ليكملوا سيرهم نحو البلاد المصرية (٢) ٠

وبالمقابل رسم السلطان فرج بالتجهيز للسفر مع أخذ الحيطة والحذر ، ثم توجه بجيش بلغ عدده سبعة آلاف فارس (٣) نحو دمشق ولم يكد فرج يصل بعساكره على منزلة تل العجول خارج غزة سنة ٨٠٢هـ - ١٤٠٠م ، حتى طرقه جاليش الأمير تنم ونشب القتال بين الطرفين انهزمت خلاله طليعة تنم ، وانضم كبار قادتها (٤) الى السلطان وجنده ، وتمكنوا من الاستيلاء على غزة ، وكانوا في قلة من العليق ، فوجدوا فيها مايفوق الوصف فاطمأنوا وطابت أنفسهم (٥) ٠

ويذكر المؤرخون أن عددا كبيرا من جيش الشام قد واصل هربه حتى وصل الى الرملة (٦) ، فوجدوا نائب دمشق تنم قد وصل اليها ، فأخبروه بما وقع لهم فعنفهم (٧) ، فاعتذروا بأن سبب ذلك مخامرة من خامر من الأمراء فقبل عذرهم ،

---

(١) المقريزي : السلوك ، ٩٩٥/٣/٣ ٠
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ١٩٦/١٢ ٠

(٢) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٠٥/٣/٣ ٠
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٥٦٨/٢/١ ٠

(٣) انظر : ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٠٠/١٢ ٠
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٤٧/٢ - ٤٨ ٠

(٤) يذكر المقريزي في كتابه السلوك ، ١٠٠٧/٣/٣ أنه دخل في طاعة السلطان كل من الأمراء دمرداش المحمدي نائب حماة ، والطنبغا العثماني نائب صفد وجقمق نائب ملطية ، وتمر الناصري أتابك العساكر بحلب ٠

(٥) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٠٠/٢ ٠
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٥١/٢ - ٥٢ ٠

(٦) الرملة : مدينة في فلسطين كانت قصبتها ، وكانت رباطا للمسلمين وبينها وبين بيت المقدس اثنا عشر ميلا ٠

ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٦٣٣/٢ ٠

(٧) انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٠٠/٢ ٠

ومع ذلك لم يستسلم تنم للأمر الواقع بل رغب في مواصلة محاربة السلطان ٠ وقد ذكر البعض أن عدد جيش تنم الذي وصل به الى الرملة نحو خمسة آلاف فارس وستة آلاف راجل (١) ٠

وعلى الرغم من انتصار جيش السلطان السريع على جاليش الشام ، الا أنه رغب ومن معه في وقف القتال مع تنم واحلال السلام بينهما حرصا على سلامة الجيش ، حيث أن عدوهما الأكبر تيمورلنك على مقربة من الشام ، فبعثوا اليه قاضي القضاة صدرالدين المناوى لدعوته الى الطاعة والصلح واخماد هذه الفتنة ، وعرض عليه نيابة الشام على ماكان عليه ، أو القدوم الى السلطان ويكون أكبر الأمراء بمصر (٢) ، فاجابه تنم [ليس لي مع السلطان كلام ، ولكن يرسل الى الأمير يشبك وسودون طاز وجركس المصارع (٣) وجماعة عينهم ويعود الأمير أيتمش كما كان هو وجميع الأمراء الذين معه فان فعل ذلك والا فما بيني وبينهم الا السيف] (٤) ٠

وندرك من شروط تنم عدم رغبته في اقامة صلح مع السلطان ، وأنه كان يرنو ببصره نحو كرسي السلطنة ، وأنه كان على ثقة كبيرة بقوة جيشة ٠

أما السلطان فرج فقد رفض تلك الشروط وقال : [[أنا ما أسلم لاالتي لأحد]] (٥) ٠ وتوجه نائب الشام من الرملة الى غزة ، واتجه السلطان بقواته من

---

(١) ذكر ذلك كل من : المقريزي ١٠١٠/٣/٣ ، وابن تغري بردي ، ٢٠٦/١٢ ، بينما يذكر الخطيب الصيرفي ، ٥٢/٢ أنه كان مع تنم زهاء ثلاثين ألفا من الفرسان المماليك والاجناد التراكمين ٠

(٢) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٠٩/٣/٣ ٠
ابن خطيب الناصرية : الأول من الدر المنتخب مخطوط ورقة ٢٥٠ أ ٠
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٠٠/٢ ٠

(٣) هو جركس سيف الدين القاسمي الظاهرى برقوق المصارع كان من خواص الظاهر فتقدم بعده فولاه ابنه الناصر نيابة حلب سنة٨٠٩هـ ولم يقم بها الا مدة اقامة الناصر بها يوما أو يومين ورجع معه الى القاهرة ، كان شهما شجاعا ، قتل سنة ٨١٠هـ ٠
انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٣٩٠/٢ ٠
السخاوى : الضوء اللامع ، ٦٧/٣/٢ ٠

(٤) المقريزي : السلوك ، ١٠٠٩/٣/٣ ٠
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٠٠/٢ ٠
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٠٥/١٢ - ٢٠٦

(٥) ابن تغرى بردي : المصدر السابق ، ٢٠٦/١٢

جهة غزة الى الرملة والتقى الجيشان في جنين (١) ، فلم يلبث أن انهزم تنم وجيشه (٢) ·

وكان من أهم أسباب هزيمته تآمر بعض جنده عليه وانضمامهم الى جيش السلطان (٣) ، كما أدى سقوط الأمير تنم عن فرسه الى انهزام غالب جيشه من غير قتال (٤) ، وتم القبض على تنم وعلى جماعة كبيرة من الأمراء والنواب (٥) ، وهرب أيتمش وتغرى بردى وجماعتهما الى دمشق ، واستقبلهم نائب الغيبة (٦) والأمراء بما يليق بهم وأودعهم السجن (٧) · ثم توجه السلطان بعد هذا النصر الكبير الى دمشق وسر الجميع بوجوده وكان يوما مشهودا (٨) · ثم أصدر السلطان أوامره بتعيين عدد من الأمراء على نيابات دمشق ، وحماة وصفد (٩) وطرابلس (١٠) · ثم أمر بقتل عدد كبير من الأمراء الكبار وعلى رأسهم الأمير أيتمش الذي جهزت رأسه الى البلاد المصرية (١١) ·

---

(١) جينين : بليدة حسنة ، بين نابلس وبيسان من أرض الأردن ·
انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢٠٢/٢ ·

(٢) انظر المقريزي : السلوك ، ١٠١٠/٣/٣ ·
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٠١/٢ ·
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٥٣/٢ ·

(٣) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٠١/٢ ·

(٤) ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٠٧/١٢ ·

(٥) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠١٠/٣/٣ ·
ابن خطيب الناصرية ، الأول من الدر المنتخب ،مخطوط ورقه ٢٥٠ أ ·

(٦) نائب الغيبة : هو نائب السلطان أو نائب نائبه ، وله حرية التصرف في الحكم ، [ولم استطع التوصل الى معرفة اسم النائب المذكور] ·
انظر : القلقشندي : صبح الأعشى ، ١٧/٤ ·

(٧) انظر : ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٠٨/١٢ ·

(٨) ابن اياس : بدائع الزهور ، ٥٨٠/٢/١ ·

(٩) صَفَد : مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام ، وهي من جبال لبنان ·
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٤١٢/٣ ·

(١٠) طَرابلس : مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام ، بين اللاذقية وعكا عليها سور من صخر منيع البنيان ·
انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢٥/٤ ·
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٨٨٢/٢ ·

(١١) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠١٣/٣/٣ ·
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٠٢/٢ ·
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٥٨٢/٢/١ ·

أما الأمير تنم فقد قتل بحبسه بقلعة دمشق ، واستصفيت أمواله بالعقوبة ، وكانت مدة ولايته سبع سنين وستة أشهر ونصفا (١) • ثم عاد السلطان فرج وجيشه الى القاهرة واستقبلوا بحفاوة زائدة (٢) •

---

(١) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٢٥ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢١٢/١٢ •

(٢) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠١٦/٣/٣ •
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢١٣/١٢ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٥٨/٢ •

المبحث الثالث

الزحف التيموري على الشام
سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠ - ١٤٠١م

أ - أسباب الهجوم على الشام

ب - الهجوم على بهسنا وماجاورها

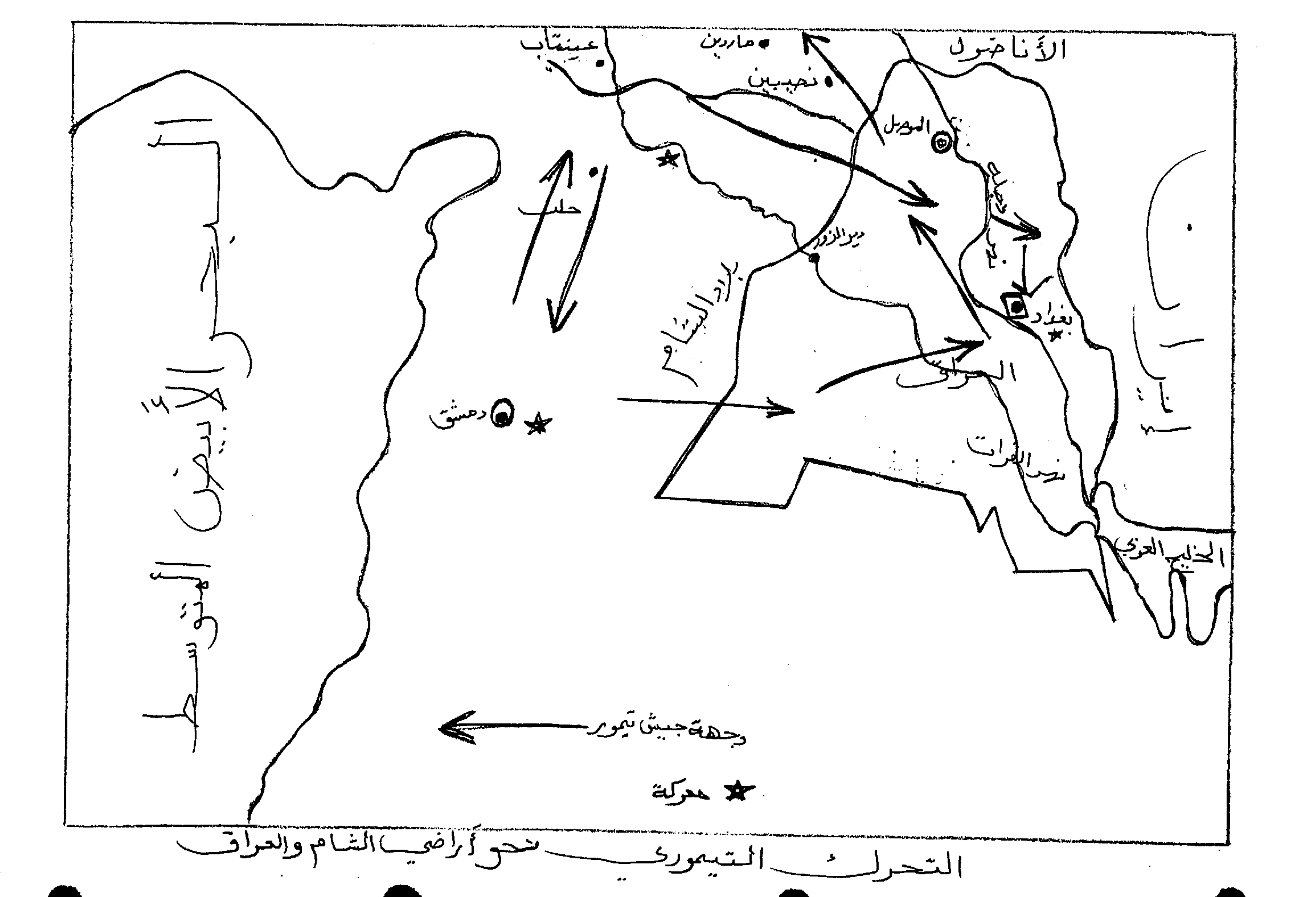
ج - هجوم تيمورلنك على حلب سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠م

د - استيلاء تيمورلنك على حلب سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠م

هـ - استيلاء تيمورلنك على قلعة حلب

و - مقابلة تيمورلنك علماء حلب ٠

ر - سقوط حماة - حمص - بعلبك سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠م



التحرك التيموري نحو أراضي الشام والعراق

الزحف التيموري على الشام سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠ - ١٤٠١م ٠

أ - أسباب الهجوم على الشام :

تعددت الآراء حول الأسباب التي دفعت تيمورلنك الى القيام بالزحف على بلاد الشام :

فيرى البعض أنه قد سبق وأرسل مبعوثا يحمل رسالة الى السلطان برقوق تضمنت رغبة تيمورلنك في توطيد دعائم العلاقة بينهما وتأمين طرق المواصلات بين الدولتين ، حتى تتمكن القوافل التجارية من المرور بسلام عبر أراضي الدولتين ٠

الا أن برقوقا أمر بقتل المبعوث ، ثم عاد تيمورلنك وأرسل رسالة أخرى الى السلطان المملوكي برقوق يطلب فيها اطلاق سراح أحد أقربائه ويسمى أطلمش ، الا أن برقوقا لم يستجب لطلبه واغتر بقوة جنده وكثرة عددهم ، فزحف تيمورلنك لمحاربتهم (١) ٠

مساعدة السلطان برقوق قبل وفاته للسلطان أحمد بن أويس واعادته الى حكمه ، قد أثار غضب تيمورلنك على المماليك فأخذ يترقب الفرصة للهجوم عليهم (٢) ٠

ويذكر بعض المؤرخين أن نائب الشام دمرداش قد لعب دورا كبيرا في ترغيب وتحريض تيمورلنك للزحف الى الشام ، وقد استند هؤلاء على اتهام رسول تيمورلنك له : [[بأن تيمورلنك لم يأت البلاد الا بمكاتبتك اليه ، وأنت تستدعيه أن ينزل على حلب ، وأعلمته أن البلاد ليس بها أحد يدفع عنها]] (٣) ٠

رغبة تيمورلنك في مد سلطانه على أكبر مساحة ممكنة ، ولكي يحقق هذا الهدف كان يجب عليه أن يستمر في حملاته ليحقق حلمه في أن يكون هو الحاكم الأوحد من خلال السيطرة على الدول الأخرى ، وبسط سلطانه على الشرق الاسلامي

---

(١) Sami : OP . Cit . P . 265 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢/٢٧٤ - ٢٧٥ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٣/٣/٥٧ ٠
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢١١ ٠

(٢) Grousset : Op . Cit . P . 447 .

(٣) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٣٣ ٠
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٢/٢٢١ ٠

كله ليحقق المشروع الذي عجز التتار عن تحقيقه منذ مائة وأربعين عاما عندما هزموا على يد المماليك في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م (١) .

ارسال تيمورلنك رسالة الى السلطان العثماني بايزيد يشرح فيها رغبته في التوجه الى بلاد الشام والقضاء على حاكمها الجركسى الذي لا أصل له ولانسب له ، وانه مغتصب الحكم من سيده وولي نعمته وأنه قبض على الخليفة وسجنه ، كما أنه تمادى في قتل رسله دون سبب ، وأن مثل هذا التصرف لم يصدر من أحد من قبل ، ولذلك فاننا بعد أن ننتهى من ضبط أمور صحراء القفجاق سوف نخطط للزحف الى بلاد الشام لمعاقبة هذا الغلام الجركسى (٢) .

وفي سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠م أرسل تيمورلنك رسالة الى نواب الشام يطلب منهم الكف عن القتال والمشاجرة ، وأن يخطبوا باسم محمود خان وباسمه ، وأن يرسلوا اليه أطلمش ليدركه اما بملطية أو حلب أو دمشق والا فتصير دماء أهل الشام وغيرهم في ذمتكم (٣) .[[وانه هو أولى بسياسة الأنام،وأن من نصبه هو الخليفة والامام ، وأنه ينبغى أن يكون هو المتبوع والمطاع ومن سواه من ملوك الأرض له خدم واتباع ، وكيف تعرف الجراكسة طرق الرياسة؟]] وكان يعلم أن اجابتهم سؤاله محال ولكنه قصد بذلك قرع باب الجدال وتركيب الحجة عليهم في اتخاذ ذلك ذريعة للقتال . فلم يلتفت الأمير سودون لرسالته وأمر بقتل رسوله (٤) .

وعلى الرغم من تلك الأسباب السابقة والتى كان يتذرع بها تيمورلنك لاحتلال الشام ، الا أننا نرجع أهم سبب لهذا الغزو التيموري الى الضعف والفوضى اللذين أصابا الدولة المملوكية بعد وفاة السلطان برقوق سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٩م . وتولى ابنه فرج دفة الحكم وقد نشبت في عهده الثورات والفتن والحروب فحولت الدولة الى مستنقع دماء وبؤرة فساد وفوضى في جميع الميادين ، وقد قتل من جراء تلك الحروب والصراعات أعداد كبيرة من الأمراء والنواب والاجناد .

---

(١) محمد عبدالله عنان : تراجم اسلامية . الطبعة الثانية ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، ص ١٨ .

(٢) D. Yasar , Yucel : Op . Cit . P . 23 .

(٣) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣١/٣/٣ .
ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام . الجزء الثاني ، ٨٠٠-٨٠٦هـ تحقيق : عبدالرحيم سليمان . رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، القاهرة . ١٩٧١م ، ٢٠٥/٢ .

(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

ويؤيد ذلك ماذكره ابن تغرى بردي حين قال : [[ان تيمورلنك كان يترقب زوال الملك الظاهر برقوق ، فلما ورد عليه الخبر بموته ، سر بذلك وعزم على دخوله الى البلاد الشامية لكنه صار يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، خوفا من الأمير تنم ورفقته من النواب بالبلاد الشامية ، وعظم العساكر المصرية ، فلما بلغه ثانيا الخلق بين أمراء الديار المصرية وما وقع لأيتمش ، ثم القبض على تنم وقتله ، انتهز الفرصة وركب غارة حتى طرق البلاد الشامية]] (١)•

ب - الهجوم على بَهَسْنَا (٢) وماجاورها سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠م :

تجمعت الأسباب السابقة لدفع تيمورلنك للزحف الى بلاد الشام ، وقد تم قبل زحفه اليها عدة مشاورات ومناقشات بينه وبين أمرائه وقواده ، حيث رأى الجميع تأخير الزحف هذه السنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠م لأن الجيش قد خاض حروبا كثيرة في ايران والهند وكرجستان ، وأنه يحتاج الى الراحة قبل القيام بهذه المهمة التي لم تكن سهلة نظرا لما تمتاز به الشام من كثرة مدنها ، وقوة ومتانة قلاعها ، وكثرة عدد جندها •

لكن تيمورلنك رفض مشورتهم وأقنعهم أن الله عز وجل سوف يكون لهم عونا في اتمام الاستيلاء عليها ، واضطر الجميع الى الخضوع لرأيه كما يقول مؤرخوه (٣) •

زحف تيمورلنك بجيشه نحو الشام وما أن وصل الى بهسنا حتى تمكن جيشه من الاستيلاء عليها وعلى كل ماوجدوه فيها من أموال (٤) • وكان يقوم على حماية

---

(١) ابن تغرى بردي : المنهل الصافي ، ١٧٢/٤ •
(٢) بهسنا : قلعة عجيبة بقرب مرعش وسميساط وهي من أعمال حلب •
انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٥١٦/١ •
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٢٣٤/١ •
(٣) Sami : Op . Cit . P.P. 265 - 266 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٨٠/٢ - ٢٨١ •
(٤) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٢٨ •
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٨٣/٢ •

قلعتها نائب يسمى مقبل من ولاة الشام (١)، غرته متانة القلعة وقدرته على الصمود في مواجهة الجيش التيموري الا أنه فشل في مقاومته (٢) بعد محاصرة تيمورلنك لقلعته من جميع الجهات، وضرب أسوارها بالمنجنيق حتى أصبح حصن القلعة مجوفا من جميع الجوانب الأمر الذي جعل نائبها يطلب التسليم والخضوع لتيمورلنك على أن يعفو عنه وألا يهدر دمه، وتشفع شاه رخ ابن تيمورلنك لنائبها لدى والده، فقبل شفاعته وأمن أهلها فقدموا له أنواع الهدايا المختلفة، وضربت العملة والخطبة باسمه (٣) •

ثم تقدم نحو مَلَطْيَة فأبادها ودك أسوارها (٤)، وسار حتى نزل قلعة الروم (٥) الا أن نائبها ناصر الدين محمد بن موسى بن شهرى (٦) لم يمكنه من أخذها (٧) فتركها وتوجه الى عينتاب [[عين تاب]] وقد امتازت هذه المدينة بقوة تحصينها ومناعتها واستعد نائبها الأمير أركماس الظاهرى لمواجهة تيمورلنك، وباشر القتال بنفسه الا أن جيش تيمورلنك تمكن من الانتصار عليه فاضطر الى الهرب نحو حلب (٨)، وأعمل تيمورلنك السيف في أهلها • وهدموا أبنيتها ومنازلها وجعلوها مساوية للأرض (٩) •

---

(١) لم نجد له ترجمة في المصادر التي رجعنا اليها •

(٢) يذكر ابن عربشاه في عجائب المقدور، ص ١٢٨ أن جيش تيمورلنك استمر في محاصرة قلعة بهسنا قرابة ثلاثة وعشرين ليله •

(٣) Sami : Op . Cit . P.P. 266 - 267 .
اليزدي : ظفرنامه، ٢/٢٨٢ - ٢٨٥ •

(٤) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور، ص ١٢٦ •
ابن تغرى بردي : النجومالزاهرة، ١٢/٢٦٥ •
د. أحمد عبدالكريم : تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، ٢/٩٠

(٥) قلعة الروم أو [[قلعة المسلمين]] قلعة حصينة في غربي الفرات، مقابل البيرة بينها وبين سميساط •
انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان، ٤/٣٩٠ •
القلقشندي : صبح الأعشى، ٤/١١٩ •

(٦) لم أقف على ترجمه له •

(٧) ابن عربشاه : عجائب المقدور، ص ١٢٩ •

(٨) ابن عربشاه : عجائب المقدور، ص ١٢٩ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة، ١٢/٢٦٥ •

(٩) Sami : Op . Cit . P . 267 .

ج - هجوم تيمورلنك على حلب سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠م :

ماكاد تيمورلنك يستولى على بهسنا وعينتاب حتى شعر نواب الشام بالخطر المحدق بهم ، فسارعوا بمراسلة السلطان فرج يحذرونه ويعلمونه بقرب تيمورلنك من حلب وأنه قادم للاستيلاء على الشام ومصر (١) ، الا أن السلطان ومن معه لم يدركوا حينئذ خطورة الزحف التيموري السريع ، وانصرفوا عن أحداث الشام ، ولم يتأهب أحد من المصريين لقتاله ، بل كان قصد كل واحد منهم الوصول الى سلطنة مصر وابعاد غيره عنها ويدع الدنيا تنقلب ظهرا لبطن (٢) .

ولم تجد تحذيرات رسائل نواب الشام المتتالية الى القاهرة أى اهتمام وكأن أمر بلاد الشام لايهمهم ، ونسوا أن الزحف التيموري لو تحقق له النجاح في الشام فان مصر هى الفريسة المقبلة .

ولما زادت نداءات نواب الشام واستنجادهم بالسلطان فرج استدعى الخليفة والأمراء والقضاة والأعيان سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠م للتباحث والمشاورة حول جمع الأموال من التجار اعانة على النفقة في الجند أو أخذ نصف الأوقاف لانفاقها على أعداد الجيش ، غير أن القضاة اعترضوا على ذلك (٣) . ولاشك أن اعتراض القضاة على نهب أموال الأوقاف هو حكم شرعى صحيح سليم ، أما انقاذ الشام فهو مسؤولية الدولة بمواردها وأجهزتها المختلفة ولاشأن لأموال الأوقاف به .

واتفق الجميع بعد ذلك على الاكتفاء بارسال الأمير أسنبغا الدوادار (٤) الى الشام لمعرفة أخبار تيمورلنك واقتصرت توجيهات السلطان فرج وقيادته (٥)

---

(١) انظر : ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٠٦/٢ .
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢١٩/١٢ .

(٢) انظر : ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢١٧/١٢ - ٢١٨ .

(٣) المقريزي : السلوك ، ١٠٢٨/٣/٣ - ١٠٢٩ .
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٤/٢ .

(٤) هو اسنبغا الناصرى محمد بن رجب اتصل بخدمة الناصر فرج وترقى حتى أصبح حاجبا ثانيا بالقاهرة ، ثم أصبح دوادارا ثانيا ، مات سنة ٨٥٧هـ .
السخاوى : الضوء اللامع ، ٣١١/٢/١ .

(٥) المقريزى : السلوك ، ١٠٢٩/٣/٣ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٧٣/٢ .

على تجميع قوات النيابات الشامية في حلب تحت قيادة الأمير سودون نائب دمشق ومواجهة تيمورلنك (١) •

سارع الأمير دمرداش نائب حلب في طلب المساعدة من نواب الشام في دمشق وطرابلس وحمص (٢) واستجاب النواب لاستعانته وتوجهوا اليه (٣) •

أما تيمورلنك فقد أرسل مبعوثا الى نائب دمشق والى المشايخ والقضاة والأعيان بكتاب جاء فيه : [[أنه قدم في عام أول الى العراق يريد أخذ القصاص ممن قتل رسله بالرحبة ، ثم عاد الى الهند فبلغه موت الملك الظاهر فعاد وأوقع بالكرج ، ثم قصد الروم لما بلغه قلة أدب هذا الصبى سليمان بن أبي يزيد أن يعرك أذنه • ففعل بسيواس وغيرها من بلاده مابلغكم • ثم قصد بلاد مصر ليضرب بها السكة ، ويذكر اسمه في الخطبة ثم يرجع بعد أن يقرر سلطان مصر بها • وطلب أن يرسل اليه أطلمش ليدركه • اما بملطية أو حلب أو دمشق ، والا فتصير دماء أهل الشام وغيرهم في ذمتكم]] (٤) •

ولم يقتنع الأمير سودون بما جاء في رسالة تيمورلنك وأمر بقتل رسوله (٥) ثم عاد تيمورلنك مرة أخرى وأرسل رسولا الى الأمير دمرداش يعده باستمراره على نيابة حلب ، ويأمره بمسك سودون نائب دمشق عقابا على قتل رسوله ، فأخذ دمرداش الرسول وأحضره الى النواب فأنكر الرسول مسك سودون وقال لدمرداش :

---

(١) ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٠٤/٢ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٢٨ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٤/٢ •

(٢) حِمْص بلد مشهور كبير مسور في طرفه القبلى قلعة حصينة على تل عال كبير بين دمشق وحلب ، وبها قبر خالد بن الوليد •

انظر : ابن حوقل • صورة الأرض ، ص ١٦٢ - ١٦٣ •
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٤٢٥/١ •

(٣) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٢/٣/٣ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٤/٢ •

(٤) المقريزي : السلوك ، ١٠٣١/٣/٣ • وانظر :
ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٠٤/٢ - ٢٠٥ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٢٩ •

(٥) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٢٩ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٢٠/١٢ •
السلامي : مختصر التواريخ ، مخطوط ورقة ٩٠ ب •

[[ان الأمير تيمورلنك لم يأت البلاد الا بمكاتبتك اليه وأنت تستدعيه أن ينزل على حلب وأعلمته أن البلاد ليس بها أحد يدفع عنها]](١) فغضب منه دمرداش ، وقام اليه وضربه ، ثم أمر به فضربت عنقه (٢) .

ان من المؤرخين من يتهمون الأمير دمرداش بموالاته لتيمورلنك ، حيث ذكر ابن تغري بردي أن من الحلبيين جماعة يقولون الى الآن انه كاتب تيمورلنك وتقاعد من القتال (٣) .

ويذكر ابن عربشاه : [[ان دمرداش قد خالف الجمهور ، ووافق في الباطن تيمورلنك وهذه كانت عادته ، وعلى المراوغة جبلت طينته ، فانه كان كالشاه العابرة ، والمرأة الحائرة الشائرة ، اذا التقى عسكران فلا يكاد يثبت في أحدهما جبنا منه ومكرا ، بل يعبر الى هذا مرة والى هذا أخرى ، مع أنه كان صورة بلا معنى ، ولفظا بلا فحوى ، فاعتمد تيمورلنك عليه وفوض الأمور اليه]] (٤) .

أما دي ميجناللى فيقول : [[وفي الحقيقة فان دمرداش الذي أسر مثل الآخرين لم يكبل بالاغلال معهم بل كرمه تيمورلنك كأحد نبلائه ، وقام دمرداش بامداد قوات تيمورلنك بالمؤن ، فاحتفظ بحكم تلك الأقاليم التي عين عليها حاكما من قبل السلطان وبسبب ذلك التكريم الذي منحه له تيمورلنك ، فقد أصبح مشكوكا في أمره لدى السلطان ولدى شعبه واعتبر خائنا]] (٥) .

ونرى أنه لو صدق مبعوث تيمورلنك في اتهامه لدمرداش فانه قد فعل ذلك

---

(١) المقريزي : السلوك ، ١٠٣٢/٣/٣ .
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٤/٢ .
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٢١/١٢ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٤/٢ .
السلامي : مختصر التواريخ ، مخطوط ورقة ٩١ أ .

(٣) انظر : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٢١/١٢ .

(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ١٣٣

(٥) نقلا عن أحمد عبدالكريم سليمان : تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، ١١/٢ .

خوفا من تيمورلنك وغارته المدمرة ، وشدة بطشه ، فرغب في التقرب اليه لعله يحظى عنده بمكانة عالية ان انقاد اليه ، وقد يكون قيامه بضرب وقتـــــل المبعوث تظاهرا منه أمام الأمراء ليبعد عنه تهمة الخيانة والتعـــاون مع عدوهم المشترك ٠ وقد يكون دمرداش مظلوما بما اتهم به وان ذلك حدث بتدبير ومكر من تيمورلنك للوقيعة بين الأمراء والتفريق فيما بينهم ٠

د - استيلاء تيمورلنك على حلب :

وعندما اجتمع نواب الشام في حلب ، اشتدت المناقشات فيما بينهم حول الطريقة والكيفية التي يجب أن يتبعوها لمواجهة الزحف التيموري ، واختلفت الآراء حول خطة مواجهته ، هل تكون داخل المدينةأومن خارج أسوارها ؟

فقال بعضهم : [[عندي الرأي الأسد ، أن نحصن البلد ، ونكون على أسوارها بالرصد ، نحرس بروج أفلاكها حراسة السماء بأملاكها ، فان رأينا حواليها من شياطين العدو أحدا ، أرسلنا عليهم من رجوم السهام ونجوم المكاحل (١) شهابا رصدا]] (٢) •

وأشار بعضهم بالاقامة والقتال على الأسوار الى أن يحضر العسكر المصرى (٣) وقال الملك المؤيد شيخ الخاصكى نائب طرابلس : [[يامعشر الأصحاب وأسود الحراب ، وفوارس الضراب ، اعلموا أن أمركم خطر ، وعدوكم دامر عسر ، داهية دهياء ، ومعضلة عضلاء ، جنده ثقيل ، وفكره وبيل ، ومصابه مريض طويل ، فخذوا حذركم ، واعملوا في دفعه بحسن الحيلة]] واستمر في قوله الى أن قال لهم وعندي الرأي الصائب [[أن نحصن المدينة من كل جانب ، ونكون خارجها مجتمعين في جانب واحد ، وكلنا له مراقب مراصد ، ثم نحفر حولنا خنادق ، ونجعل أسوارها البيارق والبوارق ، ونطير الى الآفاق أجنحة البطائق ، الى الأعراب والأكراد والتراكمة وعشران البلاد فيتسلطون عليه من الجوانب ، ويثبت عليه كل راجل وراكب ، ويصير بين قاتل وناهب وخاطف وسالب ، فان أقام وأتى له في ذلك ففي شر مقام ، وان تقدم الينا صافحناه بسواعد الأسنة ، وأكف الدرق وأنامل السهام . وان رجع وهو المرام رجع نجيبة ، وأقيمت لنا عند سلطاننا الحرمة والهيبة ، وان كان لسلطانه علينا عرج ، فلنا بحمد الله

---

(١) المكاحل : هي المدافع التي يرمى عنها النفط ، وهى أنواع : فمنها مايرمى بأسهم عظام تكاد تخترق الحجر ، وبعضها يرمى ببندق من حديد زنته مابين عشرة أرطال الى مايزيد على مائة رطل •

ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٢٧/١٢ ، حاشية رقم (٢) •

(٢) ان عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٣٠ •
(٣) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٤/٢ •

سلطان وفي سلطاننا فرج ، وأقل الأشياء أن نماده ونتحرز من جنده]] (١) • (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده)) (٢) •

ويذكر مؤرخو تيمورلنك أن الأمير دمرداش كان أعقل نواب الشام وأكثرهم كياسة واتزانا لأنه كان يعرف مدى قوة تيمورلنك ، فقد طلب من النواب التريث والتفكير في أمر مواجهة تيمورلنك ، وضرورة مشاورة العقلاء من أصحاب الرأى والحكمة في هذا الأمر الخطير ، والاتفاق للوصول الى رأى سليم وكل من يجول بخاطره رأى في هذه المسألة فليقله •

ثم قال هو وغيره [[ان هذا الرجل مؤيد من الله وأينما توجه فالنصر له ، ومن يخالفه سوف يلحق به الضرر ، وقد انحنى أمامه سلاطين الدنيا ومخالفة رجل كتيمورلنك لايفيد ، وتكون نهايته الندم ، ويجب أن لاتستغرقوا في نومكم ، وضعوا نصب أعينكم ماحل بقلاع المدن حتى الآن ولاسيما خراسان وسجستان وخوارزم وما وراء النهر ، ولاتسعو الى هلاككم ، ويجب عقد صلح معه وتقديم الهدايا وسك العملة له ، وأن تقرأ الخطبة باسمه ، ولعلنا بذلك نستطيع أن نثنيه عن مراده في التوجه الينا وتبقى بلادنا آمنة سالمة]] (٣) •

وقد كان لهذا الاقتراح أصداؤه ، فالبعض رأى أنه يدل على الفطنة والحكمة ، والبعض الآخر رآه عكس ذلك • وكان على رأس المعارضين له سودون نائب الشام •

ولم يرغب المعارضون في الاصغاء الى تلك النصائح فاغتروا بكثرة جنودهم ، وبصلابة قلاعهم ومدنهم وقالوا : [[من هاب خاب ، وان هذه المملكة لاتشبه الممالك الأخرى حيث أن أكثر قلاعها مشيدة بالتراب والطين ، أما مدننا وقلاعنا فقد شيدت من الحجارة وربما من الصخر ، واذا أرادوا الاستيلاء على احدى مدننا بالحرب فان عليهم أن يحاربوا شهورا وربما أعواما ، واذا كنتم

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٣١ - ١٣٢ •
(٢) سورة المائدة : الآية ٥٢ •
(٣) Sami : Op . Cit . P . 268 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٨٨/٢ - ٢٨٩ •

تخافون من محاربي العدو وكثرة جيشه وعدته ، فالحمد لله هناك فرق كبير بيننا وبينهم فأقواسنا دمشقية ، وسيوفنا مصرية ، ورماحنا عربية ، وتروسنا حلبية ، واذا كنتم تفكرون في كثرة الجند فانه يوجد في هذه المملكة أكثر من ستين ألف قصبة وقرية ، فاذا خرج من كل منها رجل أو اثنان فاننا سوف نفوقهم عددا ، وعلاوة على ذلك فانهم سوف يحاربون في الصحراء أما نحن فسوف نحارب من القلعة ، وان جدران منازلهم من الجلد والحبال ، أما قلاعنا فانها من الحديد والحجارة المنحوته]] (١) ٠

وعلى ضوء تلك الآراء السابقة نستطيع أن نقول: لم يكن في القيادة الشامية أمير كبير يستمع اليه ، ويؤخذ برأية بصدد الخطر المحدق بهم ، فلقد كانت الآراء مختلفة ، والقلوب متنافرة ٠

وعلى الرغم من الرأى السديد الذي أدلى به المؤيد شيخ والذي لو أخذ به لتحقق للقيادة الشامية مقاومة جيوش تيمورلنك فترة أطول ، وذلك لما عرف من متانة وحصانة قلاع الشام ، فانهم لم يأخذوا به وتخلوا عن خطتهم الدفاعية التي كانت تتفق مع وسائلهم في المقاومة وخرجوا من أسوار حلب الى خارجها لمواجهة تيمورلنك ٠

كما أن دمرداش ومن أيد رأيه من الأمراء ، غلب عليهم الضعف والوهن والتخوف من تيمورلنك ، وطلبوا من النواب ضرورة عقد صلح معه وضرب السكة باسمه ، ولعل ذلك يؤكد ماسبق أن اتهم به من قبل بعض المؤرخين العرب من أنه خالق الجمهور ووافق في الباطن تيمورلنك ٠

وكان الأفضل له وهو نائب حلب ، أن يتعاون مع النواب في اتخاذ موقف حاسم مع كافة الاجراءات اللازمة قولا وعملا لمواجهة تيمورلنك ، لا أن يبدد عزائمهم ويدخل الرعب في قلوبهم ٠

أما موقف الأمير سودون الجرئ وحماسه الكبير لمواجهة الزحف التيموري فيدل بقوة على حرصه على التضحية والجهاد ، وعلى ثقته الكبيرة في قوات

---

(١) Sami : Op . Cit . P.P. 268 - 269 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٨٩/٢ - ٢٩٠ ٠
خواندأمير : حبيب السير ، ٥٧/٣/٣ ٠

الشام ، وأسلحتهم المتنوعة ، لكن يؤخذ عليه استهانته بقوة تيمورلنك الكبيرة •

ومهما يكن الأمر فان الاتفاق قد تم بين النواب وكبار الأمراء على الخروج الى ظاهر المدينة وقتال العدو هناك (١) •

ويقدر المؤرخون العرب عدد من قدم من نيابات دمشق وطرابلس وحماة وصفد وغزة بنحو ثلاثة آلاف فارس (٢) •

وقدر دي ميجنانللي عدد الجيش الذي خرج لمواجهة تيمورلنك بثلاثين الى خمسة وثلاثين ألف رجل (٣) •

واكتفى البعض بالقول انها أعداد كبيرة ومدربة ومجهزة بأحسن تجهيز (٤) •

أما تيمورلنك فقد زحف بقواته الجرارة التى قدرتها بعض المصادر بثمانمائة ألف رجل (٥) • بينما قال دي ميجنانللي : انها بلغت ثلاثمائة ألف (٦) •

ولانعتقد أن عدد جيش تيمورلنك المتجه الى الشام قد بلغ هذا الحجم الهائل ، حيث أن جيشه لم يتجاوز عدده المائة ألف في معظم حروبه السابقة ، فكيف يأتى بهذا العدد الضخم الى الشام وهو يعلم ما أصاب الدولة المملوكية من ضعف ووهن بعد وفاة سلطانها القوي برقوق ؟ •

زحف تيمورلنك من عينتاب متوجها الى حلب (٧) ونزل بظاهرها على حبلان (٨)، يوم

---

(١) انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٤/٢ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٣٣ •

(٢) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٢/٣/٣ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٤/٢ •

(٣) أحمد عبدالكريم ، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة ، ١٠/٢ •

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٥/٢ •

(٥) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٣٦ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٦/٢ •

(٦) أحمد عبدالكريم ، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة ، ٣٨/٢ •

(٧) يذكر الشامي في كتابه ظفرنامه ، ص ٢٧٠ • أن تيمورلنك لم يتعجل في سيره من عينتاب الى حلب لأنه كان واثقا من عون الله له وانه قطع هذه المسافة التي تستغرق يومين في أسبوع واحد •

(٨) أخطأ كل من المقريزي في كتابه السلوك ، ١٠٣٢/٣/٣ ، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ، ٢٢٢/١٢ ، عندما ذكروا أن تيمورلنك نزل بعساكره على قرية جيلان بالجيم والصحيح أن اسم هذه القرية ((حبلان)) وهي من قرى حلب ، انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣٣٢/٢ •
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٤٤٢/١ •

الخميس ٩ ربيع الأول سنة ٨٠٣هـ - تشرين الأول ١٤٠٠م[١] • ثم تقدم نحو حلب وأحاط بسورها ، وحاصرها حصار السوار بالمعصم[٢] •

وصارت حلب الشهباء مظلمة كالليلة الدهماء[٣] •

والتقت في اليوم الأول طليعة تيمورلنك مع ثلاثمائة من الجيش الشامي أنكسر خلالها جند تيمورلنك[٤] ، وفي اليوم الثاني تجدد القتال بين الفريقين[٥] وقد قتل خلاله عدد من جند تيمورلنك وجنديان من جند الشام[٦] •

وفي يوم السبت الحادي عشر من ربيع الأول سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠م أصدر تيمورلنك أوامره الى الجيش بالاستعداد للمعركة ، وقد نظم جيشه على أحسن وجه ، حيث وضع في المقدمة ثمانية وثلاثين فيلا[٧] ، ويليهم رماة السهام الذين جمعهم من شتى الأرجاء ، فكان منهم الترك والتركمان والعجم والأكراد والتتار وغيرهم ، ونصب على ميسرة الجيش ميرانشاه وشاه رخ ومجموعة من كبار الأمراء والقواد وعلى الميمنة السلطان محمود خان وسائر الأمراء التيموريين الذين عركتهم الحروب فاكتسبوا منها الخبرة والقوة ، واختار عشرة آلاف فارس

---

(١) المقريزي : السلوك ، ١٠٣٢/٣/٣ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٣٣ •
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٢/٢ •
• Sami : Op . Cit . P . 270 .

(٢) انظر : السلامي : مختصر التواريخ [مخطوط] ورقه ٩١ أ •
القرماني : أخبار الدول وآثار الأول ، ص ٢٠٨ •

(٣) الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٧٥/٢ •

(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٣٣ •
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٢٢/١٢ •

(٥) يذكر اليزدي في كتابه ظفرنامه ، ٢٩٢/٢ - ٢٩٣ أنه عندما كانت قوات تيمورلنك تستعرض بالقرب من حلب تصادم الأميرميرزا سلطان ومعه عدد قليل من رجاله مع فرقة من الجيش الشامي تحقق فيها النصر لميرزا ، كما أن أبابكر أحد أحفاد تيمورلنك تمكن من محاربة قوة كبيرة من جند الشام ، الا أن قلة من كان معه من الجند اجبرته على وقف القتال معهم والعودة الى معسكره •

(٦) ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٠٧/٢ •

(٧) ابن خطيب الناصرية : الأول من الدر المنتخب ، [مخطوط] ورقة ٢٤٥ أ •
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٤/٢ - ٢٩٥ •
السخاوي : الضوء اللامع ، ٤٧/٣/٢ •

وطلب منهم الوقوف على ربوة عالية تشرف على ميدان المعركة وأمرهم بعدم مغادرة موقعهم (١) .

وتولى تيمورلنك بنفسه قيادة قلب الجيش مع مجموعة كبيرة من صفوة قواده (٢) .

ويعلق اليزدي على هذه التعبئة بأن جيش تيمورلنك كان منظما تنظيما رائعا ، وأن أعداده كالنمل من كثرتها وكان منظر الجيش رهيبا ومخيفا (٣) .

ونظم نواب الشام جيشهم فوقف سودون نائب دمشق في الميمنة ودمرداش نائب حلب في الميسرة ، وبقية النواب في القلب ، وقدموا أمامهم عامة أهل حلب في كثرة لاحد لها (٤) .

ويعلق ابن تغرى بردي على هذه التعبئة قائلا : [[فكانت هذه التعبئة من أيشم (٥) التعابى ، هذا مع ادعاء دمرداش بالمعرفة لتعبئة العساكر] (٦) .

هجم تيمورلنك بقواته الكبيرة على الجيش الشامي وتمكن من هزيمة ميسرته بقيادة دمرداش دون أي عناء (٧) ، فأدى ذلك اضطراب الجيش الشامي ، فانقض عليه جيش تيمورلنك كالأعصار ، ولكن مع ذلك ثبت نائب دمشق ونائب طرابلس في مواجهة الجحافل التيمورية وقاتلا قتالا عظيما (٨) برزت البطولات

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 270 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٤/٢ - ٢٩٥ .

(٢) Sami : Op . Cit . P . 271 .
(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٤/٢ - ٢٩٥ .
(٤) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٢/٣/٣ .
ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٠٩/٢ .
السلامي : مختصر التواريخ [مخطوط] ورقه ٩١ أ .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٥/٢ .
خواندامير : حبيب السير ، ٥٧/٣/٣ .

(٥) من الشوم ، وهى ضد اليمن .
(٦) النجوم الزاهرة ، ٢٢٢/١٢ .

(٧) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٣٥ .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٦/٢ .

(٨) المقريزي : السلوك ، ١٠٣٢/٣/٣ .
ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٠٩/٢

الفردية حيث أظهر الأمير عزالدين أزدمر(١) وولده يشبك(٢) وعدد من الفرسان شجاعة كبيرة وأبلوا بلاء حسنا ، ولكن اقدامهم وشجاعتهم ضاعت سدى أمام الحشد الهائل من قوات تيمورلنك ، فقتل ازدمر(٣) ، وجرح ابنه في أكثر من ثلاثين موضعا(٤) • واستحر القتال بين الجيشين قرابة الساعة انهارت بعده قوات الشام فولوا الأدبار وأقبلوا نحو البلد منهزمين(٥) •

ويرجع ابن حجر العسقلاني أسباب الهزيمة الى دور الأمير دمرداش نائب حلب في اثارة الفتنة بين التركمان والعرب ، وذلك لمساعدته لبعض التركمان على نهب أموال نعير أمير آل فضل ، فغضب من ذلك وانسحب قبل حضور تيمورلنك فلم يحضر أحد من العرب(٦) •

ويصف مؤرخو تيمورلنك أحداث هذه المعركة قائلين : [[لم يكن عتاد المقاومة يتمشى مع استعدادات تيمورلنك الرهيبة ، فما أن قدم تيمورلنك لمواجهتهم حتى أصدر أوامره بمهاجمة الجناح الأيمن للقوات الشامية بعنف

---

(١) هو الأمير عزالدين أزدمر بن عبدالله الظاهري أحد مقدمي الألوف بديار مصر ، ثم نفاه الظاهر برقوق الى دمشق سنة ٨٠٠هـ ، ثم أنعم عليه الناصر فرج بتقدمة ألف بدمشق بعدوقعة تنم نائب الشام ، وعندما قدم تيمورلنك نحو حلب خرج مع نائب دمشق لمحاربته ، فقيل أنه قتل في المعركة وقيل أسر وقتل على يد تيمورلنك سنة ٨٠٣هـ .

ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٣٤٩/٢ •

(٢) هو يشبك بن أزدمر الظاهري أظهر بطوله كبيرة أمام الجيش التيموري ، وجرح في رأسه فقط زيادة على ثلاثين ضربة بالسيف سوى مافي بدنه ، فسقط بين القتلى فحمل وجئ به الى تيمورلنك فأمر بمداواته ، وتوفي سنة ٨١٧هـ •

ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٣٥٠/٢ •

(٣) المقريزي : السلوك ، ١٠٣٢/٣/٣ - ١٠٣٣ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٥/٢ •

(٤) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٢٣/١٢ •

(٥) ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٠٩/٢ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٧٥/٢ •

(٦) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٦/٢ •
محمد كرد علي : خطط الشام ، ١٦٨/٢ •
د• عبدالسيد : قيام دولة المماليك الثانية ، ص ١٣٦ •

شديد ، فعمت الفوضى بين صفوفه فانكسروا هاربين ، وانقضت قواته الأخرى على ميسرة القوات الشامية ونجحوا في هزيمتها وتشتيت قوتها في كل اتجاه ، وفي نفس الوقت ظلت قوات القلب دون أن تغير مواقعها ، وقام خط الفيلة بمفرده بالهجوم على مقدمة قوات الشام فاطاحت بها الى الأرض ، ولم تبذل أى جهود اضافية من القوات الشامية لمواجهة الزحف التيموري (١) .

ومهما يكن الأمر فان نائب دمشق ونائب حلب انسحبا من ميدان المعركة في رعب شديد نحو مدينة حلب ، وتبعهم (٢) النواب والجند والعوام والنسوان والصبيان وفي أثرهم القوات التيمورية (٣) .

فهلك تحت حوافر الخيل من الناس ومن أهل حلب وغيرها من العشاة مالايدخل تحت حصر (٤) ، وعندما وصلوا الى أبواب المدينة تدافعوا وداس بعضهم بعضا حتى صارت الجثث طول قامة من كثرة من قتل (٥) .

واستمرت مطاردة الجيش التيموري للهاربين ، وتمكنوا من قتل أعداد كبيرة من الفرسان والمشاة ، حتى امتلأت الشوارع وأزقة حلب بالقتلى ، واضطر جند تيمورلنك الى السير والمرور فوق جثث القتلى ، وسدت فراغات خندق المدينة بالكامل من كثرة من سقط فيه من الجند والخيل وأصبح مستواه مع مستوى الأرض (٦) .

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 271 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٦/٢ - ٢٩٧ .

(٢) يذكر اليزدي في ظفرنامه ، ٢٩٨/٢ ، وخواندامير في حبيب السير ، ٥٨/٣/٣ أن أعدادا كبيرة من الهاربين فروا الى دمشق وفي أثرهم القوات التيمورية المنتصرة ، وانه قد نجا من القتل فارس واحد استطاع الوصول الى دمشق وأخبر أهلها بالواقعة .

(٣) المقريزي : السلوك ، ١٠٣٣/٣/٣ .
ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٠٩/٢ .

(٤) ابن خطيب الناصرية : الأول من الدر المنتخب ، [مخطوط] ورقه ٢٤٥ أ .
الشوكاني : البدر الطالع ، ١٧٥/١ .

(٥) المقريزي : السلوك ، ١٠٣٣/٣/٣ .
ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٠٩/٢ .
Sami : Op . Cit . P . 271 .

(٦) Sami : Op . Cit . P . 271 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٩٨/٢ - ٢٩٩ .

وعندما أقتحم الجيش التيموري مدينة حلب أشعلوا بها النيران وعاثوا بها فسادا نهبا وأسرا وسفكا ، وبذلوا السيوف في الرجال والأطفال والتجأ الى الجامع والمساجد الجمع الغفير من المخدرات ، وانتهكت الحرمات ، وصارت الأبكار تفتض من غير تستر ولا احتشام ، بل يأخذ الواحد الواحدة ويعلوها في المسجد والجامع ، بحضرة الجم الغفير من أصحابه ومن أهل حلب ، فيراها أبوها وأخوها ولايقدر أن يدفع عنها ، لشغله بنفسه ، وبذل جند تيمورلنك السيف في عامة حلب وأجنادها ، حتى أمتلأت المساجد والطرقات بالقتلى[1] [2] [3] .

---

(١) انظر : ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٠٩/٢ .
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٥٩٧/٢/١ .
القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٠٨ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٧٥/٢ - ٧٦ .

(٢) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٢٣/٣/٣ .
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٥/٢ .
ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٠٩/٢

(٣) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٢٣/٣/٣ .
ابن الخطيب الناصرية ، الأول من الدر المنتخب ،مخطوط ورقة ٢٤٥ أ .
ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٠٩/٢ .

هـ - استيلاء تيمورلنك على قلعة حلب سنة ٨٠٢هـ - ١٤٠٠م :

تمكن نواب الشام الهاربون أمام تيمورلنك من الوصول الى قلعة حلب بسلام ، وقد لحق بهم كبار الأمراء والأعيان والتجار وغيرهم من الأهالي وقد أخذوا معهم أموالهم وأمتعتهم ولوازمهم الأخرى أملا في الاحتماء بأسوارها (١) ٠

واعتقد النواب أنهم باحتمائهم داخل القلعة سوف يتمكنون من محاربة تيمورلنك ومقاومته ، فوثقوا بمتانة وارتفاع القلعة التى شيدت تشييدا متينا بقوالب من أحجار الجرانيت ، فوق مرتفع شامخ ومحاطة بخندق عرضه ثلاثون ذراعا ، وبين الخندق والسور يوجد منحدر أملس يصعب تسلقه (٢) ٠

ويرى البعض أن الروح المعنوية والثقة لدى نائب دمشق ونائب حلب قد تجددت ، وقررا مواصلة مقاومة تيمورلنك والدفاع عن القلعة اذا تقدم لمحاصرتهم فأخذا يصرخان بأصوات عالية لحث الجند على الدفاع بكل شجاعة ! (٣) ٠

وكان تيمورلنك قد عسكر أمام أسوار القلعة ، فأصدر أوامره وتعليماته الى جنده بألا يدعوا مجالا لأى جندى داخل القلعة أن يطل برأسه من سورها (٤) ٠

كما أنه طلب من النقابين من جنده القيام بمهمة نقب سور القلعة واحداث فتحات حوله فقاموا بمهمتهم على أحسن وجه (٥) ٠

وفي ظل هذه الظروف الصعبة على من في القلعة من النواب والأمراء وغيرهم أرسل تيمورلنك رسالة اليهم يقول فيها : [[بعون الله تعالى لقد

---

(١) انظر : ابن قاضي شهبه : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٠٩/٢ ٠
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٢٦ ٠
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٠١/٢ ٠

(٢) Sami : OP . Cit . P . 271 .
Price : OP . Cit . Vol . 3 . P . 330 .

(٣) Sami : Op . Cit . P . 271 .
Price : Op . Cit . Vol . 3 . P . 330 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٠٢/٢ ٠

(٥) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٣/٣/٣ ٠
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٢٣/١٢ - ٢٢٤ ٠

سخرت الدنيا لنا ، وبارادته تعالى أصبحت ادارة كل الممالك في أيدينا وتحت سيطرتنا ولايمكن أن تكون القلاع مانعا لسطوة جندنا ، ولاتستطيع الحصون أن تدفع غضبنا وشدتنا ، فان أنتم أردتم أن ترحموا أرواحكم من القتل فاستسلموا فهو خير لكم ، والا فانكم سوف تسعون الى سفك دمائكم ودماء أهلكم وأولادكم]] (1) •

فتشاور النواب والأعيان الذين في القلعة ، فأجمعوا على طلب الأمان ، فأرسلوا الى تيمورلنك بذلك ، فطلب نزول بعض النواب اليه فنزل اليه دمرداش نائب حلب فخلع عليه ، ودفع اليه أمانا وخلعا (2) • وبعث معه عدة وافرة من جنده فاستنزلوا من بالقلعة كل نائب وطائفته وجعلوا كل اثنين في قيد وأحضروا اليه فأمر بحبسهم (3) •

ثم سيق اليه من بقي من نساء حلب سبايا ، وأحضرت اليه الأموال والجواهر والآلات الفاخرة ففرقها بين أمرائه وجنده (4) ، وأقام بحلب شهرا ، والنهب في القرى لايتوقف مع قطع الأشجار وهدم البيوت (5) فصارت حلب عبرة للناظرين وموعظة للمتذكرين (6) •

---

(1) Sami : Op . Cit . P . 272 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٠٤/٢ •

(2) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٣/٣/٣ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٥/٢ •

(3) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٤/٣/٣ •
ابن تغرى بردي : النجوم ، ٢٢٤/١٢ •
ابن اياس : ٥٩٨/٢/١ •
القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٠٨

(4) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٤٣/٣/٣ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٣٦ •
Sami : Op . Cit . P . 272 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٠٥/٢ - ٣٠٦

(5) انظر : ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٠٩/٢ •
ابن تغري بردي : النجوم ، ٢٢٥/١٢ •
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ١٢٠ - ١٢١ •

(6) انظر : الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٧٦/٢ •
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٥٩٨/٢/١ - ٥٩٩ •

و - مقابلة تيمورلنك علماء حلب سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠م :

بعد استيلاء تيمورلنك على قلعة حلب طلب احضار بعض علمائها وقضاتها للسلام عليهم ومناقشتهم في بعض المسائل والقضايا التي عجز عن الاجابة عليها علماء سمرقند وبخارى وهراة وسائر البلاد التى خضعت له ، ففضل أن يطرح على علماء حلب أسئلته لعله يجد ضالته ومراده لديهم ٠

ويظهر لنا من خلال أسئلته أنها لم تكن أسئله علمية بل غلب على مناظرته لعلماء حلب رغبته في استفزازهم والاستهزاء بهم والتعسق في رأيه ، ليتخذ من ذلك سببا لقتلهم وتدمير بلادهم ٠

وقد انحصرت المناقشة في القضايا الآتية :

- من هو الشهيد من الطرفين ؟ ٠
- ما رأى علماء حلب في الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ويزيد بن معاوية ؟ ٠
- استفتاء العلماء حول قتل نائب دمشق سودون ؟

كلف العلماء الحاضرون في مجلس تيمورلنك (١) القاضي محمد بن الشحنة (٢) للرد على تساؤلات تيمورلنك ٠

---

(١) كان من بينهم: القاضي شرف الدين موسى الأنصارى الشافعي قاضى حلب ولد سنة ٧٤٨هـ ونشأ في حجر عمه شهاب الدين خطيب حلب ، كان قاضيا فاضلا دينا عيفا ولي القضاء في عهد الظاهر برقوق مرار ومات سنة ٨٠٣هـ ٠
انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٩٥/٢ ٠
السخاوي : الضوء اللامع ، ١٨٩/١٠/٥ ٠
القاضي علم الدين محمد بن محمد بن محمد الدمشقى القفصى المالكى ولى قضاة دمشق احدى عشرة مرة في مدة خمس وعشرين سنة وولي قضاء حلب وحماة مرارا وتوفى سنة ٨٠٥هـ
انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٥٢/٢
السخاوى : الضوء اللامع ، ١٣/١٠/٥ ٠
ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ٥٣/٧ ٠

(٢) هو قاضى القضاه محب الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازى الحنفى ، والشحنة هو الجد الأعلى لمحمود ولد سنة ٧٤٩هـ ، وحفظ القرآن الكريم وعدة متون وتفقه وبرع في الفقه والأصول والنحو والأدب ، وتولى قضاء قضاة الحنفيه بحلب ثم دمشق ، واشتغل بالتدريس ونشر العلم له ألفية رجز تشتمل على عشرة علوم ، والفية اختصر منها منظومة النسفى وضم اليها مذهب الامام أحمد وله تأليف أخرى في الفقه والأصول والتفسير وتوفى سنة ٨١٥هـ .
انظر : السخاوى : الضوء اللامع ، ٣/١٠/٥ ٠
ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ١١٣/٧ - ١١٤ ٠

واختار تيمورلنك العالم عبدالجبار بن النعمان ليكون المتحدث والمترجم عن لسانه ، حيث كان تيمورلنك لايعرف العربية ، فطلب منه أن يقول لهم : [[انى سائلهم عن مسألة سألت عنها علماء سمرقند وبخارى وسائر البلاد التي افتتحتها ، فلم يفصحوا عن جواب ، فلا تكونوا مثلهم ولايجاوبنى الا أعلمكم وأفضلكم ، وليعرف من يتكلم فانى خالطت العلماء ولى بهم اختصاص وألفة ولي في العلم طلب قديم]] .

وكان أول سؤال طرحه تيمورلنك عليهم : انه بالأمس قتل منا ومنكم فمن الشهيد ، قتيلنا أو قتيلكم ؟ .

فأجابه ابن الشحنة قائلا : هذا سؤال سئل عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجاب عنه ، وأنا مجيب بما أجاب به [[جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يارسول الله ان الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه فأينا في سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الشهيد]] (١) .

فأعجبت تيمورلنك اجابة ابن الشحنة وقربه اليه ، وبدأت المؤانسة بينهما ، فاستغل ابن الشحنة ذلك وتجرأ في سؤاله أن يعفو عن أهل حلب ويترفق بهم (٢) .

وقد نفى تيمورلنك عن نفسه أنه قتل أهل حلب قصدا ، وأن هؤلاء الحلبيين وغيرهم قد حصل لهم ماحصل من قتل نتيجة اندفاعهم على أبواب المدينة وليس له ذنب في ذلك ، ووعده أنه سوف لايقتل أحد منهم وأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم (٣) .

---

(١) روى أبوداود هذا الحديث في سننه بالصيغة الأتيه :
[[حدثنا حفص بن عمر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى وائل، عن أبى موسى ، أن أعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : ان الرجل يقاتل للذكر ، ويقاتل ليحمد ، ويقاتل ليغنم ، ويقاتل ليرى مكانه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قاتل حتى تكون كلمة الله هى أعلى فهو في سبيل الله عز وجل]] .
انظر : أبوداود : سليمان بن الأشعث السجستانى الازدى . (ت ٢٧٥هـ) (سنن أبى داود) اعداد وتعليق : عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ، الطبعة الأولى ، حمص . سوريا ، ١٩٧١م ، ٣١/٣ .

(٢) انظر : ابن الشحنة : روضة المناظر في أخبار الأوائل ، ص ٢١٤ - ٢١٦.
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٣٩ .
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٢٦/١٢ .

(٣) انظر : ابن الشحنة : روضة المناظر في أخبار الأوائل ، ص ٢١٦ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٤٠ .

وهنا نرى عدم صدق تيمورلنك في قوله وتبريره ، وأنه لاذنب له في قتل من قتل من الحلبيين عند انكسارهم أمام جيشة ! ومع أن المسئولية الأولى تقع علـى عاتقـه لأن ما أصاب الناس من فزع ورعب كان بسبب مطاردة جنده لهم، فحاول كل منهم أن ينجو بنفسه من قتلهم ، ولو كان تيمورلنك يرغب في السلم وتجنيب أولئك الهاربين القتل ، لأمر جنده بوقف المطاردة ، ولكن هكذا دائما يختلق التبريرات والحجج ليظهر نفسه بمظهر البرىء المسالم ٠

ثم سألهم عن رأيهم في علي ومعاوية رضي الله عنهما ، ويزيد ، وهـل يجوز لعن معاوية ويزيد أم لا ؟ .

فأجابه في هذه المرة القاضي علم الدين القفصي اجابة لم تعجب تيمورلنك وأثارت غضبه فقد قال القاضي : [[ان عليا اجتهد وأصاب فله أجران ومعاوية اجتهد وأخطأ فله أجر واحد]] (١) ٠

فأجابه تيمورلنك بغضب شديد أن عليا على الحق ومعاوية ظالم ويزيـد فاسق وانتم حلبيون تبع لأهل دمشق ، وهم يزيديون قتلوا الحسين (٢) ٠

ويوضح ابن الشحنة مقدار تضايق تيمورلنك من اجابة القاضي السابقة وانه أخذ في ملاطفته والاعتذار عن القاضي بأنه أجاب بشئ وجده في كتاب لايعرف معناه فاقتنع تيمورلنك بكلامه ورضى عنهم وأخذ في محادثتهم ببعض الأمـور الجانبية (٤)

---

(١) انظر : ابن خطيب الناصرية : الأول من الدر المنتخب ، مخطوط ورقة ٢٤٥ ب ٠
السخاوى : الضوء اللامع ، ٤٧/٣/٢ ٠

(٢) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٤٠ ٠

(٣) يذكر ابن خطيب الناصرية في المخطوط السابق ورقة ٢٤٥ ب أن الشرف أبو البركات موسى أجاب بأن معاوية لايجوز لعنه لأنه صحابي ، فقال تيمورلنك ماحد الصحابي ؟ فأجابه القاضي أنه كل من رأى النبي فقال تيمورلنك فاليهود والنصارى رأوا النبي فأجاب بأن ذلك بشرط كون الرائى مسلما ، واجابه القاضي بأنه رأى حاشية على بعض الكتب أنه يجوز لعن يزيد ، فتغبط تيمورلنك من هذه الاجابة ٠

(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٤٠ ٠

وفي اليوم التالى غدر بكل من كان بالقلعة وأخذ جميع ماكان فيها من الأموال والذخائر والحلى ماتعجب تيمورلنك من كثرته ، وعوقب غالب سكانها بأنواع من العقوبة وحبسوا بالقلعة مابين مقيد ومزنجر ومسجون ومرسم عليه (١)•

ولم يف تيمورلنك بوعده للعلماء عندما قال لهم : [[والله لا أقتل أحد منكم وأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم]] وهذا ليس غريبا على تيمورلنك فعادته التنصل من جميع ايمانه لتحقيق مآربه •

وتكررت لقاءات تيمورلنك بالعلماء وأعاد السؤال عن علي ومعاوية رضي الله عنهما ، فأجابه ابن الشحنه : لاشك أن الحق كان مع علي ، وليس معاوية من الخلفاء ، فانه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : [[الخلافة بعدي ثلاثون سنة وقد تمت بعلي]] (٢) ، فقال تيمورلنك قل : علي على حق ومعاوية ظالم ، قلت : قال صاحب الهداية يجوز تقليد القضاة من ولاة الجور فان كثيرا من الصحابة والتابعين تقلدوا القضاء ، من معاوية وكان الحق مع علي في نوبته فسر بذلك (٣) •

وطلب من أمرائه الاحسان الى العلماء وعدم ايذائهم ، ففعلوا ما أوصاهم به وعلى الرغم من وعود تيمورلنك بعدم المساس بأهل حلب واحسانه الى العلماء الا أنه عاد ونكث بعهده طالبا من أمرائه وعسكره أن يبنوا له مآذن من رؤوس المسلمين كعادته في غزواته السابقة •

وكان ابان ذلك قد طلب من علماء حلب مقابلته لاستفتائهم حول قتل نائب دمشق الأمير سودون الذي سبق أن قتل رسوله ، فجاء رد ابن الشحنة لما سئل عن ذلك : هذه رؤوس المسلمين تقطع وتحضر اليه بغير استفتاء وهو حلف ألايقتل

---

(١) ابن الشحنة : روضة المناظر في أخبار الأوائل ، ص ٢٢٠ •

(٢) جاء نص هذا الحديث في سنن أبي داود بالصيغة الآتيه : [[حدثنا عمرو بن عون ، حدثنا هشيم ، عن العوام بن حوشب ، عن سعيد بن جهمان ، عن سفينة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم يؤتي الله الملك من يشاء ، أو ملكه من يشاء))]] •

انظر : سنن أبي داود ، ٣٧/٥

(٣) انظر : روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٤١ - ١٤٢ •

(٤) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٣/٣/٣ - ١٠٣٤
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٥/٢ •

منا أحدا قصدا ، ثم جاء رسول من قبل تيمورلنك يعتذر ويقول : [[ان سلطاننا لم يأمر بأحضار رؤوس المسلمين وأنما أمر بقطع رؤوس القتلى ، وان يجعل منها قبة اقامة لحرمته على جاري عادته ففهموا عنه غير ما أراد ، وانه قد أطلقكم فامضوا حيث شئتم]] (١) .

ولانعتقد بصحة تبرير تيمورلنك بأنه قد حدث خطأ في فهم أوامره من قبل جنده ، وأنه لم يأمر بقتل الأحياء ، وانما طلب أن يؤتى برؤوس القتلى فقط ومثل هذه الأغوار يفتعلها تيمورلنك ، وهو في حقيقة الأمر لايعرف الرحمة أو الشفقة ، ويحرص على اراقة الدماء ويسعد برؤيتها وتلك هي طباع السفاكين .
ان مافعله تيمورلنك وجنده في حلب ومن جاورها من المدن كاف ليؤكد هذه الصفة فيهم ، فقد عانت حلب منه الشئ الكثير حتى صارت الأرض من كثرة القتلى فراشا لايجد أحد مكانا يمشي عليه الا وتحت رجليه رمة قتيل (٢)، وعمل من الرؤوس مآذن عدة (٣) ، وأقام عليها عشرين يوما يسقيهم عذابا أليما ويعاقبهم عقابا شديدا . فصار أغنياؤها فقراء يسألون ، وتجارها لابسين ، ومخدراتها عاريات مأسورات ، ثكلى عن أولادهن مكسورات ، وجوامعها ومساجدها عن الأذان والصلاة والخطب خالية ، ودورها على أرضها خاوية (٤) .

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٤/٣/٣ .
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٥٩٧/٢/١ - ٥٩٩ .
محمد كرد علي : خطط الشام ، ١٦٧/٢ .

(٣) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٤/٣/٣ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٣٦ .
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٦/٢ .

(٤) انظر : ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٠٩/٢ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٧٦/٢ - ٧٧ .

ز - سقوط حماة وحمص وبعلبك سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠م ٠

بعث تيمورلنك ابان توجهه الى حلب بقوة من جنده بقيادة ابنه ميرانشاه للاستيلاء على حماة ، وتمكن من محاصرتها بعد أن نهب خارج المدينة وسبى النساء والأطفال وأسر الرجال ، واستمر جنده يفعلون في النساء والأبكار تلك الأفعال القبيحة التى عرفت عنهم ، وخربوا جميع ماخرج عن سور المدينة ٠ (١) (٢)

وتمكنت هذه القوة من الاستيلاء على المدينة بعد مقاومة شديدة من أهلها ٠ (٣)

ويذكر بعض المؤرخين أن ميرانشاه تمكن من فتحها بمخادعته لأهلها الذين فتحوا له بابا من أبواب المدينة ، ونادى بالأمان ، فقدم الناس عليه، وقدموا له أنواع المطاعم فقبلها منهم ، ووعد أهلها خيرا (٤) ٠ ثم خرج منها الى مخيمه ومع ذلك فان قلعة حماة (٥) امتنعت عليه وقد انتهزت حامية القلعة رحيل ميرانشاه فنزلوا الى داخل المدينة وقتلوا الرجلين الذين أقامهما لحفظ المدينة ، فلما بلغه ذلك رجع اليها واقتحم البلد واشعل النار بها وأخذ جنوده يقتلون ويأسرون وينهبون دون خوف من الله ٠ (٦)

---

(١) Sami : OP . Cit . P . 273 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٠٦/٢ ٠

(٢) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٥/٣/٣ ٠
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٢٥/١٢ ٠
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦٠٠/٢/١

(٣) Price : Op . Cit . P . 334 .

(٤) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٦/٣/٣ ٠
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٢٦/١٢ ٠

(٥) قلعة حَمَاة : هدمها تيمورلنك بعد أن تسلمها ، ومن ذلك الحين بقيت خرابا ليس فيها الا بعض بيوت وجدران قائمة ، وآثار سجن للحكومة بقيت الى القرن الحادي عشر الهجري ٠

انظر : ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٢٦/١٢ ، حاشية رقم (٢) ٠

(٦) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٥/٣/٣ - ١٠٣٦ ٠
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٢٥/١٢ - ٢٢٦ ٠

ويذكر المؤرخون الفرس أنه عندما فرغ تيمورلنك من الاستيلاء على حلب ، وفعل بها ما فعل توجه نحو حماة ، فلما علمت حامية القلعة بقدومه ، فضلوا الاستسلام والدخول في طاعته ، وطلبوا من الأمراء السابقين الذين استولوا على المدينة أن يتوسطوا لهم لدى تيمورلنك ليمنحهم الأمان ، فاستجاب تيمورلنك لوساطتهم (١) .

ثم زحف نحو مدينة حمص ، ولم يتعرض لها بتشتيت وتبديد وهي المدينة الوحيدة التى سلمت من غدره وتدميره (٢) .

وكان أعيان المدينة يعرفون مدى قوة تيمورلنك ، وشدة بطشه بمن يحاول أن يقف في وجه تحركاته ، فخرجوا طائعين مستسلمين فمنحهم الأمن والأمان ولم يتعرض لهم بمكروه (٣) .

ويرجع ابن عربشاه سبب ذلك لتقديره واحترامه لقبر القائد المسلم الشهير خالد بن الوليد (٤) .

وجعل الأمير علي (٥) أكبر (٦) نائبا عليها (٧) ، وولى قضاءها لرئيس يسمى شمس الدين الحداد (٨) .

وتابع تيمورلنك زحفه من حمص في اتجاه مدينة بعلبك ، وأمر أثناء سيره فرقة من جنده بالتوجه الى صيدا (٩) وبيروت (١٠) والاغارة عليهما ، وتمكنت

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 273 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٠٦/٢ - ٣٠٧ .
خواندامير : حبيب السير ، ٥٨/٣/٣ .

(٢) ابن الشحنة : أبوالمعالي محمد بن محمد بن محمود بن غازي (ت٨١٥هـ) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، علق على حواشيه يوسف بن اليان سركيس الدمشقى ، بيروت : المطبعة الكاثولوكية ١٩٠٩م ، ص ٢٧٢ .
انظر : ابن عربشاه ، عجائب المقدور ، ص ١٤٧ .
السلامي : مختصر التواريخ ، مخطوط ، ورقة ٩٠ ب .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٠٨/٢ .
خواندامير : حبيب السير ، ٥٨/٣/٣ .

(٤) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٤٧ .

(٥) لم أقف على ترجمة له في المصادر التي بين يدي .

(٦) انظر : اليزدي : ظفرنامه ، ٣٠٨/٢ .

(٧) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٤٧ .

(٨) لم أقف على ترجمة له فيما تحت يدي من المصادر .

(٩) صَيْدا : مدينة على ساحل بحر الشام ، من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ستة فراسخ .
انظر : ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٨٥٩/٢ .

(١٠) مدينة مشهورة على بحر الشام تعد من أعمال دمشق ، بينها وبين صيدا ثلاثة فراسخ .
انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٥٢٥/١ .
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٢٤٠/١ .

الفرقة من تنفيذ مهمتها بنجاح وعادوا اليه محملين بالغنائم والأثقال (١) •

وعلى الرغم من حصانة بعلبك وقوة أسوارها ، الا أن تيمورلنك تمكن من الاستيلاء عليها دون صعوبة ، حيث خرج أهلها اليه طالبين الصلح (٢) فلم يتلفت اليهم وأمر بنهبهم واستئصال شأفتهم ! (٣) •

---

(١) انظر : اليزدي : ظفرنامه ، ٢/٣٠٩ •
Price : Op . Cit . P . 335 .

(٢) Sami : Op . Cit . P . 274 .

(٣) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٤٧ - ١٤٨ •
الصرفى : تاريخ دول الاسلام ، ٢/٢٩٤ •

المبحث الرابع

الزحف التيموري على دمشق سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠ - ١٤٠١م

أ - الاستعدادات لمواجهة تيمورلنك •

ب - توجه السلطان فرج الى دمشق •

ج - دخول فرج الى دمشق وحروبه مع تيمورلنك •

د - انسحاب فرج واضطراب الموقف في دمشق •

هـ - مفاوضات تيمورلنك مع علماء دمشق سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م •

و - استيلاء تيمورلنك على قلعة دمشق سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م •

ز - المفاوضات مع السلطة المملوكية ٨٠٣هـ - ٨٠٦هـ / ١٤٠١ - ١٤٠٣م •

ح - آثار الغزو التيموري على الشام •

الزحف التيموري على دمشق سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠ - ١٤٠١م .

أ - الاستعدادات لمواجهة تيمورلنك :

بعد استيلاء تيمورلنك على بعلبك أكمل سيره متوجها نحو دمشق التى استقبلت نبأ استيلائه على حلب ومافعله فيها من قتل ونهب وتدمير بقلق شديد فاضطربت أمورهم وازداد رعبهم وتخوفهم ، وعظم ضجيجهم وبكاؤهم .

وكان الأمير اسنبغا السيفى الذي سبق أن بعثه السلطان فرج لمعرفة أخبار تيمورلنك قد أطلق سراحه وتوجه الى دمشق وطلب من نائب الغيبة وأهلها ترك المدينة والخروج منها فان الأمر صعب (١) .

ونادى نائب الغيبة بمنع الهرب والبقاء في المدينة فاختلفت الآراء وتردد الناس بين البقاء في المدينة أو الخروج منها ، وتحمس البعض في المناداة على الناس من هرب نهب ، وأن عليهم الرحيل من ظاهر المدينة الى داخلها (٢) ، ومع ذلك هرب الكثير من أهلها يريدون مصر والقدس ، وتحصن البعض في قمم الجبال (٣) ، وتحمس فريق آخر لقتال تيمورلنك ، وقام هؤلاء بتحصين المدينة ونصبت المجانيق على القلعة وأسوارها وشحنت بالأطعمة التى تكفى لأطول مدة ممكنة (٤) .

ثم حاول تيمورلنك الاستيلاء على المدينة بخداع نائب الغيبة والأمراء وطلب منهم تسليم المدينة ، وأخبرهم أن نواب الشام المقبوض عليهم يؤيدون

---

(١) انظر : المقريزي : السلوك ، ٣/٣/١٠٣٧ .
ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢/٢١٣ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٤٤ .

(٢) انظر : ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢/٢١٠ .
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٢/٢٢٧ .
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ١٢٣ .

(٣) انظر : المقريزي : السلوك ، ٣/٣/١٠٣٦ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٤٥ .

(٤) انظر : المقريزي : السلوك ، ٣/٣/١٠٣٤ .
د. حكيم أمين عبدالسيد : قيام دولة المماليك الثانية ، ص١٣٦ .

هذا العمل ، ويطلبون منهم عدم محاربته [١] ، فاختلفت الآراء ، وضاعت الحكمة ، وانشغل كل فرد بنفسه وتأهب نائب الغيبة للهرب فرده العامة ردا قبيحا ، واجمع الناس على الهرب ونودى من الغد : [[لايشهر أحد سلاحا ، وتسلم البلاد ، لتيمورلنك]] [٢] •

ولعب نائب القلعة دورا كبيرا في بث الحماس بين الأهالي ، ونادى مناديه بالاستعداد للحرب ، ومن كان محتاجا الى سلاح فليأخذه من القلعة •

واتخذت كافة الاجراءات للدفاع وحملت الأطعمة والتجهيزات الى القلعة ، فأقبل الناس على التطوع لمواجهة وصد تيمورلنك [٣] ، ولم يتوقف أمراء دمشق عن ارسال الرسائل الى القيادة المملوكية في مصر ، يناشدونها النهوض اليهم لمساعدتهم في صد الغزو التيموري المدمر [٤] ، ولكن السلطان فرج ومن حوله كانوا في شغل شاغل عن أحداث الشام [٥] ، حتى عندما وصلتهم أخبار استيلاء تيمورلنك على حلب ومحاصرته لقلعتها كذبوا ذلك ، وأمسك المخبر وحبس حتى يعاقب بعد ذلك على افترائه [٦] •

ومهما يكن الأمر فان القيادة المملوكية أحست أخيرا بصدق الأخبار التي وصلت اليها ، ورأت ضرورة التوجه الى الشام لمواجهة تيمورلنك ، ففرقت النفقات على المماليك السلطانية لأجل السفر [٧] •

---

(١) انظر : ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢١١/٢ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٢٧/١٢ •

(٢) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٥/٣/٣ •
ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢١١/٢ •

(٣) انظر : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٢١١/٢ •

(٤) يذكر ابن اياس في كتابه بدائع الزهور ، ٦٠١/٢/١ ان الملك الناصر كلما طرقته هذه الأخبار يتغافل عنها ، ويتشاغل بشرب الراح وحب الملاح حتى تمكن تيمورلنك من البلاد •

(٥) Sami : Op . Cit . P . 274 .
Price : Op . Cit . P . 336 .

(٦) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٥/٣/٣ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٢٨/١٢ •

(٧) انظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٢٢٨/١٢ •

وتولى الشيخ سراج الدين البلقيني (١) والقضاة والأمير أقباى (٢) مهمة المناداة على الناس لحثهم على الجهاد ، وحملوا معهم ورقة تقرأ على الناس جاء فيها : [[الجهاد في سبيل الله لعدوكم الأكبر تيمورلنك ، فانه أخذ البلاد ، ووصل الى حلب ، وقتل الأطفال على صدور الأمهات ، وأخرب الدور والمساجد والجوامع وجعلها اسطبلات للدواب ، وهو قاصدكم ، يخرب بلادكم ، ويقتل رجالكم وأطفالكم ويسبى حريمكم]] (٣) .

واشتد فزع الأهالى وتخوفهم وكثر صراخهم (٤) ، وكان يوما مشهودا ، وقد كان لموقف القضاة الجيد وتقدير الناس للخطر المحدق بهم أن انطلقت ألسنتهم بالوقيعة بأعيان الدولة (٥) مما دفع الأمراء الى سرعة تعبئة الجيش كما أن الأمير اسنبغا العائد من الشام حكى للأمراء ماانزل من البلاء بأهل حلب ، وماشاهده من اضطراب وفوضى وفزع في دمشق ، وأخبرهم عن قوة جيش تيمورلنك وحسن تنظيمه (٦) ، فدفعهم ذلك الى طلب أجناد الحلقة بالحضور وهدد من تأخر من

---

(١) هو الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقيني ولد سنة ٧٢٤هـ كان علامة دهره وحافظ عصره ، وكان له يد طولى في سائر العلوم ولاسيما في الفروع والأصول وعلم الحديث وضبط أسماء الرجال كان يكتب في كل يوم على الفتاوى أكثر من خمسين فتوى وله مصنفات كثيرة منها محاسن الاصلاح وشرح الترمذي وغيرهما ، وتوفى سنة ٨٠٥هـ .
انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٤٥/٢ - ٢٤٦ .
السخاوى : الضوء اللامع ، ٨٥/٦/٣ - ٩٠

(٢) هو أقباى بن عبدالله بن حسين شاه الطرنطاى الظاهرى برقوق ترقي في أيام الناصر فرج للتقدمة ثم للحجوبية الكبرى ، ثم لأمرة سلاح ثم لرأس نوبة الأمراء ، ومات عليها في سنة ٨١٢هـ .
انظر : الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٢٦٠/٢ .
السخاوى : الضوء اللامع ، ٢١٣/٢/١ .

(٣) المقريزي : السلوك ، ١٠٣٦/٣/٣ .
ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢١٢/٢ - ٢١٣ .
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٢٨/١٢ - ٢٢٩ .

(٤) انظر : ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢١٣/٢ .
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦٠١/٢/١ .

(٥) انظر : ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٢٩/١٢ .
د. حكيم أمين عبدالسيد:قيام دولة المماليك الثانية ، ص ١٣٧ .

(٦) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٧/٣/٣ .
ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢١٣/٢ .

الحضور [1] ، وخرج البريد الى أعمال ديار مصر بالوجهين القبلي والبحري ، بجمع أقوياء الجند ، وتجهيز العربان للتوجه لمحاربة تيمورلنك [2] •

ب - توجه السلطان فرج الى دمشق :

سار السلطان فرج بجيشه من الريدانية [3] في العاشر من ربيع الآخر [4] سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠م متوجها نحو دمشق ، فوصل الى غزة في العشرين منه وقام بتعيين الأمير تغرى بردي على نيابة دمشق والأمير أقبغا الجمالى [5] في نيابة طرابلس [6] ، والأمير طولون بن علي شاه [7] في نيابة غزة ، وبعث الجميع الى أعمالهم [8]

---

(١) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٧/٣/٣ •
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٢٨/١٢ •

(٢) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٧/٣/٣ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٠/١٢ •

(٣) تحركت طليعة جاليش الجيش المملوكي من الريدانية في الثامن من ربيع الآخر •
انظر : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٠/١٢•
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٧٩/٢ •

(٤) الريدانية قرب منطقة العباسية في ضواحي القاهرة ، واشار المقريزي في المواعظ والاعتبار ١٣٨/٢ الى أنها كانت بستانا لريدان الصقلبى أحد خدام العزيز بالله نزار بن المعز ، وهي المكان لأول تعسكر نظامي عندما يتحرك الجيش لحملة ما •

(٥) كانت هذه النيابات : دمشق وطرابلس وصفد وغزه قد خلت من نوابها الذين هم على التوالى :
سودون قريب الظاهر برقوق ، وشيخ المحمودي ، والطنبغا العثماني ، وعمر بن الطحان لوقوعهم في أسر تيمورلنك •

(٦) هو أقبغا العلاء الهدبانى الظاهرى برقوق الأطروش ولى الحجوبية الكبرى بحلب ثم صفد ثم طرابلس ثم حلب سنة ٨٠١هـ وأسس بها جامعه ولم يكمله ثم أمسكه الناصر لكونه ممن أعان تنم نائب دمشق ثم أطلقه الناصر وولاه طرابلس ، توفى سنة ٨٠٦هـ •
انظر : السخاوى : الضوء اللامع ، ٣١٦/٢/١ •

(٧) هو طولو بن علي باشا الظاهرى برقوق ، وكان من أعيان خاصكيته فترقى بعده الى الأمرة ، ثم ولى نيابة غزة ، ثم نيابة اسكندرية وفي سنة ٨٠٨هـ رسم باستقراره في نيابة صفد الا أنه قتل في ذي الحجة في نفس السنة •
انظر : السخاوى : الضوء اللامع ، ١٣/٤/٢ •

(٨) انظر : العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان • الجزء التاسع عشر • نسخه مصورة عن مخطوط مكتبة أحمد الثالث • استانبول - مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي جامعة ام القرى - مكة المكرمة حوادث سنة ٨٠٣هـ •

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٢٣١/١٢ •

ومن الواضح أن السلطان فرجا قد قصد من وراء حركة التعيينات الجديدة اعادة الاستقرار والهدوء الى تلك المدن ، وحث أهلها على الصبر والجهاد والتوجه لمساعدة اخوانهم في دمشق لمحاربة عدوهم الأكبر تيمورلنك .

وفي غزة تناقش فرج ومجلس قيادته في الطريقة والخطة التى يرونها صالحة لمواجهة تيمورلنك ، فتحدث في ذلك الأمير تغرى بردي ، فأجاد الرأى وأحسن القول حيث قال : [[الرأى أن السلطان لايتحرك هو ولاعساكره من مدينة غزة ، وأنا أتوجه الى دمشق وأحرض أهلها على القتال وأحصنها ، وهي بلدة عظيمة لم تنكب من قديم الزمان ، وبها مايكفى أهلها من الميرة سنين ، وقد داخل أهلها أيضا من الخوف مالا مزيد عليه ، فهم يقاتلون قتال الموت ، وتيمورلنك لايقدر على أخذها مني بسرعة ، وهو في عسكر كبير الى الغاية لايطيق المكث بهم في مكان واحد مدة طويلة ، فاما أنه يدع دمشق ويتوجه نحو السلطان الى غزة فيتوغل في البلاد ، ويصير بين عسكرين ، وأظنه لايفعل ذلك ، واما أنه يعود الى جهة بلاده كالمنهزم ، من عدم معرفة عساكره بالبلاد الشامية ، وقلة مافي طريقة من الميرة لخراب البلاد ، ويركب السلطان بعساكره المصرية والشامية أقفية التمرية الى الفرات فيظفر منهم الغرض وزيادة]] (٢) .

ويظهر أن هذا الرأى قد استصوبه أغلبية الحاضرين الا أنه كان هناك مجموعة من الأمراء طعنوا في هذا الرأى لكرههم لتغرى بردي منذ أن كان زميلا للأميرين المقتولين أيتمش وتنم ، وقالوا : كيف تتم الموافقة على قصده في التوجه الى دمشق ، وهو من قتل بالأمس رفاقه ؟ وأنه بموجب ذلك سوف يثأر

---

(١) انظر : العيني : عقد الجمان ، مخطوط الجزء التاسع عشر حوادث سنة ٨٠٣هـ
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣١/١٢ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٨٠/٢ .

(٢) ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣١/١٢ - ٢٣٢ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٨١/٢ .

لأصحابه مستقبلا وقد يقوده الأمر الى التوجه الى تيمورلنك ويتفق معه ويسود يقاتلنا ، واذا تحقق له النصر علينا فسوف يثأر بقتل الكثير منا (١) .

ولاشك أن هذا الاختلاف بين الأمراء لم يكن في صالحهم ، وكان يجب عليهم أن يجتمعوا جميعا على رأى واحد بغض النظر عمن هو صاحب هذا الرأى .

وعندما توجه تغرى بردي الى دمشق ليتولى نيابتها قام باصلاح شأنها ، وأخذ في بث روح الحماس بين أهلها فوجد ترحيبا واقبالا كبيرا حيث أبدى الجميع استعدادهم لمحاربة تيمورلنك (٢) .

ومهما يكن الأمر فقد نجح تيمورلنك في ترويج أخبار كاذبة بين صفوف خصمه بهدف تفتيت عزائمهم وتفريق كلمتهم ، فقدم البريد الى السلطان بأن أحمد بن رمضان التركماني (٣) وغيره ، ساروا وأخذوا حلب ، وقتلوا من بها من أصحاب تيمورلنك وهم زيادة على ثلاثة آلاف فارس ، وان تيمورلنك بالقرب من سلمية (٤) وأنه بعث عسكراً الى طرابلس ، فثار بهم أهل القرى وقتلوهم عن آخرهم بالحجارة لدخولهم بين جبلين (٥) .

وأنه قد حضر الى الطاعة خمسة من أمراء تيمورلنك وأخبروا بأن نصف عسكره يرغبون الدخول في طاعة السلطان (٦) .

---

(١) انظر : ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٢/١٢ .

(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٢/١٢ .

(٣) هو أحمد بن رمضان التركماني الأجقى صاحب أذنة وسيس واياس وغيرها ولى الأمرة واستمر يشاقق العسكر الشامى تارة ويصالحوه أخرى ، وتحارب معهم سنتي ٧٨٠هـ ، ٧٨٥هـ فكسر فيها أمير عسكره أخوه ابراهيم ، فلما كانت الفتنة العظمى ورجع تيمورلنك الى العراق استقرت قدم أحمد هذا ولم يزل في ذلك الى أن مات في أواخر سنة ٨١٩هـ .

انظر : ابن حجر العسقلاني : ١٠٣/٣ .
السخاوى : الضوء اللامع ، ٣٠٣/١ .

(٤) بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة ، بينهما مسيرة يومين ، في طريقها الى حمص قبر النعمان بن بشير .

ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٧٣١/٢ .

(٥) ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٤/١٢ .
(٦) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٣٩/٣/٣ .

ونستبعد صحة تلك الروايات ، لأنه من غير المعقول أن يتوجه نصف جيش تيمورلنك لينضم الى الجيش المملوكي • فالمعروف عن رجال وجند تيمورلنك اخلاصهم لسيدهم ، وأنهم يرون فيه مثلهم الأعلى ، وتحقق لهم معه كل تلك الانتصارات السابقة ، وحظوا بالكثير من الثروات ، وهو الشيء الذي كانوا يسعون لتحقيقه •

لكن الذي يؤخذ على السلطان فرج وقيادة المماليك أنهم لم يلتفتوا بقدر كاف الى الرسالتين الواردتين من صاحب قبرص (١) وصاحب الماغوصة (٢) ، بشأن وضع سفنهما الحربية تحت تصرف السلطان لمساعدته في حربة ضد تيمورلنك (٣) •

ونتساءل لماذا لم يلتفت السلطان ورجاله لهذا الطلب الهام حيث كان الموقف في حاجة لمساعدة ومعاونة القوى الأخرى لمواجهة تيمورلنك ؟

ونعتقد أن هذا التجاهل يعود الى ما آل اليه وضع المماليك في عهد فرج من فوضى وعدم اكتراث بقوة تيمورلنك ، وقد يكون عدم التزام القيادة المملوكية بالرد عليها اعتقادا منها أن في مقدورها مواجهة تيمورلنك في أي وقت دون مساعدة من الآخرين ، خاصة وأن هذه المساعدة جاءت من قبل حكام دول غير اسلامية ففضلوا الاعتماد على أنفسهم •

ج - دخول فرج دمشق ومحاربته تيمورلنك :

ويذكر المؤرخون أنه في السادس من جمادى الأولى سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠م دخل السلطان فرج وجيشه قلعة دمشق ، فكان يوما مشهودا من كثرة صراخ الناس

---

(١) قُبْرُص : بالصاد وتكتب بالسين جزيرة في البحر الأبيض المتوسط دورهـا مسيرة ستة عشر يوما •

انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣٠٥/٤ •
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١٠٦٣/٣ •

(٢) الماغوص أو الماغوصة : مدينة مشهورة بقبرص ، وتسمى أيضا المراعش •
انظر : ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٤/١٢ ، حاشية (٣) •

(٣) المقريزي : السلوك ، ١٠٣٩/٣/٣ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٤/١٢ •

والابتهال الى الله بنصرته ، والأطفال الصغار والنساء يجأرون الى اللـــه عز وجل وينادون بحرقة في الأزقة [ياالله يارحمن انصر مولانا السلطان] (١) • ولكن مع ذلك سر الجميع بوصول قوات السلطان فرج التي سوف تقف بجانبهم لمواجهـــة تيمورلنك •

ثم نزل السلطان فرج من قلعة دمشق يوم السبت الثامن من جمادى الأولـى ومعه جيشه الى مخيمه عند قبة يلبغا ظاهر دمشق (٢) وتهيأ للقاء تيمورلنك ، وقد قصرت المماليك الظاهرية أرماحهم حتى يتمكنوا من طعن التيموريين أولا بأول (٣) وقد ملأو الأرض وهم في غاية الكفاية من اللبوس والخيول (٤) •

أما جيش تيمورلنك فقد تحرك من بعلبك الى دمشق ونزل وجنده غربي دمشق حول داريا (٥) وقطنا (٦) والحولة (٧) وما يلى تلك الأماكن (٨) •

ويذكر اليزدي أن جيوش تيمورلنك تقدمت بكامل قواتها مباشرة الى دمشق

---

(١) ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢١٧/٢ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٤٩ •

(٢) كانت قبة يلبغا على مسافة ميلين تقريبا من أسوار المدينة جنوبـا في نهاية ميدان دمشق الحالي وبالقرب من مسجد القدم ، وقد بناها يلبغـا اليحاوي في سنة ٧٤٧هـ وسماها قبة النصر،وهناك قبة نصر أخرى في جبـــل قاسيون •

انظر : ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٣/١٢ حاشية رقم (١) •
فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ١٠٠ تعليقات رقم ١٨ •

(٣) انظر : ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٣/١٢ •

(٤) انظر : ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢١٧/٢ •

(٥) داريا : قرية من قرى دمشق بالغوطة •
انظر : ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٥٠٩/٢ •

(٦) قطنا : قرية من قرى دمشق •
انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ٣٧٤/٤ •

(٧) الحُولة : اسم لناحيتين بالشام احداهما من أعمال حمص ببارين بين حمص وطرابلس والأخرى كورة بين بانياس وصور من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة•
انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٣٢٣/٢ •

(٨) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٤٩ •

وعسكرت أمامها قرب قبة سيار (١) وقاموا فورا بحفر خندق حول المعسكر واقاموا المتاريس ثم صعد تيمورلنك شخصيا فوق قمة ربوة عالية ليقوم بمسح المكان مسحا دقيقا (٢) .

وتذكر المصادر الفارسية أن السلطان فرج عندما وصل الى دمشق اقترح أحدهم عليه فكرة اغتيال تيمورلنك فاختار ثلاثة فدائيين وأعطاهم خناجر مسمومة ، وبعثهم اليه كرسل من طرفه وكلفهم بقتله أثناء تبليغه رسالته وعلى الرغم من محاولتهم الجادة لتنفيذ مؤامرتهم ، الا أن الله كشف شرهم وأفشل خطتهم حيث شك أحد أمناء مجلس تيمورلنك في أمرهم وتم اكتشاف الخناجر المسمومة معهم ، واعترف الرسل بما كانوا ينوون فعله ، فقتل أحدهم وترك الآخران بعد قطع آذانهم وأنوفهم وأرسل معهما خطابا ليسلموه الى السلطان فرج (٣) .

ويذكر المؤرخون العرب أنه حدثت بعض المناوشات بين طلائع الجيشين ، حيث أنه ما أن نزل فرج من قبة يلبغا حتى جاء جاليش تيمورلنك من تحت جبل الثلج (٤) ، وكانوا نحو ألف فارس فبرز اليهم جاليش السلطان نحو من مائة فارس وكسروهم وقتلوا منهم جماعة ، وأنه حضر عدة من التمرية للطاعة وأخبروا أن

---

(١) تقع قبة سيار قرب ربوة في سفح تل على ميلين تقريبا من قبة يلبغا غربا وتشرف على منظر بديع على رقعة واسعة من البلاد حولها الى جبل حرمون لاعلى دمشق وحدها . ويقال ان تيمورلنك لم يمكث على هذا التل أكثر من شهر واحد ، كما أن فرجا لم يبق في قبة يلبغا مثل هذه المدة. انظر : فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ١٠٠ تعليقات ١٩ .

(٢) انظر : اليزدي : ظفرنامه ، ٣١٣/٢ .
د. أحمد عبدالكريم : تيمورلنك ودولة المماليك ، ٣٢/١ .

(٣) Sami : Op . Cit . P . 275 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣١٢/٢ .
خواندامير : حبيب السير ، ٥٨/٣/٣ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢١٢ .

(٤) جاء في حاشية السلوك ، ص ١٠٤١ حاشية رقم (٥) ، أن جبل الثلج وجبل لبنان وجبل اللكام ، متصلة جميعها بعضها ببعض ، حتى صارت جبلا ممتدا من الجنوب الى الشمال ، فالطرف الجنوبي لهذا الجبل بالقرب من صفد ، ويمتد الى الشمال ، مجاوزا دمشق ، ويمر غربي بعلبك ويسمى شرقى طرابلس جبل عكار .

ولد تيمورلنك مرزة شاه وصهره نورالدين قتلا (١) .

وتذكر المصادر الفارسية أن تيمورلنك أمر قواته بالتحرك دون ابطاء لمهاجمة جاليش الجيش المملوكي الذي بدأ يظهر خارج المدينة وتمكنوا من هزيمته واجبروه على الانسحاب داخل المدينة في مذبحة رهيبة ، ووقع عدد من الأسرى في أيدي التيموريين وتم اقتيادهم الى معسكر تيمورلنك ونفذ فيهم حكم الأعدام ومعهم الأمير سيدون نائب دمشق والأسرى الذين أحضروا من حلب (٢) .

ثم لجأ تيمورلنك من جديد الى أسلوبه المفضل في الخداع والمكر ، فأرسل مبعوثا الى السلطان فرج في طلب الصلح وارسال أطلمش أحد أصحابه اليه ، وانه هو أيضا يبعث من عنده الأمراء المقبوض عليهم في وقعة حلب ، وأشار تغري بردي ودمرداش وغيرهما بقبول هذا الصلح بينما رفض هذا العرض بقية قادة المماليك وأبوا الا القتال (٣) .

وفي الثالث عشر من شهر جمادى الأولى (٤) انفصل من جيش تيمورلنك عفيده الأمير سلطان حسين بهادر وعلى رأسه تاج مرصع بالجوهر (٥) والفصوص ، وهو شاب ذو صورة جميلة وقامة حسنة فخلع عليه السلطان واحسن استقباله هو ومن معه (٦) .

---

(١) انظر : المقريزي : السلوك ، ٣/٣/١٠٤١ - ١٠٤٢ .
القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٠٨ .

(٢) Sami : Op . Cit . P . 275 .
اليزدي : ظفرنامه، ٣١٤/٢ .
خواندامير : حبيب السير ، ٥٩/٣/٣ .

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٥/١٢ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٨٢/٢ .

(٤) يذكر العيني في حوادث سنة ٨٠٣هـ ، والخطيب الصيرفي في نزهة النفوس ٨٢/٢ أن تيمورلنك أرسل طائفة زهاء عشرة آلاف فارس وفي مقدمتهم رجل يقال له الأمير حسين فتقدم اليهم من عسكر السلطان جماعة فتقابلوا وقتلوا منهم خلقا ، وقد كان ذلك قبل انفصال حسين عن تيمورلنك .

(٥) أخطأ ابن عربشاه في عجائب المقدور ص ١٥٢ عندما قال أنه ابن أخت تيمورلنك والصحيح أنه ابن بنته توجيابيجى Taujia Beggy زوجة الأمير محمد بيج .
انظر : ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢١٨/٢ .
Price : Op . Cit. P . 338 .

(٦) انظر : العيني : عقد الجمان ،مخطوط الجزء التاسع عشر ، حوادث سنة ٨٠٣هـ .
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٢١٦/٢ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٨٢/٢ .

فاظهروا بقدومه الفرح واستشعروا النصر والمرح وكان في رأسه جمة شعر فأزالوه وخلعوا عليه وفي زيهم أظهروه (١) .

واختلفت آراء المؤرخين حول سبب مقدم الأمير سلطان حسين في هذا الوقت الحرج ، فاعتقد البعض أن ذلك من ألاعيب وخداع تيمورلنك أرسله لتفتيت وحدة الجيش المملوكي وادخال الشك فيما بينهم من أن تيمورلنك أصبح في ضعف (٢) .

ويذكر الخطيب الصيرفي أن مجيئه كان بطريق النصيحة للمسلمين وأخبرهم أن تيمورلنك في التلاشي والهوان (٣) .

ويعلق مؤرخو الفرس على هربه قائلين : ومن غرائب القدر والأحداث أن الأمير سلطان حسين وهو في حالة من السكر خرج عن جادة الصواب باغواء من بعض المفسدين ، وتوجه الى داخل دمشق واعلن طاعته للسلطان الذي سر بقدومه اليهم ، وعاملوه بالحفاوة والاكرام واعتبروا قدومه مقدمة لنصرهم على تيمورلنك (٤) . ولم يكن هرب سلطان حسين بتدبير من تيمورلنك حيث تم القبض عليه في أحد المعارك التى شارك فيها مع الجيش المملوكي ضد جيش تيمورلنك فتم أسره وأخذوه الى تيمورلنك وبعد أيام فكت قيوده بعد أن تشفع له شاه رخ ، ولكن لم يطلق سراحه الا بعد أن تم جلده ، ولم يسمح له لفترة طويلة بحضور مجلس تيمورلنك (٥) .

ثم عاد تيمورلنك مرة أخرى وأرسل الى السلطان فرج مبعوثا في طلب الصلح على أساس اطلاق أطلمش (٦) وسك النقود باسمه وذكر اسمه بالخطبة (٧) .

---

(١) انظر : ابن عربشاه ، عجائب المقدور ، ص ١٥٢ .

(٢) انظر : العيني : عقد الجمان [مخطوط] الجزء التاسع عشر ، حوادث سنة ٨٠٣هـ .

(٣) نزهة النفوس ، ٨٣/٢ .

(٤) Sami : Op . Cit. P.P. 275 - 276 .
اليزدى : ظفرنامه ، ٣١٤/٢ - ٣١٥ .

(٥) Sami : Op . Cit . P . 279 .
Price : Op . Cit . P . 241 .

(٦) انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٧/٢ .
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٥/١٢ .

(٧) Sami : Op . Cit. P . 276 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣١٥/٢ - ٣١٦ .

ومما جاا في رسالة تيمورلنك قوله : [[لقد ملمت آثار حزمنا وعزمنا في الأمور وعلو همتنا في تحصيل المطالب واتمام المقاصد والمآرب ، ويعلم العقلاء أن تشبث الرجال بالأمور هو نوع من الغيرة والحمية ، فما بالك بالملوك ، وأن رعاية الناموس هو الهدف الأصلي للملوك في اعداد الجيش وفتح البلاد ، وأن غاية السلاطين من فتح الممالك هو منع الأعمال السيئة ، وقد طلبت أطلمش مرات ولكنكم لم ترسلوه ، وتعللتم بعلل واهية لتأخير ارساله ، حتى كنتم سببا في مجيئنا اليكم ، وانزال أنواع الخراب والدمار بالناس في دياركم . ومع ذلك كله فانك اذا أرسلت أطلمش وزينت السكة والخطبة باسمنا وألقابنا وطويت بساط النزاع بيننا وأنقذتم أهلكم وأبناءكم ، والا فان جيشنا الجرار المتعطش الى شرب الدماء سوف يقتل المخالفين ويقهر المعاندين ويستولى على الديار]] (١) .

فاستقبل فرج رسول تيمورلنك بالترحيب والاحترام وأجرت القوات المملوكية استعراضا عسكريا أمام مبعوث تيمورلنك ، وقد فعلوا ذلك حتى يعلم المبعوث سيده بما رآه من قوة واستعداد المماليك معتقدين أنهم في موقف أفضل وأقوى من تيمورلنك ، وهو الذي كان يعد خطة لهجومه الوشيك لاجتياح دمشق دون أن يسبب لجيشه خسائر كبيرة وذلك هو دأب تيمورلنك في معظم حروبه.

عاد رسول تيمورلنك يحمل رد فرج بالموافقة على هذا الصلح ، وأنه يرغب في اقامة علاقة طيبة معه (٢)

ومما جاء في رسالة فرج قوله : [[سوف نرسل أطلمش خلال خمسة أيام ،

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 276 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢/٣١٥ - ٣١٦ .
Price : Op . Cit . P . 338 .

(٢) لم تشر المصادر العربية التي بين أيدينا الى موافقة فرج على اتمام هذا الصلح واكتفت بالقول أن تيمورلنك بعث أكثر من مرة الى فرج في طلب الصلح الا أن فرجا لم يوافق على ذلك .

انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢/١٣٧ .
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٢/٢٣٥ .

واذا أظهر تيمورلنك عطفه ورحمته ، فاننا سوف نلبى له جميع أوامره ، وسوف نجتهد لننال عطفه وتحقيق كافة رغباته بقدر مانستطيع]] [(١)] •

ان تفاصيل المعارك والمناوشات التى وقعت بين الفريقين لم يتعرض لها المؤرخون بالتفصيل حيث تحدثوا عن هذه المرحلة حديثا عاما ، كما أن التواريخ التى حددوها لها متضاربة وغير دقيقة •

ويذكر ابن خلدون أن هناك اشتباكات وقعت بين الجيشين خلال تلك الفترة بين ثلاث الى أربع مرات وكانت الحروب سجالا بينهم [(٢)] •

ونستطيع أن نقول أن هناك معارك هامة نشبت بين الجيشين كان منها ماحدث عندما نزل تيمورلنك بعساكره على قطنا فملأت عساكره الأرض كثرة ، وركب طائفة منهم لكشف الخبر ، فوجدوا السلطان والأمراء قد تهيأوا للقتال وصفت العساكر السلطانية ، فبرز اليهم جيش تيمورلنك وصدموهم صدمة هائلة فثبت كل من الفريقين ساعة ، انكسر فيها ميسرة السلطان وانهزموا الى ناحية حوران ، وجرح جماعة وحمل تيمورلنك بنفسه حملة شديدة ليأخذ فيها دمشق ، فدفعته ميمنة السلطان بأسنان الرماح حتى أعادوه الى موقعه [(٣)] ، وقد أكد مؤرخو الفرس انتصار تيمورلنك في هذه المعركة • ويعلق دي ميجناناللى عليها قائلا : [[ومع اقتراب رأس السنة نشبت معركة غير عادية ، وكان تيمورلنك على بعد حوالى خمسة أميال من دمشق في حين كان جيش السلطان على الجانب

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 277 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣١٧/٢ •

(٢) انظر : فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ٧٠

(٣) حدد المقريزي في السلوك ١٠٤٠/٣/٣ - ١٠٤١ تاريخ حدوث هذه المعركة بيوم السبت الخامس عشر من جمادى الأولى أما تاريخ هجوم تيمورلنك بنفسه فقد حدده باليوم الثامن عشر من نفس الشهر ، بينما يذكر مؤرخوا الفرس ان هذه المعركة في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ٨٠٣هـ - ١ كانون ١٤٠١م •
Sami : Op . Cit . P . 275 .

الآخر ولكنه أكثر قربا من المدينة ، وفي هذا الموقف أظهر رجال السلطان موقفا شجاعا وثقة بالنفس ، ولقد كان ذلك في الحقيقة موقفا متهورا تجاه العدو ، وكان ذلك سيئا بالنسبة لهم حيث كانوا قلة ضد كثرة كثيرة • واني لأعتقد أنه لو كان السلطان راغبا في حشد كل الجيش الذي لديه في أراضية لأحرز نصرا مجيدا على العدو ، ولكنه أخذ بنصيحة الشباب الاغرار المتغطرسين الذين كانوا يسيطرون عليه ، ورفض بازدراء نصيحة كبار السن من مستشاريه]] (١) •

ونشبت معركة كبيرة بين الجيشين في ١٩ جمادى الأولى سنة ٨٠٣هـ - كانون الثاني ١٤٠١م • وذلك عندما ترك تيمورلنك معسكره وتوجه نحو الجنوب صوب شقحب فأخفى قواته خلف هضبة الكسوة (٢) فاعتقد المماليك وعامة أهل دمشق أنه في ضعف لذلك فكر بالانسحاب والعودة الى بلاده (٣)•

ويذكر Nizam uddin Sami : وغيره أن سبب تحرك تيمورلنك وجيشه من معسكرهم الى غوطة دمشق (٤) لكى ترعى خيوله هناك (٥) •

وعندما تأكد الجيش المملوكي من انسحاب تيمورلنك خرجوا بقوة كبيرة للانقضاض على مؤخرة جيشه الذي ستكون مقاومته مع ظروف تقهقره في منتهى الضعف وأن أقل خلل سيؤدى الى الفزع ثم الى الفرار في فوضى كبيرة ، وبناء

---

(١) أحمد عبدالكريم ، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة ، ١٨/٢ - ١٩ •

(٢) الكسوة :قرية هي أول منزل تنزله القوافل اذا خرجت من دمشق الى مصر•

انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٤٦١/٤ •

(٣) انظر : العيني : عقد الجمان ، مخطوط الجزء التاسع عشر ، حوادث سنة ٨٠٣هـ •

ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢١٨/٢ •

(٤) غوطة دمشق سهل يحيط بدمشق طوله نحو ١٨ ميلا، يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ولاسيما من شمالها ومياهها خارجة من تلك الجبال ، وتمد في الغوطة عدة أنهر فتسقى بساتينها وزروعها ، والغوطة كلها أشجار وأنهارها متصلة ، وهى أنزه بلاد الله وأحسنها منظرا •

انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٢١٩/٤ •

(٥) Sami : Op . Cit . 277 .
Price : Op . Cit . P . 340 .

على هذه التقديرات زحفوا خلفهم بأعداد هائلة حاملين أسلحتهم المختلفة ، ولما علم تيمورلنك بظهور الجيش المملوكي أصدر تعليماته وأوامره الى جيشه لصدمم (١) ٠

ويذكر المؤرخون أن تيمورلنك كان قد أكمن مجموعه من جيشه وراء هضبة (٢) الكسوة ، ولم يظهر للمماليك منهم الا عددا قليل فهزت أنفسهم أريحية الشجاعة فحملوا عليهم ، فعند ذلك ظهر جند تيمورلنك مثل قطع الليل المظلم كردوسا بعد كردوس (٣) وصفا بعد صف ، فلما رأى المماليك ذلك شرعوا في تولى الأدبار ونووا الهرب والفرار فرجعوا وهم يقاتلون مدافعة عن أنفسهم ، ولم يزالوا على ذلك الى أن تفرقوا كلهم شغر بغر ورحلوا المدينة متفرقين ، وقتل من عسكر تيمورلنك جماعة ولم يزل عسكر تيمورلنك في السوق وراءهم يقتلون ويأسرون بحيث أفنوا عددا كبيرا منهم (٤) ٠ وكان سلطان حسين يقود الجناح الأيسر من القوات الشامية عندما هزمت ، وقد تم القبض عليه وأخذ أسيرا الى تيمورلنك (٥) ٠

---

(١) Sami : Op. Cit. P. 278 .
Price : Op . Cit . P . 340 .

(٢) يذكر ابن عربشاه في عجائب المقدور صفحة ١٥٢ ، [[ان تيمورلنك أشاع أنه خار وتتعتع ، فرحل قليلا ورجع القهقرى وتكعكع ، كل ذلك من مكايده وحبائل مصايده وبيان ذلك أنه بلغه أن الخلاف واقع بين العساكر المصرية وانهم سيفرون فيفوتونه اذ ذاك ، فاظهر الخوّن وأشاع أنه راحل ليثبتهم ، وعن الفرار يثبطهم ، فلما عزموا على الفرار لم يبن لهم ثبات ولا قرار]] ٠

(٣) الكردوس : هو الكتيبة من الجيش ٠

(٤) انظر : العيني : عقد الجمان ، مخطوط الجزء التاسع عشر ، حوادث سنة ٨٠٣هـ ٠
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٨٣/٢ ٠
أحمد عبدالكريم : تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة ، ٢٠/٢ ٠

(٥) Sami : Op . Cit . P . 279 .
Price : Op . Cit . P . 241 .
فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ١٠٣ ، تعليقات رقم ٢١ ٠

د - انسحاب السلطان فرج واضطراب الموقف في دمشق سنة ٨٠٢هـ - ١٤٠١م :

استمر تيمورلنك وجنده في ملاحقة الهاربين من الجند المملوكي حتى قرب دمشق ، ونزلوا على قبة يلبغا تحت جبال الكسوة (١) وقاموا بتنظيم جيشهم ووضعوا الفيلة في المقدمة ، وقاموا باستعراض عسكري أثار دهشة ورعب المماليك وسكان المدينة من كثرة أعدادهم ، فلما أظلم الليل أوقدوا نيرانا عظيمة ، بحيث أوقعوا في قلوب الناس رعبا عظيما (٢) .

وتقابل الجيشان وجها لوجه في صباح يوم الخميس ٢٠ جمادى الأولى سنة ٨٠٣هـ ٦ كانون ١٤٠١م (٤) ، وكان جيش تيمورلنك مؤلفا من سبعين صفا وان طوله كان يمتد الى مسافة ثلاثة أو أربعة فراسخ (٥) ، واستعدت القوة المملوكية لمواجهة تيمورلنك فكان الأمير نوروز الحافظي (٦) على رأس الميمنة ويشبك الدوادار على رأس الميسرة والسلطان واقف في القلب (٧) .

---

(١) انظر : العيني : عقد الجمان ، مخطوط الجزء التاسع عشر ، حوادث سنة ٨٠٣هـ .
ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢١٨/٢ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٨٣/٢ .

(٢) Sami : Op . Cit . P . 274 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٢٢٤/٣ - ٢٢٥ .
خواندامير : حبيب السير ، ٥٩/٣/٣ .

(٣) انظر الخطيب الصيرفي ، نزهة النفوس ، ٨٤/٢ .

(٤) انظر : العيني : عقد الجمان ،مخطوط الجزء التاسع عشر ، حوادث سنة ٨٠٣هـ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٨٤/٢ .
فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ١٠٤ ، تعليقات رقم ٢٢.

(٥) انظر : اليزدي : ظفرنامه ، ٣٢٧/٢ .

(٦) الأمير نوروز الحافظي الظاهري برقوق أول مارقاه خاصكيا ثم أمير آخور سنة ٨٠٠هـ ثم اعتقله الظاهر ولما خرج من سجنه استقر رأس نوبة كبيرا وصار ناظر الشيخونية ، قتل سنة ٨١٧هـ .

انظر : السخاوي : الضوء اللامع ، ٢٠٤/١٠/٥ .

(٧) انظر العيني : عقد الجمان ، مخطوط الجزء التاسع عشر ، حوادث ٨٠٣هـ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٨٤/٢ .

ويذكر دي ميجنانللي أن تيمورلنك أعاد تشكيل جيشه من جديد مبتدئا من خيام تيمورلنك شمالا ومتخذا شكل قوس على هيئة نصف دائرة ، وانتشر في اتجاه الشرق ، وأشعلوانارا ضخمة حولهم من كل ناحية سدت كافة الطرق المؤدية الى القاهرة وكان هناك عدد كبير من الحرائق من ذلك النوع في كل مكان بحيث ساد الاعتقاد أن هذه الحرائق قد غطت مساحة مائة وخمسين ميلا ! ولما كان معسكر السلطان يقع في منتصف تلك النيران فقد جن جنونه (١) ·

وبعد مناوشات من الجهتين اليمنى واليسرى استمرت حتى نهاية النهار حدث ضجيج كبير في المعسكر المملوكي ، حيث عقد السلطان اجتماعا مع كبار أمرائه وقواده وسألهم عن الخطة التى يجب أن يتبعوها في أمر التقدم للهجوم على تيمورلنك أو الطريقة التى تجنبهم حدوث الكارثة المحدقة بهم ؟ ·

فقال البعض : أنه على الرغم من علمنا بأن الخسائر الأساسية في المعارك السابقة قد وقعت للقوات الشامية وسكان المدينة فانه لازال لدينا قوات كبيرة العدد ومنظمة ومجهزة ، ولديها الاستعداد لمواجهة تيمورلنك والانتصار عليه وأنهم يفضلون البقاء داخل أسوار دمشق (٢) ·

ويرى آخرون أن هذا الرأى متناقض مع المنطق ويعرضهم للمخاطرة وأن النتيجة المؤسفة للتجربة التى خاضوها مع التيموريين والخسائر التى نجمت عن المفاجآت والتقهقر كافية للاستفاده من الأخطار السابقة · وان مايوصون به هو فتح باب التفاوض مع تيمورلنك واسترضائه حتى يرضى عنهم ، وقد وافق معظم من حضر الاجتماع على هذا الرأى فأرسل فرج وفدا برسالة الى تيمورلنك لدعوته الى الصلح ، وأوصاهم أن ينكروا أن لهم أية صلة بالهجوم الأخير على مؤخرته وأن ذلك حدث بسبب بعض التصرفات الحمقاء من قبل بعض الحشود الفوضوية ، وأنه لن يتوقف عن تنفيذ ماتم بينهما ، وأنه سيطلق سراح من عنده في اليوم

(١) أحمد عبدالكريم : تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة ، ٢/٢٠ - ٢١ ·

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٢/٣٢٦ ·

التالى [١] ، غير أن هذا الأمر زاد موقف فرج ضعفا ، ولاسيما أن عيون تيمورلنك أوقفوه على حقيقة الحال في داخل دمشق ، مما جعله يرفض مصالحة السلطان فرج وتقدم لاحكام الحصار على المدينة [٢] ٠

ويعزو معظم المؤرخين العرب وغيرهم السبب الحقيقى الذي دفع السلطان الى الانسحاب من دمشق والعودة سريعا الى مصر أنه في الثاني عشر من جمادى الأولى اختفى من امراء مصر والمماليك السلطانية جماعة كبيرة ، فوقع الاختلاف عند ذلك بين الأمراء وعادوا الى ماكانوا عليه من التشاحن على الوظائف والاقطاعات والتحكم في الدولة وتركوا أمر تيمورلنك كأنه لم يكن ، وأخذوا في الكلام فيما بينهم بسبب من أختفى من الأمراء وغيرهم [٣] ٠

ثم وصلت اليهم الأخبار أن المنسحبين قد توجهوا الى مصر ليسلطنوا الشيخ لاجين الجركسي [٤] فركب الأمراء في آخر ليلة الجمعة الحادي والعشرين من جمادى الأولى وأخذوا السلطان الى الديار المصرية ولم يعلموا بذلك الا جماعة يسيرة [٥] ٠

ويرى البعض الآخر أن سبب ذلك يعود الى تخوف وفزع السلطان فرج وقواته من القوة التيمورية الكبيرة التى تحاصرهم ، فأخذوا يتناقشون فيما بينهم

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 280 .
د٠ حكيم أمين عبدالسيد : قيام دولة المماليك الثانية ، ص ١٣٨ - ١٣٩ ٠

(٢) Sami : Op . Cit . P.P . 279 - 280 .

(٣) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٤٤/٣/٣٠
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٥/١٢ ٠
وليم موير : تاريخ دولة المماليك في مصر ، ١٢٠٠هـ - ١٥١٧م ٠ الطبعة الأولى - ترجمه محمود عابدين وسليم حسن ٠ القاهرة : ١٣٤٢هـ ، ص ١٢٤٠
Grousset : Op . Cit . P . 447 .

(٤) لاجين الجركسى ويعرف بالشيخ لاجين ، كان بقلة عقله يزعم أنه سوف يملك الديار المصرية ، ويظهر ذلك ولايتكتمه والجراكسة يعظمونه ويعتقدون صحة ذلك ويعد بابطال الأوقاف التي على المساجد والجوامع واحراق كتب الفقه ومعاقبة الفقهاء الى غير ذلك من الهذيانات ٠
انظر : السخاوي : الضوء اللامع ، ٢٣٢/٦/٣ ٠

(٥) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٤٥/٣/٣ ٠
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٦/١٢ ٠
أنور زقلمة: المماليك في مصر٠القاهرة : مطبعة المجلة الجديدة ، ص٥٣٠

حول الوسيلة التى تمكنهم من التخلص من الكارثة التى سوف تحل بهم ، فتــم اتفاقهم على ارسال مبعوثهم محملا برسالة رقيقة يبدون فيها موافقتهـــم الكاملة على شروطه وتمكن فرج بعد ذلك من تنفيذ مخططه وغادر دمشـــق هو والجانب الأكبر من جيشه عند منتصف نفس الليلة نحو مصر •

ولاشك في أن القيادة المملوكية قد ارتكبت خطأ كبيرا بانسحابهـا من الميدان في هذا الوقت الحرج ، ولم يكن هناك حاجة الى ترك السلطان ساحـة الوغى وآمال الدمشقيين فيه كبيرة ، كما أن ثورة لاجين واختفاء الأمـراء لم تكن بالأهمية التى تجعله يترك دمشق وهي على ذلك الوضع الذي يستوجب تواجـد كافة القوى لمواجهة تيمورلنك المحاصر لهم ، وأن نائب الغيبة بمقـدوره مقاومة ثورته واعادة الهدوء دون الحاجة الى وجود السلطان •

سار السلطان فرج ومن معه من الهاربين على عقبة (٢) دمر (٣) يريدون مصـر من جهة الساحل (٤) ، وجدوا في السير حتى وصلوا الى مدينة صفد فاستدعوا نائبهـا

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 280 .
Price : Op . Cit . P . 343 .

(٢) اختلف المؤرخون في تحديد خط سير السلطان فرج عند هروبه من دمشـق فذكر ابن خلدون ص ٧٠ أنهم ركبوا جبل الصالحية ثم انحطوا في شعابـه وساروا على شأفة البحر الى غزة وركب الناس ليلا يعتقدون أن السلطان سار على الطريق الأعظم الى مصر فساروا عصبا وجماعات على شقحب • ويرى العيني في عقد الجمان حوادث سنة ٨٠٣هـ أنهم أخذوا طريق بعلبـك وساروا من فوق جبل الثلج على طريق عكا • ويقول ابن عربشـاه في عجائب المقدور ، ص ١٥٤ أنهم ذهبوا في طريق وادى التيم الواقع غربي جبل حرمون على طريق دمشق وصفد ، ويذكر فيشل في تعليقاتـه ص ١٠٦ تعليق ٢٣ ، أن جماعة السلطان فرج تحركت من دمر متجهة نحو الغرب حول نهاية جبل حرمون [جبل الثلج] من الشمال ومن ثم مالوا جنوبا الـى الجهة الغربية من الجبل ، أما ما أثبتناه فقد أشار به : المقريـزي في السلوك ١٠٤٥/٣/٣ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٦/٢ •

(٣) دمر : عقبة دمر مشرفة على غوطة دمشق ، وهي من جهة الشمال في طريـق بعلبك •
انظر : ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٥٣٣/٢ •

(٤) يذكر فيشل في كتابه لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ١٠٦ تعليقات رقم ٢٣ أن المقريزي ذكر عبارة من جهة الساحل للتفريق على مايبدو بينـه وبين الطريق المعتاد الممتد بين دمشق وغزة الذي يتجه جنوبا عن طريق كسوة حيث كان في ذلك الوقت معسكرا لجيش تيمورلنك قبل عبور الأردن في الجنوب •

الأمير تمربغا المنجكي وأخذوه معهم[١] ، وتلاحق بهم كثير من رجال الدولة وأمرائها ، وسار الجميع حتى أدركوا الأمراء الذين اختفوا بدمشق فاعتذروا بعذر غير مقبول فما أمكن الا مجاملتهم[٢] وأقام بغزة ثلاثة أيام[٣] ثم توجه الى القاهرة ، وما أن وصلت أخبار قدومه اليها حتى ارتجت البلد وشرع كل واحد يبيع ماعنده ويستعد للهرب[٤] .

وصل السلطان فرج الى القاهرة في الخامس من جمادى الآخرة سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م وكان في صحبته الخليفة المتوكل وأمراء الدولة ونحو الألف[٥] من المماليك السلطانية يجرون أذيال الخزى والعار[٦] وهم في أسوأ حال .

ولما علم بقية أمراء مصر وأعيانها من القضاة وغيرهم بخروج السلطان من دمشق خرجوا في الحال في اثره جماعات وأفرادا يريدون اللحاق به فلم يقعوا للسلطان على أثر فتخطفهم العشير[٧] واللصوص وكان الجميع في أسوأ حال[٨].

---

(١) انظر : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٦/١٢ .
ابن اياس : بدائع الزهور : ٦٠٩/٢/١ .

(٢) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٤٥/٣/٣

(٣) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٤٥/٣/٣
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤٦/١٢ .

(٤) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٤٥/٣/٣ .
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦٠٩/٢/١ .

(٥) ذكر ذلك كل من المقريزي في السلوك ١٠٤٥/٣/٣ ، وابن قاضي شهبة في الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ٢٢١/٢ وابن تغري بردي في النجوم ، ٢٤٦/١٢ . بينما ذكر الخطيب الصيرفي ان عددهم خمسمائة نفس ، أما دي ميجنانللى فقد ذكر أن عددهم قرابة ثلاثة آلاف وقد نهبهم الفلاحون بطريقة مخزية .

(٦) انظر : العيني : عقد الجمان ، مخطوط الجزء التاسع عشر ، سنة ٨٠٣هـ .
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٧/٢ .

(٧) يذكر الخطيب الصيرفي في نزهة النفوس ٨٥/٢ أن هؤلاء العشير هم الأعراب الذين يسكنون جبال صفد واللجون وقاقون وغير ذلك وكانت أفعالهم أنحس من أفعال تيمورلنك في حق المسلمين فان عسكر تيمورلنك مع مافعله قاتله الله كانوا يشفقون على أسراهم بشيء من القوت والكسوة خلاف العشير .

(٨) انظر : العيني : عقد الجمان ، مخطوط الجزء التاسع عشر ، حوادث سنة ٨٠٣هـ .
المقريزي : السلوك ، ١٠٤٥/٣/٣ .
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٧/٢ .

ويذكر ابن تغري بردي : [[أخبرني غير واحد من أعيان مماليك الظاهر برقوق أنهم لما بلغهم خروج السلطان ركبوا في الحال ، غير أنه لم يمنعهم من السفر الا كثرة السلاح الملقى على الأرض بالطريق ، مما رمته المماليك السلطانية ليخف ذلك عن خيولهم ، فمن كان فرسه ناهضا خرج والا لحقه أصحاب تيمورلنك وأسروه]] (١) ٠

ويضيف العيني وغيره أن جملة ماخلفوه من الخيول مايقارب ثلاثين ألف رأس ، ومن البغال مايقارب عشرين ألف رأس ، ومن الجمال مايقارب خمسين ألف رأس ، ومن الهجن مايقارب عشرة آلاف رأس ٠ ثم انهم قاسوا في الطريق من التعب والخوف والجوع والبرد مالايوصف (٢) ٠

كما أن الهاربين اختلفت طرقهم فمنهم من جاء من عقبة دمر ومنهم من جاء من عكا ومنهم من جاء من وادى التيم ومنهم من ركب البحر المالح من طرابلس ومنهم من ذهب الى ناحية حلب (٣) ٠

ويذكر المؤرخون أن السلطان فرج رسم لكل من المماليك السلطانية بألف درهم راتب شهرين (٤) ٠ كما أنه أصدر أوامره للأمير يلبغا السالمى بأن يتحدث في كل مايتعلق بالمملكة وأن يجهز عسكرا الى دمشق لقتال تيمورلنك فشرع في تحصيل الأموال ، وفرض على سائر أراضى مصر فرائض ، فجبى في اقطاعات الأمراء وبلاد السلطان وأخباز الأجناد ، وبلاد الأوقاف عن غيرة كل ألف دينار خمسمائة درهم فضة وفرس (٥) ، ثم جبى من سائر أملاك القاهرة ومصر وظواهرها أجرة شهر ، وبسط يده في أخذ أموال الناس بغير رضاهم ،[[فمن وجد صاحبه حاضرا فتح مخزنه وأخذ نصف مايجده من نقود القاهره ، واذا لم يجد صاحب المال أخذ جميع مايجده من النقود ، وعم ذلك حتى أموال الأيتام]] (٦) ٠

---

(١) ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٧/١٢ ٠
(٢) انظر : عقد الجمان : مخطوط الجزء التاسع عشر ، حوادث سنة ٨٠٣هـ ٠ الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٨٥/٢ ٠
(٣) انظر : الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٨٥/٢ ٠
(٤) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٥٢/٣/٣ ٠
(٥) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٥٢/٣/٣ - ١٠٥٣ ٠
(٦) ندد المقريزي في السلوك ، ١٠٥٢/٣/٣ ، وابن حجر في انباء الغمر ٩٨/٢-٩٩ بالسالمى لاتخاذه هذه الاجراءات الماليه علي أن ابن تغرى بردي في النجوم الزاهرة ٢٤٨/١٢ نظر لها من زاوية أخرى فراح يدافع عن السالمى بقوله [[وايش يعمل السالمى ! مسكين وقد ندبه السلطان لاخراج عسكر ثان من الديار المصرية لقتال تيمورلنك]] ٠ انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٤٦/٣/٣ ٠

فاشتد الضرر بالناس وكثر الدماء عليه ، وانطلقت الألسنة بذمه ، وشنعت القالة فيه وتمالأت القلوب على بغضه ، وقد تم ذلك بعد خراب دمشق وتدميرها من تيمورلنك وبطانته (١) ٠

ويتضح لنا أن موقف السلطان فرج وقيادته كان متخاذلا ومستضعفا أمام تيمورلنك ، والا بماذا نفسر هربه وسلبيته في وقت كانت أنظار المسلمين تتجه اليه بصفته حاكما لأكبر دولة اسلامية في الشرق حينذاك ، وأنه بمقدور هذه الدولة مواجهة زحف تيمورلنك المدمر وهزيمته ، الا أن فرجا وقيادته لم يكونا عند حسن الظن بهما ولم يكونا جديرين بالثقة فيهما ، ففي الوقت الذي كانت فيه القيادة الشامية في حاجة لمساعدتهم تخلى السلطان وقيادته عنها مما يدل على عدم المبالاة بالخطر التيموري المحدق بهم ، وتعتبر عودة فرج ومن معه الى مصر وصمة عار في جبينهم ٠

أما مصير دمشق فقد ترك لأهلها وبعض الجيش المملوكي ، فعلى الرغم من اختفاء السلطان ومن معه وتركهم ساحة القتال في هذا الوقت الحرج ، الا أن ذلك لم يقلل من موقف دمشق وأهلها ، وما اجتمع بها من الحلبيين والحمويين والحمصيين ، وأهل القرى ممن خرج جافلا من تيمورلنك ، فما أن سمعوا باختفاء السلطان حتى سارعوا باغلاق أبواب المدينة ونادوا بالجهاد والقتال لحماية الوطن والأعراض واستعدوا لمحاربته (٢) ٠

وحين علم تيمورلنك بهرب السلطان وعساكره ، أصدر أوامره بمنع المماليك من الفرار ، واغلاق كل الطرق أمامهم ، وأرسل أنشط وأسرع فرقة لاقتفاء أثرهم واعاقتهم عن الهرب ، وقد تمكنوا من قتل أعداد كبيرة منهم ، وترك الباقون الذين نجوا من القتل خيولهم وجمالهم وبغالهم ، واستطاعوا

---

(١) المقريزى : السلوك ، ١٠٥٢/٣/٣ ٠

(٢) انظر : المقريزي : السلوك : ١٠٤٦/٣/٣ ٠
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٥٤ ٠
السلامي : مختصر التواريخ ، ورقه ٩١ ب ٠

الهرب بصعوبة كبيرة نحو مصر وقد فضلوا أن تدمر دمشق والاقليم بأكمله على أن (١) يقعوا أسرى في يد تيمورلنك وينالهم الخزى على يديه (٢) ٠

ويقول دي ميجنانللى : وبينما كان السلطان يتراجع وقد وقع رجاله أسرى ونهبت خيامه بما فيها من ثروات نفيسه ، فان تيمورلنك استدعى كل قواد جيشه وخطب فيهم قائلا : [[لقد استولينا على دمشق وأحرزنا النصر على السلطان كما تنبأت وكما تنبأ لي رجالى الحكماء ٠ والآن يجب أن نتحرك بحذر حتى لاتكون مهارتنا سببا في هزيمتنا وتفسد مشروعاتنا ، لذلك التزموا بخططى وكفوا تماما عن أحداث أية تغيرات]] (٣) ٠

ومهما يكن الأمر فان تيمورلنك زحف بجيشة الجرار للاستيلاء على دمشق واشتد عزمه حين علم بانسحاب السلطان ، غير أن الدمشقيين قاتلوه من أعلى السور أشد قتال وأنزلوا بجيشه خسائر فادحة وردوه بعيدا عن المدينة ، وأسروا عددا كبيرا من جنده ، ثم أخذوا من خيولهم عددا كبيرا وقتلوا منهم نحو الألف (٤) ٠

وازاء تصميم أهل دمشق على القتال والكفاح أدرك تيمورلنك أن السيطرة عليهم تحتاج الى بعض من الجهد والوقت لذلك عاد الى التحايل معهم مرة أخرى فطلب الصلح معهم ، حيث تقدم رجلان من أصحابه وصاحا من خلف السور : [[الأمير يريد الصلح فابعثوا رجلا عاقلا حتى يحدثه الأمير في ذلك]] (٥) ٠

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 280 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٢٧/٢ - ٣٢٨ ٠

(٢) د٠ أحمد عبدالكريم : تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة ، ٢٢/٢ ٠

(٣) د٠ أحمد عبدالكريم : المرجع السابق ، ص ٢٢ ٠

(٤) انظر : العيني : عقد الجمان ،مخطوط الجزء التاسع عشر ، حوادث سنة ٨٠٣هـ ٠
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٢٣٨/١٢ ٠

(٥) المقريزي : السلوك : ١٠٤٦/٣/٣ ٠
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٨/١٢ ٠
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٣٧/٢ ٠
السلامي : مختصر التواريخ [مخطوط] ورقه ٩١ ب ٠
أحمد بن زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية ، ص ١١٥ ٠

بينما يرى آخرون أن الأعيان والقضاة في دمشق بعد مشاورات تمت بينهم طلبوا الأمان من تيمورلنك فمنحهم ذلك (١) ·

ويمكن التوفيق بين هذين الاتجاهين المتعارضين في هذه المناسبة بالقول :

ان المبادرة بطلب الصلح كانت من قبل تيمورلنك ، حين أرسل هذين الرجلين يناديان أهل دمشق بعقد الصلح مع تيمورلنك ، وأن أهل دمشق بعد مفاوضات فيما بينهم قد انتهوا الى الموافقة على قبول عرض تيمورلنك بعقد صلح معه وذلك بأن اختاروا مجموعة من العلماء للتفاوض معه وعقد الصلح ·

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 281 .
اليزدي : ظفرنامه ، ١٥٥/٢ ·
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٥٥ ·

هـ - مفاوضات تيمورلنك مع علماء دمشق سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م :

لاشك في أن انسحاب السلطان من دمشق قد جعلها بدون قيادة فشاع فيهم الاضطراب على الرغم من تصميمهم على قتاله ، واعتمد أهل المدينة على القضاة والعلماء في اسداء المشورة لهم وادارة شئونهم ، وقد رأى هؤلاء عدم قدرتهم على الاستمرار في محاربة تيمورلنك ازاء وضعهم العسكري غير المكافئ ، ووقع اختيارهم على ارسال قاضي القضاة تقي الدين ابراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي للتفاوض مع تيمورلنك ، وكان طلق اللسان ، يتكلم بالتركية (١) والفارسية ، وقد أجاب تيمورلنك ابن مفلح ببذل الأمان الذي طلبه (٢) أهل دمشق وقد خدع ابن مفلح بتنميق كلامه حيث قال عن دمشق:انها بلدة الأنبياء (٣) والصحابة ، وقد اعتقتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة عني وعن أولادى ، وأخبره أن زحفه على دمشق بسبب قيام سودون نائبها بقتل رسوله ، (٤) ولولا ذلك ما أتيتها ، وقد صار المذكور في قبضتي وفي أسرى (٥) ، وانه لايريد سوى أن يخرج أهل دمشق الطقزات (٦) .

---

(١) هو تقي الدين ابراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي الدمشقي قاضي قضاة الحنابلة بدمشق ولد سنة ٧٤٩هـ وكان بارعا عالما بمذهبه شاع اسمه ، رأس وفد المفاوضة الذي ذهب للتفاوض مع تيمورلنك سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م ، توفى في نفس العام عن اثنين وخمسين عاما .
انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢/١٥٠ - ١٥١ .
ابن طولون : قضاة دمشق ، الثغر البسام في ذكر من ولى قضاء الشام ، تحقيق الدكتور/ صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٥٦م ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، ١/٢/٦١٠ .
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ١١٦ .

(٣) العيني : عقد الجمان ، مخطوط الجزء التاسع عشر ، حوادث سنة ٨٠٣هـ .

(٤) انظر : المقريزي : السلوك ، ٣/٣/١٠٤٦ .
السلامي : مختصر التواريخ [مخطوط] ورقة ٩١ أ .
أحمد دحلان : الفتوحات الاسلامية ، ص ١١٥ .

(٥) يتضح مما ذكره ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ١٢/٢٣٩ بأن سودون لم يقتل بعد والراجح أنه قتل كما أشرنا سابقا .

(٦) كانت عادة تيمورلنك عند أخذ مدينة صلحا أن يخرج اليه أهلها من كل نوع من الأكل والشراب والدواب والملابس والتحف تسعة يسمون ذلك طقزات فان التسعة بلغتهم يقال لها طقز .

انظر : المقريزي : السلوك ، ٣/٣/١٠٤٦ .
ابن اياس : بدائع الزهور ، ١/٢/٦١١ .

ولعب ابن مفلح دورا فعالا في تلطيف الجو بين الأهالي وتيمورلنك ، وأخذ يثني على تيمورلنك ثناء عظيما ، وشرع يخذل الناس من القتال والمواجهة ، فانقسم الناس بين مؤيد ومعارض فرأى البعض ضرورة مقاومته ومحاربته حتى آخر قطرة دم ، وظهر موقفهم بصورة عملية في توزيعهم للأسلحة والمؤن لتحصين المدينة (٢) .

وفضل الآخرون ، وأكثرهم من العلماء الاستسلام والطاعة لتيمورلنك (٣) . وهم على حق في هذا الرأي ، لأنهم يعرفون مدى قوة تيمورلنك ، وأن مقاومته في هذه الظروف الصعبة لاجدوى فيها ، فالقيادة ضعيفة ، والآراء مختلفة ، وان العناد في مقاومته قد يضاعف من تسلطه عليهم .

ويذكر المؤرخون العرب أنهم باتوا ليلة السبت وهم على اختلاف ، فلما أصبحوا غلب رأي ابن مفلح ، فعزم على اتمام الصلح ، ونادى في الناس : [[انه من خالف ذلك قتل وأهدر دمه ، فكف الناس من القتال]] (٤) . ثم قدم رسول تيمورلنك الى سور المدينة في طلب الطقزات [[التسعات]] ، وقام ابن مفلح وأعيان المدينة بذلك خير قيام ، وساروا بالطقزات الى باب النصر (٥) ليخرجوه الى تيمورلنك فمنعهم نائب القلعة من ذلك وهددهم باحراق المدينة عليهم ان فعلوا ذلك فلم يلتفتوا الى قوله ، وقالوا له (٦) : [[أنت أحكم على

---

(١) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٤٦/٣/٣ .
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ٢٤٠/١٢ .
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦١٠/٢/١ .

(٢) انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٧/٢ .
القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٠٩ .

(٣) انظر : ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦١٠/٢/١ .
القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٠٩ .

(٤) المقريزي : السلوك ، ١٠٤٦/٣/٣ .
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤٠/١٢ .

(٥) باب النصر ، وباب الفتوح أسماء أطلقت على أبواب الحصون في مصر وتونس ودمشق ، وباب النصر هذا بدمشق ويسمى باب السرايا وهو باب فتحه الملك الناصر من الجهة الغربية لسور دمشق .
انظر : ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤٠/١٢ ، حاشية (١) .

(٦) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٤٧/٣/٣ .
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦١١/٢/١ .

قلعتك ، ونحن نحكم على بلدنا]] (١) • ثم انصرفوا عن باب النصر الى أسوار المدينة حيث تدلى ابن مفلح ومن معه من الأعيان وتوجهوا الى مخيم تيمورلنك في قبة يلبغا (٢) ، فعين بعضا منهم في بعض الوظائف كالقضاء ، والحجابة والدواوين واستخراج الأموال (٣) •

كما أرسل معهم فرمانا (٤) وهو ورقة فيها تسعة أسطر تتضمن [[أن يعلموا السكان بدمشق ، أن الله تعالى بفضله العميم ملكنا بلاد الشام ، لما يعلم في قلوبنا من الرحمة للرعية ، فليعلم الأشراف والمشايخ والتجار والعوام ، أنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم وحريمهم ، ونحو ذلك من الكلام]] (٥) • فقرئ الفرمان المذكور على منابر جامع بني أمية بدمشق (٦) •

وأرسل مع بعثة القضاة أميرا من أمرائه ليمنع جند تيمورلنك من دخول المدينة فصدق أهالي دمشق ذلك وفرحوا به (٧) ، ثم طلب تيمورلنك الى ابن مفلح أن يجبى من المدينة ألف ألف دينار • وأكثر القضاة والأعيان المدح والثناء على تيمورلنك وذكروا محاسنه وفضائله (٨) ، وأخذو يحثون الأهالي على طاعته

---

(١) ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤٠/١٢ •

(٢) يذكر فيشل في كتابه لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ١١٢ ، تعليقات ٣٥ ان تيمورلنك استولى على قبة يلبغا بعد فرار السلطان فرج •

(٣) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٤٧/٣/٣ •
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤٠/١٢ •

(٤) الفرمان وجمعه فرمانات ، وهو مايصدره السلطان أو الملك من الكتب للولاة والوكلاء والقضاة يعلن فيها تقليدهم مناصبهم أو تعيينهم فيها انظر : المقريزي : السلوك ، ٤٧١/٢/١ ، حاشية رقم ١ •

(٥) ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢١٩/٢ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٧/٢ •

(٦) انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٧/٢ •
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦١١/٢/١ •

(٧) فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ٧٠ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤١/١٢ •
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦١١/٢/١ •
د• نقولا زيادة : دمشق في عصر المماليك ، مكتبة لبنان ، نشر مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م ، ص ٥٣ •

(٨) من الواضح أن هؤلاء جميعا ذكروا ماذكروه تبريرا ومحاولة منهم لمعالجة هذا الموقف الصعب وهم في واقع الأمر غير مؤمنين بذلك كله •

والامتثال لأوامره ومطالبه ، ونجحوا في جمع المال المقرر عليهم في فترة وجيزة (١)

ومن المؤرخين من يذكر أن عبدالرحمن بن خلدون العالم والمؤرخ الكبير كان بين أعضاء الوفد الدمشقي الذي توجه لمقابلة تيمورلنك ، وأنه كان رئيسا لهذا الوفد ، يقول ابن عربشاه : [[ولما أقلع السلطان بفلك عساكره المشحون ، وقع في بحر العساكر التيمورية قاضي القضاة ولى الدين بن خلدون وكان من أعلام الأعيان ، وممن قدم مع السلطان ، فلما فتل السلطان وفرك كأنه كان غافلا فوقع في الشرك وكان نازلا في المدرسة العادلية (٢) ، فتوجه هؤلاء الأعيان اليه في تدبير هذه القضية فوافق فكره فكرهم ، فملكوه في ذلك أمرهم وما وسعهم الا استصحابه معهم]] (٣) ، ومن المؤرخين من ذهب الى القول : أن ابن خلدون لم يكن ضمن الوفد أو رئيسا عليه ، وانما توجه الى تيمورلنك منفردا ، فأحسن اكرامه والعطف عليه (٤) .

في حين أغفل مؤرخو الفرس والغرب الحديث عن مقابلة ابن خلدون لتيمورلنك ، ولانعرف ماهو السبب وراء هذا الاغفال وهم الذين حرصوا على كتابة تاريخه بكل تفاصيلة ! .

ويؤكد ابن خلدون أنه لم يكن ضمن الوفد الدمشقى الذي ذهب لمقابلة تيمورلنك في اللقاءين السابقين ، وأن تيمورلنك سأل عنه العلماء في مقابلتهم الثانية له ، حيث قال لهم: هل سافر ابن خلدون مع السلطان فرج في هروبه من دمشق أم انه مازال موجودا بالمدينة؟ فأخبره الوفد أنه مازال موجودا بها (٥) .

---

(١) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٤٧/٣/٣ .
القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٠٩ .

(٢) تقع المدرسة العادلية في الشمال الغربي من مسجد الأمويين وهو نفسه في القسم الشمالي الغربي من المدينة على مسافة ٦٥٠ قدما من القلعة شرقا .
انظر : فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ١٠٨ ، تعليقات ٢٨ .

(٣) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٤) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٥٢/٣/٣ .

(٥) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، عارضه بأصوله وعلق حواشيه ، محمد بن تاويت الطنجى ، ص ٣٧٧ .
فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ٧٠ .

ويبدو أن شهرة ابن خلدون الكبيرة قد وصلت الى أسماع تيمورلنك فعلم بوجوده من الرجال والأعيان في دمشق ، بواسطة جواسيسه وعيونه المنبثين في المدينة ٠

وقد تمت عدة مناقشات بين ابن خلدون وتيمورلنك في كثير من الموضوعات الدينيه والتاريخية ، (١) وقد التمس ابن خلدون من تيمورلنك أن يكتب له كتاب أمان لأنه غريب مرتين : مرة عن وطنه المغرب ومرة عن وطنه الثاني مصر ، فأجابه تيمورلنك الى ماطلب ، ثم طلب منه أن يكتب الأمان أيضا لمن خلفهم المصريون وراءهم في دمشق من القراء والموقعين والكتاب والعمال فكتب لهم كتابا بذلك (٢) ٠

ومهما يكن الأمر فان الوفد ذهب الى تيمورلنك وقدم له المبلغ المطلوب فلما عاينه غضب غضبا شديدا ولم يرض به ، وأمر ابن مفلح ومن معه أن يخرجوا عنه فأخرجوا ووكل بهم ثم الزموا بحمل ألف تومان (٤) فالتزم ابن مفلح (٣) ومن معه باحضار هذا المبلغ ، وعادوا الى البلد وفرضوه على الناس عن أجرة أملاكهم ثلاثة أشهر وألزموا أهل دمشق من ذكر وأنثى حر وعبد بعشرة دراهم ، والزم مباشر كل وقف من سائر الأوقاف بمال ، وأخذوا من أوقاف جامع بنى أمية مائة ألف درهم ومن بقية أوقاف الجوامع والمساجد والمدارس والمشاهد والربط والزوايا شئ معلوم (٥) ٠ وعمد ابن مفلح وموظفوه في جباية الأموال الى استخدام

---

(١) انظر النص الكامل للقاء ابن خلدون لتيمورلنك في :
فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ٦٩ - ٨٦ ٠
تاويت الطنجي : التعريف بابن خلدون ، ص ٣٦٦ - ٣٧٦ ٠

(٢) انظر : ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ، ص ٣٧٧ - ٣٧٨ ٠
فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ٨١ ٠
المقريزي : السلوك ، ١٠٥٦/٣/٣ ٠

(٣) انظر ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٢٥/٢ ٠
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٨/٢ ٠

(٤) ذكر كل من المقريزي في السلوك ، ١٠٤٧/٣/٣ وابن تغرى بردي في النجوم الزاهرة ٢٤١/١٢ وغيرهما أن تيمورلنك ألزمهم بحمل ألف تومان والتومان عبارة عن عشرة الآف دينار ٠

(٥) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٤٨/٣/٣ ٠
ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٢٥/٢ ٠
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤١/١٢ - ٢٤٢ ٠
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦١٢/٢/١ ٠

القوة وتعريض كثير من الناس للضرب والعقوبة (١) • ونتيجة لذلك عم البلاء بالناس وغلت الأسعار وعز القوت وبلغ المد من القمح وهو أربعة أقداح أربعين درهما فضة (٢) •

ثم حملت الأموال الى تيمورلنك فلما عاينها قال ان هذا يساوى في حسابنا ثلاثة آلاف دينار ويبقى أن تجبي سبعة آلاف دينار ، ويبدو أنكم قد عجزتم من جمع المبلغ المطلوب (٣) •

ولاشك في أن تيمورلنك قد نجح في تحايله ومراوغته مع ابن مفلح ورفاقه في جمع أكبر قدر من الأموال دون تعب أو جهد ! وأحس ابن مفلح أخيرا بلعبة تيمورلنك الخطيرة ، وأنه غير تارك لبلادهم كما وعدهم ، ولم يكن أمامه ومن معه أى فرصة للتراجع أو الرفض فقد وقعوا في شباك تيمورلنك ، وعليهم أن ينفذوا كل مطالبه فورا وهذا هو دأب تيمورلنك التحايل والغش والوعود الكاذبة •

ويذكر المؤرخون أن تيمورلنك فرض مجموعة من الجباة الظلمة من أعوانه ومن أراذل دمشق لتسهيل مهمة جمع الأموال ، فجعل شاه ملك مسئولا عاما عن جميع عمليات الجباية (٤) ، وجعل الله داده رئيسا للجباة (٥) •

ويذكر المؤرخون العرب أن شاه ملك (٦) نزل بجامع بني أمية ومعه أتباعه

---

(١) المقريزي : السلوك ، ١٠٤٨/٣/٣ •
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤٢/١٢ •
انطوان ضومط : الدولة المملوكية ، ص ٣٤١ •

(٢) ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، ٢٢٥/٢ •
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦١٢/٢/١ - ٦١٣ •

(٣) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٤٩/٣/٣ •
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤٣/١٢ •

(٤) هو أحد أركان دولة تيمورلنك والمقربين اليه •
انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٥٨ •

(٥) Sami : Op . Cit . P . 282 .
اليزدي : ظفرنامه، ٣٣٠/٢ •
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٥٨ •

(٦) لم نقف على ترجمة له بين المصادر التي بين أيدينا •

وادعى أنه نائب دمشق وجمع كل ماكان في الجامع من البسط والحصر ، وستر بها شرفات الجامع ، وصلى الناس الجمعة في شمالى الجامع وهم قليل وشاهدوا أصحاب شاه ملك يلعبون في الجامع ويضربون بالطنابير ، ومنعوا من اقامة الجمعة بالجامع ، وبطلت الأسواق كلها فلم يبع شئ الا ماكان مما يورد ثمنه في الجباية المقررة ، وزاد بالناس البلاء أن أصحاب تيمورلنك لايأخذون الا الدراهم والدنانير وردوا الفلوس فانحطت وصار ماكان بخمسة دراهم لايحسب الناس فيه فيما بينهم غير درهم واحد (١) ٠

والواقع أن تيمورلنك رغب في جمع كافة أموال البلاد عن طريق الصلح ، فبعدما تأكد من جمع أموال الدمشقيين عمد الى مجموعة من الطلبات منها : ان من هرب من تجار ورجال بارزين في دمشق ابان انسحاب السلطان أو بعده ، وترك أموالا في دمشق فهى ملك تيمورلنك ويجب أن تحمل اليه ، وكان قد خرج من دمشق أعداد كبيرة فلم يبق لهؤلاء شئ فيها (٢) ٠

وأن يخرجوا جميع مافي المدينة من الحيوانات والبغال والحمير والجمال وقد ذكروا أن عدد الحيوانات التى سلمت له اثنا عشر ألفا (٣) ٠

ولم تتوقف الأوامر والطلبات عند هذا الحد ، بل عاد وطلب أن تسلم له كل الأسلحة التي في حوزة السكان صغيرها وكبيرها فتتبعوا ذلك ودل بعضهم على بعض ، حتى لم يبق بها من آلات القتال وأنواع السلاح شيء (٤) ٠

---

(١) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٤٨/٣/٣ - ١٠٤٩ ٠
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٨/٢ ٠

(٢) انظر : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٢٢٣/٢ ٠
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤٣/١٢ ٠
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦١٤/٢/١ ٠

(٣) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٤٩/٣/٣ ٠
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٥٨ ٠
القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٠٩ ٠
فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ١٥٥ ، تعليق رقم ١٢٣ ٠

(٤) انظر : ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤٤/١٢ ٠
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦١٤/٢/١ ٠
فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ١٥٥ ، تعليقات رقم ١٢٣٠

وبعد هذه المطالب طلب تيمورلنك من ابن مفلح احضار ماتبقى من مال سابق ، وقدره سبعة آلاف دينار أجابه ابن مفلح أنه لم يبق من مال المدينة شيء ، فكبله تيمورلنك مع جماعته بالأغلال الى أن وافقوا على اعداد قوائم بكل المحلات والدور في المدينة ، فكتبوا ذلك ورفعوه اليه ، ففرقه على أمرائه وقسم البلد بينهم فساروا اليها • ونزل كل أمير في قسمه ، وطلب من فيه وطالبهم بالأموال فحينئذ حل بأهل دمشق من البلاء مالايوصف (١) •

ويؤكد ماجاء في المصادر العربية دي ميجنانللى فيقول : [[وأخيرا عندما رأى تيمورلنك أنه لم يعد في استطاعته أخذ المزيد من الأموال سواء بالحق أو الباطل استدعى نبلاءه وقواده وقال لهم [[لقد جمعت أموالا قليلة من هؤلاء الدماشقة التافهين بمشقه بالغة من جانبى ، وادخرت النصيب الأكبر والأحسن لكم • انظروا انى أهبكم ماتبقى ، عليكم أن تكونوا أقوياء وأن تعرفوا كيف تتعاملون معهم ، ثم سلمهم قوائم الجرد وبها أسماء الملاك وأصحاب الحوانيت وقوائم البضائع والسلع وأماكنها ، كما أباح لهم سفك الدماء فأطاعوه ونزلوا على رغبته طاعة الأبناء الأوفياء]] (٢) •

ويتضح لنا من عرض تلك الأحداث والمطالب مدى ماوصل اليه تيمورلنك من دهاء ومكر وحسن مدخل ، فقد تحايل على ابن مفلح ومن معه ، واقنعهم باسلوبه المراوغ بقبول طلباته وتنفيذها في أسرع وقت ، وقد نجح في تحقيق أهدافه عن طريق المفاوضات الكاذبة ، واعطى لجنده وقتا كافيا من الراحة فحصل على كل شيء وخسر أهل دمشق وقضاتها كل شيء •

وانفرد ابن عربشاه عن غيره من المؤرخين بذكر المناقشات والمناظرات العلمية التي تمت بين تيمورلنك وقضاة دمشق ، ويتضح من الحوار والمناقشة

---

(١) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٥٠/٣/٣ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٨/٢ •
القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٠٩ •
فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ١٥٥ ، تعليقات رقم ١٢٣

(٢) أحمد عبدالكريم : تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة ، ٣٣/٢ •

أن تيمورلنك يميل الى التشيع ، ونصرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والقاء اللوم على معاوية رضي الله عنه وابنه يزيد ، وأهل الشام ، لمحاربتهم لعلي وابنه الحسين رضي الله عنهما .

واختار تيمورلنك كعادته العالم عبدالجبار بن النعمان ليكون المتحدث والمترجم عن لسانه . وتركزت المحاورة على وقائع علي ومعاوية وما مضى بينهما ، ومنها أمور يزيد مع الحسين بن علي ، واعتبر ذلك ظلما وفسقا ومن استحله فهو واقع في الكفر ، واتهم أهل الشام بمؤازرتهم ليزيد وأن قتل الحسين كان بموافقتهم ، فان استحلوا قتله فهم كفار ، وان انكروه فهم عصاة وبغاة وان الحاضرين علي مذهب الغابرين .(١) فأجاب القضاة بحذر شديد لأنهم يعرفون حقد تيمورلنك على معاوية واتباعه ، وان طرحه لتلك الأسئلة محاولة منه لاستفزازهم والتعنت معهم ، ليتخذ من ذلك سببا لقتلهم وتدمير بلادهم ، وكان من تلك الأجوبة ماردده ومنها ما أعجبه ، وقد لقيت اجابة كاتب السر محمد بن أبي الطيب(٢) قبولا حسنا عند تيمورلنك حيث قال : [[أطال الله الكبير بقاء مولانا الأمير ، أما أنا فنسبي متصل بعمر وعثمان رضي الله عنهما وأن جدى الأعلى كان من أعيان ذلك الزمان وحضر تلك الوقائع ، وخاض هاتيك المعامع ، وكان من رجال الحق وابطال الصدق ومما تواتر من فعله ، ووضعه الشيء في محله أنه توصل الى رأس سيدنا الحسين ونزهه عما حصل له من ابتذال وشين ، ثم نظفه وغسله وعظمه وقبله وطيبه وبجله وواراه في تربة وعد ذلك عند الله تعالى من أفضل قربه ، فلذلك أيها الغام الصيب كنوه بأبي الطيب ، وعلى كل تقدير يامولانا الأمير فتلك أمة قد خلت وهموم غمام غمومها انجلت وربما جرعت انقضت ، وبما أذاقت مرت أو حلت ، وفتن أراحنا الله اذا أراحنا عنها ، ودمار طهر الله سيوفنا منها ، وأما الساعة فاعتقادنا اعتقاد أهل السنة والجماعة]](٣) فتعجب تيمورلنك من اجابته وبلاغة أسلوبه ،

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) محمد بن عمر بن محمد بن أبي القاسم بن عبدالمنعم بن محمد بن أبي الطيب العمرى الانصاري ، كاتب السر ، توفي سنة ٨٠٣هـ .
انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٦٠ ، ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٣) ابن عربشاه : المصدر السابق ، ص ١٦٠ .

وقال له لولا أني ظاهر العذر لحملتك على عاتقي والأكتاف ، ولكن سترى ما أفعله معك ومع أصحابك من التكريم ثم ودعهم وبالتعظيم والاحترام شيعهم (١) .

ثم عاد تيمورلنك وسأل القضاة سؤالا أخر ، فقال لهم : ما أعلى الرتب درجة العلم أو درجة النسب ؟ .

وكان العلماء قد أدركوا ماكان يرمي اليه تيمورلنك من هذا السؤال ، وتأخروا عن رد الجواب ، حتى تجرأ القاضي شمس الدين النابلسي (٢) فقال: [[درجة العلم أعل من درجة النسب ، ومرتبتها عند الخالق والمخلوق أسنى الرتب ، والهجين الفاضل يقدم على الهجان الجاهل]] الى أن يقول [[والدليل على ذلك اجماع الصحابة على تقديم أبي بكر على علي رضي الله عنهما ، وقد أجمعوا أن أبابكر أعلمهم ، واثبتهم قدما في الاسلام وأقدمهم ، واثبات هذه الدلالة من قول صاحب الرسالة [[لاتجتمع أمتي على ضلالة]] (٣) .

ولما انتهى القاضي شمس الدين من كلامه قال تيمورلنك : لله هذا ما أفصحه وأجرأه في الكلام وأوقحه ، ثم طلب من الحجاب ألا يدخلوه عليه أبدا

ويذكر الخطيب الصيرفي أن تيمورلنك سأل علماء دمشق عندما دخل جامع بني أمية ووجد فيه محاريب أحدها مدهون بالذهب واللازورد ، وبقيتها ساذجة بلا دهان ، فسأل : [[لأى شيء حص هذا بهذا ؟]] فقيل له:[[هذا محراب الشافعية]] فسأل ابن مفلح : [[أي الامامين أفضل الامام ابوحنيفة أو الامام الشافعي ؟]] وألح عليه في ذلك فأجابه : [[ان هذين مايفرق بينهما الا من يكون نظيرهما]] (٤) .

---

(١) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٢) شمس الدين محمد بن أحمد بن محمود النابلسي ، ترقى حتى ولى قضاء قضاة الحنابلة بدمشق وعزل وتولى مرارا ، ودرس بعدة مدارس ، وكان ذا عظمة وبهجة زائدة وقيل أنه لم يكن مرضي في شهادته ولا قضائه ، مات سنة ٨٠٥هـ .
انظر : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٥٢/٧
ابن طولون : قضاة دمشق ((الثغر البسام في ذكر من ولى قضاة الشام)) تحقيق الدكتور صلاح المنجد ، ص ٢٨٧ .

(٣) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٤) نزهة النفوس : ١٠٥/٢ .

و - استيلاء تيمورلنك على قلعة دمشق سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م :

كان تيمورلنك ابان فترة التفاوض مع قضاة وأعيان دمشق يحاصر قلعتها التى امتنع نائبها يزدار (١) ومن فيها من مقاتلين قدرهم البعض بأربعين مقاتلا (٢) الا أنهم مع ذلك نجحوا في مواجهة وصد القوات التيمورية (٣) ·

ويذكر اليزدي أن تيمورلنك أمر جنده بأن يحاصروا القلعة من جميع الجهات وأمرهم بنسف الطارمة وهي أعلى برج في القلعة وأشعلوا النار في قسمها الأعلى ، وفتحوا ثغرة واسعة سرعان ماسدها المدافعون (٤) وتركز هجوم تيمورلنك على القلعة من جهة الشمال والغرب (٥) · وحاول التيموريون اسقاطها باستخدام المنجنيق وفتح الثغرات وتسليط النيران عليها ، فتهدم نصفها ، ولكن مع هذا لم يستسلم من كان بها (٦) ، وكان جند تيمورلنك من شدة ما أعياهم أمر القلعة بنو تجاهها قلعة من خشب ، فعند فراغهم من بنائها وأرادوا طلوعها ليقاتلوا من أعلاها من بالقلعة رمى أهل قلعة دمشق نفطا فأحرقوها عن آخرها ، فأنشأوا قلعة ثانية أعظم من الأولى وطلعوا عليها وقاتلوا أهل القلعة (٧) ·

ويختلف المؤرخون في تحديد المدة التى ظل فيها الدفاع عن القلعة ، فيجعل البعض ذلك تسعة وعشرين يوما (٨) ، ويجعله ابن عربشاه ثلاثة وأربعين يوما (٩) ·

---

(١) لم أقف على ترجمة له بين المصادر التي بين يدي ·
(٢) انظر : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤٣/١٢ ·
(٣) انظر : فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ١٥٠ تعليقات رقم ١٢٢·
(٤) ظفرنامه ، ٢٣٠/٢ - ٢٣٢ ·
(٥) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٦٣ ·
(٦) Sami : Op . Cit . P . 281 .

(٧) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٦٣ ·
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤٢ - ٢٤٣ ·

(٨) ذكر المقريزي في السلوك ، ١٠٤٩/٣/٣ وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٢٤٢/١٢ ما أثبتناه ، بينما ذكر العيني في عقد الجمان ، حوادث سنة ٨٠٣هـ ان مدة ذلك كان شهرا ·

(٩) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٦٤ ·

وأخيرا استسلمت القلعة بعد كفاح مرير من نائبها ومن معه بعدمـــــا أعياهم الحال وكثرت الجراح وفتحت الثغرات في الأسوار وانقطع الأمل وعظـــم الخطب ، ويئسوا من النجدة ، فطلبوا الأمان فأمنهم تيمورلنك (١) الا أنه نفذ حكم الأعدام بنائبها يزدار واستولى على ثروته الضخمة (٢) ٠

وحصل من القلعة على أموال لاتعد ولاتحصى مابين ذهب وفضة وقماش وســلاح وغير ذلك من أموال الشاميين والمصريين (٣) ٠

(١) انظر : العيني : عقد الجمان ، مخطوط الجزء التاسع عشر ، حوادث سنة ٨٠٣هـ ٠
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٢/٨٨ - ٨٩ ٠

(٢) انظر : اليزدي ظفرنامه ، ٢/٣٣٤ ٠
Price : Op . Cit . P . 340 .

(٣) انظر : العيني : عقد الجمان ،مخطوط الجزء التاسع عشر ، حوادث سنة ٨٠٣هـ ٠
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٢/٨٨ - ٨٩ ٠
اليزدي : ظفرنامه ، ٢/٣٣٤ ٠

ز - المفاوضات مع السلطة المملوكية ٨٠٣ - ٨٠٦هـ - ١٤٠١ - ١٤٠٣م :

كان هناك العديد من المفاوضات وتبادل الرسائل بين الدولتين المملوكية والتيمورية خلال السنتين ٧٩٦ و ٧٩٩هـ - ١٣٩٤ - ١٣٩٧م ولكن هذه المفاوضات لم تثمر نتائج ايجابية ، ولما توفى السلطان برقوق سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٩م وتولى ابنه فرج الحكم ، عاد تيمورلنك الى التفاوض معه فبعث بأكثر من رسالة اليه طالبا منه اطلاق سراح قريبه أطلمش ، واقامة علاقة طيبة بينهما ، لكن هذه المحاولات لم تكن أحسن حالا من سابقتها حيث لم يبال فرج بدعوة تيمورلنك ولم يستجب لها ، فزاد ذلك من حقد تيمورلنك عليه ، وهجم على الشام ، وكاد أن يحقق انتصارا كبيرا على فرج الذي انسحب الى مصر ليقضى على الثورة التى نشبت فيها •

وعلى الرغم مما أظهره فرج من قوة وثبات في رسالته التي بعث بها الى تيمورلنك ابان عودته الى القاهرة الا أن هذا الموقف قد تحول الى ضعف وهوان، تجلى في أسلوب الرسائل التى بعثها الى تيمورلنك فيما بعد •

وفي سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م بعث السلطان فرج رسالة الى تيمورلنك يهدده فيها ويتوعده بالعودة اليه ليحاربه ويهزمه ، وذكر له أنه لم يهرب من أمامه بسبب خوفه منه ، وانما الذي دعاه الى العودة الى القاهرة البلبلة التى حدثت فيها نتيجة تمرد بعض المماليك وخروجهم عن الطاعة • ومما جاء في رسالته في هذا الصدد قوله : [[لاتحسب أننا جزعنا منك ، أو فررنا عنك ، وانما بعض مماليكنا قوى أنفاسه ، وأخرج عن ربقة الطاعة رأسه ، وتصور أن كل من خرج عرج ، ولم يعتبر بمن رام للارتقاء سلما فدرج ، وأراد بذلك مثلك القاء الفساد ، وهلاك العباد ، وهيهات فان دون مرامه خرط القتاد ، والكريم اذا بدا بجسمه مرضان داوى الأخطر ، ورأيناك أنت أهون الخطبين وأحقر]] •(1)

ثم يستطرد فرج في رسالته واصفا تيمورلنك بقلة الأدب وأنه قادر على الخلاص منه ، وأنه سوف يقدم اليه في أسرع وقت ليثبت له صحة مقولته ، فقال:

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٦٨ •
أنور زقلمة : المماليك في مصر ، ص ٥٣

[[فثنى عزمنا الشريف عنانه ، ليعرك من ذلك القليل الأدب آذانه ، ويقيم في نظم طاعته ميزانه ، وايم الله لنكرن عليك كر الأسد الغضبان ، ولنوردن منك ومن عسكرك نواهل القنا موارد الاضغان ، ولنحصدنكم حصد الهشيم ، ولندوسنكم دوس الحطيم ، فلتلفظنكم رحى الحرب في كل طريق لما تعانون من غليظ الطعن وجليل الضرب لفظ الدقيق ، ولنضيقن عليكم سبل الخلاص]] (١) .

ولاشك أن فرجا أخطأ في رسالته ، لأن فاقد الشيء لايعطيه فكيف يستطيع أن يحقق لنفسه نصرا كبيرا على تيمورلنك ، وأوضاع دولته في هرج ومرج وأسوأ حال ، ولانعتقد أن فرجا كانت لديه القدرة والقوة ليخاطر بجيشه لمحاربة تيمورلنك مرة أخرى ، كما أن هذه الرسالة أغضبت تيمورلنك كثيرا ، فأنزل جام غضبه على البلاد الشامية شمالها وجنوبها ، وكان الأولى به استمالة تيمورلنك وارسال أطلمش اليه لعله يخفف من حدة انتقامه .

ويذكر ابن عربشاه الحوار الذي دار بين تيمورلنك ومبعوث فرج بيسق الشيخي (٢) ، قال بيسق (٣) : لما مثلت بين يديه ، وأديت الرسالة ، وقرئ الكتاب عليه ، قال لي : قل الحق ما اسمك ؟ قلت بيسق ، قال مامدلول هذا اللفظ المزرى ؟ قلت له يا مولانا لا أدرى ، فقال : أنت لاتعرف مدلول اسمك ياشعالة فكيف تصلح لتحمل الرسالة ؟ الى أن يقول له : [[لاعتب عليك وانما اللوم على من تقدم بهذا الأمر اليك ولاحرج عليه أيضا لأن ذلك مبلغ علمه ، ومدرك عقله وفهمه]] (٤) .

ثم طلب تيمورلنك من المبعوث أن يذهب الى القلعة ليرى بنفسه ما آل اليه أمرها من حرق وتدمير .

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٦٨ .

(٢) أمير أخور الظاهر برقوق مات بالقدس سنة ٨٢١هـ .
انظر : السخاوى : الضوء اللامع ، ٢٢/٣/٢ .

(٣) أكتفى كل من المقريزي في السلوك ، ١٠٥٤/٣/٣ ، وابن تغري بردي في النجوم ، ٢٤٩/١٢ بأن السلطان فرجا أرسل مبعوثا الى تيمورلنك يسمى بيسق ولم يذكروا تفاصيل أخرى .

(٤) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٦٩ .

وقد كال تيمورلنك الشتم والتأنيب لبيسق ، وعامله معاملة سيئة ، وحمله رسالة شفوية بأن يخبر سيده أنه سوف يصل اليه ليحاربه في عقر داره ، حيث قال: [[ان مرسلك أقل من أن أجامله وأذل من أن أراسله ، ولكن قل له : انى واصل اليه على عقبك وها أنا مشبث مخاليب أسودى بذنبك فليشمر للقرار أو للفرار]] (١) •

وعلى الرغم من تلك الرسالة السابقة ، وما أظهره فرج فيها من تحد صريح لتيمورلنك ، الا أن موقفه قد تغير بعدما وصلت اليه أخبار هزيمة السلطان العثماني بايزيد سنة ٨٠٥هـ - ١٤٠٢م ، فازداد تخوف القيادة المملوكية من تيمورلنك ، ورأوا أنه لاداعى لاسلوب التحدي والعناد معه ، وأن عليهم الخضوع له لأنه الأقوى •

وتجلى هذا الضعف في رسائل فرج التالية اليه ، ففي سنة ٨٠٥هـ - ١٤٠٢م أرسل تيمورلنك مبعوثا ومعه رسالة الى فرج الذي أحسن استقبال المبعوث وأظهر رغبة أكيدة في الاستجابة لمطالب تيمورلنك الذي قال في رسالته : [[أصبح ملك جميع بلاد الروم بنصرة الله ، وعناية السلطان تحت حكم أتباعنا فينبغى أن تزين سكة بلاد الشام ومصر وخطبتها باسمنا ولقبنا العظيم ، وأن تطلقوا سراح أطلمش في الحال ، وترسلوه الى بلاطنا الذي هو ملجأ للعالم ، واذا تغافلتم في هذا الأمر أدنى تغافل فتيقنوا أن راياتنا المظفره ستتجه بعد عودتها من بلاد الروم ، الى مصر ، وترفرف على ربوعها ، وقد قلت كل مافي نفسي وأنت تعرف مابعد ذلك وقد أعذر من أنذر]] (٢) •

وتؤكد بعض المصادر أن السلطان قد استجاب لمطالب تيمورلنك حيث قال : [[أنا عبد للأمير ولو كان لي ملجأ فهو عتبة الأمير ، واذا ترفق بي الأمير وقبل خضوعي له فانني لن أترك ذلك ، بخلاف الماضي ، وأنى أجعلهم يقرأون الخطبة في تلك المملكة باسم الأمير ، وتكون العملة باسمه أيضا ،

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٧٠ •

(٢) Sami : Op . Cit . P . 327 .
ميرخواند : روضة الصفا ، ٢٤٦/٦ •

وسوف أرسل الخراج كل سنة الى الخزينة العامرة (١) .

فأظهر تيمورلنك لطفه ورحب بطلبه قائلا : [[لقد حرم من أبيه في سن صغيرة ، وأنا أقبله ابنا لي من أجل رضا الله تعالى واذا خدم باخلاص وتمسك بعهده لن أتوانى عن الرفق به]] (٢) .

ويتضح مما جاء في المصادر العربية أن فرجا رضخ للأمر الواقع متناسيا مافعله تيمورلنك في الشام من تدمير وتخريب ودك لمعالم حضارتها ، ويظهر من أسلوب الرسائل مدى الضعف الذي أصاب دولة المماليك في ذلك الوقت ، وقد بين فرج في احدى رسائله الى تيمورلنك سبب تأخير أطلمش عنه ، وذلك عندما وصلت اليه أخبار استيلائه على الشام وأنه اعتقد بهذا العمل عدول تيمورلنك عن طلبه في ارسال أطلمش ، ويفهم من نص رسالة فرج اليه أن تيمورلنك [[أقسم بالله الطالب الغالب المدرك المهلك الحى الذي لاينام ولايموت ، أنه ان جهز اليه أطلمش المشار اليه رجع المقام الشريف الى بلاده ، وأنه متوقع حضوره اليه بقارة أو سلمية أو حمص أو حماة فاخذنا في تجهيزه الى حضرته الشريفه على أجمل مايكون]] (٣) .

كما أكد تيمورلنك مع وفد آخر بعثه الى فرج رغبته في فتح باب المصالحة وسلك طريق المصافاة والمصادقة رعاية لصلاح المملكتين ، وانه يكون محبا للسلطان فرج مبغضا لمن يبغضه ان أرسل اليه أطلمش (٤) .

فاجتمع فرج بكبار رجال دولته وناقشهم في أمر أطلمش فاتفقوا على ارساله الى تيمورلنك (٥) .

---

(١) Sami : Op . Cit . P . 327 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٤٩٩/٢ - ٥٠١ .

(٢) لم تذكر المصادر العربية التي بين أيدينا ماذكرته المصادر الفارسية في هذا الشأن .

(٣) انظر النص الكامل للرسائل المتبادلة بين تيمورلنك وفرج في كتاب صبح الأعشى للقلقشندى ، ٢١٩/٧ - ٣٣١ .

(٤) انظر : القلقشندي : صبح الأعشى ، ٣١٩/٧ - ٣٣١ .

(٥) المقريزي : السلوك ، ١٠٩٨/٣/٣ - ١٠٩٩ .
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦٦٥/٢/١ .

ثم أرسل تيمورلنك وفدا برئاسة خواجا مسعود الكججاني[(١)] الى السلطان فرج ليعقد الصلح بين الطرفين وقد عقد بعدما أقسم كل من الطرفين للآخر الأيمان المؤكدة على الوفاء والالتزام بنص الاتفاق الذي انحصر في الشروط الآتيه :

- أن يحترم كل منهما الحدود الجغرافية للطرف الآخر وألا تتجاوز عساكرهما حدود البلد الأخر[(٢)] •
- ان من جاء من عنده يحبس ، حتى يكاتب فيه وكذا من جاء من عندنا اليه[(٣)]•
- أن يجهز أطلمش الى تيمورلنك في أقرب فرصة[(٤)] •

وفي أواخر سنة ٨٠٥هـ أطلق السلطان فرج سراح أطلمش وأرسله صحبة الخواجه مسعود بعدما أنعم عليه بمال وقماش ، وبعث معه وفدا حمله رسالة[(٥)] الى تيمورلنك أظهر فيها ضعفه ومداهنته له ، حيث يقول : [[بباري النسم الذي لا اله الا هو الطالب الغالب المدرك المهلك الحي الذي لاينام ولايموت أنا من يومنا هذا لانخالف ما انتظم من عقد الصلح المسطور الى يوم البعث والنشور ، ولاتحل عراه الوثيقة المشار اليها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ونكون حربا لمن حاربه وسلما لمن سالمه ومبغضين لمبغضيه ومحبين لمحبيه ، ومن أشار باشارة أو شن على أحد من رعاياه غارة ، رادفنا اسعافه وضاعفنا استظهاره واخلصنا القول والعمل في مصافاة المقام الشريف ، لأن الصلح بحمد الله قد تم وكمل ، فيكون ذلك في شريف علمه]][(٦)] •

كما يتضح من رسالة فرج أن تيمورلنك قد سبق وأن طلب منه أن يسلم لنوابه عددا من الحصون والبلدان كأبلستين وملطية والبيرة وغيرها • وقد

---

(١) يذكر ابن حجر العسقلاني في كتابه انباء الغمر ، ٢٢٩/٢ ، أنه جاء في كتاب تيمورلنك الأتى على يد مسعود : [[أنه مهما يقول مسعود ويقع الاتفاق معه عليه فهو باذني ، ومهما حلف عليه فهو لازم لي]] •
(٢) محمد ماهر حمادة : وثائق الحروب الصليبية ، ص ٩٣ •
(٣) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر بأنباء العمر ، ٢٦٤/٢ •
(٤) انظر : القلقشندي : صبح الأعشى ، ٣٢٣/٧ •
(٥) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٩٨/٣/٣ ، ١٠٩٩ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٢٩/٢ •
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦٦٥/٢/١ •
(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٣٢٩/٧ •

جاء رد فرج على هذا الطلب قائلا : [[ونحن نبدى الى علومه الشريفة أن هذه البلاد لايحصل لنا منها خراج ولاينال ملكنا ونوابنا منها في كل وقت الا الانزعاج ، واذا جهزنا اليها أحد من النواب ، نتكفل له غالبا بالخيل والرجل والركاب وبضواحيها من سراق التركمان وقطاع الطريق من العربان مالايخفى عن مقامه ، ولو كانت دمشق أو حلب أو أكبر من ذلك ممالة (؟) عن الطلب ، ماتوقفنا فيها عن قبول اشارته لتأكيد المحبة واتحاد الكلمتين من الجانبين في أعلى رتبه ، غير أن في تسليمها من الوهن لمملكتنا منافاة لما تفضل به المقام الشريف من سؤال الله تعالى في زيادة سلطتنا ، خصوصا وقد وعد المقام الشريف الوالدى بما سنرى]] (١) •

ولم يفتأ تيمورلنك يظهر عدم تقديره للسلطان فرج اذ أرسل اليه في ربيع الأول سنة ٨٠٦هـ - ١٤٠٣م كتابا يذكر فيه أن قرا يوسف وأحمد بن أويس قد هربا من قبضته وان على فرج أن يقبض عليهما ان وصلا الى الشام وارسالهما اليه ، فاستجاب فرج لأوامر تيمورلنك واصدر أمره بالقبض عليهما حال وصولهما الى الشام ، وتم القبض عليهما وسجنهما تأكيدا للاتفاق المبرم بينه وبين (٢) تيمورلنك ، أن من جاء من عنده يحبس حتى يكاتب فيه ، وكذا من جاء من عندنا اليه (٣) • لذلك بعث فرج الى تيمورلنك يخبره أنه تم القبض عليهما فطلب ارسالهما اليه (٤) •

واستمر السلطان فرج وتيمورلنك يتبادلان الهدايا ، كما أن تيمورلنك قبل أن تدركه المنية آخر سنة ٨٠٧هـ - ١٤٠٥م أرسل الى السلطان فرج عدة هدايا من ضمنها تاجا وأثوابا وحزاما مرصعا وقلنسوة واعتذر له عن هجومه السابق على بلاد الشام (٥) •

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٣٢٩/٧ ، ٣٣٠
(٢) المقريزي : السلوك ، ١١٢٠/٣/٣ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٦٤/٢ •
(٣) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٦٤/٢ •
الغياثي : التاريخ الغياثي ، ص ٢١١ •
(٤) انظر : اليزدى : ظفرنامه ، ٥٧٠/٢ •
بينما أشار السخاوى في كتابه الضوء اللامع ٢٤٥/١/١ ان نائب الشام أطلق سراح السلطان أحمد بن أويس بغير رضا من السلطان ، وعاد الى بغداد ودخلها بعد أن نزل التتار عنها لوفاة تيمورلنك واستمر على عادته •
وأشار ابن حجر العسقلاني في كتابه انباء الغمر ٢٦٤/٢-٢٩١ ان نائب الشام الأمير شيخ المحمودى قد أفرج عن قرا يوسف من السجن وأهمل كتاب تيمورلنك الذي عاتبه فيه اكرامه لقرا يوسف وعدم ارساله اليه •
(٥) Sami : Zafer Name . P. 328
د• حكيم أمين عبدالسيد : قيام دولة المماليك الثانية ، ص ١٤٥-١٤٦•

ح - آثار الغزو التيموري على الشام :

وأخيرا كان للغزو التيموري المدمر على الشام وبشكل خاص على مدينتي حلب ودمشق ، آثار ونتائج بالغة السوء في مختلف الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية ·

ففي الجانب العسكري فقد الجيش أعدادا كبيرة من رجاله ، وكميات ضخمة من سلاحه وعتاده ، كما أن الروح المعنوية لدى الجند والأهالى ساءت واعتبروا أن الانتصار على تيمورلنك مستحيلا فاعلنوا استسلامهم وتنفيذ أوامر تيمورلنك دون تردد ، كما أدى الغزو التيموري الى هدم وتخريب كثيرا من القلاع وذلك بتسليط المنجنيق والنيران عليها ·

وقد أثر الغزو المدمر على الشام في الحركة الاقتصادية تأثيرا كبيرا، فتضررت حركة التجارة بسببه أبلغ الضرر ، حيث كان عدد كبير من سكان الشام في حلب ودمشق وحماة يزاولون مهنة التجارة فقام الجيش التيموري بتدمير الأسواق والمحلات التجارية بصورة همجية فتوقفت الحركة التجارية مابين مدن الشام وغيرها ·

كما أن النشاط الزراعي أخذ في الانحسار ، وتدهورت الزراعة لسنوات طويلة نتيجة الابادة الجماعية التي قام بها تيمورلنك للانسان والأرض ، واحراق الكثير من المزارع ، وقتل أعداد كبيرة من المزارعين · وارتفعت الأسعار بصورة عالية ، وعز وجود الأقوات وبلغ ثمن المد من القمح وهو أربعة أقداح أربعين درهما فضة (١) · ويذكر ابن قاضي شهبة : [[ومن يوم هرب السلطان لم ير أحد خبزا في فرن ، ولايوجد القمح والشعير الا بعزة ، فانهم لما تسلموا البلد ختموا على جميع الحواصل ، الذي به للغائبين والحاضرين]] (٢) ·

---

(١) المقريزي : السلوك ، ١٠٤٨/٣/٣ ·

(٢) تاريخ ابن قاضي شهبة ، الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ص ٢٢٤ ·

واهلكت الثروة الحيوانية ومن لم يهلك منها طلب تيمورلنك أن يحجز عليها ،(١) فبلغ عدد الرؤوس التي صادرها نحو اثنى عشر ألفا •(٢) وفقدت الصناعة مكانتها التي عرفت بها الشام لما رافق الغزو من قتل وتدمير ،(٣) واصطحاب تيمورلنك معه أشهر الصناع والحرفيين في مجال تخصصه الى سمرقند •(٤)

وبذلك فقدت دمشق وغيرها قدرتها الصناعية والاقتصادية لفترة طويلة ، ومما يدل على حجم تلك الخسارة أن أحد النصارى الغربيين عندما زار دمشق مع بعض رفقائه خلال القرن الخامس عشر الميلادي من أجل شراء حرير سوري ، قيل له أن الحرير الموجود مستورد من البندقية !؟(٥) •

كما أن الغزو أثر في حركة القوافل التجارية التي أصبحت عرضة للسلب والنهب من قبل العربان وقطاع الطرق الذين استغلوا هذا الوضع المضطرب ، وحدث منهم مالم يحدث من جنود تيمورلنك ،(٦) ويذكر المقريزي أن طرق الشام كانت عامره قبل اقتحام تيمورلنك لها حيث كان : [[يوجد بها عند كل بريد مايحتاج اليه المسافر من زاد وعلق وغيره ، ولكثرة ماكان فيه من الأمن أدركنا المرأة تسافر من القاهرة الى الشام بمفردها راكبة أو ماشية - لاتحمل زادا ولاماء ، فلما أخذ تيمورلنك دمشق وسبى أهلها وحرقها في سنة ثلاث

---

(١) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ٩٩/٣ •
(٢) القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٠٩ •

(٣) صدرت بلاد الشام الى القاهرة وغيرها الزيت والصابون والشموع والحديد والخشب ، وانتجت دمشق الأواني الخزفية والزجاج والمعادن والسلع القماشية الفاخرة ، وحققت مدينة حلب انجازات بارزة في أعمال الخشب والرخام والنسيج والعطور ، وصناعة الأسلحة ، واشتهرت مدينة بعلبك بالقماش القطني الممتاز كما أن بلاد دمشق كانت ذات أهمية فريدة كمنتج للكماليات التي صدرت الى جميع مناطق الدولة بأكملها والى الخارج أيضا وعليه كان القرن الرابع عشر قرنا مزدهرا قبل اقتحام تيمورلنك لها •

ايرلامارفين لابيدوس : مدن الشام في العصر المملوكي ، الطبعة الأولى • نقله الى العربية وقدم له : سهيل زكار ، دمشق ، دار حسان للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ص ٥١ - ٥٤ •
Huart : Histoire des Arbes, Vol, 2. P. 59 .

(٤) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٣٠ •
البيزدي : ظفرنامه ، ٣٣٤/٢ - ٣٣٥ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٩٢/٢ •

(٥) انظر : أحمد عبدالكريم : تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة ، ٣٧/١
(٦) هاورلد لامب : تيمورلنك ، ص ١٧٠ •

وثمانمائة ، خربت مراكز البريد ، واشتغل أهل الدولة بما نزل بالبلاد من المحن]] (١) •

وتأثرت البلاد الشامية اجتماعيا وثقافيا من الغزو التيموري المدمر حيث قتل من أهلها أعدادا كبيرة ، خاصة في حلب ودمشق ، ولم تسلم من بطش وتنكيل تيمورلنك سوى مدينة حمص ، وأن من نجا من سكان المدن الأخرى من القتل ، فقد أسر ونهب ، ومات من أهل الشام مالايحصى عدده الا الله ، فمنهم من مات حريقا ومنهم من عجز عن الهرب فمات جوعا ، ومنهم من توجه هاربا فمات اعياء ، ومنهم من كان ضعيفا فبقى على ذلك الى أن مات (٢) •

كما أن تيمورلنك استخدم التعذيب مع الأهالي بوسائل مختلفة ومنها : الضرب والعصر والاحراق بالنار ، والتعليق منكوسا ، وغم الأنف بخرقة فيها تراب ناعم كلما تنفس دخل في أنفه حتى تكاد نفسه تزهق ، وكانت تؤخذ نساؤه وبناته وأولاده الذكور وتقسم جميعهم على أصحاب تيمورلنك فيشاهد الرجل المعذب امرأته أو بنته وهي توطأ وولده وهو يلاط به يصرخ هو من ألم العذاب وكل ذلك من غير تستر في النهار بحضرة الملأ من الناس • ومن أنواع العذاب انهم كانوا يأخذون الرجل فتشد رأسه بحبل ويلويه حتى يغوص في رأسه ، ومنهم من كان يضع الحبل بكتفي الرجل ويلويه بعصاه حتى تنخلع الكتفان (٣) •

كما أنه أقام من رؤوس القتلى المآذن والأبراج (٤) • فصارت دمشق وحلب أطلالا بالية ، ورسوما خالية ، قد أقفرت من الساكن ، وامتلأت أرضها بجثث القتلى ولم يبق بها دابة تدب الا الأطفال (٥) ، ودفع هذا الغزو الى هجرة أعداد كبيرة من السكان الى خارج المدن في الصحارى والقفار ، واتجه البعض الآخر الى مصر خوفا من الهلاك ، ولم تسلم المدن والمساجد والمدارس والدور والحمامات من عبث وتدمير تيمورلنك وجنده ، الذين قاموا بتدمير شامل لمدن حلب ودمشق وحماة ، حتى الجامع الأموي بدمشق أشعلوا النار فيه فاحترقت أبوابه وتفطر رخامه ، ولم يبق غير جدره قائمة (٦) •

---

(١) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ٤٢٥/١ •
(٢) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٧٣/٣/٣ •
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٣٩/٢ •
(٣) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٥٠/٣/٣ - ١٠٥١
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤٤/١٢ •
(٤) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٣٩ •
القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٠٨ •
(٥) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٥١/٣/٣ •
(٦) المقريزي : السلوك ، ١٠٥١/٣/٣ •

كما أدى الغزو التيموري الى ركود الحركة الفكرية فكسد النشاط الثقافي لفقدان الأمن والاستقرار وقد مات عدد من العلماء الأفاضل ابان هذا الغزو (١) ، وتركت مجموعة أخرى البلاد هاربين الى أماكن أخرى أكثر أمنا واستقرارا (٢) ، ولم تسلم المدارس والمعاهد والمكتبات من عبث تيمورلنك وجنده.

وعلى عكس المعروف وماتحس به تجاه وصول الجراد أنه يأتي على الأخضر واليابس ويسبب الهلاك للمكان الذي يحل به فان نزول الجراد عقب رحيل تيمورلنك كان رحمة لأهل الشام ، حيث أصبح غذاء لهم ، وتفرقوا في البراري يجمعون الجراد ومخلفات تيمورلنك ، يبيعونها ليقتاتوا بثمنها ، وأصبح الجراد طعام الغالبية العظمى ممن بقي في بلاد الشام ، واستمر الخراب في دمشق وحلب بعد رحيل تيمورلنك فترة طويلة (٣) .

---

(١) كان من بين هؤلاء العلماء :
- عمر بن عبدالله بن داود الكفيرى الفقيه الشافعي ، أفتى بدمشق ودرس وتصدر بالجامع الأموى وقتل في الفتنة التمرية .

- علي بن محمد بن يحي التميمي الصرخدى تفقه وهو صغير وسمع من المزى وغيره مات بأيدى اللنكية .

- محمد بن اسماعيل بن الحسن بن صهيب بن خميس شمس الدين البابي ، برع في الفرائض والنحو ، وشارك في الفنون وأفتى ودرس ، قتل على يد أصحاب تيمورلنك .

- عبدالله بن يوسف بن أحمد بن الحسين المعروف بابن الكفرى ، قاضي الحنفية ولد سنة ٧٤٦هـ . جمع بين الخبرة بالأحكام والحشمة مات وله تسع وخمسون سنة في الهجوم التيموري على الشام .

راجع : السخاوى : الضوء اللامع ، ٩٧/٦/٣ .
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ١٧٥/٢ .
ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٣٤،٢٩/٧ - ٣٥
ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٠٣ .

(٢) كان من بين هؤلاء الذين هربوا :
- جمال الدين يوسف بن موسى بن أحمد الملطى ثم الحلبي الحنفي ، ولد سنة ٧٢٦هـ هرب الى القاهرة ومات بها سنة ٨٠٣هـ .

- بدر الدين محمد بن الحافظ عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير البصروى ، ولد سنة ٧٥٩هـ شارك في الفضائل مع خط حسن ، ودرس في مشيخة الحديث بعد أبيه ، مات في ربيع الآخر فارا عن دمشق بالرمله.

راجع : ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ٣٥/٧ - ٤٠ .

(٣) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٦٤/٣/٣ .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٣٠ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٩١/٢ .

الفصل الرابع

علاقة تيمورلنك بالدولة العثمانية

وفيه ثلاث مباحث

المبحث الأول

١ - الوضع السياسي في الدولة العثمانية في أخر القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى .

المبحث الثاني

علاقة الدولة العثمانية بالمماليك

المبحث الثالث

١ - الزحف التيموري على الدولة العثمانية

[معركة أنقرة بين تيمورلنك والسلطان بايزيد]

٨٠٤ - ٨٠٥هـ / ١٤٠٢ - ١٤٠٣م

المبحث الأول

١ - الوضع السياسي في الدولة العثمانية في آخر القرن الثامن الهجري" الرابع عشر الميلادي".

أ - التوسع العثماني في شرق أوربا .

ب - التوسع العثماني في الأناضول .

الوضع السياسي في الدولة العثمانية في آخر القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادي) •

ما أن فرغ تيمورلنك من حملاته المدمرة على بلاد خراسان وفارس والعراق والشام ، حتى اتجه شطر الدولة العثمانية ، ليختم بالعدوان عليها مخططه الذي رسمه لنفسه بالاستيلاء على مقاليد الأمور في شرق العالم الاسلامي كله •

وقد تنفس تيمورلنك الصعداء عندما توفى السلطان برقوق حاكم الدولة المملوكية القوى ، وتولى ابنه فرج الذي لم تلبث العلاقة بينه وبين العثمانيين أن توترت وساءت •

فاستغل تيمورلنك فرصة سوء العلاقة بين المماليك والعثمانيين للهجوم على الدولة العثمانية •

وهذا مانبدأ في عرض تفاصيله في الصفحات التالية •

أ - التوسع العثماني في شرق أوربا •

اتجه العثمانيون (١) ابان مرحلة بناء الدولة نحو التوسع الاقليمي في

---

(١) تجمع الكتب التي بين أيدينا علي أن العنصر الذي انجب أسرة عثمان والذي يعتبر بالضرورة النواة الأولى للدولة العثمانية عنصر غزى تركماني لايفترق في ذلك عن أغلبية الترك الذين وفدوا مع السلاجقة • وينتمى العثمانيون الى قبيلة من قبائل الغز ومي قبيلة قابى ، والواقع ان انتمائهم الى الغز لايتناقض مطلقا مع الرواية التي تصل نسبهم بجد الترك الأسطورى أوعوزخان ، فهي رواية أسطورية خالصة لاتخص الأسرة الحاكمة وحدها بل تخص كل قبيلة قابي ، ولماعظم شأن العثمانيين اخترعت لهم أنساب جديدة تهدف الى اضفاء مزيد من الشرف عليهم ، وكانت قبيلة قابى عند بداية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلاد تعيش في كردستان وتزاول حرفة الرعى ، ونتيجة للغزو المغولى على العراق ومناطق شرق آسيا فان سليمان بن قيا آلب بن قزل بوغا بن باتيمور جد السلطان عثمان هاجر سنة ٦١٧هـ - ١٢٢٠م مع قبيلته من كردستان الى بلاد الأناضول فاستقر في مدينة أخلاط ، ثم بعد وفاته خلفه ابنه أرطغرل ٦٢٨هـ - ١٢٣٠م فواصل تحركه نحو الشمال الغربي من الأناضول ونتيجة لمساعدته لعلاء الدين السلجوقي زعيم دولة سلاجقة الروم ضد بعض أعدائه في المناطق المجاورة له ، كافأه علاء الدين بمنحه بعض الأراضى في الغرب على الحدود البيزنطية ليستقر فيها أرطغرل وجماعتة وصار لايعتمد في حروبه الا عليهم وكان عقب كل انتصار يحققونه يقطعهم أراضي جديدة •

انظر : فؤاد كويريلى : قيام الدولة العثمانية ، ترجمه من التركية وقدم له الدكتور/ أحمد السعيد سليمان ، القاهرة : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ص ١١٨ - ١١٩
اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار ، ص ٤٨٢ •
د• عمر عبدالعزيز عمر : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، بيروت : دار النهضة العربية ، ص ٣٦ •

الأناضول والبلقان ، حيث تمكن عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية ٦٩٩ - ٧٢٦هـ • من مد رقعة أراضيه بالتدريج مستغلا الفوضى والاهمال المسيطرين على الأراضي البيزنطية بالأناضول ، فقد كانت بيزنطة مشغولة بالقلاقل والفتن في العاصمة ، والبلقان ، والصراعات المستمرة مع أعدائها الأقوياء في الامارات الساحلية القوية (٢) • وحدث أول صدام بين البيزنطين وعثمان بن أرطغرل الذي كان يتهدد منطقة نيقية (٣) في عام ٧٠١هـ - ١٣٠١م ، وحاول فتحها لكنه لم يتمكن من ذلك (٤) • ولعثمان الفضل الأكبر في تعيين حدود بلاده مع الامبراطورية الرومانية الشرقية بعد استيلائه على مناطقها الشرقية ، فأرجع حدودها الى الوراء من جهة الغرب (٥) كما أنه قام بمحاصرة بروسة (٦) ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها (٧) •

(١) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق د/ احسان حقي ، (الطبعة الخامسة ، بيروت ، دار النفائس : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ١١٦ •

يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سليمان ، الجزء الأول (الطبعة الأولى ، استانبول ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ١٩٨٨م) ص ٩١ •

(٢) فؤاد كوبريلي : قيام الدولة العثمانية ، ترجمه من التركية وقدم له الدكتور/ أحمد السعيد سليمان ،ص ١٨٠ •

د/ عمر عبدالعزيز عمر : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٦ •

(٣) نيقية أوأزنيق : مدينة يونانية تقع شرق بورسة بنحو ٨٠ كيلو مترا • انظر : كي لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٨٨ •

(٤) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١١٨ •

(٥) لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ، ص ١٧٤ •

(٦) بروسة : مدينة بآسيا الصغرى شهيرة بجودة هوائها وجمال مناظرها الطبيعية وقد ظلت بروسة عاصمة العثمانيين من سنة ١٣٢٧م الى ١٣٦١م ثم انتقلت العاصمة الى أدرنة ثم استانبول •

انظر : كي لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٨٩ •
محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١١٩ •

(٧) القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٩٧ •
يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٩٢ - ٩٣ •

ثم خلف عثمان ابنه أورخان عام ٧٢٦ - ٧٦١هـ - ١٣٢٧ - ١٣٦٠م . وتمكن من تحقيق انتصارات باهرة ، ففي عام ٧٢٧هـ - ١٣٢٧م سقطت في يده نيقوميديا (١) وبعدها بعامين تمكن من ضم نيقيه الى نفوذه ، وبسقوطها سقط وجود الروم في آسيا الصغرى (٢) ، وافتتح عددا من الحصون التي كانت مراكز للتسلط الصليبي على المسلمين في المنطقة (٣) .

وتمكنت القوات العثمانية عام ٧٥٧هـ - ١٣٥٦م بقيادة سليمان بن أورخان من فتح بعض المناطق الهامة من شرق أوربا ومنها : منطقة غاليبولى (٤) ، وابسالا (٥) ورودستو (٦) . وبذلك تمكن العثمانيون من السيطرة على شبه جزيرة غاليبولي والسهل الأوربي المطل على بحر مرمرة حتى رودستو (٧) .

واعترفت القوى السياسية في الجنوب الشرقي لأوربا بالدولة العثمانية كقوة تستطيع أن تتدخل في المشاكل الأوربية ، وتلعب دورا في توازن القوى فيها (٨) .

---

(١) نيقوميديا : هي مدينة يونانية بآسيا الصغرى ، كانت عاصمة المملكة بوثينيا واقعة على بحر مرمرة ، وسماها الترك أزنكميد ثم اختصر الى آزميد .
انظر : كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٩٠ .
محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١١٨ .

(٢) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٤ .
يلمازاوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٩٣ .

(٣) القرماني أحمد : تاريخ سلاطين آل عثمان ، تحقيق بسام عبدالوهاب الجابي ، [الطبعة الأولى ، دمشق ، دار البصائر ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م] ص ١٠ .

(٤) غاليبولى : واقعة على الشاطئ الأوربي وهي تابعة لولاية أدرنة .
انظر : سرهنك ، حقائق الأخبار ، الجزء الأولى ، ص ٤٦٤ .

(٥) ابسالا : تقع في شمال مضيق الدردنيل في الجانب الأوربي .
انظر : محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٦ ، حاشية رقم (١) .

(٦) رودستو : ويسميها الأتراك تكرطاغ أو تكفور طاغ ، وتقع على بحر مرمرة من الجانب الغربي .
انظر : محمد فريد ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ ، حاشية رقم (٢) .

(٧) د/ محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي [القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٥م) ص ٢٨ .

(٨) كويريلي : قيام الدولة العثمانية ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، ص١٨١ .
د/ ابراهيم العدوى : تاريخ العالم الاسلامي ، الجزء الثاني (عصر التنمية والعطاء ، القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٨٤م ص ٢٥٤ .

وعندما خلف مراد الأول ٧٦١ - ٧٩١هـ - ١٣٦٠ - ١٣٨٩م أباه أورخان على العرش قام بمهاجمة أملاك الدولة البيزنطية في أوربا ، ففي عام ٧٦٢هـ-١٣٦١م تمكن من الاستيلاء على أدرنه في شرق أوربا ونقل عاصمته من بروسة اليها[1] • كما فتح مراد مدينة فلبية[2] عاصمة الروملي الشرقية وغيرها • وهي مدن تحيط بالقسطنطينية • وأصبحت القسطنطينية محاطة بأملاك العثمانيين من جميع جهاتها[3] • وعقدت جمهورية راجوزة[4] في سنة ٧٦٦هـ - ١٣٦٥م مع السلطان مراد معاهدة تجارية[5] •

وعلى الرغم من محاولة حكام شبة جزيرة البلقان [الصرب والبلغار وغيرهم] محاربة العثمانيين الا أن جهودهم تلك باءت بالفشل في تحقيق أي نصر عليهم ، وتمكن العثمانيون من الاستيلاء على بلغاريا والزم ملكها أن يدفع الجزية لهم[6] • كما استطاعوا تحقيق نصر كبير على الصربيين واجبارهم

---

(١) يوسف آصاف •(ت ١٣٥٧هـ) : تاريخ سلاطين آل عثمان من أول نشأتهم حتى الآن • القاهرة : المطبعة العمومية بمصر ، ص ٤ - ٥ •
الساداتي : تاريخ الدول الاسلامية ، ص ٢٤٦ •
د• سعيد عبدالفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، التاريخ السياسي ، الطبعة الخامسة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٢م ص ٦٥٢ •

(٢) فيلبه : اسمها بالرومية فيليبوليس نسبة لمؤسسها فيليب والد الأسكندر الأكبر وهي تقع الى الجنوب الشرقي من صوفيا بين صوفيا وأدرنة على خط واحد •

انظر : محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٠ حاشية رقم (١) •

(٣) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٠ •
لين بول : طبقات سلاطين الاسلام ، ص ١٧٥ •
Wittek, Paul: The rise of the Ottoman Empire. London. 1971, P. 174

(٤) راجوزة : تقع على شاطئ البحر الادرياتيكي وهو الآن بلدة في يوغسلافية• انظر : محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣١ ، حاشية رقم (٣) •

(٥) محمد فريد ، المرجع السابق ، ص ١٣٤ - ١٣٥ •

(٦) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٣٥ •
د• عبداللطيف عبدالله بن دهيش : قيام الدولة العثمانية الطبعة الأولى ، مكة المكرمة : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م • ص ٣٥ •

على دفع الجزية سنة ٧٧٣هـ - ١٣٧١م (١) .

والواقع أن الممالك السلافية في شمال القسطنطينية وغيرها قد أظهرت عنادا في مقاومة العثمانيين أكثر من المقاومة البيزنطية ، ففي سنة ٧٩١هـ - ١٣٨٩م تحالفت القوى الصليبية المكونة من الصرب وبلغاريا والمجر وغيرهم ، على محاربة العثمانيين لوقف تحركاتهم الواسعة ، واجبارهم على التراجع الى الأناضول ، وعند قوص أوه (٢) [كوسوفا] نشبت معركة كبيرة بين الجيشين انتصر فيها الجيش العثماني انتصارا عظيما وخر ملك الصرب لازار قتيلا ، في حين قتل مراد بيد أحد نبلاء الصرب بعد انتهاء المعركة (٣) .

وخلف مراد ابنه بايزيد ٧٩١ - ٨٠٥هـ - ١٣٨٩ - ١٤٠٢م وقد تابع مسيرة والده بخطوات ثابتة فأجبر الصرب على دفع الجزية (٤) ، وتزوج من أخت حاكمها الجديد ستيفن لازار (٥) . وتمكن بايزيد من اجتياز الطونة (٦) نحو الشمال ودخل رومانيا واستولى عليها وأدخلها تحت حمايته (٧) .

---

(١) عبداللطيف بن دهيش : قيام الدولة العثمانية ، ص ٣٥ .
Chirol, Sir Valentine : The Turkish from 1288 To 1914 and from 1914 To 1924 (W, Pakistan) P. 21.

(٢) قوص أوه أو سهل كوسوفا يقع في جنوب يوغسلافية بين ألبانيا واليونان. انظر : محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٥ حاشية رقم (٢) .

(٣) انظر : القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .
اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار ، ٤٩٢/١ .
فؤاد كويريلي : قيام الدولة العثمانية ، ص ١٨٢ .
عبدالعزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ٣٥ .
Chirol : Op. Cit . P. 22 .
Fisher. S. N. The Middle East of the Ottoman Empire, London, 1971 . P.171

(٤) انظر : اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار ، ٤٩٥/١ .
سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ص ٦٥٣ .

(٥) يوسف بك آصاف : تاريخ سلاطين العثمانيين ، ص ٣١ .
محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٧ .

(٦) نهر الطونة : ويسمى بالألمانية [دوناو] ويسمى بالفرنسية [دانوب] وهو ثاني أنهار أوربا بعد نهر الفولكا اذ يبلغ طوله ٢٨٥ كم . انظر : محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١١٦ ، حاشية رقم (١) .

(٧) يلماز اورتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٤ .

وفي عام ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م أرسل بايزيد جيشا بقيادة ابنه الأكبر سليمان لغزو الجزء الشمالي من بلغاريا ، وتمكن من الاستيلاء على عاصمتها بترنوفا بعد حصار لها دام ثلاثة أسابيع ، وأدمج كامل الجزء الشمالي من بلغاريا الى نفوذه فأصبح الطريق أمام العثمانيين الى المجر مفتوحا (١) .

وقد قوبل هذا التهديد الجديد لأوربا بحملة دولية صليبية كانت تعتبر من أكبر التكتلات الصليبية التي واجهها العثمانيون في القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى ، وقد تزعم هذه الحملة ملك المجر سيجسموند (Sigis Mand de lux embourgi) ١٣٨٧ - ١٤٣٧م الذي ناشد الدول الأوربية مساعدته ، فاستجاب الأوربيون لدعوته ، وأمدوه بالمال والسلاح والرجال (٢) ، وتكونت هذه الحملة من جيوش مجرية وفرنسية وألمانية وبولندية وانجليزية وايطالية وأسبانية ، واجتازت هذه القوات المشتركة نهر الدانوب وبلغت مدينة نيكوبوليس (٣) وعسكروا بها سنة ٧٩٨هـ - ١٣٩٦م (٤) .

وعندما علم بايزيد بالتحالف الصليبي الجديد توجه الى نيكوبوليس لمحاربتهم فنشبت معركة كبيرة قرب نهر الدانوب بين الجيشين لقى الصليبيون فيها هزيمة كبيرة ، وتفتت جموعهم وأصبحت أسلحتهم ومعداتهم غنيمة للجيش (٥)

---

(١) انظر : محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٤٠ .
يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٤ .
Chirol : Op. Cit. P. 25 .
Ostrogorsky, g. History of the Byzantins state (Oxford :1956. PP. 844 - 850 .

(٢) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٤٠ .
Chirol : The TUrkish Empire, P. 26 .

(٣) نيكوبوليس : وهي نيكوبول في شمال بلغاريا على حدود رومانيا .
انظر : محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤١ - ١٤٤ .

(٤) Gibbons, H. A. The Foundation of The Ottoman Empire. (Frank Cass and Co. Ltd, 1968, PP. 211 - 212 .
حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين نقله عن الانجليزية ، الجزء الثاني [مطبعة الواعظ بمصر ، ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م] ص ٢٩ .

(٥) هناك من يقول أن عدد من مات أو غرق في نهر الدانوب حوالى ١٠٠٠٠٠ جندى مسيحى كما وقع حوالى ١٠٠٠٠ جندي أسرى في يد الأتراك وتمكن حوالى ٢٠٠٠٠ من الهرب بشكل منفرد ، أما خسائر العثمانيين فتقدر بثلاثين ألف جندى .
انظر : يلمازاونونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٨ .

العثماني ، وأسروا كثيرا من أشرافهم[١] ٠

وكان من أهم نتائج هذه المعركة توطيد أقدام العثمانيين في البلقان[٢] ثم اتجه بايزيد سنة ٨٠٠هـ - ١٣٩٧م نحو اليونان ونجح في ضم بعض المدن الهامة فيها[٣] ٠

وكان من أهم نتائج الانتصارات الكبيرة التى أحرزها بايزيد في البلقان أن جعلت من الدولة العثمانية حقيقة كبرى في تلك البلدان ، وفشلت كافة الجهود الصليبية في الانتصار على العثمانيين واخراجهم منها ٠

كما أن بايزيد لم يهمل أمر القسطنطينية فأخذ يعمل على فتحها وعندما قام بمحاصرتها أجبر الامبراطور البيزنطي يوحنا باليوجس على توقيع معاهده معه بعد أن أصبح ماتبقى من الامبراطورية البيزنطية اقطاعيات تابعة للعثمانيين ، وقد وعد الأمبراطور البيزنطي أن يدفع جزية سنويه قدرها ثلاثة آلاف قطعة ذهبية ، علاوة على امداد الجيش العثماني باثنى عشر ألف جندي عند الحاجة ، كما تعهد أن يسلم للعثمانيين حصن آلاشهر [فلادلفيا][٤] الذي كان من

---

(١) انظر عن هذه المعركة : محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٤٠ - ١٤٤ ٠

يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٣٢ - ٣٣ ٠
محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٣٩ - ٤٥ ٠

Gibbons : Op. Cit. PP. 211 - 220 .
Chirol : Op. Cit. PP. 26 - 27 .

(٢) عمر عبدالعزيز عمر : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٨ ٠
ابراهيم العدوي : تاريخ العالم الاسلامى ، الجزء الثاني ، ص ٢٥٧ ٠
د/ محمد كمال الدسوقي : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية [القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٦م] ص ٢٦ - ٢٧ ٠

(٣) كان من أهم هذه المدن : آشينا ، ولابزا ، وفارساليا ٠

انظر : حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، ص ٣٦ ٠
يلمازاوزنونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٥ ٠
Gibbons : Op. Cit. PP. 229 - 231 .

(٤) آلاشهر : وتعرف عند الأوربيين فيلادلفيا ، وهي تقع في غرب الأناضول الى الشرق من مدينة أزمير ٠
محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٧ ، حاشية رقم ١٠

بقايا ممتلكات الامبراطورية البيزنطية في آسيا الصغرى (١) ٠

ولم يكتف الأمبراطور البيزنطى بهذه التنازلات بل بعث ابنه مانويل ليبقى في حاشية بايزيد اعترافا بالطاعة والخضوع (٢) ٠

ثم ساءت العلاقة بينهما وذلك عندما استولى بايزيد على جزيرة رودوس (٣) فاستاء الأمبراطور البيزنطي من هذا العمل ، وشرع في تحصين أسوار القسطنطينية استعدادا لصد أي هجوم عثماني عليه ، ولما علم بايزيد بذلك أرسل اليه يحذره من ذلك والا فانه سوف يعاقب ابنه مانويل بسمل عينيه فاضطر الى السمع والطاعة ومالبث أن مات حزنا (٤) ٠

ومع ذلك تمكن مانويل من الهرب والتوجه الى القسطنطينية ليتولى عرش الامبراطورية فأرسل بايزيد بعض قواته لمحاصرتها مما جعل مانويل يرسل الى من جاوره من الحكام طالبا منهم العون لصد الخطر العثماني ، ولكنه لم يحظ منهم بالمساعدة المطلوبة فعقد مع بايزيد صلحا مدته عشرين سنة ، وأن يجعل في القسطنطينية قاضيا من قضاة الاسلام وأن يبنى بها مسجدا للمسلمين (٥) ٠

على أن انضمام مانويل الى الحلف الأوربي السابق سنة ٧٩٨هـ - ١٣٩٦م جعل بايزيد لايثق فيه كثيرا ، فصمم بعد انتصاره على قوى الحلف في نيكوبوليس على تأديب الامبراطور وغيره من الأمراء الذين ساعدوه ، لذلك

---

(١) Chirol, The Turkish Empire, P. 24 .

(٢) يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٣٢ ٠
محمد جميل بيهم : التاريخ العثماني ، بيروت : مكتبة صادر ، ١٣٣٤هـ - ١٩٢٥م ، ص ١٨ - ١٩ ٠

(٣) جزيرة رودوس أو رودس ٠ تقع في القسم الشرقي من بحر الروم ، وهي من الجزر المهمة بيضاوية الشكل وطولها نحو ٧٠كم وعرضها ٢٣كم ومعظم سكانها من الاغريق ٠

انظر : كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٦٠ ٠

(٤) يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٣٢ ٠

(٥) القرماني : أخبار الدول ، ص ٣٠١ ٠
الصرفى : تاريخ دول الاسلام ، ١٠١/٣ ٠
اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار ، ص ٤٩٥ ٠
محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثماني ، ص ٢٧٤ ٠

استغل بايزيد فرصة بعض الخلافات الداخلية في القسطنطينية سنة ٨٠٠هـ - ١٣٩٧ وأخضع بعض المدن المجاورة لها مما جعل مانويل يصفى مشاكله ، ويقوم بجولة في غرب أوربا سنة ٨٠٢هـ - ١٣٩٩م طالبا من حكامها مساعدته ولكنه لم يجد اقبالا منهم على مساعدته ، وقد قام بايزيد أثناء غياب الامبراطور بحصار القسطنطينية وكان من الممكن أن ينجح في فتحها لولا أن بلغه قدوم تيمورلنك الى آسيا الصغرى وتمكنه من فتح بعض المدن فيها ، فاضطر الى ترك محاصرة القسطنطينية والتوجه لمحاربة تيمورلنك (1) ٠

---

(1) انظر : يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٨ ٠
سعيد عبدالفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ص ٦٥٣ - ٦٥٤ ٠

Gibbons : Op. Cit. PP. 238 - 243 .
Chirol : Op . Cit . P. 27 .

ب - التوسع العثماني في الأناضول :

تحاشت الدولة العثمانية في بداية أمرها التصادم مع جيرانها أمراء الأناضول المحيطين بها ، وفضلت التوجه نحو الغرب فتحقق لها انتصارات كبيرة (١) في شرق أوربا كما أسلفنا •

ويرى البعض أنه لو قدر لهذه الدولة الاتجاه جنوبا وشرقا لما تحقق لها من توسع ونمو بمثل هذه السرعة (٢) • ومع ذلك فان احتكاك وتصادم العثمانيين بحكام الأناضول في عهد كل من السلطان مراد ٧٦١هـ الى ٧٩١هـ وابنه بايزيد ٧٩١ الى ٨٠٥هـ كان كبيرا •

فقد كانت علاقة مراد بحاكم كرميان (٣) سليمان شاه المعروف بشاه جلبي ٧٧٩ الى ٧٩٠هـ • طيبة وزاد من قوتها زواج ابن مراد بايزيد بابنة حاكم كرميان ، والتزم سليمان أن يترك له كوتاهية (٤) وبعض المدن الأخرى (٥) ، كجهاز لابنته ، وكان ذلك عام ٧٨٠هـ - ١٣٨١م ، فوافق على هذا العرض وأصبحت تلك

---

(١) لما سقطت دولة السلجوقيين تجزأت أملاكهم في بلاد الأناضول الى عشر امارات صغيرة وهي : قره سي وصاروخان وآيدين وتكه والحميد والقرامان وكرميان وقسطموني ومنتشا والولاية العثمانية •
انظر : كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٧٦ - ١٧٧ •
Prof. Dr. Hakki, I. U. : Osmanli Torihi, Cilt 1 Ankara, 1972 .

(٢) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ١٧ ، ٣٦ •
يلمازاوزنوتا : الدولة العثمانية ، ص ٩٢ •

(٣) كانت عشيرة كرميان [جرميان] تسكن بجوار ملطية ثم انتقلت الى منطقة أنقرة وكوتاهية ، وليس اسم كرميان علما على فرد ولكنه اسم قبيلة بأسرها ثم صار علما على هذه الاسرة ، وأول أمير منهم كان مظفر الدين بن عليشير •

انظر : خليل أدهم : دول اسلامية (ملى مطبعة استانبول ، ١٩٢٧م) ص ٢٩٢ •

(٤) كوتاهية : تقع غرب اسكى شهر ، وكانت عاصمة أبناء كرميان ، وذكر هذا الموقع كثيرا في حروب تيمورلنك وكان قد جعله مقر قيادته بعض الوقت•
انظر : كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٨٦ •

(٥) كانت هذه المدن هي : طوشانلى وايميد وكديز •
انظر : خليل أدهم : دول اسلامية ، ص ٢٩٢ •

المدن تابعة للعثمانيين (١) .

واضطر أمير امارة بني حميد كمال الدين حسين بك ٧٧٦ - ٧٩٣هـ (٢) الى خطب ود العثمانيين ، وباع لهم بعض الأجزاء من امارته (٣) مقابل ثمانين ألفا من الذهب (٤) . ثم قام مراد بغزو امارة تكه (٥) ، لكنه لم ينجح في الاستيلاء على أجزائها المطلة على البحر الأبيض المتوسط (٦) .

---

(١) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .
حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، ص ٢٠ .

Hakki, Op. Cit. P. 21 .

(٢) تقع هذه الامارة في جنوب غرب الأناضول وقد ظهروا في آواخر القرن السابع الهجري في لواء حميد أباد الذي هو منطقة بيسيديا القديمة وكان حميد بك مؤسس هذه الامارة رئيس قبيلة تركمانية من القبائل التى وفدت على الأناضول من السلاجقة .

انظر : خليل أدهم : دول اسلامية ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .
الدكتور/ أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، دار المعارف بمصر ، ص ٤٠٧ - ٤٠٨ .

(٣) باع كمال الدين حسين لمراد مدن يلواج وقرآغاج وبكشهر وسيد شهر وآقشهر .

انظر : خليل أدهم : دول اسلامية ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .
احمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ٤٠٨ .

(٤) انظر : القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٩٩.
يلمازا وزتونا : الدولة العثمانية ، ص ٩٩ .
محمد فريد : الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٣.
Hakki. Op. Cit. P.

(٥) كان تكه بك مؤسس أسرة بني تكه أمير من أمراء الحدود في عهد السلاجقة وكان يجاهد الفرنجة ثم أعلن استقلاله في آنطالية وهي بلد كبير من مشاهير بلاد الروم الساحلية ، ومن أهم المدن في بلاد أميرتكه : مدينة العلايا وأنطالية والمالى وفنكه .

انظر : أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ، ص ٤٠٤ .
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٨٣ .

(٦) انظر : خليل أدهم : دول اسلامية ، ص ٢٨٦ .
زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، أخرجه الدكتور/ زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود ، الجزء الأول [مطبعة جامعة فؤاد الأول ، ١٩٥٢م) ص ٢٣٠ .

وكان علاء الدين خليل بن محمود حاكم قرامان من أقوى حكام الأناضول[(١)] ، حيث عرف بالقوة والنشاط ، وكانت له علاقة طيبة بالعثمانيين في بداية حكم السلطان مراد حيث تزوج من ابنة مراد[(٢)] ، وعلى الرغم من هذه الصلة الوثيقة بينهما ، الا أنه كان متخوفا من التوسع العثماني في شرق أوربا وبعض أجزاء الأناضول ، كما أنه غير راض عن اقامة وحدة أناضولية لصالح العثمانيين[(٣)] ، فاغتنم فرصة انشغال السلطان مراد بحروبه في البلقان ، واستولى على بعض الأطراف التابعة للعثمانيين فأضرمت نار أول حرب بين العثمانيين والقرامانيين سنة ٧٨٨هـ - ١٣٨٦م تمكن خلالها العثمانيون من الانتصار عليهم عند قونية وانسحب علاء الدين خليل الى قلعتها وقد حوصرت القلعة حصارا شديدا ، الا أن السلطان مراد عفا عنه بعد وساطة ابنته ، وأعاده اكراما لها الى حكم قرامان بعدما استرد منه كل ما استولى عليه[(٤)] ٠

وبهذا النصر للعثمانيين زادت قوتهم ومكانتهم في الأناضول ، ومع ذلك فان السلطان مراد لم يرغب في زج نفسه في قضايا الأناضول ٠ وكان يعلم أن كل انتصار يحرزه في البلقان سيكون سببا في انضمام امارة جديدة في الأناضول - بدون حرب - الى دائرة نفوذ العثمانيين[(٥)] ٠

---

(١) كانت امارة القرامانيين أكبر الامارات التى ورثت السلاجقة وأقواها ، ولم يفقها في ذلك الا دولة العثمانيين ، وكان أول أمير حكم من القرامانيين هو كريم الدين قرامان بن نوره صوفي ٦٥٤ - ٦٧٨هـ ، وتقع بلاد القرامان مابين أنقرة شمالا والبحر الأبيض المتوسط جنوبا وقيصرية شرقا وقونية غربا ٠

انظر : خليل أدهم : دول اسلامية ، ص ٢٩٦ ٠
Dr. Hakki. Op. Cit. PP. 43 - 44 .

(٢) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، ص ٢٠ ٠
خليل أدهم : دول اسلامية ، ص ٩٧ ٠

(٣) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٩٩ ٠

(٤) حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، ص ٢١ ٠
يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٠٠
Dr. Hakki. Op. Cit. PP. 248 - 249 .

(٥) يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٠٠

وكان بايزيد أكثر من والده توسعا في الأناضول ، حيث تهيأ له المناخ الجيد للاستيلاء على مدنه الواحدة تلو الأخرى ، فكانت بداية حروبه في الأناضول مع حاكم كرميان يعقوب الثاني سنة ٧٩٠ - ٧٩٢هـ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩م وهو أخو زوجة بايزيد الذي سر باستشهاد مراد سنة ٧٩١هـ - ١٣٨٩م ، فقام باستعادة كوتاهية الى حكمه وهي من المدن التي سبق أن تركها والده سليمان كجهاز لابنته ، كما استولى على مدن أخرى تابعة للعثمانيين ، وقد دفع هذا العمل (١) بايزيد بأن يزحف اليه لمحاربته ، لكن يعقوبا أدرك عدم قدرته على مواجهة بايزيد ، ففضل الخروج اليه ليعلن اعتذاره وخضوعه الكامل له ، الا أن بايزيد رفض اعتذاره وأمر بسجنه وألحق امارته بالادارة العثمانية وكان ذلك في عام ٧٩٢هـ - ١٣٩٠م (٢) ٠

ثم استولى بعد ذلك على دنزلى (٣) التى كانت خاضعة للقرامانيين (٤) ٠

وفضل حاكم امارة آيدين (٥) عيسى بك ٧٤٩ - ٧٩٣هـ - ١٣٤٨ - ١٣٩١م تسليم امارته الى بايزيد دون حرب ٠ كما سلمت مدينة الأشهر (٦) [فيلادلفيا] والتي كانت المدينة البيزنطية الوحيدة في الأناضول الموجودة تحت حماية آيدين (٧) ٠

---

(١) انظر : أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ، ص ٤١٠ - ٤١١ ٠
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 261 .

(٢) Dr. Hakki : Op. Cit. P. 262 .

(٣) دنزلى أو لاذق : مدينة تمتاز بكثرة أنهارها ، ويعرف هذا الموضع باسم اسكى حصار [القلعة القديمة] ٠
انظر : كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٨٦ ٠
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 262 .

(٤) يلمارا ورتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٣ ٠
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 262 .

(٥) آيدين : تقع في جنوب غرب تركيا وعاصمتها تيرة ، وهي مدينة حسنة ذات أنهار وأشجار باسقة وقد عرفها البلدانيون العرب باسم أفسوس واشتهرت لأن فيها الكهف المشهور الذي جاءت قصته في القرآن الكريم ٠
انظر : ابن عبدالحق البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ١٠١/١ ٠
كى لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ٠

(٦) القرماني : أخبار الدول ، ص ٣٠٠ ٠
اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار ، ص ٤٩٥ ٠
منجم باشى : صحائف الأخبار ، ص ٤٩٥ ٠
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 264 .

(٧) يلمازاوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٣ ٠
اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار ، ص ٤٩٥ ٠
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 264 .

وتمكن أخيرا من ضم بلاط في امارة منتشا (١) والحق صاروخان (٢) بها وحصار أسطولها (٣) ٠

وعلى هذه الصورة تمت المرحلة الأولى من التوسع العثماني في الأناضول، وقد ساعدت الأوضاع القائمة يومئذ بايزيد من الاستيلاء على تلك المدن بسهولة نتيجة لما كانت عليه تلك الامارات من صراع وتنازع مع القوى اللاتينية ، الأمر الذي أضعف من قوتهم وسهل مهمة بايزيد في الاستيلاء عليها ٠

ثم عاد بايزيد مرة ثانية الى الأناضول سنة ٧٩٤هـ - ١٣٩١م بعدما وصلت اليه الأخبار باستيلاء علاء الدين حاكم قرامان على الأماكن الخاصة بالعثمانيين في امارة بني حميد وتمكن من استرجاعها (٤) ٠

ثم نزل تكة واستولى على انطالية سنة ٧٩٤هـ - ١٣٩١م (٥) واستمر الزحف العثماني على امارة قرامان لتأديب حاكمها المتمرد ، وحاصرو قونية التي كانت تعد من أهم مدن قرامان (٦) ٠

---

(١) أقام بنومنتشا حوالي سنة ٧٠٠هـ حكومة مستقله أثناء انهيار دولة سلاجقة الروم ، وذلك في الاقليم الذي يعرف باسم قاريا والمعروف حاليا بولاية منتشا ، وكان من القصبات التابعة لهم : بلاط وميلاس وبجين وجينة وطواس وغيرهما ٠
انظر : خليل أدهم : دول اسلامية ، ص ٢٨٣ ٠
زامباور : معجم الانساب والأسرات الحاكمة ، ٢/٢٣٠ ٠
أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ، ص ٤٠١ ٠

(٢) صاروخان : وتقع شمال أزمير على بحر ايجه ، وعاصمتها مدينة مغنيسيا وقد حكم بنو صاروخان الفتره (٧٠٠ - ٨١٣هـ) وكانوا يملكون: مغنيسيا ومنمن وكوردس ونيف وفوجه وغيرها ، وكان صاروخان أول حكام هذه الأسرة أميرا سلجوقيا من أمراء الحدود ٠
انظر : خليل أدهم : دول اسلامية ، ص ٢٧٦ ٠
زامباور : معجم الانساب ، ص ٢٢٦ ٠

(٣) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٩ ٠
Chirol: Op. Cit. P. 25 .

(٤) Dr. Hakki : Op. Cit. P. 265 .
Chirol : Op. Cit. P. 25 .
Hoco : Op. Cit. P. 197 .

(٥) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٣٨ ٠
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 265 .

(٦) Dr. Hakki : Op. Cit. P. 265 .
Hoco : Op . Cit. P. 197 .

وكان علاء الدين قد طلب المساعدة من القاضي برهان الدين حاكم سيواس وسليمان باشا حاكم جاندار ، لمواجهة بايزيد فخاب ظنه فيهما (١) ، وحينئذ اضطر مرغما الى طلب الصلح مع بايزيد وأعاد المدن التي استولى عليها الى العثمانيين (٢) .

وانتهت بذلك المرحلة الثانية من توسع بايزيد على حساب الأناضول ، ثم أسرع متوجها الى رومانيا لمحاربة حاكمها الذي استغل انشغال العثمانيين في حروبهم مع الأناضول ، وقام بالاغارة على بعض المدن العثمانية ، وتمكن بايزيد من هزيمته واعادة المدينة التي أخذها (٣) . وابان تلك الأحداث وصلت الأخبار الى بايزيد عن تمالؤ بعض أمراء الأناضول ضده ، وكان سليمان باشا حاكم قسطموني قد سبق له أن شارك في حملة بايزيد الأولى ضد امارة آيدين ومنتشا وصاروخان ، لكنه لم يكن على ثقة ببايزيد ، وخاصة بعد النجاح الكبير الذي حققه في الأناضول ، فاتجه الى حاكم سيواس القاضي برهان الدين، الذي كان على درجة كبيرة من القوة ، ويمثل ثقلا كبيرا في منطقة الأناضول الوسطى ، وعقد حلفا بينهما لمحاربة بايزيد (٤) ، الا أن بايزيد لم يمهل سليمان شاه ليتلقى مساعدة القاضي برهان الدين ، فهاجم قسطموني وخر سليمان صريعا. وعلى ذلك انتقلت تبعية أبناء جاندار في قسطموني سنة ٧٩٣ – ٧٩٤هـ – ١٣٩١ – ١٣٩٢م الى العثمانيين (٥) .

---

(١) بنوجاندار وهم أمراء قسطموني – سينوب ، برغلو ويسميهم المؤرخون العثمانيون أحيانا باسم ابناء اسفنديار نسبة الى سادس أمرائهم اسفنديار بك وأحيانا قزل أحمد ليلر نسبة الى آخر امرائهم ، ويعتبر شمس الدين تمرجان ٦٩١ – ٨٦٦هـ مؤسس حكومة أبناء جاندار .
انظر : خليل أدهم : دول اسلامية ، ص ٣٠٣ .
أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ، ص ٤٢٣ .

(٢) الاسترابادي : بزم ورزم : ص ٣٩٠ ، ٣٩٣ .

(٣) منجم باشي : صحائف الأخبار ، ص ١٣٥ .
محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٤ .
Hoco : Op. Cit. P. 199 .

(٤) منجم باشا : صحائف الأخبار ، ص ١٣٦ .
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 275 .

(٥) الاسترابادي : بزم ورزم ، ص ٤٠٠ – ٤٠١ .
يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٥ .

وبعد هذا النصر أرسل بايزيد رسالة الى برهان الدين يخبره فيها بمقتل حليفه سليمان شاه ، وهدده بأن نهايته سوف تكون مثله (١). وجاء رد القاضي برهان الدين قائلا : [[ان أمور الفتح والنصر والهزيمة والانكسار كلها بمشيئة الله ، وان ماحل بسليمان باشا ناتج من فتور عزيمته ، لاعن قوتك واقتدارك فلو أن لك شجاعة الرجال فلتحضر في الصباح لنرى من فينا البطل]] (٢) .

فتأزم الموقف بين الطرفين ، ونشبت معركة بينهما عند قلعة قيرى ديليم تغلب فيها القاضي برهان الدين وقتل قائد الحملة العثمانية أرطغرل بن بايزيد في المعركة سنة ٧٩٤هـ - ١٣٩٢م (٣) .

وقد زاد من العداء بين العثمانيين والقاضي برهان الدين قبول حكام آماسية (٤) وغيرها الدخول في طاعة العثمانيين ، وقد كانوا من قبل تحت طاعة القاضي برهان الدين فتوجه لمحاربة آماسية ، فلما علم بقدوم العثمانيين لانقاذها رجع مسرعا الى سيواس ، دون أن يحتك بالعثمانيين الذين استولوا على آماسية بموافقة حاكمها أحمد بك سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م (٥) . كما استولوا على قسطموني والقلاع القريبة من تلك المدن (٦) .

---

(١) الاسترابادي : بزم ورزم ، ص ٤٠٢ - ٤٠٣ .
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 277 .

(٢) الاسترابادي : بزم ورزم ، ص ٤٠٢ - ٤٠٣ .

(٣) الاسترابادي : بزم ورزم ، ص ٤٠٨ .
يلمازا وزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٥ .
Dr. Hakki : Op. Cit. PP. 276 - 277 .

(٤) آماسية : تقع الى الجنوب من ميناء سمسون على ساحل البحر الأسود ، وهي مدينة كبيرة حسنة ذات أنهار وبساتين .

انظر : كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٧٩ .
محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٢٣ حاشية رقم (١) .

(٥) الاسترابادي : بزم ورزم ، ص ٤١٩ - ٤٢٠ .
Dr. Hakki : Op. Cit. PP. 276 - 277 .

(٦) الاسترابادي : بزم ورزم ، ص ٤٢٠ .

ويجدر بنا أن نشير الى انه على الرغم من استيلاء العثمانيين على آماسية وهو يشكل خطوة هامة من أجل استيلاء العثمانيين على توقات وسيواس ، الا أنه لم يحدث أى تحرك منهم نحوها ، حتى وفاة القاضي برهان الدين سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٩م (١) •

وفي عام ٧٩٨هـ - ١٣٩٦م استغل علاء الدين حاكم قرامان انشغال العثمانيين في حروبهم ضد الحلف الأوربي الصليبي ، فاستولى على أنقرة (٢) ، كان بايزيد قد عفا سابقا عن تصرفاته العدوانية ضده ، لكنه في هذه المرة قرر القضاء عليه • فسار لمحاربته ورفض كافة الأعذار التى قدمها علاء الدين اليه ، فنشبت معركة بين الطرفين استمرت أكثر من يومين هزمت فيها قوات علاء الدين ، وتم القبض عليه وقتله ليكون عبرة لغيرة (٣) ، وانتقلت قونية ونيكدة (٤) وأقسراى (٥) وغيرها الى العثمانيين وهي جميعا في شمال جبال طوروس وكانت تابعة لأبناء قرامان ، فزاد ذلك من نفوذ العثمانيين في الأناضول بصورة كبيرة (٦) •

ثم نجح بايزيد سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٨م في الاستيلاء على صامسون (٧) • وتركت بعض القلاع الأخرى تحت السيادة العثمانية •

---

(١) Dr. Hakki : Op. Cit. P. 278 .

(٢) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٣٩ •
يلمازا وزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٥•
Hoco: Op . Cit. P. 202 .

(٣) انظر : الاسترابادي : بزم ورزم ، ص ٤١٣ •
القرماني : أخبار الدول ، ص ٣٠٠ •

(٤) نكيده : تقع جنوب ملنقوبية ، وقامت في موضع طوانة القديمة ، بناها السلطان علاء الدين السلجوقي ، ويشقها النهر المعروف بالنهر الأسود •
انظر : كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٨٣ •

(٥) أقسراى : بناها قلج أرسلان الثاني في سنة ٥٦٦هـ - ١١٧١م ، وهي تقع على شيء يسير في الطرف الجنوبي للبحيرة الملحة الكبرى •
كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٨٣ •

(٦) يلمازا وزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٦•

(٧) صامسون : مدينة تركية في شمال البلاد على البحر الأسود ، وهي مرفأ عظيم للسفن وبحلول النصف الأخير من المئة الثامنة نمت ثروتها بانتقال تجارة سينوب اليها •
انظر : كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٧٩ •

وقد أدى مقتل القاضي برهان الدين أحمد حاكم سيواس سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٨م من قبل عثمان قتلغ (١) الملقب بقرايلوك الراغب في الاستيلاء على سيواس والمحاصر لها الى اضطراب الوضع في البلاد لعدم رضائهم عن عثمان ، ولم يفلح علاء الدين محمد بن برهان الدين أحمد في اعادة الهدوء والاستقرار الى البلاد ، فاضطر الأعيان الى طلب المساعدة والعون من بايزيد والدخول في طاعته ، فتوجه اليهم بايزيد وأعاد الهدوء الى سيواس واستولى على أقسراى وقيصرية وتوقات (٢) وترك ابنه سليمان أو سلمان جلبى مع قوة عثمانية حاكما على سيواس ، ثم عاد الى بروسة ولما وصلته الأخبار بوفاة السلطان برقوق ٨٠١هـ - ١٣٩٩م وتولى السلطان فرج الحكم واضطراب الوضع السياسي في الدولة المملوكية ، رغب بايزيد في الاستيلاء على بعض المدن التابعة للمماليك فاستولى على ملاطية وعلى قلاع بهسنا والبستان (٣) وغيرهما ، كما أن أبناء [ذوالقادر (٤)] ٧٤٠-٩٢٨هـ

---

(١) هو عثمان بن قطلوبك بن طور أمير التركمان بديار بكر وصاحب آمد وغيرها ويعرف بقرايلوك ، وهو المؤسس الحقيقى لدولة الآق قيونلية ، ويرجع نسبهم الى أغور خان وكان يسمى بايندر ، ولم يعرف تاريخ بداية حكم قراعثمان ·

انظر : السخاوى : الضوء اللامع ، ٣/٥/١٣٥ ·
خليل أدهم : دول اسلامية ، ص ٤٠٧ ·

(٢) انظر ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ·
Stawden, S. J. : History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Istanbol, 1882. P. 63 .
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 299 .

(٣) انظر : المقريزي : السلوك ، ٣/٣/٩٧١ ·
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢/٥٥ ·
يلمازا ورتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٦·
Ismail, Hakki : Op. Cit. P. 300 .

(٤) حكم بنو ذولقادر في مرعش والبستان وفيما حولهما وفي ملطية وخربوت [خرتبرت] زهاء مائة وتسعين عاما ٧٤٠ - ٩٢٨هـ ومع أنهم كانوا داخلين بحكم موقعهم الجغرافي في منطقة نفوذ حكومة مصر والشام الا أنهم كانوا يختلفون أحيانا مع المماليك ، وفي سنة ٨٠٠هـ وقع بين ناصر الدين محمد بك حوادث كثيرة بينه وبين المماليك والقرامانيين والعثمانيين وبينما كان · تيمورلنك يفتح سيواس سنة ٨٠٣هـ لاقى جيشه متاعب من تركمان البستان فاحتلها تيمورلنك وخرب مطلية وبهسنا فاضطر ناصر الدين محمد الى الدخول في طاعة تيمورلنك ·
انظر : خليل أدهم : دول اسلامية ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ·
أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية ، ص ٤٢٩ - ٤٣٠ ·

اعترفوا بالسيادة العثمانية سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٩م وخضعت خرتبرت (١) وارزنجان للعثمانيين (٢) ٠

وهكذا يظهر لنا مدى ماحققه بايزيد من نجاح وتوسع في الأناضول ، حتى أصبح السيد المطاع في المنطقة ، ولكن هذا التفوق والنجاح العثماني الكبير على الجانبين الأوربي والأناضولي لم يقابله نجاح عثماني مماثل في مواجهة تيمورلنك ، فعند أول اشتباك حربي بينهما انهزم بايزيد هزيمة كبيرة ، وذلك في معركة أنقرة سنة ٨٠٤ - ٨٠٥هـ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣م ٠

---

(١) خَرْتَبِرت أو خربرت : حصن يعرف بحصن زياد ، في أقصى ديار بكر ، من بلاد الروم ، بينه وبين ملطية مسيرة يومين وبينهما الفرات ٠

انظر : ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٤٥٧/١ ٠

(٢) يلمازا وزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٦٠

المبحث الثاني

علاقة الدولة العثمانية بالمماليك

أ - التقارب العثماني المملوكي ٧٩٠ - ٧٩٩هـ - ١٣٨٨ - ١٣٩٦/١٣٩٧م.

ب - الاختلاف العثماني المملوكي ٨٠١ - ٨٠٢هـ / ١٣٩٨ - ١٤٠٠م .

علاقة الدولة العثمانية بالمماليك :

مرت العلاقة بين الدولتين العثمانية والمملوكية بمرحلتين ، حيث كانت بدايتها طيبة الى حد كبير ، ولكن ذلك التقارب والصفاء انقلب بعد وفاة برقوق سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٩م الى اختلاف وعداء وفقدان ثقة من المماليك تجاه العثمانيين الذين اعتدوا على بعض المناطق التابعة للمماليك بعد وفاة برقوق وتولية ابنه فرج .

وكانت الدولتان تمثلان القوة الكبرى في ذلك الوقت ، حيث استطاعت الدولة المملوكية أن تثبت أنها أكبر قوة معاصرة في المنطقة رغم المنازعات والثورات المتكررة فيها ، فقد خطب ودها الأصدقاء والأعداء جميعا ، الأصدقاء يرغبون مساعدتها والتقرب اليها ، والأعداء يخشون بطشها فيسعون الى كسب ودها وصداقتها .

كما أن الدولة العثمانية كانت على درجة كبيرة من القوة في آسيا الصغرى وأوربا ، وقد حرصت في بداية حركتها التوسعية على محاربة القوى المسيحية المجاورة لها خاصة الدولة البيزنطية (١) . وقد قوبل هذا الأمر بارتياح كبير من جانب المماليك وغيرهم من القوى الاسلامية في الشرق الأدنى ، وكان هذا دافعا لقيام علاقات حسنة بين المماليك والعثمانيين ودفعها للامام لعدم ظهور أطماع لأى منهما في أرض الآخر .

وظلت هذه العلاقة طيبة مادامت حدودهما متباعدة ، وتبادل سلطان كل من الدولتين الهدايا مع الآخر ، ومما دفع الى تقوية العلاقة بينهما أن عدوا مشتركا كان يتهددهما ، وهو الخطر التيموري الساعي الى السيطرة على العالم الاسلامي .

---

(١) انظر : محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١١٣ - ١٤٤ .
يلمارا وزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٩٣ - ١٠٨ .
Fisher : Op. Cit. P. 173 - 179 .

(٢) د. محمد مصطفي زيادة : نهاية السلاطين المماليك في مصر ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، ١٩٥١م ، ص ١٩٩ .

أ - التقارب العثماني المملوكي ٧٩٠-٧٩٩هـ / ١٣٨٨-١٣٩٦-١٣٩٧م :

والبداية التاريخية لهذا الاتصال والتقارب بين الدولتين هي سنة ٧٩٠هـ - ١٣٨٨م ، وذلك عندما بعث السلطان العثماني مراد الأول (٧٦١ - ٧٩٢هـ - ١٣٥٩ - ١٣٨٩م) قصاده الى السلطان برقوق خلال السنوات ٧٨٤-٧٩١-٧٩٢هـ ، ١٣٨٢،١٣٨٩،١٣٩٠م لتحذيره من مغبة التحرك التيموري نحو تبريز وخطره الداهم عليهما ، وأكرم برقوق الوفد العثماني وأظهر استعداده للتعاون مع العثمانيين (١) •

وعلى الرغم من المخاوف التي كانت تساور برقوقا من هذا الخطر القادم نحو بلاده ، الا أنه كان يخاف أكثر من أطماع العثمانيين وتوسعهم في بلاده مستقبلا ، وقد كان برقوق يقول : [[اني لا أخاف من تيمورلنك فان كل أحد يساعدني عليه واني أخاف من ابن عثمان]] (٢) •

ويذكر فريدون أن ثمة رسائل تبودلت بين السلطانين بايزيد وبرقوق سنة ٧٩٣ - ١٣٩١م حيث بعث برقوق رسالة الى بايزيد بخبره فيها أنه أرسل مبعوثا الى أمير جنوة والى مشركى كفة يطلب منهم عدم التعرض لتجار المسلمين وأموالهم واطلاق سراح السجناء منهم ، وطلب من بايزيد استمرار تقوية العلاقة بين الدولتين (٣) •

ومما جاء في رسالة برقوق قوله : [[فموجب الاشارة المنيعة من الجد والسعى في تخليص المؤمنين المظلومين من الظالمين ، على مقتضى رأيه المنير ملحوظ في نظرنا ، انسان في أعيننا ، بيان السنا • فشرعنا بتجهيز القاصد بالكتاب الى أمير الجنوية ، وهو يظهر الصداقة والاخلاص ، والى المشركين بكفة (٤) باعلامهم جرائمهم ، وتعرضهم لتجار المسلمين وأموالهم ، وأمرنا باطلاق

---

(١) انظر : الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ١٦٧/١ •
أحمد فؤاد متولى : الفتح العثماني للشام ومصر ، ص ٤•
د/ حكيم عبدالسيد : قيام دولة المماليك الثانية ، ص ١٤٦ •
(٢) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٤٩٢/١ •
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٤٧٦/٢/١ •
(٣) فريدون بك : أحمد المتوفى سنة ٩٩١هـ • مجموعة منشآت الملوك والسلاطين ، استانبول : ١٢٦٥هـ • ص ١١٦ - ١١٧ •
(٤) كفة : مدينة في شبة جزيرة القرم تطل على البحر الأسود •
انظر : أحمد فؤاد متولى • الفتح العثماني للشام ومصر ، ص ٥ حاشيه رقم (١) •

جميعهم ، وتسلم أموالهم اليهم بلا نقصان ، وبعدم التعرض لتجار المسلمين وأموالهم قط ، بل بالصداقة والاخلاص لجناب الكريم]] (١) •

وجاء رد بايزيد على رسالة برقوق بتقديم شكره وترحيبه بالتعاون معه على أن تكون المملكتان كروحين في جسد ، ومما جاء في رسالته : [[ان مفاوضتكم الشريفة وملاطفتكم المنيفة كالدرر النضيدة ، واللآلى العقيدة ، وردت من بحر المصافاة ريم المواخاة في أشرف الأمكنة ، وألطف الأزمنة ، وصارت لتعداد محامدكم العلية فشاهدنا لطف ألفاظها وصفاء معانيها واشتداد أساس المحبة ، واستحكام بيان المودة من كون المملكتين كروحين في جسد وكبدين في عضد ، وارسال القاصد الى رئيس الكفار الجنويه لمنعهم عن أخذ أموال المسلمين واسترداد ما أخذوا منهم من غير حق خصوصا عن ابن القابونى ، ففرحنا من ذلك فرحا شديدا]] (٢) •

ومع ذلك فلم يأمن برقوق جانب العثمانيين وتحقق ماكان يخشاه منهم وذلك عندما داهم بايزيد قيصرية عام ٧٩٤هـ - ١٣٩١م وكانت حينئذاك مشمولة بحماية المماليك (٣) • الا أن اقتراب الخطر التيموري من الأراضي العثمانية جعله يسارع في ارسال وفد الى برقوق ليعتذر اليه عما فعله في قيصرية ، وقد حمل هذا الوفد بالهدايا القيمة • ولم تنقطع المراسلات وتبادل الهدايا بين الطرفين طول فترة حكميهما ، وهذا يؤكد أنهما كانا يشعران بالخطر المحدق بهما ، ففي سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م أرسل برقوق الأمير حسام الدين الكجكنى (٤) نائب

---

(١) فريدون : مجموعة منشآت الملوك والسلاطين ، ص ١١٦ - ١١٧ •

(٢) فريدون : المصدر السابق ، ص ١١٧ - ١١٨ •
د• حكيم عبدالسيد : قيام دولة المماليك الثانية ، ص ١٤٧ •
سعيد عبدالفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبين والمماليك، ص ٣٦٥ •

(٣) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٧/٢/٩ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٦٥/١ •

(٤) هو حسن بن علي بن أحمد حسام الدين الكجكنى الحلبى نائب السلطنة بالكرك ، ترقى في الخدمة الى أن أمر بطرابلس ، وقدم مع يلبغا الناصرى لما انتزع الملك من برقوق فأمره بالكرك ، وتقدم عند الملك الظاهر برقوق لكونه خدمه بالكرك ثم قربه وأمره بمصر ، وبعثه رسولا الى العثمانيين •
انظر : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٦٩/٣/١ •
السخاوى : الضوء اللامع ، ١٠٦/٣/٢ •

الكرك السابق الى بايزيد ، حاملا اليه مجموعة من الهدايا الثمينة ، كما توسط هذا المبعوث بأمر من برقوق بين السلطان بايزيد وابن قرمان من جهة ، وبين بايزيد وحاكم سيواس من جهة أخرى وتم الصلح بينهم (١) .

ويسجل بعضهم أن بايزيد استقبل وفد برقوق استقبالا حسنا وأنه لبس التشريف الشريف الذي كان برقوق أرسله اليه وتقلد بالسيف وقال أنا مملوك مولانا السلطان ومهما رسم فعلى الرأس والعين]] (٢) .

ولاشك أن هذا الرد من قبل بايزيد يؤكد أن الدولة المملوكية كانت على درجة كبيرة من القوة والهيبة وأن أنظار الشعوب الاسلامية تتجة الى تلك القوة الاسلامية وان كان يبدو أن قول بايزيد أنه تحت طاعة برقوق في كل مايأمر لايرجع لضعفه بقدر ماهو حرص ورغبة منه في اقامة التعاون مع قوة اسلامية كبيرة كمصر ، والواقع أن تيمورلنك لم يجرؤ على غزو أراضيهما الابعد وفاة برقوق ، وذلك بعد أن تأكد له عدم رغبة السلطات المصرية في التعاون والتقارب مع العثمانيين ، ولم يلبث السلطان بايزيد أن أرسل بعثة سياسية الى برقوق في أواخر سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٢م حين تأكد لديه اقتراب خطر تيمورلنك وطلب منه أخذ الحيطة والحذر ، كما أن بايزيد طلب من برقوق أن يرسل اليه أحد أطباء القاهرة المشهورين ليعالجة (٣) ، فاستجاب برقوق لطلبه وجهز اليه الطبيب شمس الدين محمد بن محمد الصغير ، ومعه من الأدوية والعقاقير وكل مايحتاج اليه بايزيد (٤) ، وأرسل اليه هدية حافلة من جملتها بار أبيض غريب الشكل (٥) .

---

(١) انظر : ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ٣٣٩/٢/٩ .
(٢) انظر : ابن الفرات ، المصدر السابق ، ٣٣٩/٢/٩ .
العيني : عقد الجمان ، ص ٣٢٦ .
ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٤٧١/٣/١ .
(٣) ذكر ابن الفرات في تاريخه ٣٤٧/٢/٩ ، والعيني في عقد الجمان ، ص٣١٤ وابن قاضي شهبة ، ٤٧٦/٣/١ ، أن السلطان بايزيد كان يشكو مرضا في يده بينما لم يحدد المقريزي في السلوك ، ٧٩٠/٢/٣ ، وابن حجر العسقلاني في انباء الغمر ، ٤٥٣/١ نوع مرضه .
(٤) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٣٤٧/٢/٩ .
العيني : عقد الجمان ، ص ٣١٤ .
(٥) انظر : الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٦٥/١ ، ٣٦٦ .
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٤٦٢/٢/١ .

وتأكيدا لأواصر التعاون بين الدولتين أرسل بايزيد سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م الى برقوق يخبره أنه وضع تحت تصرفه مائتى ألف فارس ، وأنه منتظر مايرد عليه من المراسم الشريفة ليتشرف بخدمته ، فان أمره بالحضور حضر أو بالمقام أقام (١) • غير أن السلطان برقوق اكتفى باكرام الوفد ورتب لهم حسن الاقامة والضيافة ، ولكنه لم يحدد موقفه من هذا العرض المقدم اليه ، وفي سنة ٧٩٩هـ - ١٣٩٦م بعث بايزيد برسالة الى برقوق يبشره فيها بانتصاره الكبير على الفرنج في معركة نيكوبولى سنة ٧٩٨هـ - ١٣٩٦م وأنه قد قتل أعدادا كبيرة منهم (٢) ، كما أنه أرسل اليه هدية من أسرى الفرنج (٣) •

وثمة مظهر آخر من مظاهر تقرب بايزيد في ذلك الدور من المماليك ، وذلك حين أرسل تحفا وهدايا الى الخليفة المتوكل على الله في مصر طالبا منه تشريفا وتقليدا باعتماده سلطانا ، وذلك لكى يسبغ على السلطة التي تمتع بها طابعا شرعيا رسميا ، فتزداد هيبته لدى العالم الاسلامي • ونال بايزيد ما أراد حيث أرسل اليه المتوكل خلعة وسيفا (٤) ، وكان هذا معناه الاعتراف ببايزيد سلطانا على الروم فأصبح بذلك أول من حمل لقب سلطان من آل عثمان (٥) •

---

(١) انظر :
المقريزي : السلوك ، ٨١٧/٢/٣ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣٩٠/١ •

(٢) ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ٦١٥/٣/١ •
(٣) الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٤٤٨/١ •
د. سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ٣٦٦ •
Gibbons : Op. Cit. P. 225 .
(٤) ومع أنه لايوجد مايشير الى اجابة المتوكل لهذا الطلب ، الا انه في خطاب بايزيد الذي كتبه حوالى سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠م الى تيمورلنك ذكره بالعباسيين ورثاء عرش الخلافة الذين لجئوا الى مصر ليذكر هذا الحاكم الفظ أنه لاتزال توجد قوة اسلامية تستطيع مواجهته أو على الأقل يبين مدى امكان ارتباط العثمانيين بالمماليك في فكرة الدولة الاسلامية الواحدة التي يمكنها الوقوف في وجه تيمورلنك •
انظر : حكيم عبدالسيد : قيام دولة المماليك الثانية ، ص ١٤٧ •
د• سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ٣٦٥ •

(٥) د• أحمد فؤاد متولى : الفتح العثماني للشام ومصر ، ص ٠٩
كارل بروكلمان : الشعوب الاسلامية ، ص ٤٢٠ •
د• محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٣٥ •
د• محمد حرب ، العثمانيون في التاريخ والحضارة ، ص ٢٢ •

وعلى الرغم من محاولة تيمورلنك الجادة اقامة علاقة جيدة مع بايزيد ، ومحاولته تمزيق أواصر التعاون بين بايزيد وبرقوق في رسائله المتكررة لبايزيد الا أن السلطان العثماني لم يهتم برسائله وتهديده له واستمر على علاقته الطيبة مع المماليك وأعضاء الجبهة الاسلامية (١) .

وفي أواخر سنة ٧٩٩هـ - ١٣٩٦م أرسل بايزيد مبعوثا من قبله محملا بالهدايا والتحف الثمينة الى برقوق ، وطلب منه الاستمرار في توطيد العلاقة الطيبة بينهما (٢) .

وفي ذروة هذا التعاون بين الدولتين تمكن تيمورلنك من الاغارة على أطراف بلاد الروم ، واستولت قواته على ارزنجان وقتل العديد من التركمان ، مما جعل برقوقا يصدر أوامره بتوجه جند الشام الى ملطية ، والاستعداد لشن الهجوم على القوات التيمورية وطردها (٣) .

ولاشك في أن هذا التصرف من جانب برقوق يعد عملا ايجابيا ، حيث حرص على حماية حدود بلاده من أى غزو خارجي ، ومن جهة أخرى مساعدة بايزيد في حالة الضرورة الى ذلك وأن لم نر أن برقوقا ارتبط ارتباطا عسكريا يلزمه الوقوف في صف واحد مع بايزيد عند الحاجة ، ولكن شعورهما الطيب في تبادل الرسائل وابداء حسن النية بينهما وادراكهما الواضح لخطورة تيمورلنك ، كان أحد العوامل التى أدت الى تأخير هجوم تيمورلنك على بلادهما ، حيث كان يخشى من مواجهة القوتين في وقت واحد .

---

(١) D. Yasar Yucel. Op. Cit. PP. 23 - 24 .

(٢) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٤٥٧/٢/٩ .
العيني : عقد الجمان ، ص ٣٤٩ .
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٤٤٨/١ .

(٣) ذكر ابن الفرات في تاريخه ٤٦٧/٢/٩ ما أثبتناه ، بينما ذكر المقريزي في السلوك ٨٨٠/٢/٣ أن السلطان أمر نواب الشام بالتوجه الى آرزنجان واكتفى ابن قاضي شهبة في تاريخه ٦٢٠/٣/١ بذكر أنه أمر العساكر بالخروج الى أطراف بلادهم .

(٤) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ٤٦٧/٢/٩ .
المقريزي : السلوك ، ٨٨٠/٢/٣ .

ب - الاختلاف العثماني المملوكي ٨٠١ - ٨٠٣هـ / ١٣٩٨ - ١٤٠٠م :

وعلى الرغم من الصلات الجيدة التي جمعت بين الدولتين العثمانية والمملوكية في عهد بايزيد وبرقوق ، الا أن تلك العلاقة الطيبة بدأ يشوبها التوتر ، نتيجة أطماع العثمانيين ورغبتهم في الاغارة من آن لآخر على بعض المناطق المشمولة بالحماية المملوكية ، الأمر الذي أدى الى تدهور العلاقة بين الدولتين ، وتوجس المماليك خيفة من هذه الأطماع العثمانية .

فما أن توفي برقوق سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٩م وتولى ابنه فرج الحكم من بعده حتى انتهز بايزيد فرصة صغر سن فرج ، وانقسام الأمراء في مصر وأغار على بعض المدن التابعة للمماليك (١) .

فبعد استيلاء بايزيد سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٩م على سيواس عقب وفاة حاكمها القوي برهان الدين أحمد ، أصبح مسيطرا على جميع أملاكه في الأناضول الوسطى، وقد جعله ذلك النجاح يفكر في أمر السلطان المملوكي فرج ، فأرسل اليه رسالة يقول فيها أن مَلَطْيَة كانت من ممتلكات السلطان برهان الدين أحمد ، وانه يرغب في ضمها اليه ، الا أن السلطات المصرية رفضت ادعاءه حيث كانت هذه المدينة مشمولة بحماية المماليك وتحت طاعتهم (٢) .

ولما تلقى جواب الرفض تحرك بقواته تجاه الشام ، واستطاع الاستيلاء على الأُبُلُسْتَيْن (٣) وملطية وحاصر درنده وهي على بعد ثلاث مراحل من ملطية . كما أنه تمكن من الاستيلاء على بعض المدن التابعة للمماليك كحصن منصور ، وكاهته وبهسنا والبستان (٤) .

---

(١) Dr. Hakki : Op. Cit. PP. 299 - 300 .
Hoco : Op. Cit. P. 204 .
يلمازا ورتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٦ .

(٢) Dr. Ismail Hakki : Op. Cit. P. 300 .

(٣) انظر : المقريزي : السلوك ، ٩٧١/٣/٣ .
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٥٥/٢ .
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ١٧٩/١٢ .

(٤) Dr. Hakki : Op. Cit. P. 300 .
يلماراورتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٦

وقد أدى ذلك الى توتر العلاقة بين العثمانيين والمماليك في الوقت الذي كان فيه خطر تيمورلنك يقترب من الأناضول ٠

ولم تقف الدولة المملوكية مكتوفة اليدين أمام الزحف العثماني على بعض المدن التابعة لها ، بل تم عقد اجتماع سريع في القصر السلطاني للتشاور في أمر هذا الغازي الجديد ، فتم الاتفاق على التوجه لقتاله (١) ، وأن يؤخذ من أجرة الأملاك والأوقاف شهر واحد ينفق على الجند لدفع هذا الخطر الجديد (٢) ، ورغم هذا الاجماع على السير لمحاربة القوات العثمانية الا أن ترددا قد ظهر بين صفوف المماليك السلطانية ، الذين قالوا : [[هذه حيلة علينا ، حتى نخرج من القاهرة]] (٣) ٠ ويظهر هنا مدى ماكان عليه الوضع في الدولة المملوكية من الضعف والانقسام ، وانتدب الأمير سودون الطيار (٤) لكشف الأخبار ، فخرج على خيل البريد ودخل دمشق وأخرج مرسوم السلطان بتجهيز عسكر الشام لمحاربة بايزيد ونودى في البلد بذلك (٥) ٠ ثم جاءت الأخبار بأن بايزيد رجع الى بلاده ولم يشوش على أحد من الرعية ، فلما جاءت هذه الأخبار أبطل أمر التجريدة ومصادرات الناس (٦) ٠

ويجدر بنا أن نتساءل عن الدوافع التي جعلت بايزيد يشن الهجوم المفاجئ على الأبلستين وملطية وغيرهما ؟ ٠

---

(١) المقريزي : السلوك ، ٩٧١/٣/٣ ٠
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ١٧٩/١٢ ٠
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٥٤٧/٢/١ ٠

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، ٥٤٧/٢/١ ٠

(٣) المقريزي : السلوك ، ٩٧١/٣/٣ ٠
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ١٧٩/١٢ ٠

(٤) الواقع أنه يستدل من ترجمته الواردة في السخاوى : الضوء اللامع ٢١٨/٣/٢ على أنه كان خبيرا بكشف مثل هذه الأمور اذ يشير الى أنه في عهد السلطان فرج هذا عين للذهاب للبلاد الشامية للكشف عما طرق من الأخبار الرومية وكانت وفاته سنة ٨١٠هـ ٠

(٥) المقريزي : السلوك ، ٩٧٢/٣/٣ ٠
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٥٦/٢ ٠

(٦) ابن اياس : بدائع الزهور ، ٥٤٩/٢/١ ٠

قد يكون الدافع لذلك رغبته في جس نبض المماليك ومعرفة موقفهم من هذا التصرف خاصة وان سلطان الدولة المملوكية يومئذ لايزال صبيا في الثالثة عشرة من عمره ، وهو سن لايؤهله لادارة وقيادة دولة كبيرة ، كما أن بايزيد كان على علم بما آلت اليه الدولة المملوكية من ضعف وانقسام وانهم لن يستطيعوا الرد عليه في ظل هذه الأوضاع المضطربة ، وقد يكون أراد بهذا العمل أن يبرهن لتيمورلنك على أنه القادر على احداث توازن في المنطقة بعد وفاة برقوق ، وان لديه من القوات الوفيرة مايحمى به حدود المماليك ، وانه الأقوى والأحق بزعامة العالم الاسلامي والظفر بهذه المنزلة ، والواقع أن العثمانيين أساءوا التصرف بأفعالهم تلك التي دمرت العلاقات الطيبة بينهم وبين المماليك في تلك الظروف الصعبة التى أحاطت بهما والتي كانت تحتاج الى توحيد الصفوف وجمع الكلمة ، للوقوف سويا في وجه الخطر التيموري ، ولاشك في أن ذلك العدوان كان كافيا لتحذير المماليك من نوايا بايزيد .

والناظر في كتاب بايزيد هذا (١) يجد الحاحا على ضرورة اجتماع الكلمة لكنه لم يجد صدى لدى المماليك ، حتى ان الأمراء عندما عرض عليهم كتاب بايزيد قالو : [[الآن صار صاحبنا وعندما مات استاذنا الملك الظاهر برقوق مشى على بلادنا وأخذ ملطية من عملنا فليس هو لنا بصاحب ، يقاتل هو عن بلاده ونحن نقاتل عن بلادنا ورعيتنا ، وكتب له عن السلطان بمعنى هذا اللفظ]] (٢) .

وأمام تجاهل السلطان فرج وأمرائه نداء بايزيد الداعي للتحالف أمام الاخطار الوشيكة ، لم يجد بايزيد بدا من معاودة الرجاء والكتابة فأرسل سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠١م سفارة أخرى الى السلطان فرج حملها العديد من الهدايا القيمة شملت عشرة مماليك ، وعشرة أروس من الخيل وعشر قطع من الجوخ ، وشربتان من الفضة ، وعشر قطع فضه مابين أطباق وغيرها وعدة هدايا الى الأمراء (٣) .

---

(١) تضمن هذا الكتاب على ضرورة اجتماع الكلمة ، وان يكون مع السلطان عونا على قتال هذا الطاغية تيمورلنك ليستريح الاسلام والمسلمون منه .

(٢) ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢١٧/١٢ .
Dr. Yasar, Yucel. Op. Cit. P. 56 .

(٣) المقريزي : السلوك ، ١٠٦٩/٣/٣ .
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦٣٣/٢/١ .

والواضح أن بايزيد قد أيقن أن الخطر التيمورى قادم لامحالة ليس على الدولة العثمانية وحدها بل على الدول المجاورة جميعا ٠

وقد ذكر تيمورلنك مامعناه : [[انه لقى في عمره عساكر كثيرة وحاربها ، ولم ينظر فيها مثل عسكرين : عسكر مصر وعسكر ابن عثمان المذكور، غير أن عسكر مصر كان عسكرا عظيما ليس له من يقوم بتدبيره لصغر سن الملك الناصر فرج ، وعدم معرفة من كان حوله من الأمراء بالحروب ، وعسكر ابن عثمان المذكور ، غير انه كان ابويزيد صاحب رأي وتدبير واقدام لكنه لم يكن له في العساكر من يقوم بنصرته]] (١) ٠

ولاشك أن السلطان فرجا وقيادته أرتكبوا خطأ كبيرا بعدم استجابتهم لبايزيد ، وعقد حلف جديد بين الدولتين لمواجهة تيمورلنك ، ولم يدر المماليك أنهم بهذا الموقف قد مكنوا تيمورلنك من ضرب كل من القوتين الكبيرتين على انفراد ، فانقض على الشام سنة ٨٠٣هـ - ١٤٠٠-١٤٠١م فأوقع الهزيمة بالمماليك كما أسلفنا ، ثم التفت الى العثمانيين وأنزل بهم هزيمة كبيرة مدوية في سنة ٨٠٤هـ - ١٤٠٢م وهذا ماسوف نستعرض له بالتفصيل فيما يلي ٠

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٢١٧/١٢ ٠

المبحث الثالث

الزحف التيموري على الدولة العثمانية

معركة أنقرة سنة ٨٠٤ - ٨٠٥هـ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣م

أ - مقدمات المعركة وأسبابها

ب - الاستعداد للمعركة

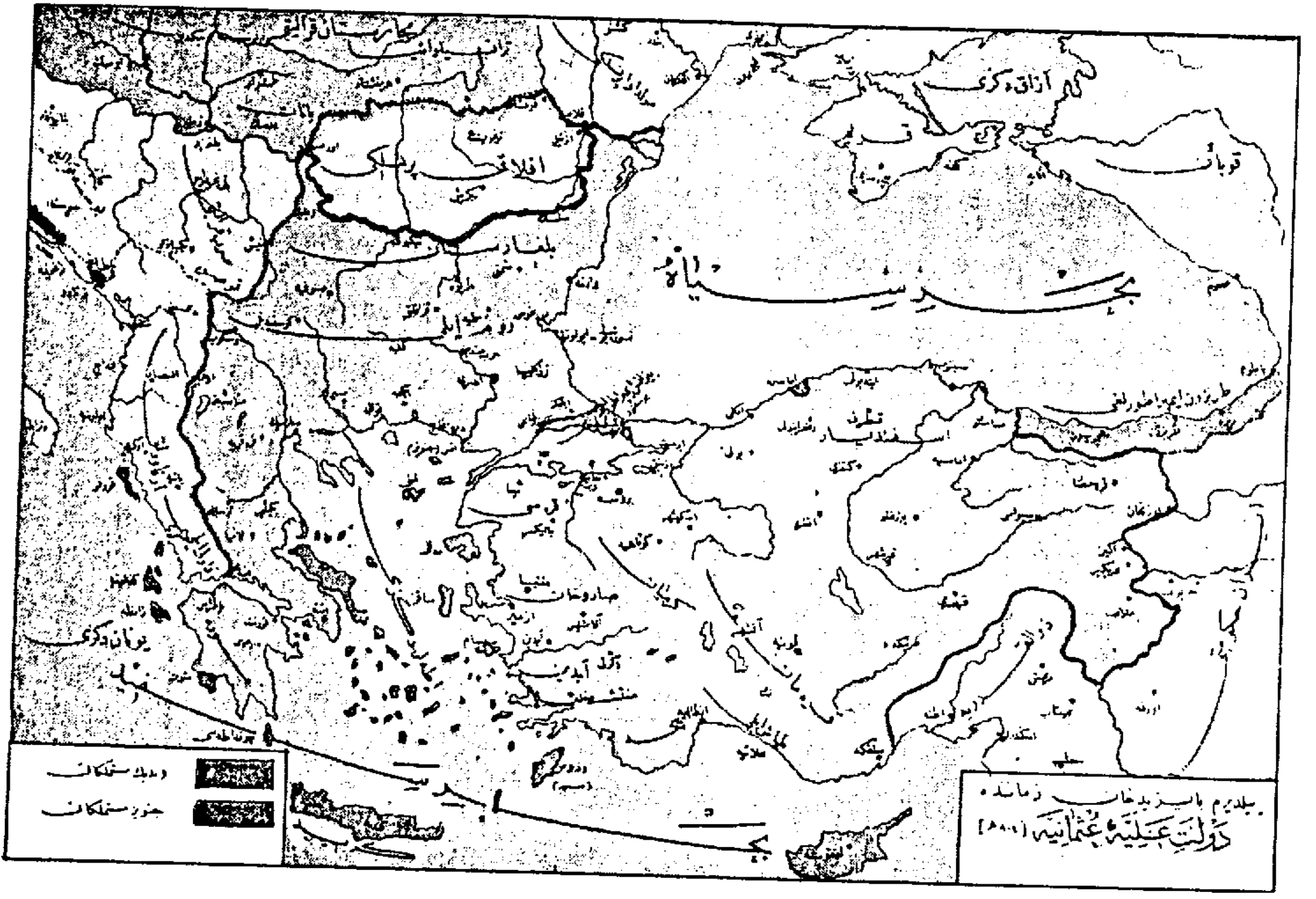
ج - وقائع المعركة

د - أسباب هزيمة الجيش العثماني

هـ - وقوع بايزيد في الأسر

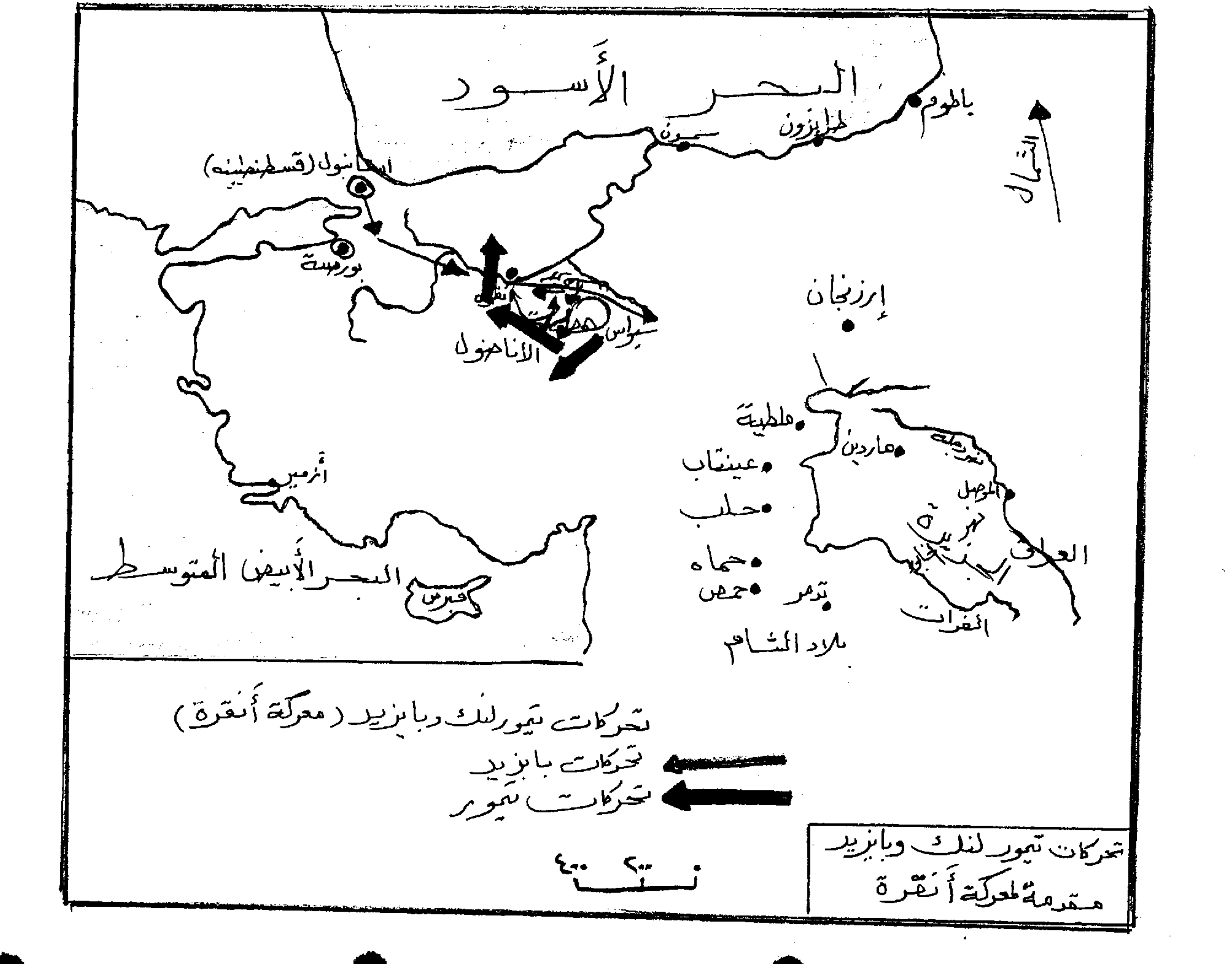
و - موقف تيمورلنك من أبناء بايزيد

ر - نتائج وآثار معركة أنقره



الدولة العثمانية زمن بايزيد خان (٨٠٤ هـ)

انظر : محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤٢


تحركات تيمورلنك وبايزيد
مقدمة لمعركة أنقرة
البحر الأسود
الشمال
باطوم
طرابزون
سينوب
استانبول (قسطنطينية)
بورصة
أنقرة
الأناضول
سيواس
إرزنجان
ملطية
ماردين
عينتاب
حلب
حماه
حمص
تدمر
بلاد الشام
الموصل
العراق
الفرات
أزمير
قبرص
البحر الأبيض المتوسط
تحركات تيمورلنك وبايزيد (معركة أنقرة)
تحركات بايزيد
تحركات تيمور
٢٠٠ ٤٠٠

الزحف التيموري على الدولة العثمانية

معركة أنقرة سنة ٨٠٤-٨٠٥هـ / ١٤٠٢-١٤٠٣م ٠

أ - مقدمات المعركة وأسبابها :

ما ان أقبل القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي حتى شهدت تلك الفترة من التاريخ ظهور حاكمين ذوي طموح كبير هما : تيمورلنك وبايزيد ، كان كل منهما ينشد الغلبة والنفوذ فصال وجال وقهر الخصوم وحقق انتصارات باهرة ثم أصبحا متجاورين ٠

كان بايزيد متربعا على عرش عظيم يسيطر على أجزاء كبيرة من آسيا الصغرى والبلقان وأوربا الشرقية ، وتمكن من تحقيق انتصارات باهرة على الصليبيين وأجمع على الاستيلاء على القسطنطينية فضرب حصارا شديدا حولها وكادت تسقط في حوزته لولا أن وجد غريمه الجديد تيمورلنك يفكر في توسيع ممتلكاته في الأراضي العثمانية ، بعد تحقيقه انتصارات كبيرة في آسيا الوسطى وخراسان وايران والعراق والهند والشام ، فاضطر الى رفع الحصار عن القسطنطينية والتوجه سريعا الى بلاده حتى لايكون المقابل خسارة أراضيه ٠

وكان ظهور تيمورلنك في جنوب غرب آسيا أكبر عامل في اصطدام العاملين الكبيرين ببعضهما ، وأصبح أمر ذلك وشيكا ٠ وقد استرعى ذلك انتباه العالم المسيحي الأوربي فوجدوا في تيمورلنك حلمهم المنشود لتحطيم القوة العثمانية المجاورة لهم ، وكانوا على استعداد لمد يد العون الى أية قوة كبيرة قادرة على هزيمة الدولة العثمانية ، ولذلك سعت جنوة وقشتالة والقسطنطينية الى تقديم المساعدة المالية اللازمة له وارسال قوات من المشاة والفرسان لمساعدته ضد العثمانيين ٠ (١) كما أن شارل السادس ملك فرنسا أرسل مقترحا الى تيمورلنك يعرض فيه اقتسام العالم بينهما ٠ (٢)

ولم ينتظر تيمورلنك مساعدة هذا أو ذاك كما أنه لايوجد مايشير الى عقد محالفة مع الغرب ٠

---

(١) عبدالعزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ٣٧ ٠
حكيم أمين عبدالسيد: قيام دولة المماليك الثانية ، ص ١٤٣ ٠
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ١٣٦ ٠

(٢) حكيم أمين عبدالسيد : قيام دولة المماليك الثانية ، ص ١٤٣ ٠

ويرى البعض أن تيمورلنك لم يستمع الى رسلهم بسبب تمسكه بالاسلام من ناحية ومن ناحية أخرى فانه لم يكن هناك مايدل على أن مساعدات مجدية يمكن أن يقدمها له أولئك (١) • ومع ذلك فان هذه الاتصالات شجعت تيمورلنك على التوجه لمحاربة العثمانيين في عقر دارهم •

وكان تيمورلنك على بينه من أن بايزيد يؤدى فريضة الجهاد ضد الصليبيين وأعداء الدين ، وأن جيشه على درجة كبيرة من الخبرة والتدريب وكثرة عدد الجند الجاهزين للحرب والقتال (٢) ففضل أن يستخدم معه أسلوبه المفضل بفتح باب المفاوضات وتبادل الرسائل قبل أن يعلن الحرب عليه مع أخذ الحيطة والحذر في مثل هذه الظروف (٣) وكان ضمن الرسائل المتبادلة بين تيمورلنك وبايزيد تلك الرسالة التي بعثها تيمورلنك سنة ٧٩٧هـ - ١٣٩٥م وهي تعتبر وثيقة تاريخية هامة بالنسبة للتاريخ العثماني ونظرا لأهمية الرسالة سوف نعرض أهم ماجاء فيها :

وضح تيمورلنك في بدايتها رغبته الشديدة في اقامة علاقة ود وصداقة مع بايزيد وضرورة تبادل الرسائل والرسل بينهما •

(٤) اعتراف تيمورلنك في رسالته أن بايزيد قد نهج نهجه الحربي في محاربة الكفار أعداء الدين وان اختلفت خطة سير كل منهما فاتجه هو نحو الشرق وبايزيد نحو الغرب وكان الهدف واحدا هو نشر الدين الاسلامي وتحقيق الأمن والرفاهية للمسلمين •

وأخبر بايزيد عن معاركه وانتصاراته الكبيرة التى حققها وأنه القائد الوحيد الذي يستحق أن يحكم العالم وأن يرث أملاك جنكيزخان وأحفاده•

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٧٦/٢ •
Price : Op. Cit. P. 376 .
عبدالعزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ٣٧ •

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٩٦/٢ •

(٣) انظر النص الكامل لهذه الرسالة في :
Dr: Yasar Yucel : Op. Cit. PP. 21 - 22 .

(٤) لم يكن تيمورلنك صادقا في قوله ان بايزيد قد نهج نهجه في محاربة الكفار أعداء الدين ، فشتان بين ماقام به تيمورلنك وماقام به بايزيد الذي حارب الصليبيين ونجح في تحقيق انتصارات متعددة عليهم ، وسعى جادا الى نشر الاسلام في تلك الأصقاع ، أما تيمورلنك فقد سار بقواته الى الشرق الاسلامي غازيا ومدمرا ومخربا لاراضيه وكان هدف تيمورلنك تحقيق مطامحه ورغباته في تكوين امبراطورية تحمل اسمه وترفع من شأن اسرته دون أي اعتبار لمسألة الدين •

لم يخف تيمورلنك كراهيته للسلطان أحمد بن أويس فاتهمه بالفساد والفجور ·

يحاول تيمورلنك في هذه الرسالة اظهار مقدرته الحربية وعدد جيشه الجرار ومع ذلك يعود ويقول له: [[ولقد قررنا الزحف على بلاد الشام ونظرا لأننا سوف نتقارب من بعضنا البعض لذا عليكم أن تخبرونا أيضا بأوضاعكم وأخباركم ونحن مازلنا حتى الآن في منطقة ساموران واذا جاء أحد من قبلكم من التجار أو السياح الذين هم على علم بهذه البلاد فسوف نعفيه من أى رسوم وسوف نراقب علائم صدقكم ومودتكم ، واذا قبلتم صداقتنا عليكم بتحويل ذلك من القول الى الفعل ، واذا لم تتحقق صداقتكم ومودتكم فاننا سوف نزحف عليكم بجيش جرار باذن الله تعالى]] ·

وعلى الرغم من هذا التهديد والوعيد يذكر تيمورلنك في رسالته مرة أخرى رغبته في التوجه الى الشام ويظهر من رسالته تحامله الكبير وكراهيته للسلطان برقوق الذي لم يحترم الآداب والأصول في التعامل مع الرسل حيث قام برقوق بقتل رسله ، كما أنه طعن في نسب برقوق وأنه اعتلى الحكم بطرق غير مشروعة بعدما قتل سيده وراعي نعمته وأنه لأفعاله تلك يجب تأديبه ومعاقبته ليعود الى رشده واننا نخطط للزحف على بلاد الشام لنوقف برقوق عند حده ·

ويظهر لنا هنا أن تيمورلنك تجاهل دخول السلطان بايزيد في الحلف الرباعي المشترك حيث لم يشر الى هذه المسألة ، بل ركز في نهاية رسالته على استمرار المراسلة بين الطرفين وتقوية أواصر الصداقة والمودة بينهما ·

وتعتبر هذه الرسالة أصدق دليل على رغبة ونية تيمورلنك في محاربة المماليك في مصر والعثمانيين في الأناضول ، كما أن تيمورلنك هدف من ارسالها جس نبض السلطان العثماني بايزيد ومدى تقبله لتهديداته ،الا أنه مع ذلك فشل في تمزيق التحالف المشترك مع أقوى أعضاء الجبهة حيث استمر الاتفاق والتعاون بينهما حتى وفاة برقوق سنة ٨٠١هـ - ١٣٩٩م·

ثم بعث تيمورلنك رسالة أخرى الى بايزيد بعد طلبه من الأمير طهرتن حاكم أرزنجان الذي تربطه علاقة طيبة مع تيمورلنك ، بل يعد أحد الحلفاء الأقوياء له في منطقة الأناضول طلب منه بايزيد ارسال خراج ارزنجان والممالك

الموجودة في أطرافها ، فغضب تيمورلنك من هذا العمل واعتبره تحديـــــا له وأرسل اليه رسالة جاء فيها :

[[رحم الله رجلا عرف قدره ولم يتعد طوره ، والحمد لله أن أماكـــن المعمورة تحت تصرفنا وأمرنا اليوم وأن الملوك الموجودين في النواحـــي تابعون لنا ، وأمور المملكة تسير في وضعها الطبيعي ، وان أكبر الجيـــوش وقواد العالم لايستطيعون مخالفة حكمنا ، والدنيا تابعة لنا ، ونحن نعلـــم أصلك ونسلك واذا راعيت حدك ولم تتجاوزه سوف يكون ذلك خيرا لك ، وعلاوة على ذلك فاننا نعلم أنك حاربت الفرنجة فاننا لن نهاجمك اطلاقا حتى لايكون ذلـــك مصلحة للكفار ، وحتى لايحدث ضرر للممالك من جنودنا من أجل خير المسلمين]]•

وعندما وصلت هذه الرسالة الى بايزيد غضب مما جاء فيها من عبـــارات تهديد وتوبيخ ، وأرسل اليه رسالة قاسية حيث قال له : [[كان يجول بخاطرى في أي وقت أن أحاربه ، والآن عزمت على وضع ذلك الكلام موضع التنفيـذ ، واذا لم يأت هو الى فأنا سوف أذهب الى تبريز والسليمانية لمواجهته]](١)•

وقد أدى هرب الأمير قرا يوسف الى العثمانيين واكرامهم له الى غضـــب تيمورلنك الذي كان يرى فيه قاطع طريق وناهب أموال المسلمين وخارجـــا عن الصراط المستقيم(٢) •

أما السلطان أحمد بن أويس الذي هرب من بغداد الى آسيا الصغـرى ولاذ ببايزيد مستنجدا فان تيمورلنك اعتبره من الخارجين المطلوبين حتى ينالـــوا جزاء مافعلوا لأنهم في نظره مادة الفساد وبوار البلاد ودمار العباد(٣) •

---

(١) الاسترابادى : بزم ورزم ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٩ •
Sami : Op. Cit. P. 260 .
Gibbons : Op. Cit. P. 245 .

(٢) Sami : Op. Cit. P. 297 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٨٩/٢ •

(٣) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٨٥ •
الصرفي : تاريخ دول الاسلام ، ٢٩٥/٢ •
Dr. Yasar Yucel, Op. Cit. P. 210 .

وما أن استقر قرا يوسف وأحمد بن أويس عند بايزيد حتى سارع تيمورلنك بمكاتبة بايزيد في شأن اعادتهما اليه وتبودلت الرسائل بين الطرفين الا أنها لم تسفر عن نتيجة ايجابية في هذا الخصوص أو اقامة علاقة طيبة بينهما •

ومع ذلك كان تيمورلنك يقدر قوة العثمانيين فما أن وصل بجنده نحو آذربيجان حتى اتخذ تبريز مركزا لقواته ثم عاد مرة أخرى بالكتابة الى بايزيد طالبا منه عدم مساعدة الذين لجأوا اليه وأن يقف موقف الحياد عند هجومه على الشام والعراق • ويستطرد تيمورلنك فيتهم قرا يوسف وأحمد بن أويس بأنهما مفسدان وأينما ذهبا فسوف يجلبان الشؤم على من حلا عنده ، وأنهما لايستحقان أن ينالا حماية سلطان كبير كبايزيد ، علاوة على أنهما خالفا أمره ولم يفكرا في عاقبة من يخالف أمره (1) •

واختتم تيمورلنك رسالته بأن خير بايزيد بين أحد حلول ثلاثة وهي :

قتل قرا يوسف •

أو تسليمه لنا على أن يحاكم ويأخذ عقابه بواسطتنا •

أو صرف النظر عن ذلك واخراجه من مملكته مباشرة •

واذا حلت تلك المسألة باختيار أحد تلك الشروط فسوف يقوم بيننا اتحاد وصداقة وسوف تكون علاقتنا كعلاقة الابن بأبيه وسوف نتزوج منكم وتتزوجون منا ، وسوف نساعدكم بكل مانملك عند محاربتكم للكفار (٢) •

---

(1) انظر : فريدون : مجموعة منشآت الملوك والسلاطين ، ص ١١٨ - ١١٩ • شاهي محمد قطب الدين : تواريخ تركمانية ، مكتبة باريس العمومية ، المخطوطات الفارسية ، قسم الاضافات رقم ١٧٤ • ورقة ٧٢ •

(٢) Sami : Op. Cit. P. 297 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٣٩٩/٢ •
Dr. Hakki, Op. Cit. P. 301 .

وقد بعث بايزيد برد على هذه الرسالة قال فيه : [[انه ليس من عادة العثمانيين أن يتخلوا عن من استغاث بهم ، حيث أن المشار اليهما يتمسكان منذ عهد بعيد بالتقرب الينا ولم يخالفونا، وقد جاءوا الينا فأردنا أن نلتمس لهم العذر من كريم الخصال ولم يتيسر لنا ذلك فأستأذنا وخرجا من المملكة وطالما عادا فوفقا لمقتضى اكرام الضيف ليس من طباع العثمانيين بل هو مناف للأمان والايمان أن نسلمهما لكم • وذكره بأن خلفاء هولاكو في العراق لم يطلبوا من المماليك طرد وارثي الخلافة العباسية الذين انتقلوا الى القاهرة بعد سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م]] (١) (٢) •

ويذكر البعض أن بايزيد وهب محاصيل أطراف كوتاهية للسلطان أحمد بن أويس ومحاصيل أطراف قيصرية لقرا يوسف ورجاله (٣) •

ويبدو أن تعدد المراسلات بين تيمورلنك وبايزيد قد ألقى الشك في قلب قرا يوسف وذلك أن بعض رجال الدولة العثمانية كانوا يودون لو سلم قرا يوسف والسلطان أحمد لتيمورلنك وعليه قرر قرا يوسف الهرب فأخذ عشيرته وهاجم نواحي قيصرية وقيرشهر وقام بنهبهما وانتهى به المطاف الى الاستقرار في هيت (٤) •

وتذكر بعض المصادر أن تيمورلنك عندما علم بذلك أرسل لبايزيد قائلا: [[طالما أن قرا يوسف قد ذهب ففي هذه الحاله عليك أن تسلمنا عائلته وعلى هذا النحو يكون قرارنا قد نفذ ولنعقد الصلح]] (٥) •

---

(١) تبودلت الرسائل بين السلطان بايزيد وقرا يوسف قبل هربه وقد حذر قرا يوسف بايزيد من مغبة الخطر التيموري وطلب منه أن يأمر أمراء الحدود بالتأهب لمواجهته لان القضاء عليه هو الأهم ولاسيما في هذا الوقت الذي يفكر فيه تيمورلنك بالقدوم الى آذربيجان وانه ان قدم اليه سوف يحاربه بكل ما أوتى من قوة • وقد شكره بايزيد على رسالته وأعلمه أن أمراء الروم على استعداد لمواجهة تيمورلنك وطلب منه الصمود في وجهه ان قدم اليه •
انظر : فريدون : مجموعة منشآت الملوك والسلاطين ، ص ١١٨ •

(٢) فريدون : المصدر السابق ، ص ١٣١ •

(٣) Dr. Hakki, Op. Cit. P. 302 .

(٤) Sami : Op. Cit. P.P. 299 .

(٥) Sami : Op. Cit. P. 299 .

(٥) فريدون : مجموعة منشآت الملوك والسلاطين ، ص ١٣٣ - ١٣٤ •

ولم تكن مشكلة اللاجئين وحدها هي التى قربت وقت المواجهة بين الطرفين فقد لعبت مدينة سيواس ، وقلعة كماخ دورا آخر في هذا الصراع فعقب تلك المراسلات أغار تيمورلنك على بلاد آسيا الصغرى وتمكن من الاستيلاء على سيواس (١) وخرب المدينة ونواحيها ، وأعمل السيف والقتل في أهلها (٢) ٠

وكان تيمورلنك يحقد على هذه المدينة بسبب رفض حاكمها السابق برهان الدين أحمد الدخول في طاعته وانضمامه الى أعضاء الجبهة المتحالفة ، وأصبحت سيواس بعد وفاة برهان الدين تحت حماية العثمانيين (٣) ، فقام تيمورلنك بضربها والاستيلاء عليها حتى يجعل بايزيد ومن معه يخشون مواجهته قبل التوجه اليهم فكان سقوط سيواس أول ضربة من تيمورلنك الى بايزيد ٠

وعندما وصل تيمورلنك الى منكول بعث برسالة الى بايزيد (٤) يطلب فيها تسليم قلعة كماخ له وأنه بذلك سوف يجنب بلاده الاعتداء عليها وتركه يتفرغ للجهاد ضد أعداء الدين وعليه أن يقنع بالبلاد التي في حوزته منذ أيام جده وأبيه وأن يترك البلاد التي كانت تحت يد الأمير أرتنا أمير الروم ابان حكم السلطان أبي سعيد خرابنده (٥) ٠

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٩٨/٢ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٥٦/٣/٣ ٠

(٢) منجم باشي : صحائف الأخبار ، ص ١٤٣ ٠
Price : Op. Cit. P. 382 .

(٣) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٢٤ ٠
منجم باشي : صحائف الأخبار ، ص ١٣٦ ٠

(٤) هناك من يذكر أن تيمورلنك طلب من بايزيد أن يوافق وينفذ كافة شروطه التالية ان أراد تدعيم علاقته معه :

اعادة كماخ الى مطهرتن واطلاق سراح عائلته ٠
ارسال أحد أمراء بايزيد ليكون في صحبته ٠
قبول القلنسوة والحزام اللذين سيرسلان له كعلامة اعادة الأماكن التي سلبت من أمراء الأناضول الى أصحابها القدامي ٠
انظر :
Sami : Op. Cit. P.P. 298 - 299 .
Dr. Hakki, Op. Cit. P. 307 .

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٩٩/٢ ، ٤٠٠ ٠
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٢٥/٢ ٠
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ١٥٠/٢ ٠

فلما سمع بايزيد هذا الكلام مال بقلبه الى فعل ذلك ليرتفع النـــزاع ويستريح الناس ولاتسفك الدماء الا أنه بعد مدة يسيرة حضر جماعة من مدينـــة كماخ وهم حفاة عراة وأخبروا أن تيمورلنك ضرب كماخ وقتل غالب من فيها وسبى أولادهم وشتت شملهم (١) ٠

وأن مايقولـه في هذا الشأن مكر وخديعة فاشتد عزمه على القتـــال (٢) ، ولما كانت قلعة كماخ حصينة فان الأمير محمد سلطان طلب من تيمورلنك أن يوكل اليه أمر فتحها وأذن له بذلك ، وحوصرت القلعـة ومنعت المياه عنها ، وبعد معركة ضارية تمكن جند تيمورلنك من تسلق أسوار القلعة واستولوا عليهـــا (٣) ، وعندما وصل خبر هذا النصر الى تيمورلنك توجه الى القلعة وعهد بحمايتهـــا للأمير طهرتن والي أرزنجان وقد أساء بايزيد معاملة هذا الحاكم رغم علمـــه بتبعيته لتيمورلنك (٤) ٠

كما أن بايزيد أرسل رسالة شديدة اللهجة الى تيمورلنك يقول فيها :

[[أيخوفني بهذه الترهات ويستفزني بهذه الخزعبلات أو يحسب أنني مثل ملـــوك الأعاجم أو تتار الدشت الأغتام ؟ أو في جمع الجنود كجيش الهنود ، أو جنـــدى في الشقاق كجمع العراق ، أو ماعندى من غزاة الاسلام كعساكر الشـــــام ٠ أو مايعلم أخباره عندي ؟ وكيف ختل الملوك وختر ، وكيف تولى وكفر ، ومامـــدر عنه وعنهم ، وكيف كان في كل وقت يستضعف طائفة منهم]] ثم يستطرد ويقـــول [[أن أول أمره حرامي سفاك الدم ، هتاك الحرم نقاض العهود والذمم،طـــرف منحرف عن الصواب في الخطا فصال وجال وجار وسطا ، ثم طال واستطال واتسع له المجال وغفل عن الرجال ، ومن حين نبغ استصبى حتى شاب الشيب بالعيب فأدرك ومابلغ]] ٠

---

(١) المقريزي : السلوك ، ١٠٩٠/٣/٣ ٠
ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٢٥/٢ ٠

(٢) المقريزي : السلوك ، ١٠٩١/٣/٣ ٠
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ١٥٠/٢ ، ١٥١ ٠

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٠٤/٢ ٠
منجم باشي : صحائف الأخبار ، ص ١٤٣ ٠

(٤) Sami : Op. Cit. P. 300 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٤٠٦/٢ - ٤٠٧ ٠
منجم باشي : صحائف الأخبار ، ص ١٤٣ ٠
Dr. Ismail Hakki, Op. Cit. P. 308 .

ثم يصف بايزيد في رسالته وبثقة كبيرة قوة جنده وان معه من الغزاة مشاة أفرس من فوارس الكماه ، أظفارهم باترة ، وأظفارهم ظافرة كالأسود الكاسرة ، والنمور الجاسرة ، والذئاب الهاصرة قلوبهم بودادنا عامرة ، لاتخامر بواطنهم علينا مخامرة بل وجوهم في الحرب ناضرة (الى ربها ناظرة) وحاصل الأمر أن كل اشغالنا وجل أحوالنا وأفعالنا جم الكفار ولم الأسرى وضم الغنائم ، فنحن المجاهدون في سبيل الله الذين لايخافون لومة لائم . وأنا أعلم أن هذا الكلام يبعثك الى بلادنا انبعاثا ، فان لم تأت تكن زوجاتك طوالق ثلاثا]] .(١)

ويذكر البعض أن الهدايا التى أرسلها بايزيد مؤخرا الى تيمورلنك قد جعلته يتضايق منها ، وكان كل جزء من تلك الهدايا عشرة أعداد ولأن الرقم المقبول لدي تيمورلنك هو تسعة أرقام فقد كان يجب أن تكون الهدايا تسعة أعداد وعلاوة على ذلك فان بايزيد كتب اسم تيمورلنك في رسالته بأحرف صغيرة وبالمداد الأسود مع أنه كتب اسمه بحروف كبيرة ومذهبة .(٢)

فاستشاط تيمورلنك من هذا التصرف فدعا سفير العثمانيين وقال له :

[[ان عدم موافقة بايزيد على طلباتنا المحددة ورده بغض وغلظة وعداوته لنا لايليق ، أظهرنا اللين تجاهه وكان هو يتصرف بطريقة خشنة معنا ، ولأنه يقوم بحرب الكفار وحماية الحدود الاسلامية فاننا لانرغب في سل السيف في مواجهته ، وطلبنا عقد الصلح وانتظرناه في كل مرة وظهر الخلاف وقد طلبنا منه ثلاثة أشياء وأولها قلعة كماخ وقد استولينا عليها بسهولة ،أما الطلبان الآخران(٣) فانهما لايستحقا الاعادة ، واذا أرسل أحد أولاده الينا فاننا سوف نقوم برعايته أكثر من أولادنا]](٤) .

---

(١) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٨٨ .
القرماني : أخبار الدول ، ص ٣٠١ ، ٣٠٢

(٢) Dr. Hakki, Op. Cit. P. 308 .
Gibbons : Op. Cit. P. 246 .

(٣) من الراجح أنه يقصد بذلك السلطان أحمد بن أويس والأمير قرا يوسف .

(٤) Dr. Hakki, Op. Cit. P. 309 .

ويذكر فريدون أن بايزيد بعث اليه رسالة قال فيها : [[ان السلاطين شامخو الرؤوس لم يتضرعوا مطلقا سوى لله وحده لاشريك له ، وقد وضعت نصب عيني كلمة [ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن] وبعد مشاورة رجال الدين غير المغرضين وولاة الأمور قالوا [[توكلنا على رب السماء]] عاقدين العزم على دفع أعداء أهل الاسلام ، وطالما أن الأمر قد خرج من نطاق تطويل القيل والقال فمن المحال ! اغلاق الطريق أمام من يختلقون الحجج والعلل وقد تركنا اختيار أمر السلم والحرب بثوابه وعقابه لكل من يثير الفتنة من الجانبين وكفى بالله شهيدا بيني وبينكم ورزقنا الله واياكم خير ماقدره]] (١).

ولاشك في أن استخدام بايزيد لهذا الأسلوب الشديد مع تيمورلنك وعدم تخوفه منه سوف يزيد من تأزم العلاقة بينهما ، الا أن بعض مستشاريه وجواسيسة أقنعوه أن غزو تيمورلنك لآسيا الصغرى بعيد الاحتمال وهناك من يقول انه على الرغم من أن بايزيد استراح حوالى العامين ٨٠٢ - ٨٠٤هـ - ١٤٠٠ - ١٤٠٢م الا أنه لم يتخذ خلال تلك الفترة أية خطوة ايجابية لاسترضاء تيمورلنك أو حتى يستعد استعدادا كافيا لمواجهته وسار كالأعمى نحو قدره فلم يظهر شيئا من الخبرة الدبلوماسية حتى كانت خبرته العسكريه أكثر تفوقا وهي التى جعلت من السنوات الثماني الأولى لحكمه من أفضل سنوات التاريخ العثماني (٢).

في وقت كان تيمورلنك يتمتع بحنكة دبلوماسية جيدة فنراه يذكر في تزوكاته : [[ولما فكرت مع نفسى قررت أن أخمد ثورة القيصر بالحكمة والتعقل]] (٣).

---

(١) مجموعة منشآت الملوك والسلاطين ، ص ١٣٤ .

(٢) Gibbons : Op. Cit. P. 247 .
يلمارا وزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٠٩

(٣) تزوكات تيمور ، ص ١٤٤ .

[[وعندما علمت أن القيصر أرسل الجيوش صوب حلب وحمص وديار بكر وأن قرا يوسف تركمان يقوم بقطع الطرق ويتعرض للقوافل المتجهه الى الحرمين (١) الشريفين ، جاءني جماعة من الناس وتظلموا من تعديه وجوره ، فوجدت أن من واجبي معاقبة قرا يوسف بما يستحق واستدعي الجيش من كل مدينة ، وأتوجه صوب القيصر مع جيش عظيم ولما اجتمعت الجيوش خرجت من آذربيجان في شهر رجب سنة ٨٠٤هـ بنية محاربة القيصر]] (٢) ·

ثم هناك أسباب أخرى نراها قد أقنعت تيمورلنك بالتوجه لمحاربة العثمانيين · فقد أدى نهوض العثمانيين وتوسعاتهم الكبيرة وسمعتهم الطيبة لدى العالم الاسلامي لمحاربتهم وجهادهم ضد أعداء الدين من الفرنجة مما جعلهم يشكلون خطرا كبيرا على تيمورلنك الذي حاول القضاء عليهم قبل أن يستتب أمرهم ويعلو شأنهم ·

كما أن الدولة العثمانية قد قامت بنشاط ملحوظ في غزواتها تجاه الشرق على حساب أراضي الأناضول الأخرى فكان ذلك بمثابة شوكة في حلق تيمورلنك الذي كان يطمع منذ البداية في تكوين امبراطورية عظيمة في العالم الاسلامي كل ذلك أدى الى مهاجمة تيمورلنك للدولة العثمانية في محاولة للقضاء عليها (٣) ·

ولايخفى علينا ماكان يظهره تيمورلنك من أنه الوارث الطبيعي لجنكيزخان وأبنائه الذين كانوا يمتلكون أكبر قسم من الأرض (٤) ·

---

(١) تجمع معظم المصادر التي بين أيدينا أن السبب الأول الذي دفع تيمورلنك للزحف على الأناضول ومحاربة العثمانيين يرجع الى ترحيب بايزيد بلجوء قرا يوسف وأحمد بن أويس اليه ، وامتناعه من تسليمهما الى تيمورلنك ·

انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢/٢٢٨ ·
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ١٢/٢٦٧ ·
منجم باشي : صحائف الأخبار ، ص ١٤٣ ·

(٢) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ١٥٢ ·

(٣) Yasar, Yucel : Op. Cit. P. 9 .

(٤) Sami : Op. Cit. P. 296 .
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٣٤ ·

كذلك كانت مسارعة بعض أمراء المناطق وحكامها في الاتصال بتيمورلنك وطلبهم منه أن يقدم الى آسيا الصغرى ويثأر لهم من تسلط العثمانيين عليهم واقناعه بأنه الوحيد الذي يستطيع أن يعيد أملاكهم اليهم ، وقد رحب تيمورلنك بهذه الدعوة وقام بمهاجمة العثمانيين ، وحقق أماني أولئك الحكام (١) .

وهناك سبب ذكره يوسف آصاف ونصه [[فتحزب ملك القسطنطينية مع بعض ملوك أوربا واستنجدوا بتيمورلنك الذي كان يفتح حينئذ البلاد في جهة خوارزم وبين النهرين لمقاتلة السلطان بايزيد ، فلما علم السلطان بايزيد بعزائم المذكورين جمع جيوشه وتقدم بهم حتى قطع البحر من جهة أوربا وحاصر القسطنطينية عاقدا العزم على فتحها وحينما كانت على وشك السقوط هاجم تيمورلنك آسيا الصغرى]] (٢) .

كما أن تيمورلنك لم يكن يخفي رغبته القوية في الاستيلاء على منطقة الأناضول الغنية بثرواتها وخيراتها (٣) .

وآخر هذه الأسباب هو انتصار تيمورلنك على المماليك في الشام والسلطان أحمد في بغداد ، ووفاة السلطان برهان الدين أحمد قد رفع من معنوية تيمورلنك فتشجع للهجوم على العثمانيين وتخلص من تخوفه السابق بمساعدة المماليك لهم ، واطمأن الى سلامة مؤخراته من أي هجوم مفاجئ .

ب - الاستعداد للمعركة :

قبل أن نبدأ في الخوض في تفاصيل معركة أنقرة سنة ٨٠٤ - ٨٠٥هـ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣م بين بايزيد وتيمورلنك لابد ان نستعرض قوة الجيش العثماني عشية هذه الموقعة الكبرى .

فالجيش العثماني في عهد بايزيد زادت أعداده وقوته باضافة فرق جديدة اليه حتى أصبح من أقوى جيوش الدول الشرقية والغربية ، ولم يقتصر تفوقهم على الكثرة العددية وتنظيم الجيوش فقط بل امتازوا أيضا بمهارتهم في

---

(١) Chirol : Op. Cit. P. 28 .
Fisher : Op. Cit. P. 180 .
أحمد زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية ، ص ١١٧ .

(٢) تاريخ سلاطين آل عثمان ، ص ٣٤ .

(٣) Dr. Yasar Yucel : Op. Cit. P. 9 .

استعمال المعدات الحربية وخصوصا النارية منها ، بحيث كان ذلك من العوامل الهامة في تقويتهم وتحقيق انتصاراتهم في المعارك التي خاضوها في أوربا والأناضول في هذه المرحلة كان يضم بين صفوفه عناصر من المسلمين والنصارى من رعايا الدولة بالاضافة الى من أبدوا اخلاصهم للسلطان بايزيد من عناصر التتار الذين اعتادوا القتال بجانبه في نظام وشجاعة (١) • وكان الجناح الأيمن للجيش تحت قيادة ستيفن لازار زوج شقيقته وصديقه الحميم ، وتضمن هذا الجناح قوات الطوارئ الأوربية من مسلمين ومسحيين بالاضافة الى فرسان الصرب (٢) ، وكان الجناح الأيسر بقيادة الأمير سليمان أكبر أبناء بايزيد ومعه الجند العثماني (٣) ووقف بايزيد في قلب الجيش ومعه ولداه موسى ومصطفى وتحت قيادته فرق الانكشارية مباشرة وهؤلاء يشكلون حرسه الخاص (٤) •

وكان على المؤخرة التي لاتقل أهمية عن الاجنحة الأخرى محمد بن بايزيد وهي التي تشكل القوة الاحتياطية للجيش (٥) • ونظرا لأن اصطحاب الفيلة يعتبر من العوامل المؤثرة في تخويف الأعداء ، فان جيش بايزيد لم يخل منها ، وقيل أيضا كان من تلك التجهيزات حوالي اثني عشر ألفا من الكلاب المدربة على الحراسة والمساعدة في القتال (٦) •

---

(١) Gibbons : Op. Cit . P. 252 .
Dr. Hakki, Op. Cit. P. 311.

(٢) Sami : Op. Cit. P. 305 .
Grousset : Op. Cit. P. 451 .
Gibbons : Op. Cit. P. 252 .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٢/٤٢٦ •
Gibbons : Op. Cit. P. 252 .

(٤) Sami : Op. Cit. P. 305 .
Price : Op. Cit. P. 376 .

(٦) Sami : Op. Cit. P. 305 .
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 311 .
Gibbons : Op. Cit. P. 252 .

(٧) Price : Op. Cit. P. 376 .
Gibbons : Op. Cit. P. 252 .

وهكذا تجمع الجيش العثماني الذي قيل ان تعداده كان حوالى سبعمائة ألف فارس وثلاثمائة ألف راجل (١) تم استعراضهم في مدينة أقشهر [المدينة البيضاء] ، ولانعتقد صحة هذا الرقم العددي المذكور حيث تبدو المبالغة فيه فالراجح أن عدد جيش العثمانيين كان مابين سبعين ألفا ومائة وعشرين ألفا (٢) استعدادا للمواجهة الحربية مع قوات تيمورلنك واختاروا ميدانا للمعركة في أرض وعرة تناسبهم حيث كانوا يعرفونها تمام المعرفة ، وكانوا على بينة من أن التيموريين عندما يتقابلون معهم في هذا الميدان سوف يتعرضون لمتاعب كبيرة وذلك لجهلهم لسبل ومغاور هذه الطرق فهل تحقق للعثمانيين ماخططوا من أجله ؟ هذا ماسوف يستبين لنا من خلال متابعة وقائع المعركة ٠

أما تيمورلنك فقد نظم جيشه بتشكيل مؤلف من ميمنة وقلب وميسرة ومؤخرة وكانت القيادة لديه كما يلى :

وضع تيمورلنك على الميمنة ميرانشاه يعاونه ابنه أبوبكر والأمير طهرتن حاكم آرزنجان (٣) ٠

وكان على القلب محمد سلطان حفيد تيمورلنك مع عدد كبير من القادة المحنكين (٤) ٠

والأمير شاه رخ بن تيمورلنك مع ابنه خليل سلطان ومجموعة كبيرة من الأمراء الكبار على الميسرة (٥) ٠

أما المؤخرة أو قوات الاحتياطي فكانت بامرة تيمورلنك مباشرة ويقال ان عدد فرق الاحتياطي أربعون فرقة منظمة حتى اذا احتاجت أي الأطراف الى

---

(١) انظر : المقريزي : السلوك ، ٣/٣/١٠٩١ ٠
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٢/١٥٠ ٠

(٢) يلمارا وزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٠ ٠
Dr. Hakki, OP. Cit, P. 311 .

(٣) Sami : Op. Cit. P. 304 .
Dr. Hakki, Op. Cit. P. 312 .

(٤) Dr. Hakki, Op. Cit. P. 312 .
(٥) Sami : Op. Cit. P. 304 .
Price : Op. Cit. P. 289 .

المساعدة والمعاونة تقدمت احدى هذه الفرق لمساعدتها(١) ووضع في مقدمة الجيش مجموعة من الأفيال قدر عددها بثلاثين فيلا(٢) •

ثم أخذ تيمورلنك يستعرض قواته الهائلة والتي قيل انها بلغت حوالى ثلاثمائة ألف فارس وخمسمائة ألف جندي(٣) ، ونعتقد أيضا ان هذا العدد مبالغ فيه ، فجيش تيمورلنك لم يبلغ قط حدود مائتي ألف الا عندما توجه لغزو الصين أما في معركة أنقرة فان الجيش التيموري لم يتجاوز ثمانين ألفا(٤) •

وظهر الجيش التيموري في أحسن استعداد وأبهى زينة فكل فرقه من فرقه لها لون خاص يميزها ويلون راياتها وأسلحتها وثياب الجند وسروج الخيل بألوان مختلفة(٥) •

وهكذا استعد تيمورلنك لخوض غمار الحرب بقواته وأسلحته الفتاكة ، مصحوبة بالكثير من الفيلة لمواجهة غريمه بايزيد الذي أحسن الاستعداد لهذا اللقاء الهام •

ورغم ذلك لم يحرك تيمورلنك قواته الا حينما سمع بأن بايزيد تحرك بقواته نحو توقات ، وضمانا لتحقيق النصر سارع باستمالة التتار الذين كانوا في صفوف بايزيد والذين كانوا يوضعون دائما في الصفوف الأمامية قائلا لهم : [[نحن من جنس واحد وهؤلاء تركمان ، ندفعهم من بيننا ويكن لكم الروم

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٢٦/٢ •
خواندأمير : حبيب السير ، ٦٦/٣/٣ •

(٢) خواندامير : حبيب السير ، ٦٦/٣/٣ •
رضا باروكى : تاريخ ايران ، ص ٢٤٥ •
يلمازاوزتونا : التاريخ العثماني ، ص ١١٠ •
Gibbons : Op. Cit. P. 252 .

(٣) Price : Op. Cit. P. 383 .
Chirol : Op. Cit. P. 29 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٣٩/٢ •
هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ١٦٤ •

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٣١٣/٢ – ٣١٤ •
Price : Op. Cit. P. 383 .
Grousset : Op. Cit. P. 450 .

موضهم فانخدموا له وواعدوه أنهم عند اللقاء يكونون معه]] (١) .

وعلى الرغم من ذلك فان كبار قادة الجيش التيموري كانوا يرون أن بلاد الروم شاسعة وجنودها مدربون على القتال الشرس وأنهم مستعدون للحرب ، أما جندنا فطيلة ثلاث سنوات وهم في حروب مستمرة ضد أعدائهم وأنه يجب أن يأخذوا قسطا من الراحة ، كما أن خيولهم قد انهكت من المسيرات المرهقة والحملات من بلد الى آخر،ولهذه الأسباب كان الأمراء والقادة يبدون عدم رغبتهم في الدخول في أي مغامرة مهما عظم شأنها وأهميتها (٢) . فماذا يصنع هؤلاء تجاه تصميم القائد ؟ .

لجأ هؤلاء الى الأمير شمس الدين المالقى الذي كان يتمتع بالحظوة لدى تيمورلنك لذكائه ولباقته ليعرض رغبتهم في التمهل في غزو العثمانيين ، وذلك لحاجتهم الى الراحة والاستجمام ودعموا حجتهم بزعم المنجمين الذين رأوا أن الجيش التيمورى سيصيبه الأذى من غزو بلاد الروم (٣) ، فما كان من تيمورلنك الا ان استدعى شهاب الدين عبدالله لسان [لسانى] المنجم وطلب منه أن يضع حدا لتردد الأمراء وقلقهم ، وأن يستطلع الأوضاع والأنظار الفلكية ، وأكد له أن يصارحه بما يبدو من دلائل النجوم بلا مداهنة .

فرد شهاب الدين عبدالله قائلا : [[أن قدر تيمورلنك في أعلى درجة من الصعود أما خصومه فانهم في أحط درجات الهبوط ، وظهر حينئذ النجم مذنب متجها ناحية الغرب ، ثم ظهر مرة ثانية بعد عدة أيام عند شروق الشمس من ناحية الشرق ، وأن ذلك يعنى أن هناك جيشا من الشرق سيقوم بغزو الروم وسوف تحل كارثة كبرى بحاكم الروم]] (٤) .

---

(١) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٩٣ - ١٩٦ .
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٦٧/١٢ .
القرماني : أخبار الدول ، ص ٣٠٢ .
(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٩٦/٢ .
Price : Op. Cit. P. 376 .
(٣) Sami : Op. Cit. P. 303 .
(٣) خواندامير : حبيب السير ، ٦٤/٣/٣ .
(٤) انظر : اليزدي : ظفرنامه ، ٣٩٧/٢ .
خواندامير : حبيب السير ، ٦٤/٣/٣ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢١٤ .

ج - وقائع المعركة :

كان بايزيد يرغب في أن تكون معركته القادمة مع تيمورلنك خارج الأراضي العثمانية ومواجهته في ضواحي سيواس لئلا يتوغل في أراضيه (١)، ولكن تيمورلنك كان يحرص على أن يتوغل عميقا في الأراضي العثمانية لاحداث كثير من الارتباك للسلطان بايزيد . ولم يكن من السهل من الناحية العملية أن يتقدم مباشرة نحو أنقرة بسبب الصعوبات التي من الممكن أن يتعرض لها جيشه الكبير في اجتياز الأرض الكثيفة الأشجار والوعرة المسالك الواقعة بينه وبين المنطقة التي أخبره جواسيسه أن الجيش العثماني موجود بها (٢)، كما أنه قام بدراسة منطقة الروابي والتلال الواقعة غرب سيواس فوجد أنها غير مواتية لحركة خيله ، لذلك اتخذ طريقه جنوبا وسار على طول وادي نهر هلس [قزل ايرماق] جاعلا النهر بينه وبين العثمانيين (٣) .

واعتقد بايزيد أن تيمورلنك لايزال متواجدا في سيواس وعلى مسافة مائة كيلومتر منه ، فأرسل كشافته لمعرفة المكان الذي يتواجد به تيمورلنك (٤)، فأفادوه بأنه ترك سيواس منذ فترة وأنه لم يتبق له فيها سوى قوة صغيرة ، والواقع أن كشافة بايزيد فشلت أكثر من مرة في معرفة تحركات تيمورلنك وقد حاول تيمورلنك التعتيم على بايزيد ونجح في ذلك (٥) . وخاب ظن بايزيد في أن تيمورلنك سوف يقدم اليهم وباءت ترتيباته وخططه في هذا الشأن بالفشل .

ويذكر بعض المؤرخين أن القوات التيمورية أثناء سيرها وتحركها تمكنت من تدمير البلاد واتلاف المزروعات التي كانت تمر بها بحجة جمع الأعلاف

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٩٦ .

(٢) Gibbons : Op. Cit. P. 250 .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٢/٤١٥ .
Price : Op. Cit. P. 386 .
Gibbons : Op. Cit . P. 250 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٢/٤١٥ .

(٥) يذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ، ١٢/٢٦٧ . أن بايزيد سار بعساكره على أن يلقى تيمورلنك خارج سيواس ويرده عن عبور أرض الروم فسلك تيمورلنك غير الطريق ومشى في أرض غير مسلوكة .

اللازمة لخيولها (١) • ثم توجه نحو قيصرية وكان يسير بحذر وحيطه حتى لايفاجأ بأى هجوم من العثمانيين وطلب من جنده عدم التعرض بأذى لأهالى قيصرية ومنح أهلها الأمان وتوقف فيها عدة أيام استطاع خلالها جنده تخزين كميات كبيرة من الأعلاف خاصة وأن الوقت يواكب موسم الحصاد ، ثم توجه تيمورلنك وقواته مخترقا نهر هلس [قزل ايرماق] حتى وصل الى قيرشهر (٢) •

ونجح تيمورلنك في تحديد موقع بايزيد وذلك حين أرسل أكثر من ستين رجلا من جواسيسه المتخصصين في جلب الأخبار والكشف عن تحركات الأعداء ، ونجح هؤلاء في مهمتهم وأخبروا تيمورلنك أن الجيش العثماني تقهقر من توقات وآماسيا الى أنقرة (٣) •

ولما فطن تيمورلنك أن بايزيد وقواته متمركزون في أماكن قد تعودوا عليها • جمع قواده وأصحاب الرأى والمشورة وعرض عليهم تصوراته ووضع اللمسات الأخيرة على خطته واستراتيجيته فقال لهم : هناك خياران تم تقديرهما للوصول الى النجاح ، فالخيار الأول : الانتظار في هذا المكان وانتظار الأعداء لحين قدومهم وتبرز هنا ميزة وهي استراحة الجند والخيل من مشقة الطريق •

والثاني : الالتحام المباشر معهم وارسال فرق مدربة للاغارة والهجوم في اتجاهات مختلفة لينشروا الخراب والرعب في صفوف العثمانيين وتحملهم على ملاحقتنا ، وبهذا تستهلك قوتهم خاصة وأن غالبيتهم من المشاة ، وبعد مناقشة هذه الخطة استقر رأى مجلس الحرب على الخيار الثاني (٤) • وبدأ تيمورلنك خطته•

واتجهت قوات المقدمة التيمورية صوب أنقرة ورافقهم جماعة من المشاة المعاونين لحفر الآبار على مسافات مناسبة لامداد جيوشهم بالماء اللازم أثناء استمرار المسيرة الحربية ، وأعقب ذلك ارسال جماعة أخرى على دراية

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٢/٤١٦ •

(٢) Gibbons : Op. Cit. P. 250 .
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 309 .

(٣) Gibbons : Op. Cit. P. 250 .

(٤) Price : Op. Cit. P. 386 .

بالجاسوسية وجمع المعلومات ، فتصادف أن تقابلت تلك الجماعة بمثيل لها من جيش العثمانيين كانت تحاول هي الأخرى استطلاع أحوال جيش تيمورلنك ، فاستطاعت القبض على بعض رجالها ، وقتل البعض الآخر وكان ذلك فرصة كبيرة لهم للحصول على معلومات صحيحة ومهمة من المقبوض عليهم (١) ٠

وعندما استبطأ بايزيد وصول فرقته الاستطلاعيه سارع بارسال أحد أبنائه واصطحب معه ألفين من الفرسان لمعرفة مصير الغائبين والحصول على معلومات جديدة عن تحركات الجيش التيموري ، ويبدو أن الظروف قد ساعدتهم ففي حين عودة أتباع تيمورلنك الذين قبضوا على جواسيسهم الى معسكرهم ، اعترض سبيلهم جماعة من هؤلاء وبادروهم بالهجوم ، الا أن التيموريين تلقوا تلك المفاجأه بالثبات واستطاعوا مراوغتهم حتى تمكنوا من العودة الى معسكرهم٠ واضطر سليمان ومن معه الى الانسحاب والابتعاد عن اقتفاء أثرهم (٢) ، ويرجع ذلك أن هؤلاء شاهدوا القوات العسكرية بقيادة الأمير ميرزا سلطان حسين قادمة عن بعد فتوقفوا عن القتال ولاذوا بالفرار (٣) ٠ ولما عادوا الى بايزيد أخبروه أن تيمورلنك لايتحرك بسرعة كبيرة نحو أنقرة وقد وصل اليها خلال مدة ثمانية أيام (٤) ٠ وقام بمحاصرة قلعتها وقد أبدت حاميتها بقيادة القائد يعقوب بسالة في الدفاع عنها وأمر تيمورلنك (٥) ببناء سد على النهر الذي كان يخترق المدينة محولا بذلك مجراه بحيث صار يجرى خلف معسكره ولم يعد هناك من ماء صالح ليستعمله جيش بايزيد عند وصوله سوى ماء أحد الينابيع فأمر بعض قواته بوضع السم به ، ورموا فضلات الطعام والأوساخ بداخله (٦) ٠

وما أن علم بايزيد وهو على الضفة اليمنى لنهر هلس [قزل ايرماق] في منطقة وعرة قفراء بأن قوات تيمورلنك قد وصلت الى أنقره حتى أصدر

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٤١٨/٢ ، ٤١٩ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٦٥/٣/٣ ٠
(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٤١٩/٢ ، ٤٢٠ ٠
(٣) Price : Op. Cit. P. 387 .
(٤) المقريزي : السلوك ، ١٠٩٢/٣/٣ ٠
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ١٥١/٢ ٠
(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٢٠/٢ - ٤٢١ ٠
(٦) Priice : Op. Cit. P. 388 .

أوامره أن تزحف جيوشه بسرعه باتجاه الغرب خوفا من أن يترك قوات تيمورلنك تجتاح بلاده من الخلف وتقطع عليه خطوط تموينه ، ويتفق معظم المؤرخين على أن بايزيد تمكن من الوصول الى أنقرة في مدة قصيرة جدا لاتتعدى ثمانية أيام غير أن جيشه كان في أسوا حال فقد انهكهم وتملكهم التعب من شدة العطش وحر السهل المحرق ، وغالب المشاة انقطعوا ، وأكثر خيولهم تلفت وأضحى عسكره كالموتى من التعب والارهاق من جراء السير الاجباري في حر شمس الصيف اللاهبة (١)• وكان التيموريون على عكس ذلك فقد تربعوا في قاعدتهم مع مؤونة وفيرة وراحة تامة لم يكونوا به مكترثين ولابه محتفلين (٢) • ومما زاد من حدة موقف بايزيد أنه لم يكن هناك ماء يمكن الحصول عليه لارواء ظمئهم الا من خلف خطوط التيموريين ولم يكن أمامهم الا خيار واحد لاغير وهو الهجوم (٣) •

وهناك من المؤرخين من يقول أن تيمورلنك كان يعتقد أن الجيش العثماني سوف يأتي متأخرا الا أنه انخدع بذلك لأن قوات بايزيد بسيرها السريع قد وصلت الى الميدان من طريق لم يتوقعه تيمورلنك قط ، والحال انه بينما كان تيمورلنك ينتظر الجيش العثماني وكأنه سيأتي من الجنوب الشرقي فقد جاء العثمانيون من قلعة جيك [راولى] أى من الشمال الشرقي وحطوا رحالهم في قرية ملكشاه في جوبوك أوه وكان ذلك يعنى أن تيمورلنك سوف يتعرض لهجوم ، وقد حافظ تيمورلنك على اعتداله مع أنه كان في أزمة كبيرة ازاء ذلك الوضع الخطير في تلك اللحظة ، وغير جبهته وانسحب من ناحية القلعة (٤) •

---

(١) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٩٢/٣/٣
ابن تغرى بردي : المنهل الصافي ، ١٢٦/٤ - ١٢٧ •
الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ١٥١/٢ •
القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٩١ •

(٢) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٩٨ •
Gibbons : Op. Cit. P. 250 .

(٣) هارولد لامب : تيمورلنك ، ص ١٤٨ •

(٤) DR. Hakki : Op. Cit. P. 310 .

وكان بامكان بايزيد أن يظفر بتيمورلنك وهو في وضع مثل هذا الا أنه لم يستمع لاصرار قواده وأبنائه على بدء الهجوم في الحال ورفض تلك الفكرة ، وأضاع فرصة كبيرة على نفسه في الانتصار على خصمه ورأى أن الحرب رجولة ، ومن الطبيعي أن يجعل ذلك التصرف تيمورلنك يكسب وقتا كافيا ينقذه من موقف خطير كان معرضا له •

ومهما يكن الأمر فان المعركة نشبت بين الفريقين في يوم الجمعة ١٩ من ذي الحجة عام ٨٠٤هـ ٢٠ من يوليو ١٤٠٢م أو يوم الجمعة ٢٧ من ذي الحجة عام ٨٠٤هـ ٢٨ من يوليو ١٤٠٢م (١) •

وحرص تيمورلنك أن يحضر معه أفضل القوات الموجودة في ماوراء النهر وجهزها أحسن تجهيز لأنه أدرك أن بايزيد خصم مخيف يختلف عن الحكام الذين حاربهم من قبل •

وكانت جبهة القتال تمتد لمسافة كبيرة ، وأمام هذه الاستعدادات لم يكن لدى بايزيد خيار الا الحرب فبدأت القوات العثمانية القتال بكل مالديها من قوة بقيادة الأمير سليمان بن بايزيد وقد قوبل هذا الهجوم بمواجهة قوية من التيموريين اضطر خلالها الأمير سليمان الى التراجع والانسحاب وبينما هذه القوة المنسحبة أخذت في لم شعثها وتنظيم صفوفها (٢) ،

---

(١) لم تتحد المعلومات الموجودة في كتب التاريخ بشأن يوم وشهر موقعة أنقرة فنجد اليزدي في كتابه ظفرنامة ٤٣٧/٢ ، وخواندامير في حبيب السير ٦٦/٣/٣ ، ورضا باروكى في تاريخ ايران ، ص ٢١٥ ، وعباس اقبال في تاريخ ايران بعد الاسلام ص ٦٠٥ ، ومنجم باشي في صحائف الأخبار ص ١٤٤ فقد حددوا تاريخ ويوم المعركة في يوم الجمعة التاسع عشر من ذي الحجة سنة ٨٠٤هـ •

ومن المؤرخين العرب يذكر المقريزي في السلوك ١٠٩٢/٣/٣ والعيني في حوادث سنة ٨٠٤هـ أن الموقعة كانت يوم الأحد الخامس من محرم سنة ٨٠٥هـ وقد حدد ابن عربشاه في كتاب عجائب المقدور ص ٢٠٠ يوم وتاريخ المعركة يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ٨٠٤هـ • وهكذا فان أقرب تاريخ من كل التواريخ السابقة هما ما أثبتناه في المتن •

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣٠/٢ •
خواندامير : حبيب السير ، ٦٦/٣/٣ •

حملت الميمنة التيمورية على الميسرة العثمانية في هجوم عنيف فتضعضعت هذه الميسرة وتقهقر الصربيون بشيء من الفوضى بعدما أبدوا بطولة فائقة في مواجهة الجيش التيموري حتى أن تيمورلنك قال عنهم أنهم لم يقصروا في أداء مهمتهم الحربية (١) .

وتعزو بعض المصادر والمراجع سير المعركة لغير صالح العثمانيين بعد النجاح الذي حققوه في المرحلة الأولى من القتال الى انضمام جماعات التتار الذين كانوا يمثلون ربع القوة الاجمالية لجيش بايزيد أو أكثر ويضع بايزيد عليهم آمالا كبيرة في الثبات أمام الجيش التيموري الا أن هؤلاء خيبوا ظنه فيهم فما ان رأو أن المعركة في غير صالحهم حتى انضموا مسرعين الى القوة التيمورية وأخذوا يحاربون ضد العثمانيين فتأزم الموقف في الجيش العثماني وضعفت مقاومته (٢) .

ولم تلبث الجنود الاحتياطية المجندة من ولايات صاروخان وكرميان وآيدين وقرامان أن حذت حذو هؤلاء وسارعوا بالفرار من الجيش العثماني وانضموا الى صفوف تيمورلنك عندما شاهدت هذه القوات أمراءها السابقين يقاتلون في جيش تيمورلنك (٣) وأمام ذلك لم يجد بايزيد مفرا من أن يأمر الجناح الأيسر لجيشة بالتقدم للهجوم في الوقت الذي سارع فيه الجيش التيموري بقيادة شاه رخ للوقوف لصدهم (٤) . فاضطربت صفوفهم وبدأ الضعف يدب في أوصالهم، ومع ذلك استمر القتال الشديد بين الجيشين (٥) وتمكنت قوات تيمورلنك من

---

(١) Price : Op. Cit. P. 391 .

(٢) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٩٩ .
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 312 .
دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ١٦٥/٦ .

(٣) منجم باشي : صحائف الأخبار ، ص ١٤٤ .
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 312 .
يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٠ .
Gibbons : Op. Cit. P. 253 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣٥/٢ .
رضا بازوكي : تاريخ ايران ، ص ٢١٥ .

(٥) لم تخف المصادر الفارسية شدة هذا القتال بين الجيشين فذكروا أن هناك بعض الالتحام الشديد ، كان النصر فيه سجالا بين الطرفين . وهذا يؤكد أن العثمانيين تمكنوا من مقاومة التيموريين رغم هزيمتهم فيما بعد .
انظر : اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣٢/٢ - ٤٣٦ .
خواندامير : حبيب السير ، ٨٦/٣/٣ .

الانتصار واختراق جبهات العثمانيين وسقط خمسة آلاف مقاتل من العثمانيين في محاولة فاشلة لاختراق خطوط قوات تيمورلنك (١) ٠

ويذكر البعض أن موقف بايزيد ازداد تأزما عندما انسحب ابنه سليمان مع قوة كبيرة من الجند قدرت بثلاثين ألفا (٢) عندما رأو أن الحرب تسير في غير صالحهم ، كما هرب ابن بايزيد الآخر محمد جلبي الذي كان قائد قوات الاحتياط الى آماسيا وبصحبته قوات قوامها ألف رجل (٣) ٠

وهنا كان على بايزيد أن يفكر في مصيره المحتوم فلم يكن أمامه سوى التحول من الهجوم الى الدفاع ، وأخذ يتراجع عن مكانه خطوة خطوة ثم أوقف انسحابه فجأة وبدأ يجمع شتات حرسه وبعض فلول كتائبه ، وقام بهجوم شامل وشجاع على تل صغير واستطاع الاستيلاء عليه استعدادا لاتخاذه قاعدة لمعاودة الهجوم من جديد وقد أثبت بايزيد مع الفرق الانكشارية شجاعة فائقة وثباتا وجلدا وهم يقاتلون في ظروف صعبة ، ورغم بسالة بايزيد الا أنه لم يستطع الصمود طويلا أمام جموع الجيش التيموري المدمر (٤) ٠

ولما رأى بايزيد ماحل بجنده من قتل (٥) وهزيمة ، حاول الانسحاب والهرب

---

(١) الاسحاقي : محمد بن المعطي (القرن الحادي عشر) ٠ لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ٠ القاهرة : ١٢٩٦هـ ٠ ص ١٥٣ ٠
Gibbons : Op. Cit. P. 253 .

(٢) تقدر بعض المصادر العربية هذه العدد بنحو مائة ألف توجهوا الى مدينة بروسه ٠

انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٩٢/٣/٣ ٠
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦٦٠/٢/١ ٠

بينما قدرها يلماز اوزتونا ص ١١٠ بما أثبتناه في المتن ٠

(٣) Dr. Hakki : Op. Cit. p. 313 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣٥/٢ ، ٤٣٦ ٠
خواندأمير : حبيب السير ، ٦٧/٣/٣ ٠
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 313 .

(٥) يذكر ابن عربشاه في عجائب المقدور ص ١٩٩ ، أنه لم يبق مع بايزيد الا المشاة ومن داناهم وبعض من الكماة ، فثبت للمجالدة بمن معه من الرفاق وخاف ان فر يقع عليه الطلاق ٠

فلم يجد سبيلا لذلك ، وأخذ أسيرا الى خيمة تيمورلنك (١) وتفرق جيشه شذرا مذرا (٢) ولم يحجز بينهم الا الليل ولولا ذلك لأبيد جند بايزيد (٣) •

أما عن خسائر المعركة فتذكر بعض المصادر العربية أن عدد القتلى بين الفريقين نحو الثمانين ألفا (٤) • بينما يذكر آخرون أن عدد القتلى من العثمانيين حوالى ستين ألفا ومن قوات تيمورلنك لايزيد عن عشرين ألفا (٥) •

---

(١) يذكر منجم باشي في كتابه صحائف الأخبار ص ١٤٤ حاشية رقم ١ : أنه عندما هرب بايزيد عرفه ابن قرامان ورعاه قائلا : [[ان من يحارب في معركة كهذه لابد أن يكون هو بايزيد خان فماذا ننتظر]] ووصل اليه في الحال واحاط جواده من النواحي الأربعة وأمسك به واقتاده الى تيمورلنك •

(٢) الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ١٥٢/٢ •
منجم باشي : صحائف الأخبار ، ص ١٤٤ •
لين بول : طبقات سلاطين المماليك ، ص ٢٤٧ •

(٣) المقريزي : السلوك ، ١٠٩٢/٣/٣ •
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦٦٠/٢/١ •

(٤) انظر : المقريزي : السلوك ، ١٠٩٢/٣/٣ •
ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦٦٠/٢/١ •

(٥) Price : Op. Cit. P. 394 .
بينما يذكر يلمازاوزنوتا في تاريخ الدولة العثمانية ص ١١٠ أن خسائر تيمورلنك أربعون ألفا وهي خسارة لم يسبق له أن تكبدها فقد كان أقصى ماتكبده من خسائر في معارك سابقة لايزيد على ٦٠٠٠ آلاف •

د - أسـباب هزيمة الجيش العثماني :

ويجدر بنا أن نوضح الأسباب التى أدت الى هزيمة بايزيـــــد في هذه المعركة ٠

لم يكن هناك في الواقع مايدعو بايزيد الى الخروج لملاقاة تيمورلنـك فقد كان من الأفضل له أن يتحصن غربي أنقرة دون المجازفة والخروج بقواتـه الكبيرة تحت شمس يولية المحرقة لملاقاة تيمورلنك فبهذا العمل أجهد جيشه ، ولم يحسن اختيار الموقع المناسب لمقابلته حيث كان يجب عليه أن يتـرك تيمورلنك ليستنفذ بعض قواه في سقوط أنقره نفسها ، ثم يقابله من ورائهـا مباشرة ، ولكن بايزيد فضل أن تكون المعركة أمام أبوابها مباشرة فارتكـب بذلك خطأ استراتيجيا جسيما عمل من أجله وسعى اليه تيمورلنك(١) حيث أرغم خصمه على الزحف اليه ، وحدد بنفسه مكان المعركة وزمانها ، وأجبر بايزيد علـى خوض القتال في أحوال بالغة السوء من التعب والعطش والجوع الذي أحاط بجيشه٠

وكان من بين الأخطاء الفاحشة التى أرتكبها بايزيد كذلك ، أنه وضع في مقدمة جيشه أعدادا كبيرة من التتار ، وقد فعل ذلك طبقا للتكتيكـات العسكرية العثمانية وهي جعل المقدمة من العناصر غير النظامية ، والمقصود منها اتعاب العدو واستنفاذ بعض قوته ، الا أن بايزيد لم يضع في حسابـه أن هؤلاء التتار كانوا أقرب الى تيمورلنك منه ، ومن السهل أن يخذلـوه اذا وضعوا على المقدمه وقد أنضم هؤلاء الى تيمورلنك وكان لهم دور كبيـر في اضعاف وزعزعة الموقف العثماني(٢) ٠ وأدى ترك الأمير سليمان لساحة القتـال

(١) Gibbons : Op. Cit. P. 251 ٠
محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٤٨ ٠

(٢) Gibbons : Op. Cit. P. 251 .
محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٤٨ ٠

عندما رأى عجز العثمانيين في مواجهة التيموريين بعد انسحاب التتار وانضمامهم الى تيمورلنك الى ضعف واضطراب الجيش العثماني حيث يقال أنه لم يبق مع بايزيد سوى الانكشارية والمشاة ، وقد قدر عدد من كان مع بايزيد في هذا الوقت الحرج بما بين ألفين الى ثلاثة آلاف فارس وجندي مشاة (١) • ولم يكن هذا هو الانسحاب الوحيد من جيش بايزيد بل نجد أن ابنه الآخر محمد جلبى قائد قوات الاحتياط قد هرب الى آماسيا وبصحبته قوات عددها ألف جندي (٢) •

وكان من الأخطاء التى أرتكبها بايزيد في هذه المعركة مسارعته بالهجوم بدلا من الانتظار حتى يبدأ تيمورلنك القتال ، وقد كان لدى بايزيد ميزة الاختيار ، كما أن مقدرة الدفاع عند العثمانيين أفضل من قدراتهم الهجومية وقد وضح ذلك في موقعة نيكوبوليس (٣) •

ويذكر Gibbons قائلا : [[لقد فشل بايزيد لأن قواه العقلية والبدنية التي كانت تتفوق على قوى أى رجل آخر في عصره ، كانت قد تعطبت بحياة التهتك والظلم والفجور ، ومما لاشك فيه أن بايزيد كان أقل كفاءة قيادية من تيمورلنك الذي كان يومئذ يقارب السبعين من عمره (٤) •

ومهما يكن الأمر فان معركة أنقرة انتهت بهزيمة بايزيد ووقوعه في

---

(١) Dr. Hakki : Op. Cit. P. 313 .

(٢) منجم باشي : صحائف الأخبار ، ص ١٤٤ •

(٣) Gibbons : Op. Cit. P. 252 .

محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٤٨ •

(٤) The Foundation of the Ottoman empire, P. 257 .

الأسر الذي مكث فيه سبعة شهور واثنى عشر يوما حيث وافاه الأجل في الرابع عشر من شعبان سنة ٨٠٥هـ - ١٤٠٣م في أقشهر (١)، وارسل جثمانه الى بروسة (٢) ٠

وبوفاة بايزيد فقدت الدولة العثمانية حاكما قويا كان يشار اليه بالبنان لما حققه من انتصارات كبيرة في المجالين الشرقي والغربي حتى يقال أن مساحة أراضيه بلغت قبيل معركة أنقرة حوالى ٩٤٩٢٠٠ كم٢ ، بما يعنى أنها توسعت خلال ١٣ سنة نحو من ٤٤٣٠٠٠ كم٢ منها ٤٤١٠٠٠ كم٢ في أوربا والبلقان ونحو ٥٠٠٠٠٠ كم٢ في آسيا والأناضول (٣) ٠

---

(١) يذكر المؤرخون الفرس وغيرهم أن صحة بايزيد قد تدهورت وهو في الأسر رغم العناية الفائقة من قبل تيمورلنك وأصيب بمرض الخناق وضيق التنفس فأمر تيمورلنك كبار الأطباء بعلاجه ولكنهم لم يستطيعوا انقاذ حياته فوافاه الأجل وحزن تيمورلنك على وفاته حزنا شديدا ، حيث كان يعتزم الاستيلاء على كافة ديار الروم اعادة كل ممتلكات بايزيد وجميع البلدان التي كانت تحت يده اليه كي يتمكن مرة أخرى من استئناف جهوده لمحاربة أعداء الاسلام ولما قدم اليه موسى بن بايزيد سمح له بنقل جثمان والده من أقشهر الى بورسة حيث دفن فيها ٠
Sami : Op. Cit. P. 322 .
اليزدي : ظفرنامه ، ٤٨٩/٢ - ٤٩٢ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٩٦/٣/٣ ٠
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢١٦ ٠

ولانعتقد بصحة ماذكره المؤرخون الفرس ، فلو كانوا صادقين في قولهم لماذا قام تيمورلنك بمقاتلته واسره ؟ ٠ ان هذا تبرير منهم لوصف تيمورلنك بصفة التسامح والطيبة والسمو وهو بعيد عن ذلك كله ٠

(٢) انظر اليزدي : ظفرنامه ، ٤٩١/٢ ٠
خواندامير : حبيب السير ، ٦٩/٣/٣ ٠
منجم باشى : صحائف الأخبار ، ص ١٤٩ ٠
يلمازاوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١١ ٠

ويذكر آخرون أن بايزيد أدرك أن تيمورلنك سوف يأخذه معه أسيرا الى سمرقند بعد أن عاد من حملته على آزمير فتناول بايزيد السم الذي كان أخفاه تحت فم خاتمه الذي كان موجودا في أصبعه ثم مرض وبعد أن جاء أقشهر توفى ٠
انظر : ابن اياس : بدائع الزهور ، ٦٦٠/٢/١ ٠
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 320 .

ولم يحدد أغلب المؤرخين العرب سبب وفاته حيث اكتفوا بالقول ومات بايزيد في أسر تيمورلنك وكان مطلقا فأدركه أجله اما من القهر أو من غيره ٠
انظر : ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٢٦/٢ ٠
ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ٤٧/٧ ٠
الشوكاني : البدر الطالع ، ١٦١/١ ٠

(٤) يلمازاوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١١ ٠

وبهزيمة بايزيد في معركة أنقرة فقدت الدولة أهميتها وقوتها ويذكر " Gibbons " أن الدولة العثمانية كانت في نهاية عهد بايزيد وطيدة الأركان، ثابتة الدعائم ، فاذا كانت معركة نيكوبوليس قد دلت على أن العثمانيين يستطيعون الدفاع عما كسبوه في أوربا فان أنقرة قد دلت أيضا على أنهم ثبتوا أقدامهم بقوة في البلقان وشمال غربي آسيا كدولة وكأمة بحيث لم يعد من السهل القضاء عليهم (١) ٠

هـ - وقوع بايزيد في الأسر :

لقد اختلف المؤرخون في الطريقة التي عامل بها تيمورلنك بايزيد بعد أسره ٠

فيقول البعض أن تيمورلنك عامله معاملة سيئة (٢) ، وأخذ بايزيد أسيرا قبضا باليد على نحو ميل من مدينة أنقرة ، وأن تيمورلنك كان يوقفه بين يديه كل يوم ويسخر منه ، وجلس تيمورلنك مرة لمعاقرة الخمر مع أصحابه وطلب بايزيد فحضر اليه وهو يرسف في قيوده ، فأجلسه بين يديه وأخذ يحادثه ثم وقف تيمورلنك وسقاه من يد جواريه الذين أسرهن ثم أعاده الى محبسه (٣) ٠

ويذكر آخرون أن بايزيد عندما حمل الى خيمة تيمورلنك وجده يلعب مع ابنه شاه رخ لعبة الشطرنج المفضلة لديه ، فلما راه تبسم ابتسامة استهزاء عريضة فقال له بايزيد : ليس من الخلق أن تبتسم أمام شخص قدر الله عليه هذا فأجابه تيمورلنك : [[انى أضحك لأن الله قد أعطى ملك العالم لرجل أعرج مثلى وأعمى مثلك]] (٤) ٠

---

(١) Gibbons : Op. Cit. P. 261 .
محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٥٠

(٢) يذكر Gibbons في كتابه The Foundation of the Empre أن تيمورلنك عامل بايزيد بازدراء شديد محاولا تحطيم روحه المعنويه ، وأجبره على مشاهده انحلال زوجته الأميرة دسبينيا " Despina " وهى تقدم الخمر للفاتح تيمورلنك وهي في حالة من العرى ٠

(٣) انظر : ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٦٨/١٢ ٠
(٤) هارولدلامب : تيمورلنك ، ص ١٥٠ ٠

ويؤكد معظم المؤرخين أن تيمورلنك عامل بايزيد معامله طيبة ، حيث أمر بفك قيوده ، ودعاه أن يجلس بجواره على وسادته وأخذ يذكر بايزيد بأفعاله السابقة قائلا : [[على الرغم من أحوال العالم تسير بارادة الخالق وقدرته وبصورة مطلقة ولايملك أى فرد الحرية والاقتدار ، ولكن من باب الانصاف والصدق ، فان ماحل بك ناتج من سوء تصرفك فقد خرجت عن حدودك عدة مرات ، وأجبرتنى على الحضور للانتقام منك ، وتحملت من أجل المصلحة لغزوك للكفار ، ووافقتك لما فيه خير المسلمين ، ولو كنت استمعت لنصحي ، ودخلت في طاعتي لساعدتك وعاونتك بكل ماتحتاجه من أموال وجنود حتى نتمكن سويا من القضاء على الكفار ، ثم طلبت منك أن تسلم لى قلعة كماخ ، وتطرد قرا يوسف من مملكتك وأن ترسل رسولا موثوقا به لكي يؤكد الصداقة بيننا ، الا أنك عصيت وعاندت الى أن انتهى الأمر الى هذا الحال ، ومع ذلك فالجميع يعلمون لو كان الحال على العكس وأتاك الله ما وهبنى اياه من قدرة وسيطرة لكنت فعلت بي وبجنودي أشياء كثيرة ، ولكن لم أتعامل معك أو مع رجالك سوى بالخير امتنانا وشكرا على النصر الذي منحتنى اياه العنايه الالهية فلتهدأ البال وأن تنبذ وتترك من ذهنك أي مخاوف أو قلق تجاهى لأنه لايوجد من جانبى مايدفع الى الخوف بعد ذلك]] (١) .

فانهار بايزيد من الحزن والخزى ولم يتردد في الاعتراف بأخطائه السابقة ، وبأن الأحداث قد أثبتت بوضوح كيف أنه كان مضللا ،وأنه كان مستخفا به فاذا كانت رحمة تيمورلنك يمكن أن تعفو عما سلف فانه من جانبه يتعهد هو وابناؤه بالطاعة الكاملة الى نهاية حياتهم فأنعم عليه تيمورلنك وأكرمه وأدخل على قلبه الأمان ، ولما رأى بايزيد حسن معاملة تيمورلنك له قال : [[ان ابنائي موسى ومصطفى كانا يحاربان بجانبى وأنا قلق على مصيرهما وأرجو رؤيتهما ، فأصدر تيمورلنك أوامره بالبحث عنهما فتم العثور على موسى بعد عدة أيام فاستقبله تيمورلنك بحفاوة واحترام ، ثم نقله الى والده الذي كان في ذلك الوقت يقيم في جناح فاخر بجوار مقر تيمورلنك وهو حر طليق دون

---

(١) اليزيدي : ظفرنامه ، ٤٣٩/٢ - ٤٤٠ .

أى قيود ، غير مراقبة الحراس المعينين لمراقبة تحركاته والسهر على راحته[(١)] •

ويذكر بعض المؤرخين العرب أن بايزيد قال لتيمورلنك : [[انى أعرف أنى لا أبقى معك ، ولكن أوصيك بثلاث : لاتسفك دماء الروم فانهم ردء للاسلام ، ولاتترك التتار بهذه البلاد فانهم من أهل الفساد ، ولاتخرب قلاع المسلمين وحصونهم فتسلط الكفرة عليهم]] ، فقبل وصيته في الأمور الثلاثة وعمل حيلة قتل بها غالب رجال التتار[(٢)] •

ونرى من نصائح بايزيد لتيمورلنك مدى تعاطفه مع بنى جنسه على الرغم من هزيمتهم ، فهم حماة الاسلام والواقع ان العثمانيين قد سعوا خلال تلك الفترة في سبيل نشر الاسلام ، والى قبيل نشوب معركة أنقرة كانت الدولة العثمانية الفتية يعلق عليها المسلمون آمالا كبارا في رد أى خطر يتهددهم من قبل أوربا المسيحية •

كما أن طلبه بعدم ترك التتار في بلاده لأنهم أهل فتنة وفساد فاستجاب لطلبه وقضى على أكثرهم وفرق البقية الباقية منهم على البلدان •

ويظهر ان بايزيد كان حاقدا على تلك الجماعة بعد انسحابهم من جيشه لأنهم كانوا يمثلون الدعامة الاساسية فيه وانضمامهم الى جيش تيمورلنك أدى الى تغيير خطير في سير المعركة التى انتهت بهزيمة العثمانيين ! ويظهر أن تيمورلنك قد أخذ بهذه الوصية وتنكر لهؤلاء التتار الذين ساعدوه وعاونوه في معركة أنقرة واستصحبهم معه وقام بتفريقهم في مختلف البلاد •

ولم ينفذ تيمورلنك النصيحة الثالثة لبايزيد ، وذلك بعدم التعرض لقلاع المسلمين وحصونهم ، وذلك ليس غريبا عليه ، فهو مدمر من الطراز الأول ولذلك أعمل فيها التخريب والتدمير حتى أتى عليها •

---

(١) انظر : اليزدي : ظفرنامه ، ٤٣٩/٢ - ٤٤٠ •
خواندامير : حبيب السير ، ٦٦/٣/٣ •
منجم باشى : صحائف الأخبار ، ص ١٤٦ •
Price : Op. Cit. PP. 395 - 396 .
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 314 .

(٢) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ، ٢٦٨/٢ - ٢٦٩ •
القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٩١ •

و - موقف تيمورلنك من أبناء بايزيد :

وعلى الرغم من سيطرة تيمورلنك على الأناضول وعلى العثمانيين الا أنه تظاهر في معاملته لأبناء بايزيد بالطيبة والشفقة وقد تجلى ذلك في أنه عندما علم بوفاة بايزيد أسرع بتقديم مواساته الحارة لأبنائه وقدم الهدايا الى موسى جلبى ، ووكله على حكومة بورسة عاصمة العثمانيين (١) ٠

وعندما كان تيمورلنك معسكرا في كوتاهية أرسل مبعوثين من قبله الى سليمان جلبى الذي ترك بورسة هاربا الى اسراباكيا على الجانب الأوربي من البسفور وأقام في كزل حصار [حصن قزل] الذي كان شيده بايزيد في مواجهة مدينة القسطنطينية ، وقد طلبا منه أحد الاختيارين اما الامتثال والحضور الى تيمورلنك ، أو يرسل جزية الاجلال والتقدير رمزا لخضوعه لتيمورلنك ، والا فعاقبة امتناعه سوف تكون وخيمة عليه ٠

ثم عاد المبعوثان من عند سليمان ومعهما الشيخ رمضان الذي كان يتولى القضاء في عهد بايزيد حاملا رسالة معه وبعض الهدايا المناسبة ، ومما جاء في رسالة سليمان قوله : [[انك قد عفوت عن جرائم والدى وأجلسته في مجلسك العالي ، ووعدتنى بمراحمك التى لاحد لها ، فسوف أسرع بالامتثال اليك بمجرد أن تأمرني بذلك لكى أقدم لك طاعتى العمياء وتعهدى بالولاء شخصيا لأنال حظى من كرمك]] ٠

وفي رده على رسالة سليمان : [[أنه قد أبعد من ذهنه ذكريات الماضى وانه يعده أن يعد لاستقباله فورا ، وأنه لم يعد غاضبا منه ، وهو مؤهل لينال نصيبه من كرمه وعطفه]] (٢) ٠

وكان رد سليمان جلبى على رسالة تيمورلنك باعلان تبعيته واعتذر من قبول دعوة تيمورلنك بالحضور اليه مع قبوله لكل ما أرسله اليه من قلنسوة

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٩١/٢ ٠
منجم باشى : صحائف الأخبار ، ص ١٤٩ ٠
Price : Op. Cit. P. 423 .

(٢) Sami : Op. Cit. P. 310 .
Price : Op. Cit. P. 400 .

وحزام وخلع ، ثم أصدر تيمورلنك أوامره بمنح حكم الأراضي الموجودة في روميلي الى الأمير سليمان جلبي الذي كان موجودا في أدرنة (١) وجعله حاكما على تلك الناحية (٢) •

وبعد استيلاء تيمورلنك على قلعة فوجه بعد فتح أزمير ، جاء رسول من قبل عيسى جلبي بن بايزيد وأخبر تيمورلنك أن سيده يعرض الدخول في طاعته وولاءه الكامل له وأنه ينتظر أوامر تيمورلنك للمثول أمامه ، وقد أحضر الرسول معه مجموعة من الهدايا القيمة ، والخيول الأصيلة ، فأبدى تيمورلنك سروره وأرسل اليه الخلع والحزام والقلنسوة وتركه حاكما على بورسة (٣) •

كما منح تيمورلنك يعقوب جلبي (٤) الشقيق الأصغر لبايزيد حكم كرميان وكوتاهية وقراشهر (٥) •

---

(١) يذكر البعض أن سليمان استقر به المطاف في أدرنة حيث ولاه الجنود سلطانا عليهم ، ووافق أن يكون تابعا لتيمورلنك •
انظر : يلمارا وزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٢ •

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٧٩/٢ •
خواندامير : حبيب السير ، ٦٩/٣/٣ •
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 327 .
Price : Op. Cit. P. 416 .

(٣) ذكر Dr. Hakki ما أثبتناه في المتن ، ولم تحدد المصادر الفارسية الأماكن التى تركها تيمورلنك تحت حكم عيسى جلبي واكتفى يلمارازوزتونا في كتابه تاريخ الدولة العثمانية ص ١١٢ أن تيمورلنك أعطاه بعض المناطق الأخرى في الأناضول ، ومع أن عيسى جلبي كان قد استولى على بورسة فترة من الوقت فانه أضطر الى الانسحاب بعد مجيئ موسى جلبي بأمر تيمورلنك عقب وفاة أبيه واستولى عيسى على بورسة مرة ثانية واستمر عليها حتى تمكن أخوه محمد جلبي من هزيمته وقتله •

(٤) يذكر اليزدي في ظفرنامه ، ٤٨٤/٢ أن يعقوبا اختلف مع بايزيد ففر هاربا الى دمشق وعندما استولى تيمورلنك عليها دخل تحت طاعته ومنذ ذلك الحين أصبح في صحبة تيمورلنك •

ويضيف Price في صفحة ٤١٩ أن يعقوبا هو الأخ الأصغر لبايزيد فعندما قتل والده مراد في أرض المعركة ، معركة كوسوفا ذكر الكتاب الأوربيون أن بايزيد قام بالايعاز بقتله ، الا اننى استطيع أن أقرر أن تاريخ العثمانيين لايدين بايزيد بهذا العمل لذلك فانه من الخطأ أن نزعم أن بايزيد تبنى السياسة الدموية التى لقى بواسطتها يعقوب حتفه كما يزعمون •

(٥) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٨٤/٢ •
يلمارازوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٢ •
Price : Op. Cit. P. 418 - 419 .

وكان محمد جلبي المقيم في آماسيا قد أرسل كذلك رسولا الى تيمورلنك يعبر عن رغبة سيده في الدخول في طاعته ، فقام تيمورلنك باكرام الرسول وأعاده محملا بالهدايا واعطاه حكم بعض المناطق في الأناضول (١) .

وأن تقسيم تيمورلنك للدولة العثمانية بين البقية من أمرائها كان سببا في توقف توسع الدولة التى دأبت عليه .

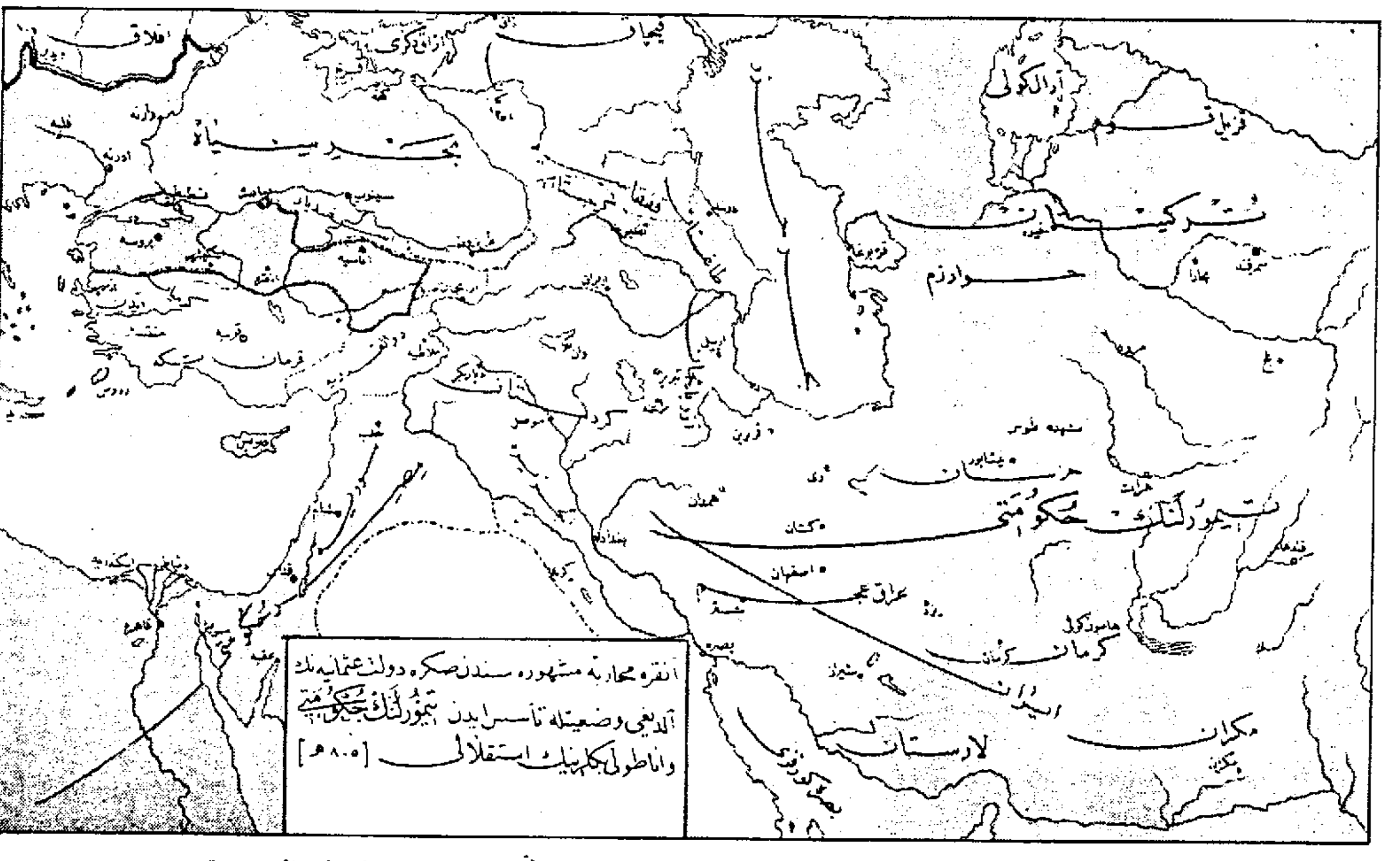
والواقع الذي لامراء فيه ان معاملة تيمورلنك الطيبة لأبناء بايزيد وتقسيم بعض الأماكن عليهم ماكان الا رغبة منه في تحقيق أهدافه ومطامعه دون اثارة حرب أخرى معهم وقد كسب بهذا العمل تأييدهم له ،كما أنه لعب دورا في اثارة الفتن بين الأخوان وشجعهم على محاربة بعضهم لبعض لاضعافهم وحتى لاتقوم للعثمانيين بعدهم قائمة .

ولم يعتبر الأبناء من هزيمة والدهم القاسية في أنقرة ، ويأخذون في لم شملهم متحدين لاستعادة مافقد منهم من أملاك كانت تابعه لهم ولكنهم نسوا ذلك وراء مطامعهم الشخصية فنشبت المنازعات والحروب بينهم وقد قدرت مدة هذه الفترة بعشر سنوات واحد عشر شهرا ١٤٠٢ - ١٤١٣م حتى تمكن محمد جلبي من السيطرة على زمام الأمور واصلاح الوضع السياسي المبعثر في الأناضول والوصول بالدولة الى مرحلة من القوة التي كانت عليها أيام والده حتى اعتبره بعض المؤرخين خامس سلاطين آل عثمان (٢) .

---

(١) انظر : منجم باشي : صحائف الأخبار ، ص ١٤٩ .

(٢) انظر : يلماراوزنوتا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٧ .
محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤٩ .
اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار ، ص ٤٩٧ .
حسين لبيب : تاريخ الأتراك العثمانيين ، ص ٤٣ .



الحالة التي أصبحت عليها الدولة العثمانية بعد معركة أنقرة وظهور الدولة التيمورية واستقلال بكوات الأناضول (٨٠٥ هـ) .

عن كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية : تأليف محمد فريد بك ، ص ١٤٥

ز - نتائج وآثار معركة أنقرة :

تعتبر هزيمة العثمانيين في معركة أنقرة من أكبر الكوارث التي أخرت توسع العثمانيين واستمرار ذلك فترة من الزمن ، وقد أثرت هذه الهزيمة القاسية على القوة العسكرية للعثمانيين تأثيرا قويا لفترة زمنية طويلة •

ويذكر Gibbons أن معركة أنقرة من المعارك الفاصلة في تاريخ العثمانيين وانها كانت الهزيمة القاسية الوحيدة لهم في القرون الثلاثة الأولى من تاريخهم ، والمرة الوحيدة التي يؤسر فيها ملك من البيت العثماني ولكن لايمكن وضعها ضمن الصراعات والحروب البارزة التي غيرت مجرى التاريخ لأنها لم تؤثر في أقدار الأمة التي كسبت أو الأمة التي خسرت • فلم تكن مشابهة لكوزوفا "كوسوفا " ونيكوبوليس •(١)

ولم يعتبر أبناء بايزيد من هزيمتهم الكبيرة في أنقرة ، ويحاولوا لم شملهم لمعاودة الكرة مرة أخرى ومحاربة تيمورلنك ، بل راح كل منهم يطالب بالحكم والسلطة لنفسه فنشبت المنازعات والحروب بين الأخوان •(٢)

والواقع أن تيمورلنك بحنكته السياسية تمكن من اخضاع المتنازعين لنفوذه وسيطرته ، ثم راح يزيد في حرارة النزاع بينهم بأن منح كلا منهم جزءا من أراضي الدولة العثمانية ، وتمكن من تحقيق أهدافه في تمزيق دولتهم •(٣)

ولم يتوقف تيمورلنك بعد انتصاره في أنقرة بل استمر في زحفه وتوسعه داخل آسيا الصغرى فراح يرسل فرقه العسكرية نحو الغرب والجنوب وتمكنت من الاستيلاء على بورسة وقونية وآيدين وآقشهر وقرة حصار وغيرها من المدن والأطراف الأخرى •(٤)

---

(١) The Foundation of the Empire, P. 254 .

(٢) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٤٧ - ١٤٨ •
عبدالعزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ٣٨ - ٣٩ •
يلماز اوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٢ - ١١٦ •

(٣) Sami : Op. Cit. P. 451 .

(٤) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٦٢/٢ ، ٤٦٣ ، ٤٧٨ •
منجم باشي : صحائف الأخبار ، ص ١٤٨ •
Chirol : Op. Cit. P. 29 - 30 .
Grousset : Op. Cit. P. 451 .

ويصف بعض المؤرخين مدى ماعانته تلك المدن من قسوة معاملة الجند التيموري وهمجيتهم ، فعندما استولى جنده على بورسة أخذوا كل ماهو موجود في خزينتها من ذهب وفضة ومجوهرات ، وبعد نهبها تم اشعال النار بها (١) ، ولم تسلم المدن الأخرى من القتل والتدمير ، ولم يخلص من شرهم من رعايا العثمانيين الثلث ولا الربع من شدة ماحل بهم (٢) ٠

وحرص تيمورلنك على عدم استعادة العثمانيين لنشاطهم وقوتهم مرة أخرى فأصدر أوامره باعادة الامارات التي كان بايزيد قد استولى عليها قبل عشر سنوات في آسيا الصغرى الى حكامها السابقين (٣) ٠

لذلك أعاد ولدى السلطان علاء الدين محمدا وعليا (٤) الى حكم بلادهما والزم كل واحد منهما باقامة الخطبة وضرب السكة باسمه وباسم السلطان محمود خان ، وثبت طهرتن في حكم آرزنجان ، والأمير يعقوب علي شاه على كرميان والأمير مبارز الدين اسفنديار على سينوب وتوابعها (٥) وكذلك فعل مع أمراء منتشا وقسطمونية (٦) ٠

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٤٧/٢ ٠
منجم باشا : صحائف الأخبار ، ص ط .
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٠٤ .
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 316 .

(٢) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٠٩ ٠
القرماني : أخبار الدول ، ص ٢٩١ ٠

(٣) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٠٦
Grousset : Op. Cit. P. 452 .
Fisher : Op. Cit. P. 181 .

(٤) كان بايزيد قبل ذلك قد نجح في الإستيلاء على ممالك قرمان وقتل متوليها السلطان علاء الدين بعد أن حاصره وقبض عليه ونقل الى حبس بروسة ولديه محمدا وعليا ، فلم يزل عنده في ضيق حتى أفرج عنهما تيمورلنك وأعادهما الى بلادهما ٠

انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٠٦ ٠

(٥) ابن عربشاه : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ ٠
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٦٨/١٢ ٠

(٦) Dr. Hakki : Op. Cit. P. 316 - 317 .
Gibbons : Op. Cit. P. 259 .

وبهذه الصورة نجح تيمورلنك في تجزئة الدولة العثمانية الى امارات صغيرة •

وفضلا عما سببته هزيمة العثمانيين من ضعف للامارات التركية وغيرها من القلاع المسيحية في آسيا الصغرى والتي كانت تحت السيطرة العثمانية •

فان هزيمة بايزيد أمام تيمورلنك وأسره كانت مخجلة حتى أن البعض ذكر انه لو تأخرت حرب نيكوبوليس ٧٩٩هـ - ١٣٩٦م لمدة ست سنوات حتى واقعة أنقرة سنة ٨٠٤ - ٨٠٥هـ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣م لتحطمت قوة العثمانيين الى الأبد ، وربما تحقق حلم اتحاد الغرب بالشرق الأقصى ضد السلطنة المملوكية ولأمكن استعادة الصليبيين للأراضي المقدسة (١) •

ولاشك في أن انتصار تيمورلنك على العثمانيين كان له أكبر الأثر والمردود الطيب على الأمبراطورية البيزنطية وجعلها تتنفس الصعداء لفترة من الزمن ، وقد كان بايزيد على وشك الاستيلاء على القسطنطينية وتحطيم الامبراطورية البيزنطية الا أنها نجت من ذلك عندما زحف تيمورلنك بقواته الكبيرة الى آسيا الصغرى لمحاربة العثمانيين فاضطر بايزيد الى التوجه لمواجهة تيمورلنك أولا ثم العودة للاستيلاء على القسطنطينية لكن هزيمته من تيمورلنك أخر سقوطها لأكثر من خمسين عاما حتى تمكن محمد الفاتح (٢) من الاستيلاء عليها سنة ٨٥٧هـ - ١٤٥٣م •

وكان لانتصار تيمورلنك في أنقرة أثر كبير في رفع مكانته وسطوته في أوربا التي فشلت خلال السنوات السابقة في هزيمة العثمانيين ومنعهم من التوسع داخل أراضيها ، لذلك استقبل حكام أوربا نبأ هزيمة بايزيد بالفرح والسرور ، وحرص كل واحد منهم على اقامة علاقات طيبة مع تيمورلنك ، واعتقدوا أنه سوف يخلق العثمانيين في آسيا الصغرى فأرسل اليه ملك انجلترا

---

(١) Atiya, A.S : The Grousade in the Later Middle Ages, London, 1938. P. 22 •
د• حكيم عبدالسيد : قيام دولة المماليك الثانية ، ص ١٤٨ •

(٢) محمد الفاتح : ولد في ٢٦ رجب سنة ٨٣٣هـ - ١٤٢٩م وهو سابع سلاطين سلالة العثمانيين ، وتولى الحكم سنة ٨٥٥هـ - ١٤٥١م وتوفى سنة ٨٨٦هـ - ١٤٨١م•
انظر : محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٦٠ - ١٧٦•

هنري الرابع يهنئه بانتصاره الكبير على العثمانيين (١) ، ويعرض عليه أن يتحول من الاسلام الى المسيحية ليكون زعيما للعالم المسيحي (٢) •

وأسرع مانويل باليوجس Manuel Palaeologos الى وطنه عائدا من أوربا عندما علم بأنباء هزيمة بايزيد وقام بطرد العثمانيين المتواجدين في القسطنطينية وبعث الى تيمورلنك سفارة تعرض الاعتراف بسلطانه ، ومعبرة عن استعداده لدفع الجزية التي كانت تدفع لبايزيد (٣) •

كذلك أرسل اليه ملك فرنسا شارل السادس يهنئه بهذا النصر (٤) •

وأرسل ملك أسبانيا هنري الثالث رسل الى تيمورلنك ليخبروه عن رغبة ملكهم في اقامة علاقات طيبة معه وقد أحسن تيمورلنك استقبال الرسل وأعادهم محملين بمختلف الهدايا القيمة (٥) •

كما أن انتصار تيمورلنك على العثمانيين في أنقرة لم يصرف نظره عن التوسع ومحاربة المراكز الصليبية الأخرى ، فأصدر أوامره بالهجوم على سميرنا [آزمير] وكانت خاضعة للصليبيين • وقد نصح تيمورلنك حاكمها [غليوم دي منتى] باعتناق الاسلام أو دفع الجزية أو يتعرض الصليبيون للافناء فرفضوا مطلبه ، فقام التيموريون بمحاصرة المدينة التى لم تلبث أن سقطت بعد أسبوعين عقب مذبحة جماعية قتل فيها أعداد كبيرة من أهلها الكفار ، ولم ينج الا مجموعة قليلة منهم ، استطاعوا الهرب الى أوربا (٦) ، وكان

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٦٢/٢ •
Sykes : Op. Cit. P. 130 .

(٢) Sykes : Op. Cit. P. 130 .
Dr. Hakki : Op. Cit. PP. 314 - 315 .
Gibbons : Op. Cit. P. 259 .

(٣) Gibbons : Op. Cit. P. 259 .
Dr. Hakki : Op. Cit. P. 318 .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢١٦ •

(٤) Dr. Hakki : Op. Cit. P. 315 .

(٥) د• حكيم عبدالسيد : قيام الدولة المملوكية الثانية ، ص ١٤٤•
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢١٧ •
محمد بيهم : فلسفة التاريخ العثماني ، ص ١٨٧ •

(٦) Price : Op. Cit. P. 405 .

العثمانيون قد عجزوا عن الاستيلاء عليها ، الأمر الذي جعل المؤرخين الفرس يفتخرون بهذا النصر الذي أفاد تيمورلنك في تبريره للمسلمين الذين يتهمونه بتوجيه ضربة قاصمة للاسلام ، بتدميره للعثمانيين عن سابق تصميم واصرار الا أن غزوه لآزمير والمذبحه التي تلتها حولت حملته على أنقرة بعد تلك الأحداث الى حرب مقدسة ضد الصليبيين فاستبشروا خيرا بهذا العمل (١) •

وأخيرا نستطيع أن نقول أن تيمورلنك نجح في تحقيق نصر كبير على العثمانيين وتحقق له ماكان يرمي اليه من السيطرة على العالم الاسلامي ليكون الحاكم الأوحد فيه ، وتمكن من تمزيق وحدة العثمانيين وأدى ذلك الى تأثر أوضاع البلاد في مختلف الجوانب العسكرية والاقتصادية والاجتماعية ، ومما زاد الطين بلة تفاقم النزاع بين أبناء بايزيد الذي استمر أكثر من عشر سنوات (٨٠٥ - ٨١٦هـ - ١٤٠٢ - ١٤١٣م) • وذلك عندما نجح محمد جلبى في اعادة السيطرة على زمام الأمور وقضائه على الثورات الداخلية ، ومهد الطريق لنمو قوة العثمانيين من جديد على يد ابنه مراد الثاني ٨٢٤ - ٨٥٥هـ - ١٤٢١-١٤٥١م وحفيده محمد الفاتح سنة ٨٥٥ - ٨٨٦هـ - ١٤٥١ - ١٤٨١م •

---

(١) Sami : Op. Cit. P. 318 .
خواندامير : حبيب السير ، ٦٨/٣/٣ •
رضا باروكى : تاريخ ايران ، ٢١٦ •
Grousset : Op. Cit. PP. 318 - 319 .

الباب الثالث
تيمورلنك .. ماله ، وماعليه

وفيه فصول ثلاثة

الفصل الأول

عقيدة تيمورلنك ومذهبه واختلاف المؤرخين حولهما .

الفصل الثاني

موقف المؤرخين من أعمال تيمورلنك .

الفصل الثالث

حديث الشعر عن تيمورلنك .

عقيدة تيمورلنك :

تضاربت آراء المؤرخين حول عقيدة تيمورلنك ، هل هو مسلم حقا كما يدعي مؤرخوه الفرس ؟ أم أنه كان على دين غير الاسلام كما يراه بعض علماء المسلمين ؟ أو أنه كان يتظاهر بالاسلام كما تذكر المصادر والمراجع الأوربية؟

وكما أختلف المؤرخون في أمر اسلامه ، اختلفوا في أمر مذهبه ، أكان سنيا أم شيعيا ؟ .

وللوصول الى معرفة ذلك ، سوف نذكر أهم الآراء التي جاءت في هذا الصدد لنقرر حقيقة أمره

أ - : رأى المؤرخين الفرس والمغول .

تذكر المصادر الفارسية أن تيمورلنك كان يذكر في كل مكان ومناسبة أنه مسلم مؤمن تقي ، وأنه يحرص على أداء الواجبات الدينية ، ويسعى الى نشر الاسلام وتدعيمه في بلاده (١) .

ويؤكد مؤرخ تيمورلنك شرف الدين اليزدي : حسن اسلام تيمورلنك وتقربه الى الله عز وجل ، وأنه عندما استعد لمحاربة بايزيد في وقعة أنقرة تضرع الى الله عز وجل يطلب منه العون والمساعدة ، وأنه أدى الصلاة ودعا الله أن يمده بالنصر المبين (٢) .

ويضيف اليزدي في مكان آخر أن تيمورلنك أمر حفيده محمد سلطان بأن يتوجه الى مضيق الكردستان للقضاء على قطاع الطرق الذين يتعرضون للمسلمين بالأذى والسرقة ، ثم انتقل تيمورلنك الى [أق بلاق] وقضى

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ١٩٥/٢ ، ٣٧٢ .
Sami : Zafer Name . P . 303 , 304 .
خواندامير : حبيب السير ، ٤/٣/٣ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢٢٢

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٤٢٩/١ .

بها شهر رمضان مؤديا فريضة الصوم ، كما أنه أدى في فرة شوال صلاة العيد وماينبغى في ذلك اليوم المبارك من تقديم الصدقات والهبات للفقراء (١) .

ثم بعث تيمورلنك رسالة الى حاكم استراباذ يؤنبه فيها قائلا : [[ان ولاتك على مذهب سيء ، وليس لديهم أي مسجد ، ولايحرصون على اقامة الجمعة وصلاة الجماعة مطلقا ، وأنهم لايقيمون الفرائض والسنن ، واذا خرج شخص يؤذن للصلاة يلحقون به الأذى ! وا أسفاه على لقب الرئاسة الذي نلته]] (٢) .

ويدعم Nizam uddin Sami الرأي السابق فيقول : ان تيمورلنك كان يحرص على التقرب الى الله عز وجل طالبا منه العون والمساعدة في تصريف أموره ، وكان تيمورلنك يتوسل الى الله قائلا : [[الهى مهما قمت بفتح ونصر حتى الآن فقد حدث كل ذلك بمساعدة قضائك وقدرك ، والا ماذا كان سيحدث من يد عاجز مثلي ؟ والآن فأنا أرجو كرمك مرة أخرى ، وأتمنى المساعدة والنصر من لطفك ، يارب خذ بيد عبدك المريض هذا ، واذا لم تأخذ بيدى فان ذلك سوف يكون يوم هلاكى]] (٣) .

وكان تيمورلنك يعطف على رجال الدين وينعم عليهم بالهبات والاقطاعات ، لأنهم من حملة القرآن الكريم (٤) ، كما أن تيمورلنك كان يحرص على تشييد المساجد والمدارس في كل من سمرقند وأصفهان وتبريز (٥) .

أما علماء دولة تيمورلنك فقد كانوا يرون أن تيمورلنك يختلف من سائر حكام عصره ، وذلك لأنه ثبت دعائم الاسلام وهو الحاكم الوحيد الجدير بالحكم والسلطة (٦) .

---

(١) اليردي : ظفرنامه ، ٦٢٨/١ .
(٢) اليردي : ظفرنامه ، ٥٧١/١ ، ٥٧٢ .
(٣) Zafer Name : P . 303 , 304 .
(٤) خواندامير: حبيب السير ، ٤/٣/٣ .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢٢٢ .
(٥) عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ترجمة د/ محمد علاء الدين منصور ، ص ٦٢٥ .
(٦) اليردى : ظفرنامه ، ٢٠٩/١ .

وتختلف نظرة المؤرخ عزيز أردشير الاستراباذي عمن سبقه من مؤرخي الفرس ، حيث يذكر [[أن تيمورلنك كان يخالف منهاج الشرع والملة الاسلامية ، وينسلخ من شعار الأمانة والديانة ، ويحرص على هتك الأستار وقتل الأحرار ، وأنه كان مدعيا للاسلام وأن تصرفاته وأفعاله تؤكد ذلك ، فعندما عاهد تيمورلنك أهالي مدينة آمد (١) وضع يديه على القرآن الكريم ، وأقسم بقوارع آياته وزواجر محكماته ألا يضرهم ولايسلك معهم سوى طريق الرحمة والشفقة ، وأن القرآن الكريم يشهد على كلامه وهو القاضي بينه وبينهم ، وأنهم اذا دخلوا في طاعته وسلموا المدينة له ، سوف يعفون من عقاب جنده ، وتعهد لهم أنه لو أصابهم ضرر منه أو من أتباعه يكون قد أشرك بالله وبرسوله محمد عليه الصلاة والسلام . والواقع أن تيمورلنك لم يف بوعده وقسمه ، بل سلط عليهم كفرة المغول ، وظلمة الجغتائيين الذين هجموا على هؤلاء الضعفاء من أهل آمد وأسروهم جميعا ، وطالبوهم بمطالب باهظة ، ومصادرات كبيرة من ذهب وفضة ومتاع ، وسحبوا حرائر البيوت ومخدرات القصور ، ودنسوهن بالأفعال الشنيعة والحركات غير المشروعة ، وأسروا الذراري والجواري والغلمان ، وقتلوا مايقرب من عشرة آلاف من المسلمين ! وبهذا العمل أثبت تيمورلنك على نفسه أنه كان كافرا]] (٢) .

أما تيمورلنك فيقول عن نفسه : [[كنت أعود الى القرآن الكريم لآخذ الفأل ، ولأحتكم اليه في كل الأمور التي استقر عليها الرأي والمشورة ، وكنت أعمل وفقا لحكم كتاب الله ، وعندما فتحت المصحف لأحتكم اليه بشأن مقابلة " تغلق تيمور " وجدت سورة يوسف عليه السلام (٣) فعملت وفقا لحكم القرآن

---

(١) هو بلد قديم حصين ركين مبني بالحجارة السود على نهر دجلة ، محيطة بأكثره مستديرة به كالهلال.وينسب الى آمد خلق من أهل العلم في كل فن.
ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٥٦/١ ، ٥٧ .
ابن عبدالحق البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٦/١ .
(٢) الاستراباذي : بزم ورزم ، ص ٤٥٠ - ٤٥٤ .
(٣) أعتقد والله أعلم أن تيمورلنك عندما فتح القرآن وجد هذه الآيات :
[وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين . قال أجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم .
وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولانضيع أجر المحسنين .
سورة يوسف : الآيات ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ .

الكريم]] (١) ٠

ويذكر في مكان آخر : [[وعندما قررت غزو بلاد الهند رجعت الى القرآن لأخذ البشرى منه بشأن الحرب فظهرت لي هذه الآية (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأويهم جهنم وبئس المصير) (٢) حينئذ قررت الخروج الى الهند ، وقرأت الفاتحة طلبا للفتح]] (٣) ٠

ب - رأى المؤرخين العرب ٠

أما المصادر العربية فقد ذكرت أن تيمورلنك كان معتقدا لأحكام الالياسة (٤) أو [اليساق] ٠ وهي قواعد كفروع الفقه في الملة الاسلامية وأن تيمورلنك كان يعتمد على تطبيق تلك القواعد في تصريف دولته دون اتباع أحكام الشريعة الاسلامية وقد دفع ذلك بعض العلماء المسلمين الى اصدار فتوى (٥) تنص على تكفير تيمورلنك وكل من يتبع قواعد الالياسة أو [اليساق] ويفضلها ويقدمها على الشريعة الاسلامية (٦) ٠

ويذكر الشوكاني : [[ان تيمورلنك كان يتظاهر بالاسلام وشعائره على الرغم من أنه أفنى العالم الاسلامي بدون سبب]] (٧) ٠

ويصرح ابن عربشاه بكفر تيمورلنك وجنده فيقول : [[فهجمت أولئك الكفرة الفجرة على ذلك أشد الهجوم وانقضوا على الناس بالتعذيب والتثريب والتخريب انقضاض النجوم ، واهتزوا وربوا ، وفتكوا وسبوا ، وصالوا على المسلمين وأهل الذمم ، صولة الذئاب الضواري على ضواني الغنم ، وفعلوا مالايليق فعله]] (٨) ٠

---

(١) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ١٨
(٢) سورة التحريم ، آية ٩ ٠
(٣) تيمور : تزوكات تيمور ، ص ١٣٢ ٠
(٤) انظر عن أحكام الالياسة أو اليساق :
د٠ فؤاد عبدالمعطي الصياد : المغول في التاريخ ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة : ١٩٦٠م ، ص ٣٣٨ - ٣٥٠ ٠
د٠ السيد الباز العريني : المغول ، دار النهضة العربية ، بيروت : ١٩٨١م ، ص ٥٩ - ٦٢ ٠
(٥) كان من بين أولئك العلماء :
حافظ الدين محمد البزازي ٠ له كتاب مشهور من الفتاوى ، أشتهر بالفتاوى البزازية ، وله كتاب في مناقب الامام ، توفى سنة ٨٢٧هـ ٠
انظر : ابن العماد : شذرات الذهب ، ١٨٣/٧ ٠
علاء الدين محمد : لم أعثر على ترجمة له في المصادر التي بين يدي ٠
(٦) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر بأنباء العمر ، ٣٠٣/٢ ٠
ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٣١٩ ٠
ابن تغرى بردى : المنهل الصافي ، ١٣٣/٤ ٠
ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٦٦/٧ ٠
(٧) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ١٧٩/١
(٨) عجائب المقدور ، ص ١٧٠ ٠

كما أن ابن تغري بردي لم يذكر اسمه الا مقرونا بلعنه الله (١) .

وأخيرا نستطيع أن نقول أن معظم كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لتيمورلنك قد كفروه تكفيرا صريحا ، وكانوا يشيرون أنه كان كافرا مدعيا للاسلام ونؤيد قول العلماء الذين وصفوه بالكفر بناء على ماجاء في القرآن الكريم من آيات كثيرات ، بأن من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون ، الظالمون ، الفاسقون .

كما يحق لنا أن نصفه بالكفر بناء على مايلي :

١ - عدم تحكيم الشريعة وتفضيل قوانين المغول [[الالياسة]] عليها .

٢ - بغضة لبعض الصحابة وسبهم ولعن بعضهم .

٣ - اهدار دماء المسلمين وقتلهم واقامة الاهرامات من رؤوسهم .

٤ - انتهاك أعراض المسلمات .

٥ - هدم المساجد والمدارس واحراقها وتدنيسها بمختلف الفواحش والمفاسد دون أي حياء أو خوف من الله .

٦ - الخيانة والغدر وعدم الوفاء حتى بعد اعطاء المواثيق على كتاب الله .

---

(٩) المنهل الصافي ، ١٣١/٤ .
وانظر : القرماني : اخبار الدول وأثار الأول ، ٢٩١ .

ج - : وجهات نظر المستشرقين ٠

أما وجهة النظر الغربية حول عقيدة تيمورلنك فقد اتفق بعض الباحثين الغربيين على أن تيمورلنك كان مسلما بينما يرى البعض الآخر أنه كان متظاهرا بالاسلام ومن هؤلاء المؤرخين الذين تحدثوا من اسلام تيمورلنك ٠

يرى " Sir John Malcolm " [[أن تيمورلنك كان شديد التمسك بالشريعة الاسلامية ، وأنه ملتزم بأداء واجباته المقدسة]] (١) ٠

أما " David Price " فيقول ان تيمورلنك كان يحرص على أداء الصلوات وكان دائما يطلب من الله أن ينصره على أعدائه كما أن تيمورلنك أظهر اهتماما كبيرا بالأماكن المقدسة وحرص على عدم الحاق الضرر بها (٢) ٠

ويضيف " Prawdin " [[أن تيمورلنك كان متعصبا للاسلام وأظهر تحمسا كبيرا لخدمة الاسلام]] (٣) ٠

أما البعض الآخر فقد شكك في عقيدة تيمورلنك نظرا لما قام به من أعمال أساءت للاسلام ٠ فهم يرون قلة ايمان تيمورلنك ، وأنه كان يتظاهر بالاسلام من أجل تحقيق مآربه وأهدافه السياسية والتوسعية٠

فيذكر دي ميجنانللى [[أن ايمان تيمورلنك بمحمد (عليه الصلاة والسلام) أقل من ايمان دى ميجنانللى به]] (٤) ٠

في حين يذكر " Grousset " [[أن تيمورلنك كان يرتكب أقسى الجرائم باسم الاسلام ، على الرغم من أنه كان مدعيا للاسلام (٥) ٠

وأخيرا يذكر " Otakar " أن تيمورلنك لم يكن متعمقا في اسلامه لأن حملاته الأخيرة اتصفت ضد المسلمين بالقسوة والتدمير فهو أيضا متظاهر بالاسلام]] (٦) ٠

---

(١) Malcolm, J. : History of persia, vol, 1. London. 1815. P.P. 482 - 483 .

(٢) Price, D. Op . Cit . P. 291 .

(٣) Prawdin : The Mongol Empire . P . 438 .

(٤) أحمد عبدالكريم سليمان : تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة ، ٢/٢٤٠

(٥) Grousset : The Empire of the steppes . P . 434 .

(٦) Otakar, K, etal, History of Iranian literature. 1960 . P. 279 .

المبحث الثاني

مذهب تيمورلنك واختلاف المؤرخين حوله

أ - هل كان تيمورلنك شيعيا ؟

ب - القائلون بأنه كان يميل الى أهل السنة .

مذهب تيمورلنك :

أما مذهب تيمورلنك ، فقد اختلف المؤرخون في تحديد مذهبه حيث يرى البعض أنه كان يميل الى التشيع وكان له علاقة جيدة بكل من ينتمي للتشيع لآل البيت • ويرى البعض الآخر أنه كان يميل الى أهل السنة وقد بنى هؤلاء آراءهم على بعض الأفعال التي كانت تصدر عن تيمورلنك نحو هؤلاء وأولئك •

وسوف نحاول في هذا المبحث تتبع هذه الآراء لنصل الى الاجابة على سؤالنا السابق وهو هل كان تيمورلنك سنيا أو شيعيا ؟

أ - هل كان تيمورلنك شيعيا ؟

يذكر بعض المؤرخين أن تيمورلنك كان يستعين بطائفة كبيرة من الشيعة في تصريف أمور دولته وأنه عندما فتح بغداد سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م عين عليها حاكما شيعيا اسمه خواجه مسعود سبزواري (١) •

وتحاول بعض المراجع أن تجعل من تيمورلنك حاميا للشيعة فهم يذكرون ان قواعد الياساق أو الالياسة التي كان يعتمد عليها تيمورلنك في ادارة حكمه كانت تبجل آل البيت ، وترفع من مكانتهم ، وكان تيمورلنك مؤمنا بما جاء فيها من أنظمة وقوانين وتشريعات لذلك انغرس حب آل البيت في قلبه (٢) •

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٦٥٩/١ •
خواندامير : حبيب السير ، ٣٨/٣/٣ •
Otakar, History of Iranian literature. P. 279 .

(٢) المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، طبعة التحرير ، بدون تاريخ ، ٦٢/٣•
Prawdin : The Mongol empire , P. 436 .

ويذكر اليزدى أن تيمورلنك أظهر غضبه في مجمع خاص ضم السادة والعلماء والأمراء وأركان الدولة على بني أمية وذلك لسوء معاملتهم وعدائهم الشديد لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنهم يفعلون كل مايستطيعون فعله من قتل وأسر تجاه تلك الصفوة الطاهرة واجبة التعظيم والتبجيل ، وكان أهل الشام يوافقونهم على تلك الأفعال الذميمة غير اللائقة ، واستغرب من ذلك كيف أن طائفة من أمة محمد تترك جانب أهل البيت وتتحالف مع مخالفيهم ؟ ان حسن العقيدة ، وكمال الاخلاص الذي كان يكنه صاحب القرآن لأهل البيت أشهر من أن يحتاج الى شرح ، بل كيف يمكن شرحه (١) .

ويؤكد Nizam uddin Sami شدة حب تيمورلنك لأهل البيت وكراهيته للأفعال التي كان يقوم بها معاوية بن أبي سفيان وخلفاؤه ضد تلك الصفوة المباركة (٢) .

كان تيمورلنك يعظم السادة والعلماء الذين ينتسبون الى آل بيت رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ويظهر ذلك في تعلقه بالسيد [بركة] الذي كان ينتمي الى أهل البيت وهو من أعاظم وأشراف مكة المكرمة ، وكانت ذاته الشريفه في ذلك العصر غرة جبين سادات وجه الأرض . كما يقول اليزيدي (٣) .

ويذكر " Grousset " أن تيمورلنك كان يتناقش في الأمور والمسائل الدينية مع العلماء وأنه في احدى تلك المناقشات أجبر العلماء

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٢/١٩٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ .
(٢) Zafer Name . P . 282 .
(٣) ظفرنامه ، ١/١٩٤ ، ١٩٥ . وانظر : Price, Op. Cit. P. 350 .

السنيين على القول بأن عليا كرم الله وجهه أفضل الخلفاء الراشدين ، وقد أصاب القلق والاضطراب العلماء عندما سمعوا ذلك (١) .

اختار تيمورلنك رجلا بارزا من سلالة الرسول الكريم ، وأعطى له كل السلطان على المسلمين من تعيين للفقهاء ، وتقرير من سيكون مفتيا في المدن والقرى والقيام بتعيين رؤساء الأسواق وهم رؤساء يحكمون بصحة الموازين (٢) .

حاول خانزاده أبوالمعالي الترمذي القيام بقتل تيمورلنك غدرا الا أن محاولته فشلت ، وعلى الرغم من ذلك عفا تيمورلنك عنه وقال له :[[انى لا أستطيع أن أوذيك لصلتك بآل البيت]] (٣) .

جرت بين تيمورلنك وعلماء الشام بعض المناظرات تبين خلالها حسن ثقافة تيمورلنك ، كما أنه أظهر ميوله الشيعية ، وأعلن كرهه بني أميه لآل البيت ، ورماهم بالكفر والعصيان واتهمهم بأنهم بغاة (٤) .

كان يشاع بين العامة أن تيمورلنك كان كافرا ووحشا كاسرا ، وكان على المذهب الشيعي (٥) ، وقد تظاهر بأن القصد من فتوحاته نشر الاسلام وتعزيز موقف الشيعة (٦) .

قيام تيمورلنك باحراق حارة بني أمية في دمشق لأنهم حاربوا عليا وفعل أفعالا يجازى عليها في الآخرة (٧) .

---

(١) Grousset : The empire of the Steppes. P . 447 .

(٢) Prawdin : The Mongol Empire . P . 436 .

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٣١/١ .

(٤) ابن تغرى بردي : المنهل الصافي ، ١٢٤/٤ .

(٥) الصرفي : دول الاسلام ، ٢٦٥/٢ .
شاهين مكاريوس : تاريخ ايران ، ص ٤٠ .

(٦) محمد جميل بيهم : أول من طمح الى الخلافة من الأعاجم ، مجلة الهلال القاهرة : ١٩٢٤م - ١٣٤٣هـ ، ٩٠/١ .
علي ظريف الاعظمي : مختصر تاريخ بغداد ، بغداد : مطبعة الفرات ، ١٩٢٦م - ١٣٤٤هـ ، ص ١٥٦ .

(٧) الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ١٠٥/٢ .

ب - القائلون بانه كان يميل الى أهل السنة :

أما المصادر والمراجع التي ذكرت أن تيمورلنك كان سنيا فاستشهدوا بما يلى :

- تولية تيمورلنك للشيخ محي الدين بن العز الحنفي قضاء القضاة ، وخطابة الجامع ، ومشيخة الشيوخ ، والأنظار المضافة الى القضاة ، ونظر الجامع حيث كان تيمورلنك لايعظم الا الحنفية (١) •

كان يحكم بلاد كيلان [جيلان] حاكم يدعى [خشيقة] (٢) وعندما تمكن تيمورلنك من ضم تلك البلاد اليه طلب من حاكمها ورجاله اتباع المذهب السني (٣) •

ان بين تيمورلنك وجنكيز خان فرقا شاسعا حيث أن خان المغول الكبير كان مشركا بينما كان تيمورلنك منذ صغره مسلما سنيا (٤) •

حاول تيمورلنك خلال قضائه الشتاء في قفقاسيا اقناع أمرائه بأن يشن حربا نهائية على الدولة العثمانية وكان رأى أمراء تيمورلنك وحتى أولاده وأحفاده أنه لايليق بهم القيام بمحاربة الدولة العثمانية السنية الحنفية المذهب ، والتي تعتبر حامية وحاملة لراية الجهاد الاسلامي لذلك كان مذهب تيمورلنك المذهب السني الحنفي الا أن تأثيرات الثقافة الايرانية كانت كبيرة على امبراطوريته (٥) •

كانت منطقة تركستان وماوراء النهر حنفية المذهب وهي على المذهب السني (٦) •

كان القاضى عبدالجبار بن النعمان الفقيه الحنفي المتوفى عام ٨٠٨هـ،

---

(١) ابن قاضي شهبة : الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، تحقيق حسين عبدالرحيم سليمان ، ٢٢٠/٢ •

(٢) لم أجد ترجمة له في المصادر التي بين يدي •

(٣) اليزدي : ظفرنامه ، ٣٢١/١ •

(٤) A - Ates : Felx Tautr . Prag, Belleten Sayi, 113. P. 49 .

(٥) يلمازأوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٥٦ ، ١١٠

(٦) فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ١٨٨ •

أحد خواص تيمورلنك وقاضيه ، وهو الذي كان يمتحن العلماء ويناظرهم أمام تيمورلنك (١) .

وبعد دراستنا لكل تلك الآراء السابقة حول عقيدة ومذهب تيمورلنك نسجل النتائج التالية :

ويحق لنا ان نكفر تيمورلنك حيث أن الشواهد التاريخية ، وأعماله وأفعاله من قتله للمسلمين وهدمه للمساجد والمدارس والمنازل تثبت دون شك ان تيمورلنك خرج عن دائرة الاسلام ، فهو كافر لامحالة لأنه لم يكن يعرف من الدين الا روحه ، ولايمكن أن تحدث أعماله الوحشية من مسلم صحيح الاسلام .

لم يكن تيمورلنك صادقا في ربط حروبه بالجهاد المقدس حيث ان حروبه انصبت على العالم الاسلامي بصورة أشمل وأوسع من حروبه وغاراته على الشعوب غير المسلمة ، فلو كان تيمورلنك صادقا في ادعائه الجهاد المقدس لما فعل بالعالم الاسلامي مافعله من تخريب وتدمير .

ان ما ارتكبه جنود تيمورلنك من تدمير وتخريب في حملاتهم الهمجية على العالم الاسلامي كان بدون علم تيمورلنك كما يدعى مؤرخوه وهذا غير صحيح حيث أن تيمورلنك كان على علم بكل الأمور والتحركات التي كان يفعلها جنوده ، وأنه كان يسيطر على جيشه ومن حوله ، ولايسمح بأي تجاوزات دون علمه .

انه على الرغم من الشواهد السابقة وانقسام المؤرخين في نظرتهم الى تيمورلنك من حيث المذهب : هل هو سني أم شيعي ؟ فاننا نرى أن أفعال تيمورلنك ومعاملته تجاة أهل السنة ومناقشته مع علماء الشام وسبه للصحابة ولعنهم ، يجعلنا نستبعد أن يكون على المذهب السني .

واثبتت الدراسة ميله الى التشيع ويمكننا أن نقول أنه في أحسن حالاته كان رافضيا بسبب ماكان يصدر منه ومايصرح به من لعن الصحابة رضوان الله عليهم ومن اظهار الميل الشديد الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبنائه وأحفاده ، كما أننا نرى أن تيمورلنك كان يحرص على ألايقف في طريقه أي عائق لتحقيق مآربه .

---

(١) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ، ص ٣٦٩ .

الفصل الثاني

موقف المؤرخين من أعمال تيمورلنك

موقف المؤرخين من أعمال تيمورلنك :

نخلص من مجمل ماذكرناه في الفصول السابقة الى أن تيمورلنك استطاع أن يقيم امبراطورية مترامية الأطراف ، ولكنه لم يشيد دولة ثابتة الأركان ، راسخة الدعائم تبقى من بعده تحمل اسم مؤسسها ، ويتوارث أبناؤه وأحفاده عرشها ، ويجنون ثمار ماصنع تيمورلنك على امتداد سنى عمره ، ذلك الذي قضاه كله أو جله في ميادين القتال وساحات النزال .

ومرجع ذلك الى أن تيمورلنك لم يكن الرجل المدني الذي يعرف طبيعة الدولة ، ولكنه كان بدويا انعكست بداوته في جميع تصرفاته وأعماله ، فلم يألف بيئة معينة يستقر فيها ولكنه كان [[رحالة]] وكان محاربا جوابا ، يتنقل بين الآفاق بحد سيفه من موقعة الى أخرى ، لايكاد ينتهي من حرب الا ليتهيأ ويعد عدته لحرب تالية وهكذا .

ولما كان تيمورلنك رجلا عدوانيا بطبعه فقد كان يهمه أن يذكر اسمه في التاريخ ولكن بين الناس بما يوقع الرهبة منه في النفوس أن يقال له [[صاحب قران الأقاليم السبعة وقهرمان الماء والطين قاهر الملوك والسلاطين]] (١) .

ولم يكن من طبعه الاستقرار فقد كان حسبه أن يذكر في كل مكان بما يعلى من شأنه قدرا ، أو ينشر في النفس فزعا منه ، حتى لنرى مؤرخا مثل Nizam uddin Sami تخدعه هذه الأمور فيثنى الثناء الجم عليه ، ويتغنى بكرمه وعدله واحسانه ، وبأنه كان يتفقد أحوال الرعية ويتخذ كافة التدابير من أجل اعادة حقوق المظلومين ، وأنه أظهر احتراما تجاه السادة ، وخلع الخلع على الأمراء ، وأحسن الى العلماء وأبهج الفقراء بكرمه وعدله (٢) .

وهذا رأى يدحضه الشوكاني حتى لينعته بالطاغية الذي أهلك من البلاد والعباد زيادة على ما أهلكه جنكيزخان ! وقد كان هو المباشر لكل فتوحاته ، المدبر لجميع معاركه ، وكان من أعاجيب الزمن في حركاته وسكناته (٣) .

---

(١) ابن تغرى بردي : المنهل الصافي ، ١٣٢/٤ .
(٢) Zafer Name . P. 203 .
(٣) البدر الطالع ، ١٧٨/١ - ١٧٩ .

والا كيف نفسر قول المؤرخ المعاصر له (الاسترابادى) عندما وصفه [[بالبعد عن منهاج الشرع ، والانسلاخ عن شعار الصدق والأمانة ، والانهماك في هتك الاستار وقتل الأحرار وقساوة القلب وضراوة الطبع وغلظة النفس وخشونة الجانب واراقة الدماء واباحة الزنا والنهب والقهر وسائر القبائح والفضائح]] (١) •

ويصف المؤرخان العربيان ابن عربشاه وابن حجر العسقلاني ما ارتكبه تيمورلنك في خراسان من قتل وسفك وتدمير بالفظاعة حيث أمر بالقتل العام للأهالي دون تفريق بين شيخ أو طفل وأقام من رؤوس هؤلاء المنارات والقباب ثم أمر باحراق المزارع ودمرت مدينة سجستان تدميرا شاملا حتى غدت أطلالا خاوية على عروشها لم يبق فيها شجر ولامدر (٢) •

ويوافقهما في هذا الرأى مؤرخ معاصر هو بدرالدين العيني الذي يفزع مما ارتكبه تيمورلنك من مظالم في تبريز وأعمال لاتعملها عسكر الفرنج لو غلبوا على مدينة من مدن المسلمين (٣) •

ويصور لنا الاسترابادى كيفية دخول تيمورلنك ايران ومافعله في بغداد من أفعال لايفعلها الكفرة فيقول : [[دخل تيمورلنك ايران مع جيش جرار ، وأتى صوب همذان قاصدا دار الخلافة بغداد بعد ماخرب ودمر فارس وكرمان وخوزستان ومازندران واصفهان وحرق وخرب تلك الديار ، وفي ٢٠ شوال سنة ٧٩٥هـ حل القضاء السماوي والبلاء الفجائي على بغداد ونزل شياطين الجغتائيين في دار السلام ، ووضعوا أيديهم على أموال ودماء كافة المسلمين فجعلوا كل ماوجدوه أسيرا للأذى والضرر ، وهتكوا أعراض الفتيات ، وكانوا يحطمون ويكسرون قناديل المساجد ومحاربها ومنابرها ، وجعلوا المدارس مرابط للخيل وكانوا يعزفون الألحان فيها دون خوف أو حياء من الله عز وجل]] (٤) •

---

(١) بزم ورزم : ص ٤٥٠ •
(٢) انظر : عجائب المقدور ، ص ٢٥ •
انباء الغمر ، ٢٠/١
(٣) انظر : عقد الجمان ، ص ٨٤ .
(٤) الاسترابادي : بزم ورزم ، ص ١٩ •

ويتناول ابن تغرى بردى ماحدث في حلب من قتل وسفك دماء واستباحة للحرم ، وهدم ونهب واحراق فيقول : [[تركها خاوية على عروشها ، خالية من سكانها وأنيسها ، قد خربت وتعطلت من الأذان والصلوات وأصبحت خرابا يبابا ، مظلمة بالحريق موحشة قفرا]] (١) •

أما المقريزى فيصف دخول عسكر تيمورلنك مدينة حلب [[واقتحمت عساكر تيمورلنك المدينة وأشعلوا بها النيران وجالوا بها ينهبون ويأسرون ويقتلون واجتمع بالجامع وبقية المساجد نساء البلد ، فمال أصحاب تمر عليهن ، وربطوهن بالحبال ، ووضعوا السيف في الأطفال فقتلوهم بأجمعهم ، وأتت النار على عامة المدينة فاحرقتها]] (٢) • وفي تاريخ ابن قاضي شهبة قاضي حلب مايمكن معه رسم صورة هي القبح بذاته لتيمورلنك فما فعله رجاله في حلب ودمشق من قتل ونهب وتدمير ، واذا قيل أن هذه الفعال كانت من جانب العسكر وأن تيمورلنك على غير معرفة بها فان الناس على دين ملوكهم ، وكان عسكره قد دخلوا المدينة [[فأضرموا فيها النار وعاثوا بها فسادا نهبا وأسرا وسفكا وكان قد التجأ الى الجامع والمساجد الجمع الغفير من النساء المخدرات والكواعب الناهدات فمالوا نحوهم وربطوهم في الحبال فقيدوهم وأسرفوا في قتل الأطفال ، وانتهكت الحرمات حتى صار المسجد الجامع كالمجزرة لكثرة مافيه من القتلى ومثل الخانات في شرب الخمور والزنا بالعفائف ••• وكانوا يطؤون البنت البكر في الجامع بمحرابه بحضرة أبويها ولايحتشمون من الوطئ بحضرة الناس وأنهم لايصلون جمعة ولاجماعة ، ولايعلن عندهم بأذان بمسجد ولاغيره]] (٣) •

وقد كان صدى هذه الأحداث شديد الوقع في نفوس المسلمين حيثما كانوا حتى أن المطوعة كثروا من عربان البحيرة الشرقية وعربان بنى وائل وهموا لمحاربة تيمورلنك (٤) •

---

(١) النجوم الزاهرة ، ٢٢٥/١٢ •
(٢) السلوك ، ١٠٣٣/٣/٣ •
(٣) الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ، تحقيق حسين عبدالرحيم ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ •
(٤) المقريزي : السلوك ، ١٠٥٥/٣/٣ - ١٠٥٦

ان هذه التحركات الشعبية الى جانب الحكومية من بعض الدول كانت ردا طبيعيا على نزعة عدوانية طبع بها تيمورلنك الذي لاتعرف أطماعه حدا تقف عنده سواء أكان هذا الحد يتمثل في قوة حربية مضادة أو دين أو عرف أو أخلاق ولم يكن يدع فرصة ان لم يجدها يخلقها خلقا للتعرف على حركات مجاوريه والتطلع الى مواطن الضعف فيهم ٠

وهذه نزعة منه لو أنه وظفها لخير الممالك التي فتحها لأجدى ذلك نفعا عليه وعليها ولاستطاع أن يترك اسما حوله هالة من المجد ٠

وعلى العكس من ذلك تماما مايقوله خواندامير وغيره من مؤرخي الفرس من اهتمام تيمورلنك بتعمير المدارس والخانقات والجسور والمساجد ووقفه من ماله الخاص القرى المعمورة للخير والبر (١) ٠

أما اليزدي فقد تمادى في مدح تيمورلنك ، ورفع شأنه الى مرتبة تكاد تكون الهية ، فقال : [[انه مظهر للعطف الالهى اللامتناهي ، ومكنون ضميره المستنير فعل وعمل الخير والاحسان]] ثم يحاول أن يبرر جرائمه فيقول : [[ان القهر والقتل في مبدأ أحواله كان ضروريا ولازما لتسخير العالم لمشيئته]] (٢) ٠

وفي مقابل هذه المبالغات يراه ابن عربشاه طاغية : [[من أعجب القضايا بل من أعظم البلايا ، الفتنة التي يحار فيها اللبيب ، ويدهش في دجى حندسها الفطن الأريب ويسفه فيها الحليم ، ويذل فيها العزيز ، ويهان الكريم ، قضية تيمورلنك رأس الفساق ، الأعرج الدجال الذي أقام الفتنة شرقا وغربا على ساق أقبلت الدنيا عليه فتولى وسعى في الأرض فأفسد فيها وأهلك الحرث والنسل ، وتيمم حين عممته النجاسة الحكمية صعيد الأرض ، فغسل بسيف الطغيان كل أغر محجل فتحققت نجاسته بهذا الغسل]] (٣) ٠

وقد يختلف الناس حول احدى الشخصيات وقد يتفقون ولكن الفارق بين اتفاقهم واختلافهم يكون محدودا ٠

---

(١) انظر : حبيب السير ، ٥/٣/٣ ٠
(٢) ظفرنامه : ١٥/١ ٠
(٣) عجائب المقدور ، تحقيق الدكتور علي محمد عمر ، ص ٢ ٠

لقد أحصى أنصار تيمورلنك والذين يريدون أن يظهروه في صورة منيرة ، أنه قد أتى بأفعال قبيحة شنيعة مستنكرة في العالم الاسلامي الذي ابتلى به فأخذوا يدعون له قائلين : [[يارب امنح هذا السلطان العادل دولة أبدية وعمر سرمديا ، وأعطه أفضل وأطيب مايطلبه منك وأحسن له في العالم الآخر بقدر ماسخرت له هذا العالم]] (١) .

وكانت أخبار وسمعة تيمورلنك الحربية تلقى الرعب والفزع في قلوب الملوك والسلاطين أينما حلت ، لدرجة أنها حجبت عن أبصارهم وبصيرتهم الرؤية السليمة والفكرة الصحيحة ، وليس أدل على ذلك من سقوط حاكم حلب دمرداش في بحر القلق والاضطراب حيث انتهى الى الزعم بأن أمر تيمورلنك هو أمر سماوي وأن مجرد مخالفة تيمورلنك هو الخسارة والندم (٢) .

وبناء على هذا التصور يريدون أن يقولوا للناقمين ان مافعله تيمورلنك لم يكن الا بارادة من الله جل جلاله ، فهو الذي سخر له ذلك ، وماكان الله الا مسخره لأمر يريده (٣) .

ان بعض المؤرخين يحاول أن يفسر أعمال تيمورلنك بأنه كان يصدر فيها عن [[انفعالات نفس منقسمة على ذاتها فهو مصاب بمرض انفصام الشخصية الذي يؤدى الى الازدواجية والتناقض في الفكر والسلوك ، فهو اجتياح وهدم ، ونشاط في العمران ، وهو طاغية يقيم الأبراج من الرؤوس البشرية وكانت حصيلة أعماله اساءة الى الانسانية لاتغتفر (٤) .

---

(١) Sami : Op . Cit . P.P. 203 - 343 .

(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ٢٨٦/٢ ، ٣٠٤

(٣) Kings (R.W). Islamic Attitude To Wards Minorities Through Ages . (N.Y) 1932 PP. 32 - 33 .

(٤) Francis, D. : La lutte Entre Les Grands Religions Du monde, Marceiles, 1938. P. 16 - 17 .

وهناك من يشير الى مقدار مابذله تيمورلنك في أعمال الخير وتعمير المدارس والجسور والمساجد من ماله الخاص (١) .

ويؤكد آخرون من مؤيديه هذا القول ، ان تيمورلنك كان يتصرف في كل الأمور بالعدل والانصاف ، وكان يحرص على أن يسأل عن أحوال الرعية بعد كل حرب يخوضها ، وكان يعاقب الحكام الظلمة ويضع بدلا منهم حكاما عادلين ، وكان يسأل في مجلسه عن العلماء وأحوال الولايات ، ويهتم بشئون الرعية ، وعلى وجه الخصوص الفقراء والضعاف منهم (٢) .

كما أنه في حروبه الطويلة يلزم نفسه بالتقشف الشديد حتى كان يبدو بين جنده مثالا للبساطة والطيبة (٣) .

وقد يحاول البعض أن يبرر مسلكه العدواني فيعزون ماصار اليه تيمورلنك من الافساد الى روح العصر الذي عاش فيه وانه كان عصرا مشتتا في الأهواء والسياسة والعقائد والنحل (٤) .

ان القول بأن تيمورلنك كان يتذرع في شن حروبه بأسباب دينية ينقصه الدقة ، لأن هذا السفاك كان هدفه الأهم من غزو البلاد ، مافيها من خيرات ومايجره فتحها من تمكن سياسي ، وبسط نفوذ مطلق عليها . ولم يأخذ في اعتباره وقت الغزو أو الذبح ، أي دين أو مذهب فقد أغار على دمشق وبغداد وأباح لجنده أن يفعلوا بهما مايشاؤن من قتل وتخريب وتدمير ولم يفرقوا فيه بين سني أو شيعي ، ولم تر بلاد

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٧٩٩/١ .
خواندامير : حبيب السير ، ٥/٣/٣ .

(٢) Sami : Op . Cit . P. 342 .
رضا بازوكى : تاريخ ايران ، ص ٢٢١ .

(٣) انظر : ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٤٠ .

(٤) انظر : عباس العزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين ، ٢٧٠/٢ .

الكرج المسيحية منه ما رأت أصفهان أو هراة المسلمتان ! فأنى لتيمورلنك مراعاته الدين والمذهب في غزوه وسفكه (١) .

ولم يكن اليزدي صادقا في تأكيده بأن الدافع الأول لحروب تيمورلنك يرجع الى رغبته في الغزو والجهاد ضد أعداء الدين ونشر الاسلام في كل مكان (٢) .

على أن مايقرره المؤرخون من عسف تيمورلنك يجعله في نظرهم وهم على حق مخربا مدمرا وطاغية قد انتزعت مشاعر الانسانية من قلبه (٣) .

ويقول البعض ان أولئك الذين يقرنون تيمورلنك بجنكيزخان في صفاته فيقولون عنه أنه كان مجردا متوحشا ظالما مستبدا انما يخطئون في ذلك خطأ مزدوجا ، وذلك أن تيمورلنك كان جنديا آسيويا قديرا استغل انتصاراته على الوضع الذي كان شائعا في عصره وفي بلده ، بل ان ضروب القسوة والدمار التي شنع بها عليه أعداؤه انما كان قد ارتكبها وأمر بها ليثأر لبعض ضرر لحق به وان كان قد تغالى في ذلك بلا جدال . فقد أنزل بأصفهان وشيراز ما أنزل انتقاما لمقتل أحد جنوده غدرا . هذا كما كان على سكان دمشق ، ورثة الأمويين القدماء ، أن يكفروا عن استشهاد أسرة الحسين ، وكانت قصة هذه المأساة قد ملأت تيمورلنك بالسخط والحنق (٤) .

[[ان ما اتسمت به حروبه من اغراق في سفك الدماء قد بعث الرعب في نفوس معاصريه من الأسيويين ، حتى لانملك هنا الا أن ننصف مؤرخه العربي ابن عربشاه بعض الشيء ، برغم اشتهاره بعدائه الشديد للغازي التتري (٥)]]

---

(١) عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، نقله من الفارسية ، الدكتور محمد علاء الدين منصور ، ص ٦٠٧ حاشية رقم (١) .

(٢) انظر : ظفرنامه ، ١٧/١ .

(٣) انظر في ذلك : ابن حجر العسقلاني ، انباء الغمر ، ٢٩٩/٢ .
محمد جميل بيهم : أول من طمح الى الخلافة ، ص ٤٩٢ .
علي ظريف الأعظمي : تاريخ بغداد ، ص ١٥٦ .

(٤) انظر : ارمنيوس فامبري : تاريخ بخارى ، ص ٢٤١ .
أحمد محمود الساداتي : تاريخ الدول الاسلامية ، ص ٢٠٣

(٥) انظر : تاريخ بخارى ، ص ٢٣٦ .

ان روح الظلم والاستبداد وسفك الدماء قد تغلبت على تيمورلنك وسيطرت عليه ، حتى لم تقف نتائج هذه الروح عند حد القتل والتدمير بل تعدتها الى أن دولته قد فقدت عنصرا من عناصر الدولة ونعنى به [[الوزراء]] وقد انتبه لهذا الجانب المؤرخ الفارسي عباس اقبال فأخذ عليه أن استبداده وعدم عنايته بالأمور الادارية لممالكه ، أدى الى عدم ظهور وزراء عظام ، أما من شغلوا في أيام تيمورلنك الوزارة أو الأعمال الديوانية الأخرى فقد كانوا أناسا مجهولين ولم يشاهد منهم أى نوع من الكفاءة في ادارة البلاد وقد أهلك أغلبهم تيمورلنك نتيجة لأقل خلاف كان يصدر منهم (١) •

ان مهمة تيمورلنك كانت منصرفة بالدرجة الأولى الى بسط نفوذه وسيطرته على أنحاء العالم الاسلامي •

لقد كانت جرائمه في الحروب التي شنها وماصحب ذلك من الأحداث المفجعة مؤدية الى تدهور في الانتاج الفكري ويشير الى ذلك جان ربيكا قائلا : [[ان العصر التيموري لايبعث على الرضا من حيث عدم التناسب بين كمية الانتاج الأدبي وكيفية هذا الانتاج فكيف تشفى الجراح التي سببتها ضربات المغول (٢) • لذلك كان خط الأدب والمعارف قليلا في عهده (٣) •

ويضيف رضا باروكى قائلا : انه رغم تعصب تيمورلنك المذهبي الا أنه لم يستفد من لطف الأدب وطراوته بسبب طبيعته البدوية والحربية فلم يجد الشعراء والعلماء من يشجعهم فكسدت سوقهم (٤) •

بينما يقول آخرون أنه كان محاربا من الطراز الأول لكنه مع ذلك كان على خط ودراية بالموضوعات الثقافية ، كما أنه كان كمن سبقه من الغزاة الفاتحين مهتما بالتراث الحضارى والأدبى ، واليه يرجع الفضل في اشاعة

---

(١) عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، نقله عن الفارسية الدكتور/ محمد علاء منصور ص ٦٠٨ •

(٢) جان ربيكا : تاريخ أدبيات ايران ، ترجمة عيسى شهابي ، ص ٦٤٤ •

(٣) هارولدلامب : تيمورلنك ، ص ١٩٤ •

(٤) تاريخ ايران ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ •

الاهتمام الجدى بالحركة العقلية والعلمية في سمرقند وغيرها (١) ·

كان تيمورلنك في قرارة نفسه يرمى الى تكوين امبراطورية مغولية تحمل اسمه عن طريق القوة وفي سبيل ذلك لابأس بقتل الناس وتخريب الممالك ، لكنه لم يضع الأسس الحقيقية الواجب وجودها حتى تقوم هذه الأمبراطورية على أساس صحيح لاعوج فيه ، وكان ظنه بسبب جهله أن وجود هذه الأمبراطورية يستمد أصوله الشرعية من مظاهر دينية من طريق الافتاء المضلل والتحايل على القوانين غير أنه لم يجرؤ أن يخلق قانونا جديدا (٢) ·

وللأستاذ توينبى رأى خاص في قيام امبراطورية تيمورلنك وسقوطها ، [[فهو يرى أولا أن دولة تيمورلنك من دول الانتحار العسكري ومعنى هذا أنها اصطبغت بصبغة واحدة فقط هي الصبغة العسكرية ، ولم تصبغ بالصبغة التنظيمية الادارية ولم تحاول في أية مرحلة من مراحل نموها هضم الأملاك المضافة اليها- فقد كانت هذه الاضافات سريعة وتكوين الامبراطورية نفسه كان سريعا جدا بحيث ان عوامل الهدم فيها سارت جنبا الى جنب مع عوامل البناء - ثم هو يرى أن اتجاه تيمورلنك نحو جنوب غربى آسيا كان اتجاها خاطئا وأن الأجدر به كان الاتجاه والمضي في منطقة الاستبس لنشر الاسلام في روسيا ووسط آسيا ، وان القبائل البدوية المسلمة على حدود هذه المنطقة كانت بالفعل تدفع الاسلام تدريجيا الى هذه المناطق ·

ولكن تيمورلنك بدلا من الاتجاه نحو منطقة الاستبس اتجه اتجاها عكسيا نحو جنوب غرب آسيا وأنزل بهذه المنطقة أو البقعة من العالم الاسلامي من الأضرار ، والخراب ماكانت في غير حاجة اليه ، فقضى على الأوضاع السياسية في هذه البقعة وعطل بالفعل نمو هذه المناطق السياسي لفترة من الزمن وأكثر من ذلك ، فان تقلص امبراطوريته السريع - هو تقلص طبيعي راجع الى طبيعة

---

(١) Yasar, Yucel : Op . Cit . P . 5 .
A. Ates " Felx Tauer . P . 49 .
ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٥٤ ·

(٢) Grousset : The Empire of the steppes. P. 416 .

الامبراطورية الحربية - أدى الى ايجاد نوع من الفراغ السياسي والاجتماعي في جنوب غرب آسيا]] (١) •

وعلى الجانب الآخر من دراسة أحوال تيمورلنك نجد فريقا حاول أن يصوره بصورة طيبة ولكنه في هذه المحاولة ضعيف الحجة حتى لقد خرجت الصورة باهتة الألوان ذلك لأن الشر في جوهره وطابعه وصورته شر خالص ، وهيهات لأية قوة من القوى أن تحيل الأسود الى أبيض واذا نظرنا نظرة عامة الى هؤلاء المادحين لتيمورلنك وجدنا أنهم في الغالب من الشيعة الايرانية أو من المؤرخين الأوربيين فيذكر Pringle Kennedy :]] أما بالنسبة لما هو مدون في الأوراق الفارسية عن نشاطات تيمورلنك الحربية أو سرعته في الحصول على مصادره وقوته في تحمل التعب والارهاق فهى تذكر في المقدمة ، وهذا من الثابت بدون أدنى شك فليس من كان قبله في نشاطه وتحمله يكون قد فعل مثلما فعل تيمورلنك لذا فلا نستطيع أن نضيف شيئا لما جاء من صفاته الأخرى مثل كرمه وعدله وقدرته الادارية الفائقة فالمذابح التي قام بها لاتقارن أبدا بالمذابح التي قام بها جنكيزخان بالنسبة للكثرة ، فقد كان يميل للقبول بالشروط اذا تم استلام الخصم الفورى له (٢) •

كما أن الشيعة رأوا في قيام تيمورلنك وظهوره وقوته ضربات شديدة موجهه لأهل السنة وان كان هو قد وصف في بعض الأحوال بأنه سنى حنفي وهذا مالم يقم الدليل الواضح عليه (٣) ، والا فكيف نفسر اجتياحه لدولة آل عثمان وهي من معاقل المذهب السنى الحنفي ، لذلك نوافق على ماقاله بعض المؤرخين أن تيمورلنك لم يكن يعرف الدين ولا روحه • وهذه النظرة لاشك صائبة الى حد بعيد وتتجلى لنا من أنه حين دخل حلب وجمع العلماء لم يستفد منهم ولكنه تظاهر باكرامهم بل انه سار على نقيض مانصحوه به في كيفية معاملة أهل الشام ، بل

---

(١) نقلا عن : محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٤٥ •
(٢) انظر : History of the Great Moguls . P. 7•

(٣) Doestovesky, V. : The Timuri Dominionon in Western Asia. Trans, By Proof, Robertson Smith. L. O. N. 1935. PP. 18 - 19 .

انه طغى وتجبر ، وزاد في طغيانه وتجبره ، وفتك بالكثيرين وأطاح كثيرا من الرؤوس حتى جعل منها ومن أجسادهم أكواما]] (١) ٠

ان بعض الذين يمدحون تيمورلنك يحاولون أن يبرروا مدحهم له بأنه رعى العدل وأنه تخلص من التعصب المذهبي والتطرف في أمور الدين (٢) ٠

أما المؤرخ الأوربى Sir Percy Sykes فيقول عن تيمورلنك أنه [[كان أكبر فاتح معروف في التاريخ لم يكن فقط مزودا بالشجاعة ولكن أيضا مزودا بالذكاء الخارق والخبرة الكبيرة وكل هذه الصفات جعلت منه قائدا لم يفقه أحد من الرجال ٠ كان محبا للحرب بجميع مخاطرها ، الا أنه كان يعامل أسراه بالكرم والمعاملة الطيبة ، وقد كانت أعماله عظيمة وفي جميع الممالك المفتوحة القديمة والحديثة كانت ترافقه الدماء الحارة ولكن مذابحه الوحشية والقاسية كانت قليلة فهو سلطان غير مقيد ، وانجازاته انجازات رجل متفوق فقد وضع يده في كل اتجاه ، وهو خلال حياته لم يخسر أية حملة حربية]] (٣)٠ ويضيف هارولد لامب [[أنه لعجب حقا مايجده المؤلف في تصويره لهذه المعارك الهائلة من براعة في القيادة وخبرة في فنون القتال وامعانا في السفك والبطش والسلب مما ليس في تاريخ الشعوب من متقدمة ومعاصرة مثيل له ، فلقد تمكن تيمورلنك في أشهر قليلة من اكتساح العالم العربي مع صعوبة المواصلات وبعد الشقة ، واستطاع اقتحام مايقرب من اثنتي عشرة مدينة محصنة وان يضع السيف في مئات الألوف من البشر ثم يعود بعد هذه المعارك ظافرا رابحا غانما]] (٤) ٠

ويذكر أرمنيوس فامبرى قائلا : [[وما كان تيمورلنك ليبلغ درجة غزاة العالم لولا ماكان له من عبقرية عسكرية لاتنكر الى جانب مواهبه الشخصية ٠

---

(١) انظر : ابن الشحنة : روضة المناظر في أخبار الأوائل ، ص ٢١٢ - ٢١٧ ٠
المقريزي : السلوك ، ١٠٤٩/٣/٣ - ١٠٥١ ٠
ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٣٩/١٢ - ٢٤٢ ٠
(٢) عباس اقبال : تاريخ أيران ، ص ٦٣٨ ٠
(٣) History of Persia . PP. 134 - 135 .
(٤) تيمورلنك ، ص ١٣٤ - ١٣٥ ٠

هذا بالاضافة الى ما تهيأ له من جيش ثابت أحسن تدريب أفراده على الطاعة العمياء وقواده على أعلى درجات الكفاية • وكان أكثر الجند الذين ساروا تحت راياته هم أنفسهم الذين كانوا معه أول حياته فخاضوا معه مغامراته الخطرة يوم كانت الأيام تتقلب عليه]] (١) •

ويقول المؤرخ Sir Jhon Malcolm عن تيمورلنك: [[أنه كان معبودا ومحبوبا عند جنوده ، فقد كان لايقيم وزنا لآراء غير العسكريين ، ولم تكن له رسالة غير طلب الشهرة كفاتح عظيم كان يعمد عمدا ودون اكتراث الى احراق مدينة عظيمة وتحويلها الى رماد ، أو الى قتل سكان ولاية بأسرها لمجرد احداث تأثير مخيف يساعد على تمهيد الطريق الى تحقيق أهدافه وطموحاته ، لقد تظاهر بأنه شديد التدين ، واهتم بالأتقياء الذين اعتادوا أن يؤكدوا له رغبة في كسب رضاه أن الله وهب لسيفه المنتصر بلاد الملوك الآخرين ، كان أحد أعظم القادة العسكريين في العالم ، وأحد أسوأ الحكام ، كان مقتدرا وشجاعا وكريما ، لكنه كان طموحا قاسيا ومستبدا]] (٢) •

ويرجع حسين لبيب انتصارات تيمورلنك الى شجاعته وحذقه السياسي فيقول : [[لم يكن الفضل فيما أصاب تيمورلنك من النجاح لشجاعته الذاتية وحذقة الحربي الذي لايختلف فيه اثنان بل كان الفضل فيه أيضا لحذقه السياسي والاداري وان مجموعة قوانينه التى سنها لنظام الجيش وتقرير العدالة وترتيب الشئون المالية تدل على اتساع ودقة ملاحظاته مع رجاحة عقله ورشيد استنتاجاته ، وكان أعظم مايعتمد عليه في الحكومة والسياسة الخارجية تقارير رسله ومندوبيه الذين كان يرسلهم الى كل مكان لابسين ملابس الحجاج أو الدراويش وكان يأتيه جواسيسه بأخبار أعدائه وحالتهم من القوة والضعف أيام السلم والحرب ، وكان يأمر بتدوين الكتب والرسائل والتقارير الخاصة بأحوال بلاده وأحوال غيرها لمراجعتها عند اللزوم]] (٣) •

(١) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ •

(٢) History of Persia. PP. 482 - 483 .

(٣) تاريخ الأتراك العثمانيين ، ص ٣٧ •

وكان للمؤرخ الكبير ابن خلدون رأي في تيمورلنك وجيشه فعند مقابلته لتيمورلنك قال له : [[انك سلطان العالم ، وملك الدنيا وما أعتقد أنه ظهر في الخليقة منذ آدم لهذا العهد ملك مثلك ولست ممن يقول في الأمور بالجزاف فانى من أهل العلم]] (١) • ثم يقول في صفحات أخرى عن جيشه : [[والقوم في عدد لايسعه الاحصاء ان قدرت ألف ألف فغير كثير ولاتقول أنقص وان خيموا في الأرض ملأوا الساح ،وان سارت كتائبهم في الأرض العريضة ضاق بهم الفضاء ، وهم في الغارة والنهب والقتل بأهل العمران وابتلائهم بأنواع العذاب على مايحصلونه من فئاتهم آية عجب لسبب مايتعلمونه منذ حداثة أظفارهم على عادة بوادي الأعراب •

وهذا الملك تمر من زعماء الملوك وفراعنتهم والناس ينسبونه الى العلم وآخرون الى اعتقاد الرفض لما يرون من تفضيله لأهل البيت [[بيت علي]] وآخرون الى انتحال السحر وليس من ذلك كله في شيء انما هو شديد الفطنة والذكاء كثير البحث واللجاج بما يعلم ومالايعلم]] (٢) •

وأخيرا ، ان المطالع لسيرة تيمورلنك يقع في حيرة بين الكتابات المختلفة التي يكتبها مؤيدوه ومعارضوه ، والناس يذهبون فيه مذاهب شتى مابين مادح وقادح على أن النظرة الفاحصة المتعمقة تشير صراحة الى أن مساوءه تربو على محاسنه ان كانت له محاسن ، فما تقدير المحاسن الا بما يترتب عليها من صلاح المجتمع سياسيا واقتصاديا وعمرانيا واجتماعيا ودينيا ان الكوارث التي حلت بالمسلمين على يد تيمورلنك من قتل وتنكيل وازهاق أرواح الأبرياء واقامة الاهرامات من رؤوس القتلى ، وتدميره وتخريبه للمدن والقرى ومراكز الحضارة يؤكد ان تيمورلنك كان مدمرا عديم الرحمة والشفقة ولم يعلم بأن هذه الأعمال الوحشية لايمكن ان تحدث من مسلم صحيح الاسلام !! •

لقد كان هدف تيمورلنك من فتوحاته وهجماته المتكررة على العالم الاسلامي وغيره تحقيق مطامحه ورغباته في تكوين امبراطورية تحمل اسمه وترفع من شأن أسرته ، ولم يقم في حروبه باصلاح شأن الشعب المغلوب على أمره أو

---

(١) الحقيقة أن هذه مجاملة من ابن خلدون لتيمورلنك حيث كان يسعى الى النجاة ، خوفا من البطش والتنكيل ، وقد قال ذلك تخلصا من هذا المأزق الذي كان يحيط به • ولاشك أن موقف ابن خلدون هذا يحتاج الى وقفة حيث أظهر نوعا من الخنوع والخضوع والتملق •

(٢) فيشل : لقاء ابن خلدون لتيمورلنك ، ص ٧٥ ، ٨٥ ، ٨٦ •

مناصرة مذهب على آخر فهو لم يكن يعرف ذلك ، وانما كان يتخذه ان فعل وسيلة توصله الى تحقيق مآربه ، فكان يدمر وينكل بكل من حوله أو يحاول أن يقف في طريقه ، ويسعد عندما يترك الأرض خاوية على عروشها مثله في ذلك مثل بقية الحكام المدمرين لذلك انهارت امبراطوريته سريعا ولم تعمر طويلا بعد وفاته لأنها قامت على الفكر والمبدأ العسكري فقط •

كما اننا حين نضع تيمورلنك في ميزان التاريخ نكاد لانعثر له على أية محاسن يمكن ان تدعم مكانته كفاتح أو اداري أو سياسي أو مصلح ديني أو اقتصادي •

الفصل الثالث

حديث الشعر عن تيمورلنك

حديث الشعر عن تيمورلنك :

اذا كان تيمورلنك قد استطاع أن يسيطر على العالم الاسلامي فأصبح قوة يخشى بأسها ويخاف بطشها ويرهب جانبها سواء في ميدان الحرب أو السياسة فان الدعاية كانت تمثل جانبا مهما لايمكن تجاهله في ذلك العصر ، وقد تمثلت الدعاية التيمورية في الكلمة المسموعة المؤثرة ، أو الكلمة المكتوبة المفعمة بالترغيب والترهيب التي كانت يخاطب بها خصومه وطالبي وده وحلفه على السواء •

ونقتصر في هذه الصفحات على موجز نعرض فيه للشعر الذي نظم بحقه مدحا أو قدحا •

وقد تناول هذا الشعر جوانب عدة فمنه مامس الدين وجعله منفذا ينفذ منه الى مايريد ، ومنه ماتناول شخصه وخلقه وخلقه وبعضه تعلق برجال اتصلوا به واتصل بهم في هذا المجال أو ذاك ومنه أخيرا ماكان يختص بتدميره للمدن ومراكز الحضارة •

ومن الشعر الذي يتضح فيه الأثر الخطير لأعمال تيمورلنك في الجانب الديني ، ماجاء في قول بعضهم أنه نقمة الله حلت على عباده ، حيث محا الهدى وأفنى الملوك ولم يحترم ذا شرف لشرفه •

قال ابن عربشاه (1) :

ومحا الهدى ، وغدا الردى
بحسامه الباغي يمور

أفنى الملوك وكل ذي
شرف وذي علم وقور

وسعى على اطفاء نور
الله والدين الطهور

بفروع جنكيزخان ذاك
الظالم النجس الكفور

ولاينسى الشاعر أن يعرج على مايثير أحقاد المسلمين عندما أباح لجنده أن يسيروا سيرة هوجاء •

---

(1) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ •

واستأسروا آل النبـــــي
المصطفى الطهر الطهــور
باعوهم مـــن مشركـــــي
الأتراك في أقصى الكفــور
وكذاك واحد أمــــــــه
من كل مقلات نـــــــذور
وجروا علــى هــدى الجرائم
واستمر لهـــم مــــرور (١)

وقال آخــر (٢) :

وفرقوا أهلك السادات فانتشروا
في كل قطر من الأقطار بالهـرب
وخربوا ربعك المعمور حين غدوا
يسعون في كل نحو منه بالنكب

وكانت النقمة عليه شديدة عامة ، فكل بلد من بلاد الاســـــلام حل به تيمورلنك حل به وبمقدساته الطاهرة نجاسته وظلمه والشاعر في هذه الأبيـــات يؤكد أن مافعله تيمورلنك في العالم الاسلامي يفوق مافعله التتار الذيـــن عرفوا بهمجيتهم وكراهيتهم للاسلام ٠

لقد عظموا فعل التتار ولو رأوا
فعال تمرلنك لعدوه أعظمـــا
لقد خرب الدنيا وأهلك أهلهـــا
وطائره جلق كان أشأمـــــا (٣)

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٥٦ ٠
(٢) انظر : ابن خطيب الناصريه : الأول من الدر المنتخب ، مخطــــوط ، ورقــة ٢٤٦ ب ٠
(٣) انظر عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ٢/٢٧٤ ٠
انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ ٠

ويؤكد ابن عربشاه ذلك بقوله (١) :

فاجتاح كل الخلق من
عرب ومن عجم ولور
مابين ايران وتوران
البلاد لهم عبور
وامتد ذاك من الخطا
أخذا الى أقصى القطور

ويصف المؤرخ الشاعر الاسترابادي (٢) جند تيمورلنك وما أتوه من أفعال مشينة عندما اقتحموا بغداد حيث نكلوا بأهلها وخربوا كل ماكان بها من معالم الحضارة :

كلاب ، دماء المسلمين شرابهم
ولحم البرايا يأكلون تنقلا
شياطين يوذون الخلائق رغبة
عفاريت يسفكون الدماء تطاولا
فتعسا لهم من معشر ليس فيهم
زمام ولا عهد لخلق ولا ولا .

ثم يقدم صورة أخرى معبرة ، للفظائع التي ارتكبها تيمورلنك وجنده باللغة الفارسية فيقول :

دكر باره أن ضربها عنيف
وزان قسمت زرنى منتهيا

جو دوك أي يكى ريسمان دركلو
جو جرح آن يكى كنوه بردست ويا
يكى بركشيده رك ازتن جو جنل
يكى كعب سوراخ كرده جونا

---

(١) عجائب المقدور ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .
(٢) انظر : بزم ورزم ، ص ١٩ .

یکی کرده بیرایه اززن بـــــرون
یکی کرده ببراهن ارتـن جــــدا
زن بـار ساجون کل بـارســـــــى
برون أوفتـــاده زیرده ســـــرا
شده همنشين سك كوى خويـــــش
عروســان باكيزه بـي كذا خـدا
برطفل رحمت نـه ازبير شـــــرم
نـه آزرم خلق ونه ترس أرخـــدا

ومضمونـها بـالـعربية هو :

سددوا ضرباتهم العنيفـــــة علـــى التوالـى
وسلبوا من هذه الديـــــار ذهبـــــا لاحصر لـه

وجعلوا الرجل كالمغزل الحبـل فـي حلقـــــه
وآخر كالقوس معلقا من يديه وقدميه في خطاف

وجعلوا واحدا كالربابة فصلت عروقه من جسده
وآخـــــــر قطعـــوا كعبـــــــــــه

واحد منهم ينـــزع المرأة زينتهـــــــــــــا
والآخـر يخلـــع من جسدهـــا ثوبهـــــــــا

الزوجـــة الطاهرة أخرجت من الـــــــدار
كالـــــــــورد الجهنمـــــــــــي

العرائـس الطاهـرات صرن بلا عــــــرس
وأصبحـــن جليســـــــــات للكـــــــلاب
لم يرحموا الأطفال ولم يستحوا من المسنيـــن
ولم يشفقوا على الخلق ولم يخافوا اللــــه (١)

---

(١) الاستراباذى : بزم ورزم ، ص ٢٠

ويصف لنا الشعراء ماحل بحلب الشهباء من قتل وأسر وتخريب وتدمير ، وما أصاب أهلها من أنواع العذاب حيث وضعوا السيف في الصغار والكبار ، وشرعوا يأتون الأفعال القبيحة على عادتهم دون حياء أو خوف من الله .

على حلب الشهباء حلت مصائب
بأيدي تمرلنك ومغل وجغطاي
من آل هلاوز وباطو وجنكز
والغار وقازان وبيد وطقطاي
وطوس وخربندا وننجى وكتبغا
نويس وصمغار وقيدو وبولاي (١)

ويضيف بهاء الدين البهائي وهو شاعر معاصر لتيمورلنك وشاهد عيان (٢) لما حل بحلب وحماة ودمشق من تدمير على يد تيمورلنك

حزني على الشهباء قبل حماتنا
هو أول وهي المحل الثاني
لاتدعي الأحزان باشقرائنا
السبق للشهباء في الأحزان
رتعت كلاب المغل في غزلانها
وتحكمت في الحور والولدان
لهفي عليك منازلا ومنارها
ومقام فردوس وباب جنان

وقال بعض أدباء الشهباء يرثيها ويصف ماحل بها :

ياعين جودي بدمع منك منسكب
طول الزمان على ماحل في حلب
من العدو الذي قد أم ساحتها
شاح الغراب على ذاك الحمى الخرب

---

(١) انظر : الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٧٦/٢ .
(٢) انظر : محمد كردى علي : خطط الشام ، ١٧٣/٢ .

ويلاه ويلاهُ ياشهبا عليك وقد
كسوتني ثوب عز غير مُنْسلب

من بعد ذاك العلا والعز قد حكمت
بالذل فيك يد الأغيار والنوب

وأصبح المغل حكاما عليك ولم
يرعوا لجارك ذي القربى ولا الجنب

الى أن يقول :

لكن مصيبتك الكبرى التي عظمت
سبي الحريم ذوات الستر والحُجب

يأتي اليها عدو الله يفضحها
ويجتليها على لاه ومرتقب (١)

وتلتهب قريحة الشاعر بهاء الدين البهائي حزنا وكدرا ورثاء لما أصاب دمشق على يد هذا الطاغية من هدم وحرق وقتل وأسر فدمشق الشامخة في بروجها ومساكنها وحضارتها قد تبدلت بين يوم وليلة الى مدينة خاوية على عروشها ويقول :

لهفي على تلك البروج وحسنها
حفت بهن طوارق الحدثان

لهفي على وادي دمشق ولطفه
وتبدل الغزلان بالثيران

وشكا الحريق فؤادها لما رأت
نور المنازل أبدلت بدخان

جناتها في الماء منها أضرمت
فعجبت للجنات في النيران

---

(١) انظر : ابن الخطيب الناصرية : الأول من الدر المنتخب ، مخطوط ، ورقة ٢٤٦ أ - ٢٤٦ ب .
محمد أسعد طلس : عصر الانحدار ، ص ٧٠ - ٧١ .

كانت معاصم نهرهـــا فضيـــــة
والآن صرن كذائب العقيـــــــان (١)

ماذاك الا تركهـم ولجت بهـــا
فتخضبت منها بأحمـــر قـــان

ثم يقول :

لو عاينت عيناك جامع تنكـــز
والبركتين بحسنها الفتـــــان

وتعطش المرجين من أورادهـــا
وتهدم المحراب والايـــــوان

لأتت جفونك بالدموع ملونـــا
دمعا حكى اللولو على المرجان

قطرات جفن ترجمت عن حرقتـــي
فكأنهن قلايد العقيـــــــان

أبنى أمية أين يمـن وليدكـم
والمثل تقتل في ذرى الأركـــان ؟ (٢)

ويحاول نفس الشاعر اثارة المشاعر الدينية فهذا صحن الجامع الأمـــوى الذي هو من بيوت الله قد شربوا الخمور به حتى انتشوا :

شربوا الخمور بصحنـه حتى انتشـوا
ألقوا عرابدهم على النســـوان (٣)

وغنى عن البيان أن يثير هذا القول المشاعر الدينية لدى المسلميـــن

---

(١) العقيان : ذهب متكاثف في مناجمه خالص مما يختلط به من الرمـــــال والحجارة ٠
انظر : الفيروز أبادى : القاموس المحيط ، ٣٦٥/٤ ٠
الدكتور/ ابراهيم أنيس وغيره ٠ المعجم الوسيط ، ٦١٨/٢
(٢) انظر : محمد كرد علي : خطط الشام ، ١٧٢/٢ ٠
محمد أسعد طلس : عصر الانحدار ، ص ٧٠ ٠
(٣) محمد كرد علي : خطط الشام ، ١٧٢/٢ ٠

فهذه بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ولكنها في هذه اللحظة أصبحت خانا يعربد فيه كل فاجر فاسق ٠

كما أن ماتجود به قرائح الشعراء عن دمشق وما حل بها ، يؤكد أن الخطب كان عظيما ، وأن المدينة قد تأثرت الى أبعد الحدود من الغزو التيموري المدمر ، حيث كانت النار تأكل مايليها وتفنى مايشعلها ويقليها ، الى أن أتت على دورها ومدارسها وأكلت أسواقها ومجالسها ٠

ولله در الشاعر عندما قال :

حريقُ دمشقَ قد بدا لعيان
ليظهر لى عند البيان معاني
غدت نارُه في الجو تعلو وترتقى
كأن لها عند النجوم أماني
ولو لم تكن نارُ الأعادى لما غدت
وخبآتها باد لكل بنان
ولاصبغت بالزعفران قميصها
سرورا بها ، ولاطارت بكل لسان (١)

ويضيف ابن عربشاه :

فأباح اهراق الدما
من كل صبار شكور
وأحل سبى المحصنات
المؤمنات من الخدور
ورمى على النار الصغار
كأنهم فيها بخور
وأضاف في هذا الى
فعل الزنى وشرب الخمور (٢)

---

(١) انظر : الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٩١/٢ ٠
(٢) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٥٦

لقد عمل الشعر على زيادة الكراهية في نفوس الناس على اختلاف طبقاتهم لتيمورلنك بذكر مساسه بأعراضهم وقرن ذلك بما ألحقه ببيوت الله من تخريب وتدمير وهكذا اجتمعت النكبات تصيب كل جوانب الحياة الاسلامية •

قد حرقوا من بيوت الله معظمها
وحرقوا مابها من أشرف الكتب (١)

ويقول آخر :

وعدا على السادات من
أهل الصيانة والوقور
من كل ذئب صائل
منهم ومن كلب عقور
فتكوا وقد بتكوا القلوب
وبعدما هتكوا الستور
وشووا جباها طالما
سجدت لدى الرب الغفور
وكووا جنوبا قد جفت
طيب المضاجع والظهور (٢)

على أنه من الملاحظ أنه رغم ضربه دمشق وحلب وانزاله الكوارث بهما وبغيرهما من مدن الشام ، الا أنه كف شره عن حمص ! وعللوا ذلك بوجود قبر القائد الاسلامي العظيم خالد بن الوليد بها فأشار الشاعر لذلك في قوله :

ألا لاتجاورْ سوى الخيرين
أحيا وكن جارهم في القبور
ألم تر حمص وسكانها
نجوا من بحار بلايا تمور

---

(١) ابن الخطيب الناصرية : الأول من الدر المنتخب ، ورقة ٢٤٦ ب •

(٢) انظر : ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٥٦ •

لأنهم جاوروا خالدا

ومن جاور الأتقياء لايبور (١)

فهل في هذا التعليل جانب صدق ؟

انه ان يكن كذلك فذلك أمر عجيب ، ولكن الى أي مدى يصدق هذا القول ... الحق ان شخصية تيمورلنك على هذه الصورة تمثل مايسميه علم النفس الحديث والتحليل النفسي بازدواج الشخصية وانقسامها فبينما نراه شديد التدمير والقتل وسفك الدماء حتى أنه وجنده .

استخلصوا الأموال من

أيدي البرايا بالفجور

وسقوهم كأس السموم

وجرعوا كأس الحرور (٢)

ويقول آخر :

سَنَةٌ بها ابصرتُ مالا أبصَرَتْ

عين ولاسَمِعَتْ به أذنانُ

من نهب أموالٍ وسفك دماء ومن

تسليط شيطان على السلطان (٣)

اذ هو شديد الحرص على البلد الذي فيه قبر خالد بن الوليد .

ولم تفلت دور العلم والكتب من بطش تيمورلنك وجنده فقال الشاعر :

لهفي على كتب العلوم ودَرْسها

صارت معانيها بغير بيان (٤)

ويصف المؤرخ الشاعر ابن عربشاه هجوم تيمورلنك على العثمانيين وهزيمته لهم في معركة أنقرة :

نزلوا بأنقرة يسيلُ عليهم

ماء الفرات يجيء من أطواد

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٤٧ .
(٢) ابن عربشاه : المصدر السابق ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .
(٣) انظر : الخطيب الصيرفي : نزهة النفوس ، ٩٤/٢ .
(٤) انظر : محمد كرد علي : خطط الشام ، ١٧٢/٢ .

فاذا النعيم وكل مايلهى به
يوما يصير الى بلى ونفـــاد (١)

وكان تيمورلنك يتناول المحرمات ويبيحها ، ويروج عنده مستهجنهـــا وقبيحها ، مهما أمر به جماعته ، في ذلك امتثلوه قال الشاعر :

تبدل من سفك وهتك جريمـــة
أحل بها ماحرمته الشرائـع (٢)

وفي مجال الانتقاص من مكانته والتنديد به ، وذكر ما ابتلـــى به من عيوب جسمية قالوا :

الأعرج الدجـال مـــن
قصم الجمـاجم والظهور
لاكف له والملك في خاتمه
لارجل له والتخت موطئ قدمه
ومن عجب الدنيا أشل مصفق
وأبكم قوال وأعرج راقـص (٣)

لقد طغى هذا الرجل في حياته وامتد طغيانه فأودى بالكثيريـــن ، وان كان أمرا مقدرا ، لكنه جاء على غير انتظار ، ولذلك كانت لوفاته رنـــة فرح في نفوس الجميع ، وكيف لاتفرح النفوس وقد زال كابوس خيم على صدور النـــاس زمنا أفضى الى البؤس ، ويتجلى صدى هذا الاحساس العام في قول بدر الدين حسن بن طيفور :

طغيتمر واستأصل الناس ظلمـــه
وشاعت له في الخافقين الكبائـر
لقد زاد بغيا فافرحوا بزوالـه
لأن على الباغي تدور الدوائـــر (٤)

---

(١) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ١٩٨ .
(٢) ابن عربشاه : المصدر السابق ، ص ٢٤١ .
(٣) ابن عربشاه : المصدر السابق ، ص ٢٤١ ، ٢٥٥ ، ٣٤٢ .
(٤) ابن عربشاه : المصدر السابق ، ص ٧٧ .

وقال آخر :

ربانية النيران تكره وجهه
ومنه استعاذت مذ رأته جهنم
مات تمرلنك وجاءت لنا
أخبارُه فيما تأتى عليه
وقد كفانا ربنا شره
والله كافى من توكل عليه (١)

ويضيف ابن عربشاه :

لما انتهى افساده
وتكاملت تلك الشرور
هجم القضاء لأخذه
ولكل تكميل قصور
حذفته أيدى الموت من
تلك القصور الى القبور
وتبدلت منه الكرامة
بالمذلة والعثور
ومضى الى دار النكال
بما تحمل من وفور
وتفرقت تلك الجموع
وهد ماشاد الدثور
أبقت عليه فعاله
لعنا على مر العصور
وتخلدت آثار ما
آذى على كر الدهور (٢)

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ، ١/٢/٧١٠ - ٧١١ ٠
(٢) ابن عربشاه : عجائب المقدور ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ ٠

ويذكر الغياثي في كتابه شعرا فارسيا لايترحم فيه على تيمورلنك :[1]

رفت تمر باعمل زشت كـــفت

لارحم الله ورا خاص وعـــام

هفده شعبان شده تاريخ آبـد

في درك الأسفل بئس المقـــام

وترجمة ذلك باللغة العربية :

ضاعت النتيجة بالعمل السيء وقال

الخاصة والعامه لارحمـه اللـــه

وصار ١٧ شعبان تاريخـــــــا

في الدرك الأسفل بئس المقـــام

وعلى الجانب الآخر نرى اليزدي في ظفرنامه يثني على تيمورلنك الثنـاء الكبير ولايتحرج أن يمتدحه المديح العظيم ، ويذكر أن الحفظ الالهي كان حارس تيمورلنك وأن الدنيا ومن فيها ملكه وذلك بمناسبة التقاءه بواحد من أعظـم رجال مكة المكرمة وأشرافها وهو سيد بركة الذي كان كما يصفه اليزدي [[بـأن ذاته الشريفة كانت في ذلك العصر غرة جبين سادات وجه الأرض فأنشد وقال :

ان الحفـظ الالـــهي حـــارســـك

والدنيا من أولها الى آخرها ملكك[2]

وقال Nizam Uddin Sami عنه :

جهان مسخر أحكام شد بحمد الله

جوتيغ ارسر دشمن براوريد دمـــار

دران دياركه برقي وزد زشمشيرت

نماند ازشب ظلمت درودكـــر آثار

---

(١) التاريخ الغياثي : دراسة وتحقيق طارق نافع الحمداني ، ص ١٣٠ .
(٢) اليزدي : ظفرنامه ، ١٩٤/١ .

والترجمة العربية لهذا الشعر :

الحمد لله لقد أصبحت الدنيا تحت حكمك

عندما انتقم سيفك من الأعداء

ولم يعد هناك أثر لظلام الليل

في الأماكن التى أضاءها سيفك كالبرق (١)

ويصفه عباس اقبال بأنه كان نسيج وحده :

سلطان تمر آنكه مثل أوشاه نبود

درهفتصد وسى وشش آمد بوجود

درهفتصد وهفتاد ويكى كردخروج

درهشتصد وهفت كرد عالم بدرورد

والترجمة العربية لها :

السلطان الذي كان نسيج وحده

ولد في ست وثلاثين وسبعمائة

وخرج في الواحدة والسبعين والسبعمائة

وودع العالم في السابعة بعد الثمانمائة (٢)

ويرى اليزدي المؤرخ الشاعر أن تيمورلنك هو الحاكم الوحيد الذي يستحق كل نصر وفوز على أعدائه ، وان العالم يجب أن يقف مذهولا أمام توسعاته وفتوحاته الكبيرة ٠

وهذا النص الشعرى صورة لما كان يراه فيه محبوه من عظمة وان تحركاته وانتصاراته مصحوبة بمساعدة الخالق عز وجل له ٠

كه آن شاه ديندار كيتى ستان

باندك زمان جول كرفت اين جهان

جون زين برسمند سعادت نهار

بمردى كمربست وعالم كشاد

---

(١) Zafer Name . P. 319 .

(٢) عباس اقبال : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٦٠٩ ٠

زسر حد جين تابيا يان روم
جه از مصر وشام وجه ازهند بوم

جه ايران نورا وجه بحرجه بر
بجاى كه بود ازعمارن اسر

بنفس شريف خود انجار سيد
بكيتى ستانى جو لشكر كشيد

بهرجا سباهش توجه نمود
نخست آن زمين نعل اسيش بسود

بهر جارسيد وبهر سوكذشت
بتأييد دادار فيروز كشت

خداشى جهان آفرين ياورش
همه خسر وان جها جاكرش

فلك بنده وآفتابش غلام
زمانه مطيع وجها نش بكام

أما الترجمة العربية لتلك الأبيات فهي :

هذا السلطان المتدين مالك الدنيا
ملك هذا العالم في فترة وجيزة

حين وضع السرج على جواد الاقبال
تمنطق بالرجولة وفتح العالم

من حدود الصين حتى آخر بلاد الروم
سواء مصر والشام وأراضى الهند

كذلك ايران أو توران والبر والبحر
فأينما نزل ترك آثارا من العمران

وصل الى تلك الأماكن بنفسه الشريفة
حين خرج بجيشه لفتح العالم

ذهـــب جيشـــه الـى كـل مكـــان
وسحق نعل جواده تلك البـــــلاد

في كل مكـان وصل اليـه أومر بـــه
انتصـر بتأييد مـن الخالـــق

اللهُ خالـقُ الدنيـا مُساعـــده
وكافـة ملوك الدنيـا عبيـــده

الفلك عبدك والشمـس غـــلام
والزمان مطيع له والعالم وفق مراده (١)

ويصف الشاعر الفارسي تيمورلنك بالكرم والاحسان على العالم بأجمعه ، ناهيك عن كرهه للظلم والفتن حتى أصبح الكل غير محتاج لفضائله وكرمــه عليهم •

جو روى زمين شد بفرمـان او
جهان غرقه صبح احسـان او

سركنج بشكاد ودوست كـرم
درفتنه بربست وباى ســتم

بهركس له روزى عطايش رسيد
دكر نسل ازروى حاجت نديد

والترجمة العربية لتلك الأبيات

لمـا أصبحـت الأرض تحـت امرتـــه
غرق العالـم في صبـح احسانـــه

فتـح الخزانـــة وبسط يدُ الكـرم
واغلق باب الفتنة وقيد أقدام الظلم

---

(١) اليزدي : ظفرنامه ، ٥/١ •

ووصل رزق عطائه لكل فـــــــرد

حتى لم يبـــق أحـــد محتاجـــــا

ويوضح اليردى مدى حب تيمورلنك لآل بيت الرسول عليه الصلاة والســلام ، وأن حبه لهم لايوازيه حب :

فهل كل مايقوله هؤلاء حقيقـة ؟

ان تيمورلنك لايعرف الحب فهو يهدف من وراء هذا التظاهر كســـب حب الشيعة له حتى عللوا مافعله تيمورلنك من أعمال تخريب وقتل بأنــــه كان انتقاما منه لآل البيت المظلومين ٠

ندبدى كس ارخويش وزا جنبـــي

كرامى ترا ار أهل بيت نبـــي

لم يكن يحب فردا سواء من الأقارب أو الأغراب

أكثر من أهل بيت النبي [صلى الله عليه وسلم] (١)

ويحاول الشاعر في هذه الأبيات أن يظهر فضائل تيمورلنك وحرصـــه واهتمامه بتشييد المنشآت الخيرية وبناء المساجد والزوايا :

همـه ميل طبعش بخيـــرات

كه روشن دل وكامل الذات بود

بسى بقعة خير يـــرد اختـــه

بابوان كيو ان يرافـــر اخته

جـه ازحانقات افكنده خـــوان

جـه ارمسجد جامـــع وغيـــر آن

كمالات آن شاه دريا نـــوال

فرون بوده ارهرجـه بندى خيال (٢)

---

(١) اليردي : ظفرنامه ، ١/٧ ٠
(٢) اليردي : المصدر السابق ، ١/٨ ٠

والترجمة العربية لهذه الأبيات

كان طبعه ميالا للخيرات تماما

فقد كان مستنير القلب كامل الذات

كم من بقعة للخير شيدها

ورفعها حتى مشارف السماء

سواء الزوايا ذات الأعمدة الممتدة

أو المساجد الجامعة وغيرها

فضائل هذا السلطان المعطاء

كانت أكثر مما يتصوره الخيال

وعلى الرغم مما عرف به ابن عربشاه من كراهية شديدة لتيمورلنك حيث نشأ في غمار المحن التي أنزلها تيمورلنك بوطنه الا أنه مع ذلك لايملك نفسه في الفصل الأخير من كتابه الا أن يشيد بمواهب تيمورلنك ويقدم شخصيته في صورة قوية تثير الاعجاب :

فكم قدحت آراؤه زند فتنة

حمته لدى البأسا وأورت قبائلا

يشاهد أعقاب الأمور بعقله

كما شاهد المحسوس بالعين ناظر

اذا قال قولا أو أشار اشارة

ترى أمره في ذاك كالنص قاطعا

متفرق الطعمين مجتمع القوى

فكأنه السراء والضراء

مر المذاق على أعدائه بشع

حلو الفكاهة للأصحاب كالعسل

فاق من قاد للعدا كل جيش

بكلام شنى البعيد قريبا

مزج النقل في القياد بعقل

فهدى عاشقا وأهدى حبيبا (١)

ويحاول Nizam Uddin Sami في هذين البيتين أن يجعل من تيمورلنك الحاكم الأوحد الذي يحق له أن يحكم ويمتلك العالم كله :

خدا يكانا ايزد ترا فرستا دست

كه جار حد جهان آن تست زوبستان

كواه دعوى مملكت زبان شمشيرست

براى دعوى خودآن كواه مى كذران (٢)

والترجمة العربية لهذين البيتين :

أيها السلطان العظيم لقد أرسلك الله

وحدود الدنيا الأربعة ملكك

ان لسان السيف شاهد على دعوى سلطنتك وملكك

فاجعل ذلك الشاهد يمر من أجل اثبات دعواك

وعندما توفى تيمورلنك سنة ٨٠٧هـ -١٤٠٥م رثاه اليزدي بهذه الأبيات :

شد آن لحظة هول قيامت عيان

بكر دون بر آمد نفير ونفغان

زحيرت دول خلق عالم خراب

جكر هاى شاهان رما تم كباب

برآ شفت أحوال خلق جهان

ارا ند بشه غمناك شد انس وجان

---

(١) انظر : عجائب المقدور ، ص ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٢١ .

(٢) Zafer Name . P. 73 .

همه خلق عالم بريشان شدنـــــد
(١)
سرا سيمه وزار وحيران شدنـــد

والترجمة العربية لهذه الأبيات :

تجلت أهوال القيامة للناظرين في تلك اللحظة
ملأت السماء أصوات النفيـر والبكـاء

أصبحت قلوب الخلق من الحيرة مندهشـة
وصار أكباد الملوك كالشـــواء

اضطـربت أحـوال خلـق العالـم
أصاب الحـزن الأنـس والجن من التفكيـر

حط الغم على كافة الخلق في العالـم
وصاروا مشتتين ضعفـاء حيـارى

(١) انظر النص الكامل لهذه القصيدة في ظفرنامه ، ٦٦٤/٢ .

خاتمة البحث

خاتمة البحث :

[[الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات]]

الحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، ان خاتمة القول بعد هذه الرحلة التاريخية الطويلة ، أن أسجل هنا مجموعة من النتائج التي توصل اليها البحث وكشف عنها خلال مباحثه العديدة ، استنادا الى ماتوفر لدي من مصادر تاريخية نحسن الظن بها ان شاء الله •

وأول مانشير اليه في هذا الصدد : أن تيمورلنك كان تركيا من جهة أبيه من قبيلة البرلاس التركية وأنه من جهة أمه كان مغوليا ينتمى الى القائد المنتصر الشهير جنكيزخان ، وان مولده في عام ٧٣٦هـ - ١٣٣٥م • وأنه كان رجلا أميا لايقرأ ، ولايكتب ، الا أنه كان يحسن التكلم بالفارسية والتركية ، كذلك فانه كان يشارك العلماء - الذين يضمهم مجلسه بصفة شبه دائمة - في محاوراتهم ومناقشاتهم في المجالات العلمية المختلفة ، وبصفة خاصة في قضايا التاريخ والحروب ، وانه كان ذا شخصية قوية التأثير ، شجاعا ، صارما ، محاربا مقداما لايعرف الهوادة في قتاله ، ولذلك أخلص له أتباعه ، وتسابقوا في تنفيذ أوامره ورغباته •

وقد امتاز تيمورلنك - كقائد حربى بارز - بأنه كان يترصد أحوال وتطورات جيرانه ، ويتحين الفرص الملائمة للانقضاض عليهم دون تردد أو تأخير، بل لقد كان يستعين بجواسيسه الذين يرسلهم الى تلك البلاد ، لتهيئة الفرصة للعدوان المباغت عليها •

ان الأوضاع التى سادت بلاد ماوراء النهر ، وما اتسمت به من اضطراب وفوضى ، هي التى أتاحت الفرصة لتيمورلنك للانقضاض عليها ، والتغلب على حكامها الضعفاء ، ومن ثم تمكن من فرض سيطرته عليها ، وأوحى اليه ذلك الانتصار السهل السريع بفكرة اعادة مجد المغول الغابر ، وتأسيس امبراطورية مغولية كبيرة مثلما كان في عهدى جنكيزخان وهولاكوخان •

ثم اظهرت الدراسة أن حكام وأمراء خراسان كانوا في شغل شاغل عن رصد تحركات تيمورلنك العسكرية، بسبب المنازعات والخصومات السائدة بينهم والتى

أدت آخر الأمر الى اضعاف قدراتهم وانهاك قواهم ومن ثم وقعت بلادهم فريسة سهلة بيد تيمورلنك ٠

وكانت الصراعات بين حكام آل مظفر عاملا حاسما في ضعف دولتهم ، وتشتت قوتهم ، مما مكن تيمورلنك من القضاء التام عليهم ، فأصبحت فارس كلها جزءا من امبراطورية تيمورلنك الناشئة الفتية ٠

وكان الانحلال السياسي في العراق ، وضعف شخصية سلطانها أحمد بن أويس، وتخاذله أمام تيمورلنك ، وهروبه من مواجهته عاملا مهما ، سهل للقائد المغولى مهمة القضاء على حكم الجلايريين في العراق ، والاستيلاء عليها الى حين ٠ ثم كان يعود لغزوها مرة أخرى ، بعد أن يتركها لأسباب قاهرة تضطره الى الانسحاب منها مكرها ٠

وأثبتت الدراسة أن السلطان برقوقا كان يمثل القوة الكبرى القادرة على مواجهة تيمورلنك وصده في المنطقة آنذاك ، رغم ماكان يتعرض له حكمه من ثورات خصومه من المماليك ، فنراه يقبل التحالف مع جيرانه ليكونوا حلفا مشتركا يتصدى لتيمورلنك مما جعله يتحاشى الدخول في حرب مع المماليك ٠

وقد أوضحت هذه الدراسة أن السبب المباشر لتوتر العلاقة بينهما ، هو لجوء السلطان الجلايري أحمد بن أويس الى دولة المماليك ، التى بدورها رفضت تسليمه الى تيمورلنك ، وبينت أن السلطان (فرج) - خليفة برقوق - وأمراءه الذين سيطروا عليه ، بجانب ضعف قواته العسكرية قد وقعوا في خطأ كبير عندما أهملوا محالفة السلطان العثماني بايزيد ، حيث كان في امكان هذا التحالف الوقوف في وجه الخطر التيموري ، وقد سهل هذا الاختلاف لتيمورلنك مواجهة كل فريق على حدة وانزال الهزيمة بجيوشهما ٠

وأثبتت الدراسة أن هزيمة العثمانيين في أنقرة كانت كارثة حلت بهم، حيث دمر جيشهم ، وأوقف توسعهم في الأناضول وأوربا الشرقية ، وهي الهزيمة الوحيدة التى منى بها العثمانيون في هذا القرن ٠

وأظهر البحث أن أبناء السلطان المهزوم بايزيد لم يحاولوا لم شملهم بعد مقتل أبيهم ، فنشبت المنازعات والحروب فيما بينهم ، فاستغل تيمورلنك هذه الفرصة ، وأشعل نار الاختلاف بينهم ،مما أدى الى تمزيق وحدة الدولة فترة

من الزمن ، ولم تستعد عافيتها ونشاطها من جديد الا على يد السلطان محمد الفاتح •

ومن الحقائق المؤسفة التى أوضحها البحث ، أن انتصار تيمورلنك هذا كان له مردود طيب على الامبراطورية البيزنطية ، التى تنفست الصعداء فترة من الزمن ، حيث كان بايزيد على وشك الاستيلاء على القسطنطينية فتأخر ذلك - الى حين - بعد هزيمة بايزيد أمام تيمورلنك •

وقد توصلت هذه الدراسة بعد تمحيص وتدقيق في مسألة عقيدة ومذهب تيمورلنك الى أنه كان كافرا يميل الى التشيع وأنه في أحسن حالاته رافضيا •

كما أن الدراسة أثبتت أن الهدف الذي لايعرف غيره من فتوحات تيمورلنك وهجماته الوحشية ، انما كان تحقيق مطامعه الشخصية في تكوين امبراطورية كبيرة ، تحمل اسمه ، وتخلد ذكراه ، وترفع شأن أسرته في التاريخ •

كما بينت من خلال البحث ، أن هذا الغازى المغولى المنتصر ، قد غلب على طبعه التوحش والبربرية ، فلم يعرف عنه الميل أو الرغبة في البناء والتعمير ، واقامة المنشآت الحضارية التى يمكن - لو شيدها - أن تحقق هدفه في ابقاء ذكره ، وذيوع شهرته في التاريخ ، ولم يذكر له في ذلك المجال الا اهتمامه بعاصمة امبراطوريته (سمرقند) حيث اهتم بعمارتها وتجميلها واقامة مظاهر الفخامة المتعددة بها •

وأخيرا نقول أننا لو وضعنا أفعال تيمورلنك وتصرفاته وشخصيته في الميزان فلن نعثر له على أى محاسن يمكن أن تدعم مكانته كفاتح أو ادارى أو سياسي أو مصلح يذكره التاريخ الانسانى بالتقدير والاحترام •

والحمد لله أولا وآخرا •

الملاحـــــق

وهو المباهي بعون الله الغير المتناهي معين الشرع النبوي والدين الباهر المصطفوي كهف الثقلين ظل الله على الخافقين سلطان السلاطين خاقان الخواقين لازالت قواعد الاسلام مشيدة بمكانه واركان الدين ممهدة بدوام ايامه وزمانه وكلمته العليا منصورة بمجاهدة انصاره واعوانه وامصار المسلمين معمورة بمحاسنه واحسانه ولابرحت موارد نعمه وسوابغ كرمه فائضة على اوليائه وهمم كافة المؤمنين مصروفة الى الابتهال بمزيد بقائه مالمع لامع آل وخطر معنى ببال وبعد فالمحب المباهي باخلاص المصافاة بعد تقديم التسليمات الوافيات الصافيات والتحيات الساميات المعنبرة بنسيم الوداد والمعطرة بشميم الاتحاد يوضح لعلمه الكريم اولا ان مفاوضتكم الشريفة وملاطفتكم المنيفة كالدرر النضيدة واللآلى العقيدة وردت من بحر المصافاة ويم المواخاة فى اشرف الامكنة والطف الازمنة وصارت سبحة فى يدى وايدى المؤمنين لتعداد محامدكم العلية فشاهدنا عن لطف الفاظها وصفاء معانيها اشتداد اساس المحبة واستحكام بنيان المودة وحفظكم من كون المملكتين كروحين فى جسد وكيدين فى عضد وارسال القاصد الى رئيس الكفار الجنوية لمنعهم عن اخذ اموال المسلمين واسترداد ما اخذوا منهم من غير حق خصوصا عن ابن قابوني ففرحنا من ذلك فرحا شديدا وصرنا ممنونا منكم جزاكم الله وابقاكم وثانيا ان الغلامين التاجرين مسمى احدهما بالحاج شكروش من مماليك مفخر الامراء والاكابر الحاج فيروزبك الوالى بمحروسة ادرنه والاخر مسمى بالحاج الياس من مماليك مفخر التجار خواجه قاسم ممن يتردد الى باب المحب المخلص قد اتجرا باموال مولاهما المذكورين تجارة فلفل على خلاف القانون من القوانين المصرية وخبطنا خبط عشواء ولاجل ذلك مكثنا مكثا طويلا فالمرجو من فواضل خدم الابواب الشريفة والمستمد من لطايف كرمهم وخصايص شيمهم ان يتفضلوا فى حقهما برفع الموانع والاطلاق حتى يوصلا ما فى ايديهما الى صاحبهما جريا على سنن المكارم المعهودة ومشيا بسنن شنشنتهم المحمودة لتلحق هذه المكرمة الى المنن السابقة لازالت ايام دولته مشرفة لكواكب معرفة السحائب والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه

﴿ جنتمكان سلطان يلدرم بايزيد خان غازى حضرتلرى دركاهنه عجم شاهى قره يوسف ﴾
﴿ طرفندن تيمورلنكك اذربايجان طرفلرينه تخطى ايلديكندن بحثله مراسم تبصر شعارى به ﴾
﴿ همت يورلمسى اخطارينى حاوى كلمش اولان نامه نك صورتيدر ﴾

بجناب سلطنت مآب معالى نصاب دولت اكتساب خداوند اعظم وخداوندكار معظم سرور روزكار وشهريار كامكار رافع الوية الامن والامان ناشرا ردية العدل والاحسان پسنديدهٔ عالم ومقبول نوع بنى آدم المؤيد من عند الله الملك المجيد ظهير الملك والملة سلطان يلدرم بايزيد ضاعف الله سلطنته وابد ملكه ومملكته سلام وتحيتى كه لايق بساط شاهى ومناسب بزم شهنشاهى باشد ازبريد صباى عنبرسا اتحاف واهدا داشته خواهان لقاى فرخفراى خداوندى اعلى الله شانه شناسند نيل آن مراد بروجه احسن ميسر باد ﴿ انه رؤف بالعباد ﴾ بعده از ناقلان اخبار وصادران امصار رهنمانا اصغا فرموده باشند كه مهيج نار شر وشور ومحرك سلسلهٔ فتنه وغرور تيمور مقهور دمره الله وقهره ازتوران بايران كذشته وهلاكو وار دعواى ايلخانى كرده زمرهٔ اهل اسلام راتاحد فارس مستأصل نموده كارى كه او بعرض پرده نشينان مؤمنان ميرساند حاشا كه از مشركان كه العياذ بالله بعد از استيلا بظهور آيد وحالا متوجه

آذربایجانست وبفرمودهٔ ﴿ کم من فئة قلیلة غلبت فئة کثیرة باذن الله ﴾ این هواخواه
بااودرمقابله ومقاتله تقصیری نخواهد کرد وسروجان بذل اسلامیان خواهد نمود
امید که آن حضرت نیزازین خصوص واقف کشته امراء سرحدرا فرمان دهند که
حاضروقت بوده اکراحتیاجی واقع شود فرصت رافوت نفرمایند که دفع آن نابکار
ازغزای کفار اولی وانسب است وشمهٔ درآن شائبهٔ شبهه نیست والعون من الله باقی
احوال را ازرسانندهٔ رسالهٔ اتحاد امیرامجد اکرم مراد زید قدره که ازجملهٔ مخصوصان
وخویشان این سعادت خواهست استفسار فرموده بروجه استعجال مجاز فرمایند باقی
همواره ایام کامرانی بروفق آمال وامانی کذران باد الی یوم التناد

﴿ الجواب ﴾

کتاب مستطاب وخطاب مشکین نقاب که ازحضرت نوبین اعظم وشهریار افخم
سرورجهان وجهانیان رفیع القدر آسمان شان قائدملوك الزمان ناشر العدل
والاحسان قامع البدعة والطغیان المستغنی عن الالقاب والعنوان المختص بمزید عنایة الملك
المنان عضد الدولة والدین قره یوسف کامران اعزالله له الاعوان ولایخلوعنه المکان
مصحوب خلف الاعاظم والاکارم مرادبك زید قدره وصول اجلال پذیر یافت
وبمراسم تعظیم ولوازم تکریم مضامین اخلاص مشحونش رامطلع کشته بمیرمیران
روم وامراء آن مرزبوم فرمان داده فرمودیم که چون شرورشرار پرشروشور
وآتش وقود فتنهٔ خصم مقهور وکلب عقور تیمور مکسور لعنه الله ودمره مع
توابعه ولواحقه قریب ولایت آن خدام کردد وعساکرمنصورومظفر بتوفیق الله وتأییده
چون سیل روان وبحر بیکران بجنبش درآمده پیدرپی دررسند وباشند که
ان آتش جهانسوزرا بخاك سیاه برابرساخته دود ظلم ظلمت اندود آن کروه شیاطین نهادرا
ازچهرهٔ آینهٔ مثال جهان زدوده وعالم وعالمیانرا منیر ومصفی سازند که قلع وقمع ودفع
ورفع آن طائفهٔ باغیه برجمیع فرق ناجیه الزم وواجبست باید که آنجناب نیز باحکام
شیروان وکیلان وکردستان ولورستان بالجمله یکدل ویکجهت شده وهمکی را برعایت
شاهانه سربلند ساخته لیلا ونهارا ازتدابیر صائبه غفلت ننموده وبفحوای ﴿ وشاورهم
فی الامر ﴾ رایش نهاد خود کرده توکلت علی الله کویان عنان ازمدافعهٔ آن کروه فسقهٔ
بپیچیده ومحاربهٔ ایشانرا قرین غزای اکبر معدود نمایند که همه اوضاع ناپسند ایشان مخالف
امر الهی بوده شنیدیم وما النصر الا من عند الله العزیز الحکیم والسلام والاکرام

﴿ جنتمکان سلطان یلدرم بایزیدخان غازی حضرتلری طرفندن بعض خصوص افاده سیله ﴾
﴿ کرمان اوغلنه یازلمش اولان نامهٔ همایونك صورتیدر ﴾ ٢

بجناب امارتمآب معدلت نصاب مکرمت مآب عالیجاه سعادت دستکاه رفیع المقام فلك
احتشام خورشید رتبت والامنقبت مخدومی خداوند اعظم وشهریار معظم اعدل
الحکام فی العالم عون الامة الباهرة کهف الملة الزاهرة حامی مراسم العدل والانصاف
ماحی اساس الجور والاجحاف الموصوف باشراف الاوصاف واوصاف الاشراف حضرت
کامبین وکامران اعلی الله تعالی رایات دولته ولشرآثار معدلته الی مدی الدهور والازمان
شرایف دعوات عنبر نسیم ولطایف خدمات عبهرشمیم ازین محب مخلص مشتاق قبول
فرموده شرح شوق رامنجا وزالحد شناسند ادراك خدمت که احسن مآرب ذوی العقول است

محصلی بودرکه رأی عا
کشابلرینه لازال منیرا ا
بو محب مخلص اول ذ
طرفینك حرکتنه موا
اوله ییلاق طرفنه متوجه
کوهسارده برقاچ کون م
تعظیمیچون توقف اولنو
اول حیله افتخار المف
المعتمدین سنان الدین
امور دولت ومهمات مملک
مشعرهرنه که اعلام او
ایصال ایدوب دوستلر
واعدالك خذلانه سبب
بومفاخرت واستظهاروم
میمنت شه ارانواع دوستلق و
منبع اوله جغنده شبهه
حق سبحانه وتعالی ج
وداد صوری واتحاد معنوی
قرین وضمین ایده بالنبی وآل
والسلام

الملحق الأول

وهو نص كتاب من الأمير قرا يوسف الى السلطان العثماني بايزيد يحذره من خطر تيمورلنك :

[منقول من كتاب مجموعة منشآت الملوك والسلاطين ، تأليف فريدون بك أحمد ص ١١٨ - ١١٩ ، وهذا الملحق مكتوب باللغة الفارسية وقد قمت بترجمته الى العربية]

الى جناب مآب السلطنة ، نصاب المعالى ، مكتسب الاقبال ، الملك الأعظم والوالى المعظم ••• ناشر راية العدل والاحسان ، ••• المؤيد من عند الله ، الملك المجيد ظهير الملك والملة ، السلطان يلدرم بايزيد ، ••• ضاعف الله سلطنته وأيد ملكه ومملكته •••

علمنا من ناقلى الأخبار والواردين من الأمصار ، مهيج نار الشر ، ومحرك سلسلة الفتنة والغرور تيمورلنك المقهور ، دمره الله وقهره ، قد خرج من توران صوب ايران ، مدعيا السلطنة مثل هولاكو ، واستأصل الأهل أهل الاسلام حتى حدود فارس ، لدرجة أنه يتعرض لرجال الخلوة [الصوفية] المؤمنين فحاشا الله أن يرتفع أمر المشركين والعياذ بالله ، وهو الآن متوجها صوب آذربيجان ووفقا لقوله تعالى : ((كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله)) فلن أقصر أبد في مقابلته ومقاتلته وسوف أضحى برأسي وروحي في سبيل المسلمين •

وأريد أن يعلم جنابكم بذلك ، فتأمر أمراء الحدود أن يتأهبوا فقد احتاجهم ، والا يضيعوا الفرصة من أيديهم ، فان القضاء عليه أفضل وأحسن من غزو ديار الكفار •••

والعون من الله ولتسأل عن سائر الأحوال من حامل الرسالة هذه الأمير الأمجد الأكرم مراد فهو من جملة الخاصة والمقربين •

جواب السلطان بايزيد على كتاب الأمير قرا يوسف :

وصلنا المكتوب المستطاب والخطاب مسكى النقاب ••• من رفيع القدر ،

قائد ملوك الزمان ، ناشر العدل والاحسان ، قامع البدعة والطغيان المستغني عن الألقاب والعناوين ، المختص بمزيد عناية الملك المنان ، عضد الدولة والدين قرا يوسف ، المؤمن ، أعز الله له الأعوان ، ولايخلو عنه المكان ، مصحوبا بخلق الأعاظم والأكارم ، مراد بك زيد قدره ٠

قد أمرنا أمير أمراء الروم وأمراء تلك الديار أنه حين تقترب شرر الشرار ، ونار فتنة الخصم المقهور ، والكلب العقور ، تيمور المكسور ، لعنه الله ودمره مع توابعه ٠ ولواحقه ، من الولايات ، وتتقدم العساكر المنصورة بتوفيق الله وتأييده ، مثل السيل الجاري ، والبحر الهائج ، فعليهم الخروج متوالين ، ويتأهبوا لاخماد تلك النار المدمرة للعالم ، ويمحوا دخان الظلم والظلام ويزيلوا عن الدنيا تلك الجماعة من أبناء الشياطين ، ويجعلوا العالم منيرا وصافيا لأهله ٠ فان قلع وقمع ودفع ورفع تلك الطائفة الباغية،أمر لازم وواجب على جميع الفرق الناجية ٠

وعليك أيضا أن تحكم السيطرة على شروان وكيلان [جيلان] وكردستان ولورستان جميعا ، بقبضة واحدة ، وتجعل أهلها رافعي الرأس جميعا بالرعاية الملكية ، ولاتغفل ليلا أو نهارا عن التدابير الصائبة ، واقتدى بفحوى : ((وشاورهم في الأمر)) وقل توكلت على الله في صد تلك الجماعة من الفسقة ، فقتالهم يعد مثل الغزو [الجهاد] الأكبر ، وقد علمنا أن كل أحوالهم غير المرضية ، مخالفة للأمر الالهي ، وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ٠ والسلام والاكرام ٠

بواسطهٔ توفیق که متضمن آن منیه بود براجل وجوه مقدر باد انه علی مایشاء قدیر وبحسن الاجابة جدیر بعده برأی عالم آرای ممالك کشای لازال منیرا اعلام میدارد که محب مخلص برآن قرار که حرکت طرفین راموافق ومطابق باشد بصوب ییلاق توجه نمود درانثنای آن روزی چند بجهت تعظیم ماه مبارك دران کوهسار توقف کرده شد ودرهمین وقت افتخار المقربین قدوة المعتمدین سنان الدین رسید واشعاری که بتمشیت امور دولت ومهمات مملکت باشد وازآن مسرت دوستان وخلان وخذلان دشمنان آید رسانید واین مفاخرت واستظهار ومصاهرت میمنت شعار درانکه منتج انواع دوستی ویکانکی خواهد کشت شبهه نیست حق سبحانه وتعالی همکنانرا قرین وداد صوری وضمین اتحاد معنوی کرداناد بالنبي وآله وصحبه الامجاد

﴿ الجواب ﴾

نامهٔ فرخ فال ومثال بیمثال که چون درر ولآلی ازدرج سعادت درسلك عبارت کشیده بود وچون ثواقب کواکب که ازبرج دولت طالع شده ازحضرت معدلت شعار مکرمت آثار مالك ازمهٔ ملوك الامراء کهف لجنة قاطبة الکبراء المؤید من السماء المظفر علی الاعداء ملاذ صنادید الامم فخر ملوك العرب والعجم منبع جواهر الاخلاق ومطلع زواهر الشیم علی الاطلاق المحلی بحلل اللطف والاحسان رفیع القدر عظیم الشان انشم کامران لازال الملك معمورا بآثار عدله مشحونا بلطائف عواطفه ومقرونا بشرائف طرائفه در الطف اوقات واحسن حالات ورود فرمود بتعظیم وتبجیل وتفخیم وتجلیل برفحاوی شریف ومعانی لطیف آن اطلاع یافته وآنچه ازاشعار محبت واتحاد واخبار مودت واعتضاد درطی آن مندرج بود ومصور کشت لهذا برصحت ذات همایون وانتظام امور دولت ابد مقرون شکرهای فراوان کذارده شوقی که فرموده وعطفی که نموده‌اند وازاصل مکارم ونشر محامد پیوسته ازطرف این محب نیز براضعاف آن تصور فرمایند که اکر کلك خواهد درشرح آن شروع رود محرر علیل الاقلام ومبین کلیل الاعلام ماند لکن ازالطاف آن یکانه چه فوت شود واورا که ملاقات جسمانی ماورای مطالب روحانی است بنحو بترین وجهی میسر باد آنچه درباب اصلاح ذات البین ورعایت خواطر جانبین نموده اند حق علیم است که همیشه امل مخلصان بآن راسخ است که مرآت قلوب ارباب دولت اززنك وغبار کینه منجلی کشته مانند قرص آفتاب منیر وصفا پذیر باشد وچون اشارت مخدومی نیز برین نمط رهی کشت مرضاة لمأموله مقبول ومطبوع افتاد ودرین وقت حامل دعا ورافع ثنا حاجی حسن فقیه را بحضور فائض النور فرستاده شد متوقع است که دائما ابواب اخبار سلامتی وانتظام امور دولت مشحون بفنون مواعظ ونصایح مفتوح فرمایند که روزکار ساخته ورهین ایشانست زیاده چه اطناب رود که جناب مخدومی همیشه فرخنده ودولتیار باد بحق محمد النبي المختار وآله الابرار واصحابه الاخیار

﴿ جنتمکان سلطان یلدرم بایزید خان غازی حضرتلری درکاهنه امیر تیمور طرفندن ﴾
﴿ کلان نامه صورتیدر ﴾

الحمد لله وحده والصلوة علی من لا نبي بعده وعلی آله اجمعین بعد التحیة التامة ایها الملك فی الروم یلدرم بایزید اعلم فنحن فی بلاد الله سلطان جدید مظفر ومنصور علی جمیع الامراء بالنصر والتأیید لجملة الخلایق لنا عبید فننبه ان قره یوسف وسلطان احمد قد هربا

﴿ من ﴾

من سطوة سيوفنا وهيبة جيوشنا ولايخفى عليك انهما مادة الفساد وبوار البلاد ودمار العباد وهما كافران كفرعون وهامان فى العلو والاستكبار فلا تقبلهما ان لم تطلب الادبار ﴿ فجاسوا خلال الديار ﴾ ﴿ ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ وقد صاروا بين معهما فى حمى دياركم قاطنين واينما حلوا حلت النحوسة والشؤم وحاشا ان يكون مثلهما تحت جناح ملك الروم واياكم ان تصحبوهم بل اخرجوهم وخذوهم بل احصروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ﴾ واياكم مخالفة امرنا فيحل عليكم دابر قهرنا قد سمعتم احوال مخالفينا واحزابهم وما يراه بهم مافى قرابهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم ﴾ ولا تكثروا بيننا القيل والقال فضلا عن جدال وقتال وقد وصفنا لكم البراهين وضربنا لكم الامثال وفقاشنا. ذلك انواع التهديد والتخويف واصناف العذاب والاراجيف والسلام على من هداه الله والامر يومئذ لله

٩

﴿ الجواب ﴾

الحمد لله الذى شرفنا بالاسلام وعززنا بالغزو من سلاطين الاعراب والاعجام والصلوة على رسوله محمد خير الانام وعلى آله العظام وصحبه الكرام اعلم ايها الكلب العقور الموسوم بالتيمور فهو اكفر من الملك الكفور قد قرأنا كتابك ايها المشؤم اذ تخوفنى بهذه الترهات وتخدعنى بهذه الترهات انت تحسب انى مثل ملوك الاعجام او تتار الدشت لاعوام او فى جمع الجنود كجيش الهنود او فى جمع جند فى الكثرة والشقاق كجمع الهراة والعراق او ما عندى من غزاة الاسلام كعساكر الحلب والشام وثبت عندهما كيف تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ﴾ لان افعالك نقض العهود والذمم سفاك الدم وهتاك الحرم فنحن افضل السلاطين شرقا وغربا واشرف الخواقين بعدا وقربا وانت تعرف نظام جيوشنا وعساكرنا وقفت للقيام بتظافرنا وتناصرنا كم فرق بين من تكفل بامر البغاة والطغاة وبين من تحمل امر الكماة والغزاة فان الحرب والضرب دأبنا والجهاد صنعتنا وشرعة الغزاة فى سبيل الله شريعتنا ان قاتل احدكم طالبا على الدنيا فنحن المقاتلون فتكون كلمة الله هى العليا ورجالنا باعوا انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فى العقبى وحاصل الكلام ان كل اشغالنا وجل احوالنا القتال مع اعداء الدين من الكفرة والمتمردين واعلم ان من يبعث هذا الكلام الى بلادنا اتباعا وان لم تأت فزوجاتك طوالق ثلاثا وان قصدت بلادى وانا افر عنك ولم اقاتلك البتة فزوجاتى اذ ذاك طوالق ثلاثا والسلام على المسلمين فلعنة الله عليك وعلى من اتبعك اجمعين الى يوم الدين

﴿ جنتمكان سلطان يلدرم بايزيد خان غازى حضرتلرى طرفندن استانبول اوزرينه ﴾
﴿ عزيمتده وقوعبوله جق محاربه ايچون مهمات لازمه نك تهيئه واحضارى ارادهسيله ممالك ﴾
﴿ محروسهٔ شاهانهيه نشر وارسال اولنان فرمان همايونك صورتيدر ﴾

مفاخر القضاة والحكام معادن الفضائل والكلام ممالك محروسهم قاضيلرى زيدت فضائلهم بو حكم شريفم نفذه الله سزلره واصل اولدقده شويله بيله سزكه حق جل وعلا حضرتلرينه توكل وسرور انبيا محمد مصطفى صلى الله تعالى عليه وسلمك روح شريفلرينه توسل وچهار يار عظام واولياى كرام رضى الله عنهم اجمعيندن استمداد ايدوب اشبو سال فرخنده فال ميمنت مآلك شهور مشهورهسندن ماه مبارك ربيع الاولك سكزى واقع اولان دوشنبه كونده دار النصر ادرنه حميت من الآفات والبليه دن جميع وزراء عظام وغلمان دركاه عالى مقام واغالرم وبكچرى طائفهسى وعزب خلق وبكار بكيلرم وبكلرم والاى بكلرى

ترهاتك مالى بودركه روم اولان يلدرم بايزيد معلو بزنكرينك شهرلرندهٔ ومنصور پادشاهزجه اوزرينه نصر وتأييد الهه عباد بزم قولمز كبيدر پس ا قره يوسف وسلطان احم معابزم قليجمز خوفندن وا هيبتندن اول جانبه قاچد هر برى مادة الفساد مفسد ومهلك العباد اولوب وهامان كبى علو واستكبار ل ايدوكى مخفى دكلدر اويله اول اقبال ايدرسك اول ايكى مدبر ايچبوب ﴿ فجاسوا خلال الـ مضمونيله عمل ايده سزكه فرعون وهامان وجنودهمـ خاطئين ﴾ مزبورلر وآدم هرنه دياره وارهلر نكبت وشئ بيله واردبغنده شبهه يوقدر انلرك كبى كسنهلر سزلك كبى پاد قنادى آلتنده تمكن ايتمك معقو سزه نصيحت ايدهرين كه زنهار صحبت ايكره كوتورمبوب صاقد بلكه ديار وبلادكزدن نز ايده سز زنهار امرمزه مخا ايتميه سزكه قهرمزه مستحق مقرردر زيرا بزه مخالفت كيمسهلرك احوال مسموعكز اول وبالجمله بزمله قيل وقالى اكثا حذر ايده سز قنده قالديكه وجدال ايده سز ﴾ وا يومئذ لله
٩
حمد بى نهايه اول خدايه كه بزى اسلامله مشرف ايتدى وسلا اعراب واعجامدن سعادت وجهادله معزز وممتاز ايلدى وصـ بى غايه خير الانام اولان رسولى

الملحق الثاني

وهو صوره من الرسالة المرسلة من تيمورلنك الى بايزيد :

[منقول من مجموعة منشآت الملوك والسلاطين ، لفريدون بك ، ص ١٢٠-١٢١]

الحمد لله وحده والصلاة على من لانبى بعده وعلى آله أجمعين ، بعد التحية التامة أيها الملك في الروم يلدرم بايزيد ، اعلم فنحن في بلاد الله سلطان جديد مظفر ومنصور على جميع الأمراء بالنصر والتأييد ، فجملة الخلائق لنا عبيد ، فتنبه أن قرا يوسف وسلطان أحمد قد هربا من سطوة سيوفنا ، وهيبة جيوشنا ، ولايخفى عليك أنهما مادة الفساد وبوار البلاد ، ودمار العباد ، وهما كافران كفرعون وهامان في العلو والاستكبار ، فلا تقبلهما ان لم تطلب الادبار (فجاسوا خلال الديار) (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) وقد صاروا بمن معهما في حمى دياركم قاطنين ، واينما حلوا حلت النحاسة والشؤم ، وحاشا أن يكون مثلهما تحت جناح ملك الروم ، واياكم أن تصحبوهم بل اخرجوهم وخذوهم بل احصروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم • واياكم مخالفة أمرنا فيحل عليكم دابر قهرنا قد سمعتم أحوال مخالفينا واحزابهم ، ومايراه بهم مافي قرابهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم • ولاتكثروا بيننا القيل والقال فضلا عن جدال وقتال ، وقد وضعنا لكم البراهين وضربنا لكم الأمثال في أثناء ذلك أنواع التهديد والتخويف واصناف العذاب والاراجيف • والسلام على من هداه الله والأمر يومئذ لله •

جواب بايزيد على كتاب تيمورلنك :

الحمد لله الذي شرفنا بالاسلام ، وعززنا بالعز وعن سلاطين الاعراب والاعاجم ، والصلاة على رسول الله محمد خير الأنام وعلى آله العظام وصحبه الكرام • أعلم أيها الكلب العقور ، الموسوم بالتيمور ، فهو أكفر من الملك التكفور ، قد قرأنا كتابك أيها المشئوم ، اذ تخوفنى بهذه المهملات ، وتخدعنى بهذه الترهات ، أنت تحسب أنى مثل ملوك الأعاجم أو تتار الدشت

الأعوام ، أو في جمع الجنود كجيش الهنود ، أو في جمع جند في الكثـــرة والشقاق كجمع الهراة والعراق ، أو ماعندى من غزاة الاسلام كعساكر حلب والشام ، وثبت عندهم ((كيف تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر)) •

لأن أفعالك نقض العهود والذمم ، سفاك الدم وهتاك الحرم ، فنحن أفضل السلاطين شرقا وغربا ، وأشرف الخواقين بعدا وقربا ، وأنت تعرف نظام جيوشنا وعساكرنا ، وقفت للقيام بتظافرنا وتناصرنا ، كم فرق بين من تكفل بامر البغاة والطغاة وبين من تحمل الكماة والغزاة ، فان الحرب والضرب دأبنا والجهاد صنعتنا وشرعة الغزاة في سبيل الله شرعتنا ان قاتل أحد مكالبا على الدنيا فنحن المقاتلون فتكون كلمة الله هي العليا ، ورجالنا باعوا أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة في العقبى ، وحاصل الكلام ان كل اشتغالنا وجل أحوالنا القتال مع أعداء الدين من الكفرة والمتمردين ، وأعلم من يبعث هذا الكلام الى بلادنا انبعاثا ، وان لم تأت فزوجاتك طوالق ثلاثا ، وان قصدت بلادى وأنا افرمنك ولم أقاتلك البته فزوجاتى اذ ذاك طوالق ثلثا والسلام على المسلمين ، فلعنة الله عليك وعلى من اتبعك أجمعين الى يوم الدين •

ثبت المصادر والمراجع

أولا : المخطوطـــات :

الاسدى ، محمد بن محمد • (ت بعد ٨٥٤هـ) •

[[التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار]] دار الكتب بالقاهـــرة ، رقم ٥٨٦٨ ، ٥٤٨٦ • تاريخ •

البغدادي ، أحمد بن عبدالله • (ت ١١٠٢هـ) •

[[عيون أخبار الأعيان ممن مضى من سالف العصور والأزمان]] • مصـــورة في مجلدين بدار الكتب بالقاهرة برقم ٣٨١٠ تاريخ •

ابن خطيب الناصرية ، علي بن محمد بن سعد (٨٤٣هـ) •

[[الدر المنتخب في تاريخ حلب]] معهد المخطوطات العربية ، جامعـــة الدول العربية - القاهرة ، رقم ٢٠٣٦ تاريخ •

ابن أبي السرور ، محمد بن السيد • (ت ١٠٨٧هـ) •

[[النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية]] • دار الكتب بالقاهرة ، برقم ٢٢٦٦ تاريخ ، وميكروفيلم رقم ١٧١٨-١٠٦٤٩ •

السلامي ، شهاب الدين أحمد (القرن التاسع الهجرى) •

[[مختصر التواريخ]] دار الكتب بالقاهرة ، برقم ١٤٣٥ ، تاريخ •

شاهى : محمد قطب الدين • (ت ؟ هـ) •

تواريخ تركمانية • باريس • مكتبة باريس العمومية • المخطوطــــــات الفارسية ، قسم الاضافات رقم ١٧٤ •

العيني ، بدر الدين أبومحمد محمود بن شهاب الدين (٨٥٥هـ) •

[[عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان]] (الجزء التاسع عشر) • نسخة مصورة عن مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - مركز البحث العلمـــي واحياء التراث الاسلامي ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة •

القدســي ، محمد بن أبي حامد (ت القرن التاسع الهجرى) •

[[دول الاسلام الشريفة البهية وذكر ماظهر من حكم ابن الحنفية في جلب طائفة الأتراك الى الديار المصرية]] ، مخطوط بدار الكتـــــــب بالقاهرة برقم ١٢٠١١ • ميكروفيلم •

مرعى الكرمي ، مرعي بن يوسف بن أبى بكر المقدسى الحنبلى (ت ١٠٣٣هـ) •

[[نزهة الناظرين في تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين]] نسخة مصورة عن مخطوط رامبور في الهند - معهد المخطوطات العربية جامعـــة الدول العربية - القاهرة •

ثانيا : المصادر العربية :

" رتبت المصادر حسب أسماء شهرة المؤلفين "

الاسحاقي ، محمد عبدالمعطي بن أبي الفتح . (ت ١٠٦٠ هـ) .

لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول . القاهرة : ١٢٩٦هـ .

الأصطخري ، أبواسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦هـ) .

مسالك الممالك . نسخة مصورة عن طبعة ليدن ، بريل ، ١٩٦٧م .

ابن اياس ، محمد بن أحمد بن اياس الحنفى . (ت ٩٣٠هـ) .

بدائع الزهور في وقائع الدهور . تحقيق : د. محمد مصطفى . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

ابن تغرى بردى ، أبوالمحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (ت ٨٧٤هـ) .

أ) المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى . تحقيق الدكتور محمد محمد أمين . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م .

ب) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والارشاد القومى . القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .

ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ) .

أ) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . بيروت : دار الجيل ، [بدون تاريخ] .

ب) انباء الغمر بأنباء العمر . تحقيق وتعليق : الدكتور حسن حبشي . القاهرة : لجنة احياء التراث الاسلامي ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

ابن حوقل ، أبوالقاسم بن حوقل النصيبي . (ت ٣٨١هـ) .

كتاب صورة الأرض . بيروت : منشورات مكتبة الحياة ، ١٩٧٩م .

ابن خرداذبة ، أبوالقاسم عبيدالله بن عبدالله (ت ٢٨٠هـ) .
المسالك والممالك . ليدن : طبع بريل ، ١٨٨٩ م .

الخطيب الصيرفى ، علي بن داود بن ابراهيم (ت ٩٠٠هـ) .
نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان . تحقيق الدكتور حسن حبشي .
القاهرة : مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٠ - ١٩٧١م .

ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) .
أ) تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر .
بيروت : مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
ب) التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا . عارضه بأصوله وعلق حواشيه : محمد بن تاويت الطنجى ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥١م .

أبوداود : سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدى : سنن أبى داود . اعداد وتعليق : عزت عبيد الدعاس وعادل السيد . الطبعة الأولى ، بيروت: دار الحديث للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .

ابن دقماق ، صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدمر (ت ٨٠٩هـ) .
الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين . جزءان . الطبعة الأولى .
تحقيق : محمد كمال عزالدين علي . بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

الرمزى . م . م . الشيرى .
تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار .
المجلد الأول . الطبعة الأولى . أورنبورغ : طبع بالمطبعة الكريمية والحسينية ببلدة أرنبورغ ، ١٩٠٨م .

السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن . (ت ٩٠٢هـ) .
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة.
[بدون تاريخ] .

ابن شاهين الملطى ، عبدالباسط ابن خليل (ت ٩٢٠هـ) ٠
نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين ٠ الطبعة الأولى ٠ تحقيق : محمد كمال الدين عزالدين علي ٠ مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ٠

ابن الشحنة : أبوالمعالى محمد بن محمد بن محمود بن غازى (ت ٨١٥هـ) ٠
أ) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ٠ علق على حواشيه : يوسف بن اليان سركيس الدمشقي ، بيروت : المطبعة الكاثولوكية ، ١٩٠٩م ٠
ب) روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر ٠ الجزء التاسع ٠ القاهرة: طبع على هامش كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ، ١٢٩٠هـ ٠

الشوكانى ، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ) ٠
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٠ بيروت : دار الطباعة والنشر [بدون تاريخ] ٠

الصرفى ، رزق الله منقريوس ٠
تاريخ دول الاسلام ٠ القاهرة : مطبعة الهلال ، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م ٠

ابن طولون ، شمس الدين محمد (ت ٩٥٣هـ) ٠
الثغر البسام في ذكر من ولى قضاء الشام ٠ تحقيق : الدكتور صلاح المنجد ، دمشق : ١٩٥٦م ٠

ابن عبدالحق البغدادى ، صفى الدين عبدالمؤمن بن الخطيب بن عبدالله بن علي (ت ٧٣٩هـ) ٠
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ٠ الطبعة الأولى ٠ تحقيق وتعليق : علي محمد البجاوي ، القاهرة : دار احياء الكتب العربية ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م ٠

ابن عربشاه ، أبومحمد أحمد بن محمد بن عبدالله الدمشقي (ت ٨٥٤هـ) .
عجائب المقدور في نوائب تيمور . تحقيق الدكتور علي محمد عمر .
القاهرة : الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، مطابع دار نافع ،
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ابن العماد الحنبلي ، أبوالفلاح عبدالحي بن العماد (ت ١٠٨٩هـ) .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب . بيروت : دار المسيرة ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

العيني ، بدرالدين أبومحمد محمود بن شهاب الدين (ت ٨٥٥هـ) .
أ) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (من سنة ٧٨٤ الى ٨٠١هـ) رسالة دكتوراه . تحقيق ودراسة : محمد عبدالحميد راغب ابراهيم .
القاهرة : جامعة الأزهر - قسم التاريخ والحضارة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
(لم تطبع) .
ب) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان . عصر سلاطين المماليك . تحقيق : دكتور محمد محمد أمين . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
ج) السيف المهند في سيرة الملك المؤيد : [شيخ المحمودى] . تحقيق: فهيم محمد شلتوت . القاهرة : دار الكاتب العربي ، ١٩٦٦ - ١٩٦٧م .

الغياثي ، عبدالله بن فتح الله البغدادي (من علماء القرن العاشر) .
التاريخ الغياثي . دراسة وتحقيق : طارق نافع الحمدانى ، بغداد :
مطبعة أسعد ، ١٩٧٥م .

أبوالفداء ، اسماعيل بن علي بن محمود ، الملك المؤيد ، صاحب حماة (ت٧٣٢هـ).
المختصر في أخبار البشر . بيروت : دار المعرفة . [بدون تاريخ].

ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم (٧٣٥ - ٨٠٧هـ) •

تاريخ ابن الفرات • المجلد التاسع • عنى بتحريره ونشره الدكتور قسطنطين زريق : بيروت ، المطبعة الأميركانية ، ١٩٣٦م •

الفيروزآبادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى (ت ٨١٧هـ) •

القاموس المحيط • بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨ - ١٩٧٨م •

ابن قاضي شهبة ، تقى الدين أبوبكر أحمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥١هـ) •

أ) تاريخ ابن قاضي شهبة • (من ٧٨١ الى - ٨٠٠هـ) • تحقيق : عدنان درويش • دمشق : ١٩٧٧م •

ب) الاعلام بتاريخ أهل الاسلام • الجزء الثاني (٨٠٠ - ٨٠٦هـ) • تحقيق : حسن عبدالرحيم سليمان • رسالة ماجستير • كلية الأداب جامعة عين شمس - القاهرة • ١٩٧١م • لم تطبع بعد •

القرماني ، أبوالعباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى (ت ١٠١٩هـ) •

أ) أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ • بيروت : عالم الكتب • [بدون تاريخ] •

ب) تاريخ سلاطين آل عثمان • الطبعة الأولى • تحقيق : بسام عبدالوهاب الجابي • دمشق : دار البصائر ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م •

القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود • (ت ٦٨٢هـ) •

آثار البلاد وأخبار العباد • بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م •

القلقشندى ، أبوالعباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ) •

صبح الأعشى في صناعة الانشاء • نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية - مطابع كوستاتسوماس ، القاهرة : ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م •

ابن كثير ، اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) •
البداية والنهاية • الطبعة الثالثة • بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٧٠م •

المستوفى القزويني ، حمد الله بن أبي بكر أحمد بن نصر (ت ٧٥٠هـ) •
تاريخ كزيدة • المجلد الأول • لندن : ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م •

المقريزي ، أحمد بن علي بن عبدالقادر (ت ٨٤٥هـ) •
أ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) القاهرة : طبع بولاق ، ١٢٧٠هـ •
ب) السلوك لمعرفة دول الملوك • تحقيق : الدكتور محمد مصطفى زيادة وآخرين • القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٧٠م •

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالعزيز الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)
معجم البلدان • بيروت : دار صادر للنشر • [بدون تاريخ] •

ثالثا : المراجع العربية والمراجع المترجمة :

" رتبت المراجع حسب الاسم الأول للمؤلف "

د • ابراهيم أحمد العدوى •

أ) مصر والشرق العربي [درع الاسلام] القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٥م •

ب) تاريخ العالم الاسلامى ، الجزء الثاني [عصر التنمية والعطاء] القاهرة : مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي ، ١٩٨٤م •

د • ابراهيم أنيس ، وآخرون •

المعجم الوسيط • الطبعة الثانية • القاهرة : مطابع دار المعارف بمصر ، ١٣٩٢ - ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م - ١٩٧٣م •

د • ابراهيم علي طرخان •

مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة • القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٠م •

أحمد بن زيني دحلان • (ت ١٣٠٤هـ) •

الفتوحات الاسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية • القاهرة : مطبعة مصطفى ، ١٣٥٤هـ •

أحمد عبدالكريم سليمان •

تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة ، مع ترجمة مقال الكاتب : دي ميجنانللى عن حياة تيمورلنك • الطبعة الأولى • القاهرة : ١٤٠٥ / ١٤٠٦هـ •

د • أحمد فؤاد متولى •

الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته : [من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له] • القاهرة : ١٩٧١م •

د · أحمد محمود الساداتي ·

تاريخ الدول الاسلامية بآسيا وحضارتها · القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٩م ·

أرمنيوس فامبرى ·

تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر · ترجمه وعلق عليه : أحمد محمود الساداتى · القاهرة : مطابع شركة الاعلانات الشرقية · [بدون تاريخ] ·

استانلى لين بول ·

أ) طبقات سلاطين الاسلام · الطبعة الأولى · بيروت : الدار العالمية للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ·

ب) سيرة القاهرة · الطبعة الأولى · ترجمة : الدكتور حسن ابراهيم حسن ، وآخرين · القاهرة : مكتبة النهضة المصرية · [بدون تاريخ]·

اسماعيل سرهنك (ت ١٣٤٣هـ) ·

حقائق الأخبار عن دول البحار · القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق · ١٣١٢ - ١٣١٤هـ ·

د · انطوان خليل ضومط ·

الدولة المملوكية · [التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكرى] · الطبعة الثانية ، بيروت : دار الحداثة ، ١٩٨٢م ·

أنور زقلمة ·

المماليك في مصر · القاهرة : مطبعة المجلة الجديدة · [بدون تاريخ] ·

اير لامارفين لابيدوس ·

مدن الشام في العصر المملوكي · الطبعة الأولى · نقله الى العربية وقدم له : سهيل زكار ، دمشق : دار حسان للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ·

د • بارتولد ، فاسيلي فلاديميروفتش •
أ) تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي • الطبعة الأولى • نقله عن الروسية : صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت : ١٤٠١هـ-١٩٨١م•
ب) تاريخ الترك في آسيا الوسطى • ترجمة : الدكتور أحمد السعيد سليمان القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية • ١٩٥٦م •
ج) تاريخ الحضارة الاسلامية • ترجمة : حمزة طاهر ، القاهرة : دار المعارف • ١٩٨٣م •

د • حربي أمين سليمان : المؤرخ الايراني الكبير غياث الدين خواندامير كما يبدو في كتابه دستور الوزراء • القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م •

د • حسن ابراهيم حسن •
[انتشار الاسلام في الهند] • مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول بالقاهرة ، المجلد السابع ، ١٩٤٤م •

حسين لبيب •
كتاب تاريخ الأتراك العثمانيين • القاهرة : مطبعة الواعظ ، ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م •

د • حكيم أمين عبدالسيد •
قيام دولة المماليك الثانية • القاهرة : طبع الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م •

خيرالدين الزركلي • (ت ١٩٧٩م) •
الاعلام • الطبعة الخامسة ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٠م •

راسم رشدي •
مصر والشراكسة صفحات من تاريخ مصر الحديث • القاهرة : ١٩٤٨م •

رامبـــاور .

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي . الجـــزء الأول .

ترجمة : الدكتور زكي محمد حسن بك ، وحسن أحمد محمود . القاهـــرة :

مطبعة جامعة فؤاد الأول ، ١٩٥٢م .

ستيفن هيملي لونكريك .

أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث . الطبعة الثانية . نقلة الـــى

العربية : جعفر خياط . بيروت : دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع

١٩٤٩م .

د . سعيد عبدالفتاح عاشور .

أ) أوروبا العصور الوسطى [التاريخ السياسي] . الجزء الأول . الطبعة

الخامسة . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٢م .

ب) مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك . القاهرة : دار النهضـــة

العربية ، ١٩٧٢م .

د . السيد الباز العريني .

المغول . بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٨١م .

الســيد فرج .

تيمورلنك . القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٥٧م .

شاهين مكاريـــوس

تاريخ ايران . القاهرة : مطبعة المقتطف ، ١٨٩٨م .

د . صالح محمد العابد ، وآخـرون .

العراق في التاريخ . بغداد : ١٩٨٣م .

عباس اقبال اشتيانى (ت ١٣٧٦هـ) .

تاريخ ايران بعد الاسلام . [من بداية الدولة الطاهرية حتى نهايـــة

الدولة القلجارية (٢٠٥ - ٨٢٠هـ / ١٣٤٣ - ١٩٢٥م) . نقلـــــه عن

الفارسية وعلق عليه : الدكتور محمد علاء الدين منصور . القاهـــرة :

دار الثقافة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٩م .

عباس العزاوي .

تاريخ العراق بين احتلالين [حكومة الجلايرية من سنة ٧٢٩هـ - ١٣٣٨م الى سنة ٨١٤هـ - ١٤١٠م] الطبعة الأولى . طبع في مطبعة بغداد الحديثة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م .

عبدالسلام عبدالعزيز فهمي .

تاريخ الدولة المغولية في ايران . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١م .

د . عبدالعزيز سليمان نوار .

الشعوب الاسلامية . القاهرة : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٣م .

د . عبداللطيف عبدالله بن دهيش .

قيام الدولة العثمانية . الطبعة الأولى . مكة المكرمة : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

د . علي ابراهيم حسن .

مصر في العصور الوسطى . الطبعة الخامسة . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤م .

علي حسونه .

الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية . الطبعة الأولى . دمشق : المكتب الاسلامي ، ١٤٠٠هـ .

علي ظريف الأعظمي .

أ) مختصر تاريخ بغداد . بغداد : مطبعة الفرات ، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م .

ب) مختصر تاريخ البصرة . بغداد : مطبعة الفرات ، ١٩٢٧م .

د . عمر عبدالعزيز .

دراسات في تاريخ العرب الحديث . القاهرة : دار النهضة المصرية . [بدون تاريخ] .

د . فؤاد عبدالمعطي الصياد .

المغول في التاريخ . القاهرة : مكتبة سعيد رأفت ، ١٩٦٠م .

فيشل ، والتر . ج .

لقاء ابن خلدون لتيمورلنك . ترجمة : محمد توفيق . بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة . [بدون تاريخ] .

كارل بروكلمان .

تاريخ الشعوب الاسلامية . الطبعة الخامسة . نقلة الى العربية : نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٨م .

كي لسترنج .

بلدان الخلافة الشرقية . ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد . بغداد: مطبعة الرابطة ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .

محمد أسد الله صفا .

تيمورلنك : الطبعة الأولى ، بيروت : دار النفائس ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

محمد أسعد طلس .

عصر الانحدار . الطبعة الأولى . بيروت : دار الأندلس ، ١٩٦٣م .

محمد أمين زكى (ت ١٣٦٧هـ) .

خلاصة تاريخ الكرد وكردستان . من أقدم العصور التاريخية حتى الآن . نقله الى العربية وعلق عليه : محمد علي عونى . القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٩٣٩ م .

محمد أنيس .

الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ - ١٩١٤م . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٥م .

محمد بيرم التونسي .

صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار . الطبعة الأولى . القاهرة : المطبعة الاعلامية ، ١٣٠٢هـ .

د • محمد جمال الدين سرور •

دولة بني قلاوون في مصر • القاهرة ، ١٩٤٧م •

محمد جميل بيهم •

أ) التاريخ العثماني • بيروت : مكتبة صادر ، ١٣٣٤هـ - ١٩٢٥م •

ب) فلسفة التاريخ العثماني • بيروت : مكتبة صادر ، ١٣٣٤هـ - ١٩٢٥م •

ج) أول من طمح الى الخلافة من الأعاجم [مجلة الهلال] القاهرة : الجزء الأول ، ربيع الأول سنة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م •

د • محمد حرب •

العثمانيون في التاريخ والحضارة • الطبعة الأولى • دمشق: دار القلم، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م •

محمد بن خليفه بن حمد بن موسى النبهانى الطائى (ت١٣٦٩هـ)•

التحفة النبهانيه في تاريخ الجزيرة العربية • الطبعة الثانية • القاهرة : المطبعة المحموديه ، ١٣٤٢ - ١٣٠٢هـ

د • محمد صالح داود القزاز •

الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية • النجف : مطبعة القضاء ، ١٣٩٠هـ •

محمد عبدالله عنان •

أ) تراجم اسلامية - شرقية واندلسية • الطبعة الثانية • القاهرة : مكتبة الخانجى ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م •

ب) مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية • الطبعة الأولى • القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م •

د • محمد فؤاد كويريلى •

قيام الدولة العثمانية • ترجمه من التركية الى العربية وقدم له : الدكتور أحمد السعيد سليمان • القاهرة : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر • [بدون تاريخ] •

محمد فريد بك •

تاريخ الدولة العلية العثمانية • الطبعة الخامسة • تحقيق الدكتور احسان حقى • بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م •

محمد كرد علي . (ت ١٣٧٣هـ) .

أ) الاسلام والحضارة العربية . الطبعة الثالثة . القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٦٨م .

ب) خطط الشام . الطبعة الثالثة . دمشق : مكتبة النوري ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

د . محمد كمال الدسوقى .

الدولة العثمانية والمسألة الشرقية . القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٦م .

د . محمد ماهر حمادة .

وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الاسلامي . الطبعة الثانية . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

د. محمد محمد أمين .

الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر . القاهرة : ١٩٨٠م .

محمد محمد فياض .

تيمورلنك . القاهرة : مطبعة دار المعارف ، ١٩٥٤م .

د . محمد مصطفى زيادة .

" نهاية السلاطين المماليك في مصر " . المجلة التاريخية المصرية . المجلد الرابع ، مايو ١٩٥١م .

محمد المنسى عاصى .

المراسلات والمعاهدات بين تيمورلنك وسلاطين المماليك في مصر . مجلة كلية اللغة العربية ، العدد الخامس . القاهرة : ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

د . محمود رزق سليم .

عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبي . الطبعة الثانية ، المجلد الأول . القاهرة : المطبعة النموذجية ، ١٩٦٢م .

د · نقولا زيـــاده ·

دمشق في عصر المماليك · لبنان : مكتبة لبنان ، نشر مؤسسة فرنكليـــن للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م ·

نوري عبدالحميد العانـــي ·

العراق في العهد الجلايري · (٧٣٨ - ٨١٣هـ / ١٣٧٧ - ١٤١١م) · " دراسة في أوضاعه الادارية والاقتصادية " · الطبعة الأولى · بغداد : دار الشئون الثقافية العامة ، ١٩٨٦م ·

هارولـد لامـب ·

تيمورلنك · عربه من الانجليزيه : عمر أبوالنصر · الطبعة الأولـــــى · بيروت · ١٩٣٤م ·

وليـــم مويـــر ·

تاريخ دولة المماليك في مصر ١٢٦٠ - ١٥١٧م · الطبعة الأولى · ترجمة: محمود عابدين ، وسليم حسن · القاهرة : ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م ·

يلمازاوزتونا ·

تاريخ الدولة العثمانية · الطبعة الأولى · ترجمة : عدنان محمـــــود سلمان · تركيا : منشورات مؤسسة فيصل للتمويل باستانبول ، ١٩٨٨م ·

يوحنا أفندى أبكاريـوس (ت ١٣٠٦هـ) ·

قطف الزهور في تاريخ الدهور · بيروت : ١٨٧٢م ·

يوسف آصاف (ت ١٣٥٧هـ) ·

تاريخ سلاطين آل عثمان من أول نشأتهم حتى الآن · القاهرة : المطبعـــة العمومية بمصر · [بدون تاريخ] ·

يوسف رزق الله غنيمة (ت ١٣٧٠هـ) •

نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق • الطبعة الأولى • بغداد : مطبعة الفرات ، ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م •

يوسف كركوش الحلي •

تاريخ الحلة ((القسم الأول في الحياة السياسية)) • الطبعة الأولى • النجف : المكتبة الحيدرية ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م •

دائرة المعارف الاسلامية • أصدرها بالانجليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم •

ترجمة واعداد وتحرير : ابراهيم زكى خورشيد ، أحمد الشنتناوى ، د •عبدالحميد يونس • الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٩م •

رابعا : المصادر والمراجع الفارسية والتركية :
" رتبت حسب الاسم الأول للمؤلف "

أحمد دده ، منجم باشي . (ت ١١١٣هـ) .
صحائف الأخبار في وقائع الآثار . قام بترجمته الى التركية من الأصل
العربي : اسماعيل أرونال . [بدون تاريخ] .
أحمد فريدون بك (ت ٩٩١هـ) .
مجموعة منشآت الملوك والسلاطين . استانبول : طبع سنة ١٢٦٥هـ .

تيمورلنك ، الملك المغولي (ت ٨٠٧هـ) .
تزوكات تيمور : ترجمه من المغولية الى الفارسية : أبوطالب الحسيني
وترجمه الى الانجليزيه ماجور دافي ، جامعة اكسفورد ، ١٧٨٢م .

جان ربيكا ، وآخرون .
تاريخ أدبيات ايران . ترجمه للفارسية : عيسى شهابى . طهران : ١٣٥٤هـ.
خليل أدهم .
دول اسلامية . استانبول : ملى مطبعة ، ١٩٢٧م .

رضا بازوكى .
تاريخ ايران ازمغول تاافشارية ، أرزوى برنامه ، وزارات معارف .
جاپ أول ردى ماه ، ١٣١٦م .
سيد محمد علي جمال زاده
[رواج شعر وشاعرى] . مجلة ازمغان شمار سوم خردارماه ، طهران :
سال ٢٥٣٦ .
شهاب الدين عبدالله بن لطف الله بن عبدالرشيد الخوافى حافظ أبرو
(ت ٨٣٨هـ - ١٤٣٤م) .
أ) بنج رسالة تاريخى در بارة حوادث دوران أمير تيمور كوركان .
تحقيق : فلكس تاور . تشيكوسلوفاكيا : براج ، ١٩٥٨م .

ب) زبدة التواريخ بايسنغري • [قسم منه وهو الجزء الثاني من كتـــاب تاريخ فتوحات الأمير تيمور كوركان المعروف بظفرنامه لنظام الديـــن شامي ، بسعي واهتمام : فلكس تاور ، جابخانة دولتى يداكوزيـــك ، براج ، ١٩٥٦م •

عزيز بن أردشير الاسترابادي (ت ٨٠١هـ) •

بزم ورزم • استانبول : أوقاف مطبعة سي ، ١٩٢٨م •

شرف الدين علي اليزدي (ت ٨٥٨هـ)

ظفرنامه • تصحيح وتحقيق : مولوى محمد الهداد ، كلكتا : ١٨٨٧م •

غياث الدين بن همام خواندامير (ت ٩٤٢هـ) •

حبيب السير في أخبار البشر • الجزء الثالث ، ١٢٨٣هـ •(بدون مكان الطبع)

مير بن محمد سيد برهان الدين خواوندشاه ميرخواند (ت ٩٠٣هـ) •

كتاب روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفا ، بيـــروز - تهران : ١٣٣٩هـ •

ن•و• بيكو لوسكايا ، المؤرخ الروسي وآخرون •

تاريخ ايران أزباستان تاپايان سده هجرهم ميلادى • ترجمة من الروسية الى الفارسية : كريم كشاورز • طهران • ١٣٥٤هـ •

ثالثا : المصادر والمراجع الأجنبية :

Ates, A . :

Felx Tautr prag. Belleten cillt xxix, Sayi 133, Ankara, 1965 .

Atiya, A . S . :

The crusade in the later Middle Ages, London, 1938 .

Browne, E . G . :

A Literary History of Persia Volune III, Cambridge, 1928 .

Chirol, S . U . :

The Turkish Empire, From 1288 to 1914, And From 1914 to 1924,

Lahore, (W . Pakistan) ,

Doestovesky, V . :

The Timuri Dominion in Western Asia, TP. Ans, By Proff. Robertson,

London, 1935 .

Fisher, S . N .:

The Middle East of the ottoman Empire, London, 1971 .

Francis, D . :

La Lutte entre Les Grands Religions Du Monde, Marceilles, 1938 .

Gibbons, H . A . :

The Foundation of the ottoman Empire, Frank cass and Co. Ltd. 1968 .

Grousset, R . :

The Empire of the steppes, A history of central Asia . Translated

From the French, by Naomi Walford, New Brunswick, Newjersey .

Hakki, I . U . :

Osmanti Torihi, Cilt I , Ankara, 1972 .

Hoco, S . E . :

Jacuf . Jevarih, Cill 1 Istanbul, 1974 .

Howorth, H . H . :

History of the Mangols, From the 9 th to the 19 th centruy, Part III , The Mongols of Persia, London 1888 .

Huart . Cl

Histoire des Arabes Volume 2, Paris, 1913 .

Kennedy, P . :

History of the Great Moghuls, Shiva puplications, Delhi .

King, R . W . :

Islamic Attitude to wards Minorities Throygh Ages. N.Y. 1952 .

Lane - Pool, S

A History of Egypt in the Middle Ages, London, 1936 .

Malcolm, J . :

History of Persia, Vol 1 . London, 1815 .

Ostrogrsky, G . :

History of the Byzantine state, Oxford, 1956 .

Otakar, K . etal . :

History of Iranian Literature . 1960 .

Prawdin, M .

The Mongol Empire, Its Rise and legacy Translated by : Eden and cedar paul . London .

Price, D . :

Mimoirs of the Principal Events of Mahommedan History from the Death of the Arabian Legislator to the Accession of the Empbror Akber. From original persian Autharities, London, 1820 .

Runciman, S . :

History of the crusades inthe Middle Ages, Volume, 3, Cambridige, 1954

Sami, N . U . :

Zafer Name, Tourk Tarih Kurumu Basi Mevi, Ankara, 1982 .

Stawdan, S . J . :

History of the ottoman Empire and Modern Turkey Istanbul 1882 .

Steven, R . :

A History of Grusades in the Middle Ages . Volume. 3 . Cambridge, 1954

Sykes, P. :

A History of Persia Volume II, London, 1969 .

Wittek, P . :

The Rice of the ottoman Empire, London, 1966 .

Yasar,Yucel . :

Timur'un Dis politikasinda Turkiye ve Yakin-Dogu, 1393 - 1402 ,
Ankara, 1980 .

الصفحـــة

قائمة المحتويـــات :